A L I   A L S A D I

تراث



رقائق الحُلل في دقائق الحيَل

لعلي بن يونس السَّعديّ

تحقيق: حمد البليهد



رقائق الحُلل في دقائق الحِيَل
لعلي بن يونس السَّعديّ

رقائق الحُلل في دقائق الحِيَل - لعلي بن يونس السّعديّ/ تراث

تحقيق: حمد البليهد/ أكاديمي وكاتب من السعودية

الطبعة الأولى: 2022



المؤسسة العربيةّ للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

المصيطبة، شارع ميشيل أبي شهلا، متفرع من جسر سليم سلام

مفرق الجامعة اللبنانيّة الدوليّة LIU، بناية النجوم، مقابل أبراج بيروت

ص.ب 5460-11، الرمز البريديّ 1107-2190

تلفاكس 707891/2 9611+

بيروت / لبنان

e-mail:mkpublishing@terra.net.Lb

info@airpbooks.com

التوزيع في الأردنّ:

دار الفارس للنشر والتوزيع

ص.ب 9157 ، عمّان 11191 الاردنّ،

هاتف 5605431 6 962+ / 5605432 6 962+ هاتفاكس 4631229 6 962+

موقع الدار الإلكتروني : www.airpbooks.com

تصميم الغلاف: يوسف الصرايرة/ الأردن، هاتف 97086249 7 962+

لوحة الغلاف للفنان: خالد الساعي/ سورية

الصف الضوئي: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

التنفيذ الطباعي: ديمو برس/ لبنان

الترقيم الدولي: ISBN : 978-614-486-352-7



رقائق الحُلل في دقائق الحيَل
لعلي بن يونس السَّعديّ

تحقيق: حمد البليهد

الطبعة الكاملة
الجزءان الأول والثاني



مقدمة المحقق

1- قصة الكتاب ومُؤلفه:

كنا نعمل منذ مدّة على بحثٍ في سرديات الحِيلة، وفي مرحلة جمع المادة، عثرنا بمحض الصدفة على كتاب: «السياسة والحيلة عند العرب»، بهذا العنوان العريض التسويقي، وأسفل منه عنوان الكتاب الأصلي، كما وضعه مصنفه: «رقائق الحلل في دقائق الحيل»، في طبعته الرابعة 2015م من إصدار دار الساقي، وقد خلا غلاف الكتاب من اسم المصنف، وبعد أن تصفحنا سريعاً متن الكتاب، وقرأنا مقدمته التي كتبها رنيه خوّام،[1] لم نعثر فيها على أثر لأيّ معلومة ترشدُ الباحث إلى مصنفه أو عصره، كما جاءتْ مقدمة المؤلف أيضاً خالية من أدنى إشارة يمكن الاهتداء بها، ما خلا اسم الأمير الذي تقرَّب إليه المؤلف بكتابه، وهو شخصية تكاد تكون مجهولة.

وفي ظل هذا التيه، انصرف عزمنا عن تحقيق الكتاب، وظلتْ رغبة التحقيق مجرد فكرة في الذهن، إلى أن وجدنا مقالة كتبها الأستاذ جليل العطية[2] عام 2000م، في العدد 7926 من صحيفة الشرق الأوسط، بعنوان: «المؤلف الحقيقي لكتاب تراثي عن فن الحيلة».

كان الجزء الأكبر من مقالة العطية مخصصاً لبيان جوانب النقص في طبعة

---

(1) هو باحثٌ ومترجم سوري الأصل أقام في فرنسا منذ عقود، وتوفي عام 2004م، وقضى سنواته الأخيرة باحثاً في المخطوطات العربية، وقد ترجم بعض النصوص التراثية العربية، كترجمته لمعاني القرآن الكريم من العربية إلى الفرنسية، وألف ليلة وليلة، ومقامات الحريري.

(2) هو باحثٌ ومؤرخ عراقي قدير، يُقيم في فرنسا منذ عقود، له اهتمام بالتراث والمخطوطات، وقد أخرج للمكتبة العربية عدداً من النفائس، كالقيان، والنساء الشواعر، والديارات لأبي الفرج الأصبهاني، وأخلاق الملوك للثعلبي، وغيرها.

الكتاب الذي أصدرته دار الساقي بإخراج رينه خوَّام، وفي نهايتها ذكر أنَّ مصنفات الشيعة، كطبقات الشيعة، والحقائق الراهنة في أعيان المائة الثامنة، قد نسبت هذا الكتاب إلى (عبد الرحمن بن محمد العتائقي، ت: 781هـ)، ثمَّ أضاف أنّه قد وُفق إلى العثور على مخطوطتين للكتاب، الأولى، تامة بخط المؤلف، موجودة في المكتبة الغرويّة في النجف، والثانية ناقصة في مكتبة برلين في ألمانيا.

فعادت فكرة التحقيق تُلحُّ علينا، وقد أمسكنا بهذا الخيط، فبادرنا بمراسلة المحقق العطية، بعد أن زودنا مشكوراً الصديق محمد البقاعي، بعنوانه، وحين استفهمنا منه عن مخطوطات الكتاب، تكرَّم مشكوراً بالإجابة بخطاب رقيق العبارة، وأمدنا ببعض المعلومات، إلا أنَّ إجابته أعادتنا إلى نقطة البداية، إذ ذكر أنَّ مخطوطة المكتبة الغروية، قد فُقدتْ هي وجملة من نفائس المخطوطات منذ مدَّة طويلة، كما أخبره بذلك خبير المخطوطات محمد حسين الجلالي.

وفي هذه الحال، لم يكن من سبيل أمامنا سوى مراجعة مصنفات الشيعة، للبحث في ترجمة عبد الرحمن العتائقي، فماذا وجدنا؟

أول من ذكر العتائقي، هو: تقي الدين الكفعمي (ت: 905) في كتابه: (مجموع الغرائب وموضوع الرَّغائب)، فقد أورد مجموعة من الحِيل، تحت عنوان: «المنتخب من رقائق الحلل، وهو ما اختصرته من كتاب رقائق الحلل في دقائق الحيل، وهو ما اختار منه الشيخ عبد الرحمن بن محمّد العتائقي».

ثمَّ نقل عنه الميرزا عبد الله الأفندي: «في رياض العلماء وحياض الفضلاء»، في ترجمته للعتائقي، ما نصه: «وقد ذكره الكفعمي في كتاب مجموع الغرائب، ثمَّ نسب إليه كتاب اختيار رقائق الحلل في دقائق الحيل، وكان أصل هذا الكتاب من غير هذا الشيخ، وهو قد اختاره»، ثمَّ تتابعتْ بعد ذلك النقول، في طبقات الشيعة، والذريعة إلى تصانيف الشيعة، وهديَّة العارفين، وفي مقدمة تحقيق كتاب العتائقي الناسخ والمنسوخ، وكلها أقوال مصدرها حديث الكفعمي.

وحين تأملنا كلام الكفعمي، لم نجد فيه ما يدل على أنّه نَسبَ هذا الكتاب

إلى العتائقي، فهو يقول بكلِّ وضوح: «وهو ما اختار منه الشيخ عبد الرحمن العتائقي»، فالعتائقي كان يختار من هذا الكتاب، وهي سمة ميزَّت مؤلفات العتائقي، فمعظمها مختصرات لكتب غيره، أو شروح لها.

بل إنَّ الأفندي، يزيد الأمر توضيحاً، حيث يقول: «وكان أصل هذا الكتاب من غير هذا الشيخ، وهو قد اختاره»، إذن فما قام به العتائقي هو الاختيار من هذا الكتاب، وليس من المستبعد أن يكون كتاب العتائقي: «الدر المنتخب في لباب الأدب»، المفقود قد تضمن هذه الاختيارات، فليس في حديث الكفعمي ما يُفيد أنَّ الكتاب من تصنيفه، ولكنَّ الذين نقلوا عنه فيما بعد لم يتثبَّتوا من دقة عباراته، ونسبوا الكتاب إليه، وهو من اختياراته.

وبعد أن اطلعنا على ما في معظم المصنفات التي ترجمتْ للعتائقي، ترَّجح لدينا أنَّ الكتاب ليس من تصنيفه، ولا يتوافق مع منهجه وأسلوبه واهتماماته، إلا أنَّ السؤال عن المُؤلف الحقيقي للكتاب ظل يشغلنا، فواصلنا البحث عن مخطوطات الكتاب، إلى أن ظفرنا بنسخة دار الكتب الوطنية بتونس، وقد استعنا بالزميلين العزيزين محمّد الهدلق، وعبد العزيز المانع، للحصول هذه النسخة، وقد تفضلا مشكورين ببذل جهودهما إلى أن حصلنا عليها.

وحين اطلعنا على هذه النسخة، فإذا جَهيْزة قد قطعتْ قولَ كلِّ خطيب، فقد كانت هذه النسخة تحمل اسم المؤلف كاملاً، ونسبة الكتاب إليه، ثمَّ بفضل الله وتوفيقه حصلنا أيضاً على قطعة من مخطوطة الكتاب، وهي نسخة ألمانيا التي أرشدنا إليها الأستاذ جليل العطية، وبهذا أصبح لدينا نسختان للكتاب، وقطعة مكتبة برلين، وسيأتي وصف هذه النسخ.

أما المؤلف، فهو: علي بن يونس بن علي بن سالم السَّعدي القرشيّ، ووالده يُعرف بالصَّدر المجدد القرشيّ، كما هو في نسخة المكتبة الوطنية بتونس، وقد دُوِّن اسم المؤلف أسفل عنوان الكتاب في أربعة مواضع: في ورقة الجزء الأول والثاني، وفي مقدمتيهما، وقد أهدى كتابه إلى الأمير: سعد الدين سنبل بن عبد الله الماكي البدري، ولا نكاد نعرف شيئاً عن المؤلف، ولا عن هذا الأمير الذي أهداه الكتاب، وقد بذلنا ما بوسعنا، وبكلِّ الوسائل المتاحة، واطلعنا على

كثير من كتب التاريخ والتراجم، لمعرفة أدنى معلومة عنهما، ولكن دون جدوى، وكل ما نقدمه هنا هو محاولة لبيان عصر المؤلف ومِصْره، بقدر ما ترشدنا إليه بعض الإضاءات النادرة في أماكن متفرقة من كتابه.

أولا: يُنسب المؤلف إلى السعديين، وهذه النسبة إلى عدّة قبائل نشأت في الحجاز، ومع امتداد الفتوحات الإسلامية منذ القرن الأول للهجرة، نزحتْ بعض فروع هذه القبائل، واستقرتْ في مناطق كثيرة من بلاد الشام والعراق، وقد نزح بعضها الآخر إلى بلاد المغرب، فأسسوا ما عُرف بالدولة السعديّة في حدود عام 916هـ، وتذكر كتب التاريخ في نَسَب صاحب الطريقة السعديّة في التصوف، أبو الفتوح سعد الدين بن يونس السَّعدي الشيبي الذي وُلد في مكة المكرمة سنة 460هـ، وبعد أن أتمَّ حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، وحصَّل قدراً من العلوم الدينية في سنّ صغيرة، ملازماً لوالده الشيخ يونس بن عبد الله الشيبي الحسني المتوفى في مكة المكرمة سنة541هـ، وفي مرحلة الشباب، قام ابنه سعد الدين بعدة سياحات طويلة في بقاع الأرض، كان أولها إلى اليمن وبلاد المغرب وبلاد الشام وبيت المقدس ومصر؛ مما زاد في تحصيله العلمي والمعرفي، وزار الكثير من العلماء والأولياء والصالحين، إلى أن استقر به المقام في بلاد الشام، وأسس الطريقة السَّعديَّة في التصوف التي عُرف بها ونسبتُ إليه، وقد امتد به العمر إلى عهد الخليفة الناصر لدين الله، وتُوفي سنة 575هـ.

ونظن أنَّ المؤلف تربطه صلة نسب بهذه الشخصية، وربما يكون المؤلف قد استوطن إحدى مدن بلاد الشام أو العراق، إذ نراه في فصل: «حِيل من ادَّعى النبّوة»، يُعلِّق على إحدى الحيل، بقوله: «ومثل هذا العمل إلى يومنا هذا في بِيعة بالرُّها، وفي بِيعة قيامة القدس»، كما نجده في حِيلة أخرى من الكتاب، رواية عن صاحب له، يقول: «حدَّثني بها السيد الأجل المنعم الفاضل جمال الدين سيد الأصحاب أبو عبد الله حسين الرَّقام، قال: «قرأتُ في بعض الكتب بمدرسة السَّراي برأس سوق السلطان ببغداد»، ومدرسة السَّراى ملحقة بجامع السَّراي قرب سوق السلطان نسبة إلى السلطان ملكشاه ألب أرسلان السلجوقي، وقد شيِّد هذا الجامع الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله سنة 589هـ، في

جانب الرُّصافة، وهو آخر خليفة ورد ذكره في الكتاب، وقد توفي سنة 622هـ، ثمَّ جدَّد هذا الجامع من بعده ابنه الظاهر بأمر الله سنة 623هـ، ونقل إليه الكتب النفيسة والمصاحف الشريفة.

ونرجّح أنَّ المؤلف قد عاش في القرن السابع الهجري، فآخر الكتب التي نقل عنها، هي: لابن الجوزي «كتاب الأذكياء»، والعماد الأصفهاني «الفتح القسيّ، والفتح الشامي» وكلاهما تُوفي سنة 597هـ، والنقل عنها كان بتصريح المؤلف، على أنَّ هناك كتاباً ذكره المؤلف في قائمة مصادره بعنوان: «تاريخ الحلاج»، لكنَّه لم يُصرِّح باسم مصنفه، ولابن السَّاعي خازن المكتبة المستنصرية المتوفى سنة 674هـ، كتاب قريب من هذا، بعنوان: «المنهاج في أخبار الحلاج»، وإذا كان عبد الرحمن العتائقي (699-781هـ) قد نقل عن المؤلف، كما ذكرنا آنفاً بحسب تصريح الكفعمي والأفندي، فإنَّ حياة المؤلف ربما كانت بين سنتي (630-685هـ) تقريباً.

ولم تُشرِ المصادر التاريخية وكتب التراجم إلى المؤلف، فقد بحثنا في كتب التراجم، وتواريخ عصره عن أدنى إضاءة ترشدنا، فلم نجد سوى الصمت المطبق، ولم يكن حال والده، أو الأمير سنبل بن عبد الله الذي أهداه المؤلف كتابه، بأحسن حالاً منه، ولا شك أنَّ مَرَدَّ هذا الصمت في رأينا، أنَّ المؤلف لم يكن من الشخصيات المعروفة في عصره، بل كان من عامة النَّاس؛ لذا نجد اسمه يُقرن دوماً بشهرة والده، فيقال: «المعروف والده بالصَّدر الجدد القرشي»، وربما يؤكد ما ذهبنا إليه، بأنَّ المؤلف لم يكن ممن حظي بشهرة خاصة بتقلُّده بعض المناصب، أو تفوقه في علم من العلوم، أو بكثرة مؤلفاته، فهو شخصية تكاد تكون مغمورة في عصره، وقد سلك نفسه في خدمة هذا الأمير، وأرد أن يتقرَّب إليه بتأليف هذا الكتاب، للمسامرة في مجلسه بهذه الحكايات أو الحِيل، فهو يقول: «وبعد، فإنِّي لما كنتُ مِمّن نظم نفسَه في سلك عبودية المولى الأمير الكبير الزاهد... أحببت أن أتقرَّب إلى خدمته بكتابي هذا المسمَّى برقائق الحلل في دقائق الحيل، مع علمي بأنَ الله قد أعطاه من العقل أوفره، ومن الذهن ألطفه، ومن الرأي أصوبه».

أمّا والد المؤلف، فنحن نُرجِّح أنَّه قد تقلد وظيفة إداريَّة، أو ما كان يُعرف في ذلك الوقت بالصَّدرية[1]، أو الناظر، وكما أهملت المصادر التاريخية ذكر المؤلف، فإنَّها كذلك أغفلت ذكر والده، وقد أظهرتْ لنا بعض الدلائل في الكتاب أنَّ المؤلف يميل إلى مذهب التشيُّع، فراجعنا معظم مصنفات الشيعيَّة لعلنا نظفر بشيء عن المؤلف، فلم نجد فيها كذلك سوى الصمت.

ثانياً: بعد البحث في المصادر التاريخية عن اسم الأمير الذي تقرَّب إليه المؤلف بكتابه، سنبل بن عبد الله، لم نجد من يتوافق اسمه مع هذا الأمير سوى اثنين، أحدهما: الأمير سنبل بن عبد الله الطواشي، عتيق القائد الطنبغا العثماني، وقد ولي الزمامة للأمير سودون، وأصبح ناظراً للجامع الأموي سنة 828هـ[2].

والثاني: الأمير سنبل بن عبد الله حاكم مدينة ذمار في اليمن في زمن ولاية الوالي العثماني حيدر باشا (1034- 1039هـ)، وكان أحد قادة العثمانيين، ولكنَّه انضم إلى أولاد الإمام القاسم بن محمد، وقد حظي بمكانة مرموقة، وأُوكلت إليه ولاية ذمار[3].

وكلا هذين الأميرين زمنهما متأخرٌ عن زمن الأمير الذي أهداه المؤلف كتابه، ولهذا استبعدناهما من دائرة الاحتمال، وبقي هذا الأمير مجهولاً كحال المؤلف ووالده، في ظل تجاهل ذكرهم في كتب التاريخ والتراجم.

---

(1) الصدر: وظيفة إدارية، وهي إحدى وظائف الدرجات العليا في العصر العباسي، وهي توازي وظيفة المحافظ، أو المتصرف، أو المدير العام باختلاف درجات الصَّدرية ومهماتها ومسؤوليتها. انظر: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية)، محمد مفيد آل ياسين، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010: 41 .

(2) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي: 195/2، و منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدران: 338.

(3) انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري: 91/2 .

2- النُسَخ المخطُوطة، وعملُنا في التحقيـق:

1- أقصى ما توصلنا إليه بعد البحث المضني عن مخطوطات الكتاب أنَّ هناك نسختين له، وقطعة صغيرة تحوي إحدى وثلاثين حيلة، وحصلنا على صور منها. وهي: نسخة المكتبة الوطنية بباريس، ونرمز لها بالحرف (ب)، وتوجد صورة عنها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونسخة دار الكتب الوطنية بتونس، ونرمز لها بالحرف (ت)، أما القطعة الصغيرة فقد حصلنا عليها من المكتبة الوطنية في ألمانيا، ونرمز لها بالحرف (م)، وقد بذلنا ما وسعنا من جهد للعثورعلى المزيد من نسخ الكتاب، ولكن دون جدوى، ولهذا شرعنا بالتحقيق، معتمدين على هذين الأصلين، وقطعة مكتبة ألمانيا، ونقدم فيما يلي وصفاً لها.

2- النسخة الخطية (ب) نسخة المكتبة الوطنية بباريس تحمل الرقم (ARABE3548)، وهي نسخة ناقصة، اشتملتْ على عشرة فصول من أصل عشرين فصلاً ذكرها المؤلف في مقدمته، وقد نُشر الكتاب أول مرة باللغة الفرنسية عام 1976، ثم ترجمه»رينه خوام« معتمداً على هذه النسخة، ونشره في طبعته العربية عام 1988م عن دار الساقي، وهذه النسخة حالتها لا بأس بها، وقد كُتبت بخط مشرقي واضح ومقروء قريب من خط النسخ، إلا من بعض الألفاظ اليسيرة، وليس كما وصفها «خوام» بأنها سيئة، ومع تقديرنا لعمل «خوام» لنشره الكتاب والتنبيه إلى أهميته، إلا أن عمله كان بعيداً عن أصول التحقيق العلمي، فلم يخدم الكتاب كما يتوجب، فقد اقتصر عمله على نسخ المخطوطة، ووضع عنواناً إشـهارياً مع عنوان المؤلف، وأضاف بعض العنونات الفرعية تسهيلاً للقارئ، لكنَّه لم يقدم تحقيقاً للكتاب وفق أصول التحقيق المعتبرة، فهو لم يتكلف عناء البحث عن بقية المخطوطات والمقابلة بينها، أو محاولة التثبُّت من المؤلف وعصره، أو التعريف بالأعلام والأماكن، كما لم يُخرِّج الأبيات الشعرية، ولم يصنع فهارس للكتاب، وأحياناً يتدخل في نص المؤلف، فحين تعسُر عليه قراءة عبارة أو كلمة، فإنَّه يبحث عنها في بعض المصادر ثمَّ يثبتها، أو يصنعها من عند نفسه، دون أدنى إشارة أو إحالة.

ففي الورقة الأولى من هذه المخطوطة دُوِّن عنوان الكتاب خالياً من المؤلف، وعدد أوراقها (152) ورقة، يبدأ الترقيم بالصفحة (2) وينتهي بالصفحة (152)، وفي كل صفحة 21 سطراً، وعلى الورقة الأخيرة، كُتب إتمام الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني وتاريخ النسخ، وألفاظ هذه النسخة غير مشكولة، والعنوانات لم تُكتب بخط متميز، كما أنها قد خلت من التعليقات.

تبدأ هذه النسخة، هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلي العظيم البارّ الرحيم. القاهر الكريم الذي أبدع خلق الإنسان من غير تعليم...» وتنتهي بما يلي: «والحمد لله وحده. وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله. تم الجزء الأول من كتاب رقائق الحلل في دقائق الحيل، ويتلوه الجزء الثاني الباب الحادي عشر في حيل القواد والأمراء والولاة وأصحاب الشرطة، والحمد لله رب العالمين، وفرغ من نسخه يوم الثلاثاء المبارك في شهر ربيع الأول من شهور سنة إحدى وستين وألف من الهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام».

3- النسخة الخطية(ت) نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، وتحمل الرقم (1235) وعدد أوراقها (131) ورقة، يبدأ الترقيم بالصفحة (2) وينتهي بالصفحة (131)، وقد حصلنا على صورة فوتوغرافية لهذه النسخة، لكنها تظل ناقصة، إلا أنها تزيد على نسخة (ب) بقطعة من الجزء الثاني من الكتاب الذي يبدأ بالباب الحادي عشر، كما أن اسم المؤلف قد أثبت في الصفحة الأولى من الجزء الأول والثاني، وهذه النسخة سليمة، وجميلة الخط، ويبدو الناسخ دقيقاً، فأكثر الألفاظ مشكولة، وفيها عنوانات الأبواب، وبعض العنوانات الفرعية المكتوبة بخط متميز باللون الأحمر، وتوجد في صفحة العنوان بخطوط مختلفة بعض التعليقات، والأبيات الشعرية المتأخرة، لبعض من تملك الكتاب تعود إلى سنة 1220هـ،كما يوجد في بعض صفحاته تصحيح عدد من الألفاظ لمن قرأه.

تبدأ هذه النسخة بالعنوان: «الجزء الأول من كتاب رقائق الحلل في دقائق الحيل، تأليف: الشيخ علي بن يونس بن علي بن سالم المعروف والده

بالصدر المجدد القرشي السعدي رحمه الله تعالي. آمين.»
وفي الصفحة الأولى: «بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، يقول: العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير، علي بن يونس بن علي المعروف والده بالصدر المجدد القرشي تغمدهما الله برحمته، وأسكنهما بحبوحة جنته بمحّمد وعترته... وبعد فإني لمّا كنتُ ممن نظم نفسه في سلك عبوديَّة المولى الأمير... سعد الدين سنبل بن عبد الله المالكي البدري... أحببتُ أنْ أتقرب إلى خدمته بكتابي هذا المسمَّى برقايق الحلل في دقايق الحُيل...»
وتنتهي النسخة بمايلي: تم الجزء.

4- نسخة المقطوعة (م) نسخة المكتبة الوطنية في ألمانيا، وتحمل الرقم (119408493)، وعدد أوراقها (20) ورقة، تحوي إحدى وثلاثين حيلة، إحدى وعشرين منها من الباب السابع: في حيل الوزراء والعمال والمتصرفين، وعشر حيل، يُمكن أن تكون من الباب الرابع عشر: في حيل التِّجار والسَوقة، وهذه النسخة قد كُتبتْ بخطٍ واضح مقروء، إلا أنَّه ليس بجودة النسخة (ت)، وقد أفدنا من هذه القطعة في تكوين الباب الرابع عشر، بعد أن استبعدنا ما تكرر منها في الباب السابع.

وقد عوَّلنا في تحقيقنا للكتاب على النسختين اللتين سبق وصفهما، فاتخذناهما أصلاً، وقد واجهتنا بعض المصاعب التي يدركها كلٌّ من تعامل مع فن تحقيق المخطوطات، منها الأخطاء في النَسخ، بتصحيف بعض الكلمات، أو تحريفها، مما يخرجها عن معناها الأصلي أحياناً، أو سهو الناسخ عن بعض الكلمات أو العبارات، فيأتي النص ناقصاً، وقد عارضنا بينَ النسختين لقراءة مالم نستطع قراءته في إحداهما، وفي إكمال النقص الذي جاء في بعض الحِيل والأخبار، وفي تصحيح الاضطراب والارتباك في بعض العبارات، أما مالم نستطع قراءته في النسختين، فقد استعنا على ذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية وكتب التراجم، وخاصة تلك التي أخذ عنها المؤلف، وعارضناها عليها، لمقابلتها وتصحيحها بحسب تلك الأصول، وقد وضعنا ما وجدناه من اختلافات، أو تصويبات بين قوسين، وما وقع من

خطأ أصلحناه، أو نقص أكملناه، أوزيادة نبَّهنا إليها، ثمَّ أشرنا إلى كلٍّ ذلك في الهامش. وقد رقَّمنا الحِيل، ووضعنا بين قوسين عنواناً يرشد القارئ إلى مضمونها، وضبطنا بالشكل ما يشتبه من الألفاظ، والمواضع والكنى والأسماء، وشرحنا ما جاء فيه من غريب الألفاظ من غير بسط ولا إسهاب، وعلَّقنا على بعض القصص التي تلبست بالأوهام والخرافات، بتوجيه النقد للمؤلف فيما نظن أنَّه أخطأ فيه، أو نقله بلا تثبُّت، بما يستكمل مقاصد الكتاب، ويوضح مراميه، ثمَّ صنعنا فهارس للموضوعات والأعلام، والأماكن.

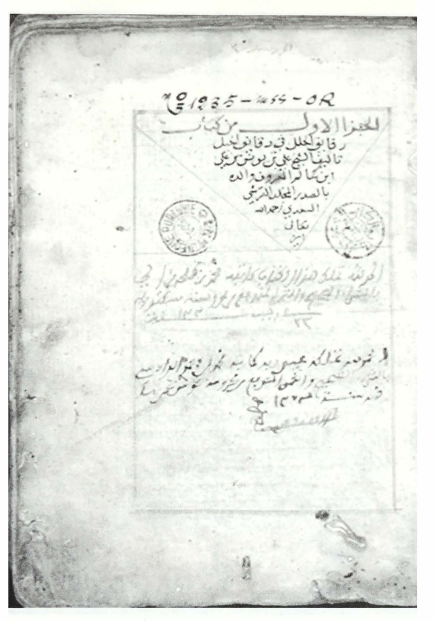
وبالنظر إلى التقارب الشديد، بل التطابق شبه التام بين النسختين، يمكن الترجيح بأنهما قد نُقلتا عن أصلٍ واحد، أما الاختلافات الموجودة بينهما فهي طفيفة جداً، فمردُّها إلى الناسخ في كلّ منهما. إما لنسيانه بعض الكلمات والعبارات، أو لعدم قراءته الأصل، ولا سيما لتأخر زمن نسخهما عن زمن المؤلف، كما لا يمكن معرفة إذا كان نسخهما قد تمَّ عن نسخة المؤلف أم غيرها، لعدم توافر أدنى إشارة إلى ذلك في كلتا النسختين.

ولا بد لنا في ختام هذه الكلمة من إزجاء الشكر والعرفان لكل من ساندنا على إعادة إخراج هذا الكتاب في طبعة جديدة، بتحقيق علمي ينهض بقيمته وطرافته بين كتب المختارات الأدبية السرديّة، ويردّ لمؤلفه مكانته بعد أن ظل مجهولاً مدة طويلة، ويُحْمد لرنيه خوَّام تقديمه هذا الكتاب لقراء العربية لأول مرة، إلا أن عمله قصُر عن أصول علم التحقيق، فقد نسخ المخطوطة بكلٍّ ما تحمله من النقص والأخطاء المتنوعة، ولم يصنع هوامش للكتاب تسهم في إضاءة النص، ولم يترجم للأعلام، ولم يقم بتخريج الحكايات من المصادر التي نقل منها المؤلف، وقد تكون هكذا طبيعة البدايات، ويكفي لهذه الإضاءة التي قدّمها خوَّام أنَّها مهدَّت السبيل لعملنا في الكتاب.

اللهم هذا الجُهد وعليك التُكلان.

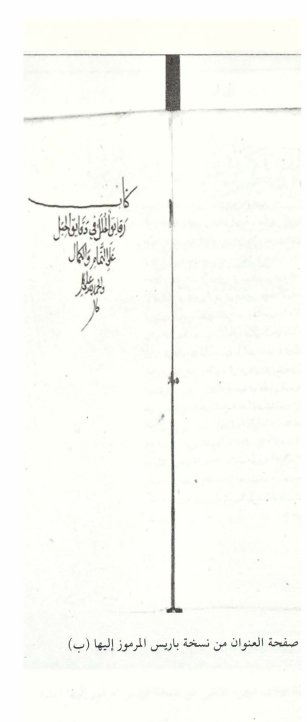
حمد البليهد

الرياض في 28 / يوليو 2002



صفحة العنوان من نسخة تونس المرموز إليها (ت)

مقدمة المؤلف من نسخة تونس المرموز إليها (ت)



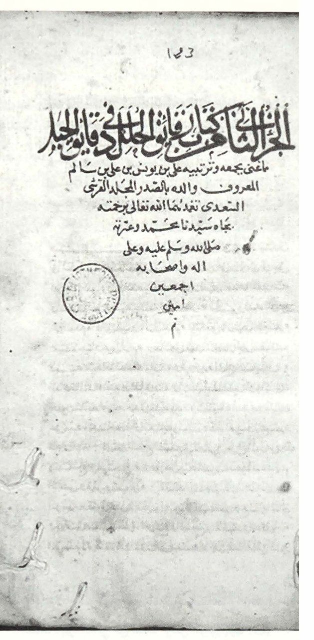
صفحة العنوان من نسخة باريس المرموز إليها (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

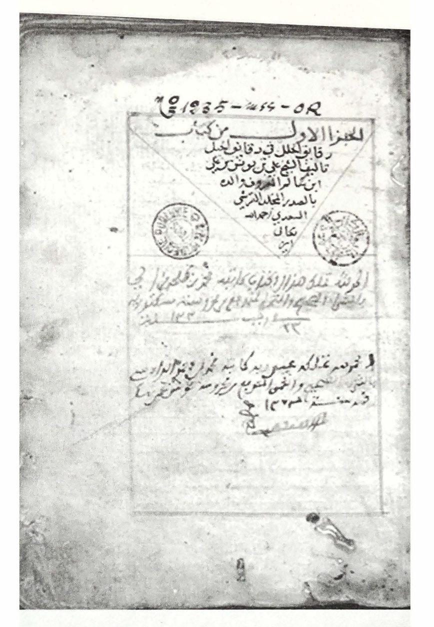
الحمد لله العلي العظيم البار الرحيم • العالم الكريم الذي ابدع
خلق الانسان من غير تعليم • وهداه الى صراطه المستقيم •
وقال في كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
سبحانه من ملك عز فقهر • وعلم فستر وعصي فغفر لا اله
الا هو الواحد الاحد • الفرد الصمد ليس كمثله شي وهو على
كل شي قدير • خلق اللوح والقلم وعلم الانسان ما لم
يعلم • [illegible] عدد الزمان وكل شي عداه سوى الرحمن
فان • وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي ما طلع نجم وغرب
طلع • وسفر صبح ودجى سفر وعلى اهل بيته واله الطيبين
الطاهرين وبعد فاني لما كنت ممن نظم نفسه في سلك
عبيد المولى الامير الكبير • الزاهد العابد العالم العادل
المؤيد المجاهد ثقة الملوك اختيار السلاطين فخر الامراء
تاج الدوله عضد الامه حامي الاسلام كهف الانام سيد
الاماثل اوحد الزمان • مالك ازمه البيان انسان عين
الدهر واسطه عقد العلم اسعد الدين سنبل بن عبد الله
الملكي البدري • احببت ان اتقرب الى خدمته بكتابي هذا
المسمى [illegible] مع علمي بان الله

قد

مقدمة المؤلف من نسخة باريس المرموز إليها (ب)


الجزء الثاني من كتاب رفائق الحلل في دقائق الحيل
ما عني بجمعه وترتيبه علي بن يونس بن علي بن سالم
المعروف والده بالصدر المجلد القرشي
السعدي تغمدهما الله تعالى برحمته
بجاه سيدنا محمد وعترته
صلى الله وسلم عليه وعلى
اله واصحابه
اجمعين
امين

صفحة غلاف الجزء الثاني من نسخة تونس المرموز إليها (ت)


الجزء الاول من كتاب
رقائق الحلل في دقائق الحيل

مقدمة الجزء الثاني من نسخة تونس المرموز إليها (ت)

3- مفهوم الحيلة:

تثير كلمة «الحيلة» في عنوان الكتاب إشكالاً في إدراك المراد منها، فمفهوم الحيلة يَصعُب حسمه، وضبط حدوده، نظراً لعدم توحيده في التصورات المعرفية المختلفة، وتباين معناه بين اللغات والبيئات والأزمنة، وقد اتخذ المفهوم ضمن كلِّ واحد من تلك الحقول تعريفاً خاصاً بحسب طبيعة المادة التي يهتم بها التخصص.

ولن نسعى هنا إلى تتبع معضلات هذا الإشكال، ولكننا سنحاول تقديم توضيح أوليّ يكون منسجماً مع طبيعة السرود الأدبية التي شكّلت قسماً كبيراً من متن هذا الكتاب دون أن يصطدم ذلك بمفهوم الحيلة في التشريع الإسلامي.

على أن السياق يقتضي منا الإشارة بعجالة إلى التعارض الذي ظهر نتيجة سوء استعمال الحيلة ومرادفها الاحتيال في كتب التراث العربي، وما آل إليه من خلط بين الحيلة التي هي حصيلة عقل المخلوق وحصافته، وبين كيد الخالق -عزّ وجل- ومكره ولطف تدبيره.

فالحيلة بالمعنى المتداول كما يتبادر إلى الأذهان حال سماعها تعادل الستر والخداع، وتناقض الصدق والوضوح، استعمالاً لها في سلوك الطرق الخفيّة لحصول الأغراض، وتحقيق الأهداف، وتحتاج إلى فطنة وذكاء لكشفها، وفي هذا مدعاة إلى النفور منها ومن صاحبها، فالنّاس تقول: «فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنّه متحيل، وفلان يعلم النّاس الحيل»[1]. فاشتقاقها اللغوي من التحوّل، فصانعها لا ينفك في فعله أو تصرفه يتقلب من حال إلى آخر، ومدارها على أمرين، أحدهما: «إظهار فعل لغير مقصوده الذي جُعل له. والثاني: إظهار قول لغير مقصوده الذي وضع له»[2].

والحيلة «ثمرة العقل ومستخرجة بقوانينه» بحسب تعبير المؤلف، والعقل خاص بالإنسان دون غيره من المخلوقات. فهي مهارة تستلزم الحذق لإحراز غاية،

---

(1) أعلام الموقعين عن ربّ العالمين، لشمس الدين بابن قيمّ الجوزيّة، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1968، 240/3 .

(2) أعلام الموقعين: 162/3 .

أو التخلُّص من أزمة، وبهذا المعنى تكاد تشبه معاريض الفعل والقول، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، والتخلص من المضايق.

ولا تكاد الحيلة تختلف في غايتها عن الكيد والمخادعة، فكلها أفعال يقصد بها صانعها ومدبرها إيصال أمر أو شيء إلى غيره بطرق خفيّة، ولا يخرج هذا الآخر عن كونه لا يستحق ما وصله، وهذه حيلة قبيحة، وإما مستحق لما وصله عقوبة له، وهي حيلة حسنة، وكيد الله لا يخرج عن نوعين: أحدهما وهو الأغلب: أن يفعل الخالق فعلاً خارجاً عن قدرة المخلوق الذي كاد له، كما كاد لرسله وأنبيائه -عليهم السّلام- والثاني: أن يُلهم الخالق مخلوقه أمراً مباحاً أو مستحباً يوصله به إلى المقصود، ومندوحة المعاريض لا تكون مَخْرجاً وحيلة في استباحة الحرام[1]، وأما الحيل التي أباحها الله لتوصّل لأخذ حق المظلوم من الظالم، أو لكف شره وعدوانه، فإنها من أحسن المعاريض الفعلية، كالحيلة رقم 60 عن النبي ﷺ، مع الرَّجل الذي يؤذيه جاره.

فالمعاريض المباحة ليست من المخادعة في شيء، وغايتها أنها حيلة على مخلوق أباح الخالق إيقاعه بها لظلمه، ولا يلزم من جواز الاحتيال على الظالم جوازه على صاحب الحق[2].

وقد فَطِن مؤلف الكتاب إلى التباس مفهوم حيل المخلوقين بكيد الخالق، لذلك أفرد في كتابه الباب الثالث، وعنونه: «في حِكَم الله ولطفه وحسن تدبيره بعباده»، فقد استعمل كلمة «حكمة» بدلاً من «حيلة» عندما نسب العمل إلى الله، وبهذا الصنيع يكون المؤلف قد فرّق بين مكر الله وكيده المحض التي هي أفعال خارجة عن قدرة المخلوق، وبين الحيل البشريّة التي يلهمها الخالق لمخلوقه في أمور مباحة، وإن كانت ثمرة العقل فهي لا تخرج عن إرادة خالق هذا العقل ومشيئته.

فالحيلة إذن في رأي المؤلف آلة عقلية تستعمل في تدبير جميع شؤون

---

(1) انظر: السابق: 219/3.

(2) انظر: السابق: 239/3.

الحياة، وهي ليست آلة نخبوية، فكما اتخذها أرباب الحكم والرئاسة من الملوك والسلاطين والخلفاء والوزراء والقادة والقضاة والفقهاء حذاقة وحنكة مع خصومهم بديلاً من سلاح القوة والمواجهة الظاهرة بسلوكهم سياسية مضمرة تنوي على نوع من التحايل والمكر والخداع لتحقيق مكاسبهم في تنازع المصالح والمطامح. فقد لجأ إليها أيضاً سواد النّاس من العامة لإحراز غاياتهم الدنيوية، فالرّأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُّجعانِ، على حدّ قول المتنبي، فهي مهارة ذهنية خاصة تثير الإعجاب بما تنطوي عليه من الحذق الدقيق الذي يؤدي إلى قطف ثمرة النجاح، فالقائد أو الحاكم واسع الحيلة، وبارع المراوغة يصبح أنموذجاً يضرب به المثل، والتاريخ العربي حافل بالشخصيات التي اشتهرت بالدهاء والمكيدة اعتماداً على تقدير المواقف وحسبان عواقبها. وقد حوى كتاب «رقائق الحلل في دقائق الحيل» كثيراً من تلك النوادر والأخبار والحكايات والمُلح التي تكشف عن حسن التدبير باستثمار الذكاء والحيلة، وهي وإن كان أغلبها متفرقاً في كتب التاريخ والمختارات الأدبية، فإنّ قيمة الكتاب تتجلى في طرافة اختيارات المؤلف، وحسن تبويباته، وفي تلك المصادر التي نقل عنها، فبعضها يكاد يكون مجهولاً، أو في حكم المفقود.

4- وصف الكتاب وتحليله:

لا نكاد نعرف شيئاً عن مناسبة تأليف الكتاب، ولا عن طبيعة الأحوال التي أحاطت بعلاقة المؤلف مع الأمير الذي أهداه كتابه، ومما يؤسف له أن مقدّمة المؤلف جاءت مختصرة، ليس فيها ما يبين سبب تأليفه، وكذلك خلت أبواب الكتاب من الإشارة إلى ذلك، إلا أنّه يمكن تحديد الغاية التي توخاها المؤلف من طبيعة الكتاب، فهو مجموعة أخبار وحكايات انطوت على الحيلة، أو المكيدة، أو حسن التدبير، وقد استهدف المؤلف من جمعه لتلك الحكايات والأخبار، أن يضع أمام أميره مقترحات عملية للعبرة والاستفادة من نتائجها، وهي أمثلة تقصر دون عقل الأمير، فهو يقول: «وبعد، فإنيّ لما كنتُ ممّن نظم نفسَه في سلك عبودية المولى الأمير الكبير الزاهد العابد العالم العادل...

أحببت أن أتقرب إلى خدمته بكتابي هذا المسمّى برقائق الحلل في دقائق الحيل، مع علمي بأنَّ الله قد أعطاه من العقل أوفره، ومن الذهن ألطفه، ومن الرأي أصوبه». ويمكننا أن نقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المقدمة، وفيها يعرض المؤلف موضوع كتابه، ويشرح الغرض منه، ويذكر مصادره التي ينقل منها، وقد تجاوزت مائة وعشرين مصدراً، وهي مصادر تتنوع في تسلسلها الزمني، منها ما يعود إلى صدر العصر الأموي، أو العصر العباسي الأول، وبعضها من أواخره، وهو زمن المؤلف، كما تختلف هذه المصادر في تنوعها المكاني، فقد كان أغلبها من مصادر مشرقية، وأقلها من مصادر مغربية، وقد ذكر المؤلف في مقدمته، أنّه لم يذكر حيلة إلا وذكر المصدر الذي نقلها عنه، «ولم أذكر حيلة إلا وذكرتُ من أي كتاب نُقلتْ؛ ليعلم الناظر في كتابي أنني خلصته من كتب كثيرة...» إلا أن هذا القول لم يستطع المؤلف الوفاء به، أو تحقيقه في كتابه، فهناك حيل كثيرة لم يذكر مصدرها، بل إنَّ الحيل التي ذكر مصدرها هي الأقل، كما أنّه لم يذكر من المصادر التي سردها في مقدمته - فيما بين أيدينا من أبواب- سوى ما يعدل الربع، أو أقل من ذلك.

والكتاب في إطاره العام، مجموعة أخبار وحكايات، جاء بعضها مقتضباً لا يتجاوز الأسطر القليلة، وبعضها الآخر يطول، حتّى يصل إلى عدّة صفحات، فهوكتاب اختيارات لا يختلف كثيراً عن كتب الاختيارات، كالأذكياء لابن الجوزي، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، ولطف التدبير للخطيب الإسكافي، والهفوات النادرة لأبي الحسن للصابئ، إلا أن كتاب «رقائق الحلل في دقائق الحيل»، اتجه إلى غاية واحدة، ذلك أنه أراد أن يقدم للأمير سنبل بعض الأخبار والحكايات التي تدل على الفطنة، والذكاء، باستعمال المكيدة والحيلة، فراح يبحث عن هذه الأخبار والحكايات، يجمعها ويتقصاها، ويكشف ما فيها من حيلة أو مكيدة.

ولما كانت «الحيلة» هي المحور الأساس في تأليف الكتاب، فقد حشد المؤلف كلَّ قصة تومئ إلى غرض كتابه، وأهمل ما سواها؛ ولأن الحيلة نتاج إعمال العقل، فقد اتسع مفهومها عند المؤلف، فأورد بعض المعاريض الفعلية، التي

حينما لمح فيها معنى الفطنة،كما فعل في الحيلة رقم (60) التي تتحدث عن حقوق الجار، وقد أشار فيها النبي - ﷺ - على الرَّجل الذي جاءه يشكو جاره، أن يخرج متاعه إلى الطريق، وكذلك الحيلة رقم (62)، التي أرشد فيها ﷺ من أحدث في صلاته بأن يلزم أنفه، وينصرف كأنَّ به رُعفاً.

ونرى ملمح الفطنة أيضاً في الحيلة رقم (99) للمعتضد، حينما أراد أن يعرف أيّ الغلمان ارتكب خطأً، فوضع يده على مكان قلوبهم، فعندما وجد قلب أحد الغلمان يخفق بشدة عرف أنَّه الجاني.

والحكايات والأخبار التي رواها المؤلف في كتابه مستمدة من حوادث التاريخ العربي والإسلامي، ومن تاريخ الأمم الأخرى، كالروم والفرس، وهي في معظمها حقائق تاريخية واقعية، روتها كتب التاريخ والتفاسير، عدا بعضها، مما يدخل في حقل الأساطير والخرافات والإسرائيليات التي انتشرت في مختلف المؤلفات القديمة.

القسم الثاني: متن الكتاب، وقد جعله المؤلف في عشرين باباً، ينتظم كُلاً منها أخبار يُناسب هدفها ومغزاها عنوان الباب، وقد أجاد المؤلف في حسن تقسيمه وتنظيمه، فقد خصص الباب الأول: في فضل العقل وما قيل فيه؛ ولأنَّ الحيلة نتيجة إعمال العقل، فقد جعل الباب الثاني في الحثّ على الحيلة واستعمالها، وكان يُقسِّم بعض الأبواب التي يجتمع فيها التضاد، أو التي تكون مظَنة اللبس إلى فصول، كما فعل في باب حيل الملائكة والجنّ، وهو الباب الرابع، فقد قسمه إلى فصلين: في حيل الملائكة، وفي حيل الجنّ، وفي الباب الخامس، قسَّمه إلى حيل الأنبياء، وحيل من ادّعى النبوة، وكذلك فعل في الباب السادس، فقد قسمه إلى ثلاثة فصول: في حيل الخلفاء، وفي حيل الملوك، وفي حيل السلاطين، وكان عدد الحيل فيما استطعنا الحصول عليه في الجزأين 276 حيلة في أربعة عشر باباً، تختلف طولاً وقصراً، فبعضها يتسع حتى يشغل أكثر من خمس صفحات.

ويشير المؤلف أحياناً إلى مصادره التي ينقل منها، وقدكان أميناً في نقله حتّى يبدو لنا في كتابه جمّاعة، فلا أثر لخبراته أو مشاهداته، كما لم نلحظ له

تعليقاً، أو رأياً خاصاً، أو إضافة إلى ما يجمعه وينقله، ولم يظهر أسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة سوى في مواضع نادرة حين يختصر بعض الحكايات، أو عندما يختم بعضها بنهايات من إضافاته، فيأتي أسلوبه مضطرباً ركيكاً، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه من الهوامش، وقد انساق المؤلف خلف المصادر التاريخية، وكتب التفاسير، فنقل منها الغث والسمين، من الأكاذيب والخرافات، إلا أننا لا نلوم المؤلف على عدم تحري الدقة، أو غياب التأمل المتبصر عن منهجه، بل يجب تقييم محتوى كتابه بوصفه كتاب مختارات له طبيعة ذلك النوع من المصنفات العربية في مختلف العصور.

وإذا كان كتاب «رقائق الحلل في دقائق الحيل» كتاب اختيارات، صنعه مؤلفه لغاية محددة، تتوجه إلى موضوع الحيلة والمكيدة، فإن فكرة الاختيار تنطوي على مواقف المؤلف، وتكشف عن ذوقه، سواء أكانت تلك المواقف سياسية أم أيديولوجية، أو كان ذلك الذوق جمالياً فنياً. ومن المواقف التي ظهرت للمؤلف في كتابه تأثره بالمصادر الشيعية ومروياتها، فحين ينقل عنها بعض الحكايات التي نسبتها تلك المصادر إلى علي ابن أبي طالب – ﷺ – نجده يسهب في كلّ حكاية تكشف عن فطنة علي بن أبي طالب – ﷺ – وتقلل من فطنة غيره من الصحابة كعمر بن الخطاب – ﷺ – كما في الحيلة رقم 70 حتّى الحيلة رقم 80، ويقع المؤلف في كثير من المغالطات التاريخية التي ينقلها دون تمحيص، ففي الحيلة رقم 68 ذكر فيها أنّ عمر بن الخطاب ﷺ قد ذهب إلى أرمينيا مشاركاً في إحدى الغزوات، على الرغم من أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يخرج من الجزيرة العربية إلا في فتح بيت المقدس، وقد تعقبنا تلك المغالطات، وأشرنا إليها في الهامش.

القسم الثالث: خاتمة المؤلف، وفيها يعلن عن إتمامه الجزء الأول، وشروعه في الجزء الثاني، ولا تكاد تختلف خاتمة المؤلف عن مقدمته، فمعظم ما فيها ثناء على الأمير الذي أهداه الكتاب، حيث يقول: «وبعد إنجازي الجزء الأول من كتابي هذا الموسوم: «برقائق الحُلل في دقائق الحِيل» ألزمتُ نفسي بجمع الجزء الثاني، ولم يكن لي همة إلا النظر في التواريخ والجامع والأخبار والحكايات التي

تقدم ذكرها في الجزء الأول، حتّى جمعتُ هذا الجزء بعد اختلاج كثير، وتهذيب تعب، إذ كان يسعد بحضوره المولى الأمير الكبير، الزاهد العابد الورع الدّين، السعيد العالم العادل: سعد الدِّين سنبل بن عبد الله الملكي البدري».

إلا أنا مما يؤسف له، أنَّ مقدمة المؤلف وخاتمته جاءتا مختصرتين جداً، ليس فيهما ما يبين سبب تأليفه، كما لم تتعرضا إلى الظروف التي أحاطت بالمؤلف وأميره، فظلا مجهولين في كتاب التراجم والتاريخ، ولعل المؤلف كما أشرنا لم يحظ بتلك الدرجة من الشهرة، أو المنزلة في عالم الأدب والتأليف، فلم يستحق أن تنوه به المصادر، أو تترجم له.

مُقدِّمة المؤلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم [توكلت على الله][1]

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير: علي بن يونس بن علي المعروف والده بالصدر الجلد (الجدد) القرشي تغمدهما الله برحمته، وأسكنهما بحبوحة جنته بمحّمد وعترته[2].

الحمد لله العلي العظيم البارّ الرحيم. القاهر الكريم الذي أبدع[3] خلق الإنسان من غير تعليم. وهداه إلى صراطه المستقيم. وقال في كتابه القديم لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. سبحانه من ملكٍ عزّ فقهر، وعلم فستر وعُصي فغفر. لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ليس كمثله شيء وهو على كل شيء قدير. خلق اللوح والقلم وعلّم الإنسان ما لم يعلم. حمداً يُغني عدد الزمان وكل شيء عداه سوى الرحمن فانٍ.

وصلّى الله على سيدنا محمّد النبيّ الأمي ما طلع نجم ونجم طلع. وسفر صبح، وصبح سفر. وعلى أهل بيته [المنجبين][4] وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد، فإني لما كنتُ ممّن نظم نفسَه في سلك عبودية المولى الأمير الكبير الزاهد العابد العالم العادل المؤيَّد المجاهد، ثقة الملوك، اختيار السلاطين، شرف الأمراء، تاج الدولة، عضد الأمة، حامي الإسلام، كهف الأنام، سيد الأماثل،

---

(1) سقطت من: (ب).

(2) يبدأ النص في: (ب) هكذا: [الحمد لله العلي العظيم...]، وما قبلها غير موجود.

(3) في: (ت): [ابتدع]، وفي (ب): [أبدع].

(4) ليست في: (ب).

أوحد الزمان. مالك أزمة البيان، إنسان عين الدهر، واسطة عقد العلم سعد الدين سنبل بن عبدالله المالكي البدري[1].

لله أمٌّ تلقـــيتـــه براحـــتـــهـــا
مـــاذا تلقتْ إلى الدنيـــا من الكرمِ
لا يُتــبع المالَ أنفــاســاً مــصــاعــدةً
ولا يُعــيــر العطايا زفــرة الندم[2]

أحببت أن أتقرب إلى خدمته بكتابي هذا المسمَّى برقائق الحلل في دقائق الحيل مع علمي بأن الله قد أعطاه من العقل أوفره، ومن الذهن ألطفه، ومن الرأي أصوبه:

كـــأنّمـــا رأيه في كُلِّ مُـــشكلة
عينٌ على كُلِّ من يُخفِي وَيَستَتِرُ[3]

ومن الخُلُق أتقاه، ومن الخَلْق أرضاه:

فـــتىً كـــرَّم اللهُ أخـــلاقَـــهُ وأعطاه
[من كُلِّ فَـــضلٍ نَصـــيـــبَـــا]
فكالســـيف إن جـــئـــتَـــهُ صَارخـــاً
وكـالبحـر إن جـئـتـه مُسْتَـثِـيـبـا[4]

ومن الدِّين أحسنه، ومن الحلم أرزنه، ومن الحياء أحمده، ومن التدبير [ومن

---

(1) في (ت)، مرَّة: [أسعد الدين]، وأخرى: [سعد الدين]، وفي (ب): [سعد الدين]، ولعل الثانية هي الصواب، وفي (ب): [المالكي]، وفي (ت)، مرَّة: [الملكي]، وأخرى: [المالكي]، ولعل الثانية هي الصواب.

(2) البيتان للشريف الرضي من قصيدة يمدح بها أبا غالب فخر الدَّولة وزير بهاء الدَّولة البويهي، الديوان: 271/2، والبيتان ليسا في: (ب).

(3) هذا البيت من قصيدة لأبي محمد عبد الله الحلبي، المعروف بابن سنان الخفاجي، يمدح بها الأمير ناصر الدَّولة الحسين بن عبد الله الحمداني.

(4) البيتان للبحتري، ويُروى الشطر الثاني من البيت الأول: [وألبسَه الحمدَ غضاً قشيبا]، من قصيدة يمدح بها الوزير الفتح بن خاقان، الديوان: 151 .

العقل][1] أجوده، ومن الفضل أكمله، ومن الثناء[2] أجمله:

لسعد الدين قد نُظمتُ أمورٌ
وجدناها مُحللةَ النظامِ
سما وحمى بني سام وحام
فليس كمثلهِ سامٍ وحامِ[3]

ومن الأنفس أكبرُها ومن الهِمَم أبعدُها:

ذو همَّةٍ كَبُرتْ عن أن يُقال لها
كأنّها وتعالتْ عن مدى الهِمَمِ[4]

ومن الشجاعة أبرزها، ومن الفصاحة أبلغها، ومن البلاغة أتّمها. ومن السماحة أعمّها:

كالسَّيفِ في إخذامه، [والغَيْثِ في
إرهامه] واللَّيثِ في إقدامه[5]
إن كنتَ تُنكرُ ما أقول، فجاره
أو بَاره أو [حاكه أو سَامه][6]

ومن المنطق أحلاه، ومن المُلك أعلاه، ومن العزّ أسماه، ومن الرُّتب أعلاها. ومن الكرامة أهناها. ومن المنازل أرفعها، ومن النِعَم أسبغها، ومن القِسْم[7]

---

(1) سقطت من: (ب).

(2) في الأصل: الثنا، ويكثر في أسلوب المؤلف تسهيل الهمزة المتوسطة والمتطرفة، أو حذفها، وهي لهجة بعض أهل الحجاز، أو القبائل الحضَرية.

(3) البيتان لأبي الفتح البستي في مدح سيف الدَّولة، وهما في ديوانه: 71، وقد أجرى عليهما المؤلف بعض التغيير ليناسبا ممدوحه.

(4) هذا البيت نسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء: 522/1 لأبي الغمر، ونظنه يعني: الغمر بن أبي الغمر القرشي، وانظر كذلك: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي: 143 .

(5) هذان البيتان للبحتري، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حُميد الطوسيّ، وهما في ديوانه: 763، وليسا في (ب). والمِخْذم: السيف القاطع، والرهام: المطر الدائم، وأرهمت السحابة أنزلت الرِّهام.

(6) في الديوان: [أو ناوه أو سامه].

(7) القِسْم: النصيب والحظّ.

أحسمها، ومن السَادَة[1] أعظمها، ومن القدرة أجزلها[2]، ومن السياسة أحكمها.

يا مَنْ يُؤمِلُ أنْ تكونَ خِصَالُه
كخصالِ سعدِ الدينِ أنصتْ واسْمَع
اصدق وعفَّ وبرَّ واصبر واحتمل
واحلم وكف ودَارِ واقْدِم واشْجع[3]

لا زال في دولة تساعدها الأقدار، ويُشد بساعدها[4] الاقتدار، وصولة تشيبُ منها الذوائب، وتبعُد عنها النوائب[5]، وأحلّه الله دوحة مجد تُطاول إليها الأفلاك، ومنزلة سَعْد يسمو إليها السِّماك[6]، ولا زال جيد الزمان بعقد ثنائيه[7] محلا، وفم المدح والشكر بأوصافه مُحلًّى، والجوزاء[8] على تطاول الأيام له مَحلاًّ[9].

---

(1) في (ب): [السيادة].

(2) في (ب): [أحسنها].

(3) هذان البيتان لأبي العَمَيثل، عبد الله بن خُليد (ت: 240هـ)، من قصيدة يمدح بها عبد الله بن طاهر بن الحسين، مطلعها:

قالتْ ركعتَ فقلتُ إنّ وراءكم أن قد كبرتُ ومن يُعمّر يركع
يا مَنْ يُؤمِلُ أنْ تكونَ خِصَالُه كخصالِ عبد الله أنصتْ واسْمَعَ
أُصدق وعفّ وبرّ وأنصف واحتمل واكْفُف وكافِ ودار واحلم واشجعَ

وقد أجرى عليهما مؤلف الكتاب بعض التغيير لمناسبة ممدوحه، وهذه القصيدة أوردها الوطواط (ت: 718) في كتابه: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: ص 35، وكذلك ابن خلكان في الوفيات مع بعض التغيير: ج3 ص 89، وشرح ديوان المتنبي للواحدي: ص248. وانظر ترجمة أبي العميثل إضافة إلى ما سبق في فهرست ابن النديم: ص48، وطبقات ابن المعتز: 296 .

(4) في (ب): [ويشد ساعدها].

(5) في كلتا النسختين: [الذوايب والنوايب] بتسهيل الهمزة، وهو كثير في لغة المؤلف.

(6) السِّماكان: نجمان نيّران أحدهما: السماك الأعزل، والآخر السماك الرامح.

(7) في كلتا النسختين: [ثنايه].

(8) في كلتا النسختين: [الجوزا].

(9) الأولى من الفعل: حُلْي، جمع حِلية، ما يُتخذ زينة كالعقد وغيره، والثانية: من الفعل: حَلَي، مصدر حلاوة الطعم، والثالثة: من الفعل حلَّ بالمكان؛ أي نزل به.

لازال مُلك سـعـد الدين يخـدمـه
عـزٌّ ونصـرٌ وتمكينٌ وتخليـدُ[1]
ولازمتْ بيـتك[2] الميـمـونُ أربعـة
جـدٌّ ومـجـدٌ وتأييـدٌ وتأبيـدُ
وحـالفـتك مـدى الأيام أربعـة
حـزمٌ وعـزمٌ وتَوفـيق وتسـديدُ
ولازمتْ ضـدك المخـذولُ أربعـة
ذلٌّ وقـهـرٌ وتنقـيصٌ وتكمـيـدُ[3]
ودُمتَ مـا دامت الأفـلاكُ سـائرة[4]
سـامي المحلّ ومن يَشناك مـفـقـودُ

وجعلته مبوباً، إذ لم أُسبق إلى ترتيبه؛ لأنّي[5] نظرتُ في كتب كثيرة تحتوي على ما تضمّنه كتابي هذا. إلا أنها قليلة المنفعة صغيرة الحجم، لم يُذكر فيها إلا الشيء اليسير، مثل:

- كتاب المدائني المسمّى بالمكايد والحيل[6].
- كتاب ابن الخطيب المشهور بلطف التدبير[7].

---

(1) في (ب): [بباك].

(2) في كلتا النسختين: [سايرة]، وفي (ب): [دايرة].

(3) لم نعثر على صاحب هذه الأبيات.

(4) في (ب): [تنكيد].

(5) في كلتا النسختين: [لأنني].

(6) ستأتي ترجمة المدائني، وكتابه هذا ذكره ابن النديم في الفهرست باسم: كتاب الحِيل.

(7) الكتاب مطبوع، بعنوان: لطف التدبير، من تصنيف: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، المعروف بالخطيب الإسكافي، (ت: 421هـ)، اتصل بالصاحب بن عباد، وكان خطيباً بالرّي، وأول ذكر له جاء في معجم الأدباء، وقد ورد اسم الكتاب: لطف التدبير في سياسات الملوك، وتابعه في ذلك كل من اقتبس عنه، كالوافي، وبغية الوعاة، ويبدو أنّ هذه الإضافة جاءت من موضوع الكتاب. انظر ترجمته في: معجم الأدباء: 2549/6، الوافي بالوفيات: 337/3، بغية الوعاة: 149/1، مقدمة محقق الكتاب: 5.

- كتاب الهفوات النادرة عن الأصمعي[1].

فلم أجد من استوعبَ ما استوعبتُ [فعمًّا][2] أنَّني قصَّرتُ خوفاً من الإطالة والملل، واستغنيتُ بحيلة عن أمثالها من الحيل، إلاّ أنني ذكرتُ الأحسن منها، ولم أذكرُ حيلة إلاّ وذكرتُ من أيِّ كتابٍ نَقلتُ ليعلم الناظرُ في كتابي أنني خلّصته من كتبٍ كثيرة، من كتب التواريخ والجاميع والتفاسير[3]. فمن ذلك:

1- المبتدأ لوهب بن مُنبّه[4].

---

(1) اختلف ترتيبها في (ب) فجاء كتاب الأصمعي مكان كتاب الخطيب، ولم نجد من نسب هذا الكتاب للأصمعي، فالكتاب مطبوع بعنوان: «الهفوات النادرة» من تصنيف: أبو الحسن محمد بن هلال الصابئ، المعروف بغرس النعمة (ت: 480)، وقد ذكر ابن النديم للأصمعي كتاب: النوادر، ولعل المؤلف يشير إلى أن بعض الأخبار المروية عن الأصمعي، حين قال: «عن الأصمعي».

(2) أصلها: [فأمَّا]، فهي مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، وقد يبدلون الهمزة عيناً، أو هاءً، كقولهم: [عما والله، وهما والله]، وقد يحذفون ألفها للتخفيف، كقولهم: [وعم والله، وهم والله]، انظر المفصَّل في صنعة الإعراب: 411، «فكأنهم يستكرهون الهمزة؛ لأنهّا من أقصى المخارج، وهو أول الحلق، فيبدلون منها هاء مرة؛ لأنّها جارتها، وعيناً أخرى؛ لأنها من أخواتها الحروف الحلقيَّة».جواهر الأدب في معرفة كلام العرب: 168.

(3) قول المؤلف هنا غير دقيق، فهناك حيل كثيرة لم يذكر مصدرها، بل إنَّ الحيل التي ذكر مصدرها هي الأقل، كما أنّه لم يذكر من المصادر التي سردها سوى ما يعدل الربع أو أقل، وقد فصَّلنا القول في هذا حين تحدثنا عن منهج المؤلف.

(4) هو: أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني (34- 114هـ)، إخباري من التابعين له معرفة بقصص الأوائل، وثّقه الجمهور، يُكثر من التهويل والمبالغات، وقد ملأ الكتب بالقصص والأساطير، ودخلت عن طريقه الإسرائليات كتب التفاسير، وبعض القصص الباطلة، ولا شك أنّه لم يكن هو واضعها، أو الذي اختلقها من عنده نفسه، ولكننا لا نخليه من تبعية ذلك. انظر: الإسرائليات والموضوعات في كتب التفسير: 105، قال الذهبي: «إنما غزارة علمه في الإسرائليات، ومن صحائف أهل الكتاب»، وقد ألّف عدة كتب قيل لها: «المبدأ أو المبتدأ، وهي عن قصص الأنبياء، وقد أملى وهب كتاباً: اختلفت المصادر في تسميته، فيقال له: المبتدأ، أو المبدأ، أو كتاب المبتدأ والسيرة، أو مبتدأ الخلق. انظر ترجمته في: معجم الأدباء: 2/2802، وتذكرة الحفاظ: 100، وسير أعلام النبلاء: 4/544، ووفيات الأعيان: 6/35.

2- وتاريخ الحسين -عليه السلام- لأبي مخنف لوط[1].
3- والمغازي للواقدي[2].
4- والتاريخ للكلبي[3].
5- وأيام العرب لأبي عبيدة[4].

(1) لوط بن يحيى أبو مِخْنَف الأزدي (ت: 157هـ) كان راوي أخبار، ويروي عن جماعة من المجهولين، ضعّفه أهل الجرح والتعديل، كان من أصحاب علي بن أبي طالب شارك معه في موقعة الجمل، نسب له ابن النديم، وابن شاكر الكتبي مجموعة من المصنفات منها «مقتل الحسين»، وذُكر في دائرة المعارف الإسلامية أنه: «صنّف 32 رسالة في التاريخ عن حودات مختلفة وقعت في القرن الأول الهجري، وقد حفظ الطبري معظمها في تاريخه، أما المصنفات التي وصلت إلينا منسوبة إليه فهي من صنع المتأخرين. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 95، معجم الأدباء: 2252/5، وفوات الوفيات: 288/2، ودائرة المعارف الإسلامية: 399/1.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي صاحب السير والمغازي (130-207هـ)، وقد ذكر له ابن النديم في الفهرست جملة من المصنفات، من ضمنها، كتاب المغازي، قال عنه الذهبي» أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه»، انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 101، ووفيات الأعيان: 348/4، ومعجم الأدباء: 2595/6، وتذكرة الحفاظ: 348.

(3) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ويكنى ابن الكلبي (110 - 204 هـ) مؤرخ، وعالم بأنساب العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها ومثالبها، قال عنه الذهبي: «العلاّمة الإخباري النّسابة الأوحد»، وذكر له ابن النديم في الفهرست جملة كثيرة من المصنفات، ولعل كتاب «التاريخ» هو جمهرة أنساب العرب. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم98، وسير أعلام النبلاء: 101/10، وتاريخ بغداد: 45/14، وفيات الأعيان: 82/6، مرآة الجنان: 29/2.

(4) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى بالولاء (110- 209هـ)، وتذكر بعض المصادر أنّه يهودي الأصل، من أئمة العلم بالأدب واللغة، له تصانيف كثيرة منها: نقائض جرير والفرزدق، ومجاز القرآن، وأيام العرب الذي ذكره المؤلف، قال عنه الجاحظ: «لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه». انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 235/5، وبغية الوعاة: 294/2، ومعجم الأدباء: 2704/6، ومقدمة مجاز القرآن: 9.

6- وتاريخ ابن عبّاس[1].
7- وتاريخ الهيثم ابن عدي[2].
8- والشَرْقي بن القُطامي[3].
9- وحماد الراوية والأصمعي[4].

---

(1) هو حبر الأمة، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي جليل، ولد قبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات، وكان ابن عباس يمتلك إلى جانب ذاكرته القوية، ذكاء نافذا، وفطنة بالغة، كان فقيه عصره، وأمام التفسير وترجمان القرآن، توفي سنة 68هـ بالطائف، وهو في السبعين من عمره، ولا يُعرف عن ابن عباس أنه صنف كتاباً بهذا الاسم الذي ذكره المؤلف، ولا بغيره، وإنما هي أخبار وروايات تناقلها الإخباريون وأصحاب السير. انظر ترجمته في الإصابة: 122/4 سير أعلام النبلاء: 331/3، أسد الغابة: 692 .

(2) رواية (ب) عبدي وهو تصحيف من الناسخ. والهيثم بن عدي هو: أبو عبد الرحمن الهيثم بن عبدالرحمن الثُعلي الطائي، عالم بالشعر والأخبار والمثالب والأنساب، (114- 207هـ)، يتعرض لمعرفة أصول الأنساب، فكرهه النّاس لذلك، جالس المنصور والمهدي والرشيد وروى عنهم، وهو عند علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقات، والكتاب الذي ذكره المؤلف هو: «التاريخ» مُرتّب على السنين. انظر ترجمته في الفهرست: 102، ومعجم الأدباء: 2788/6، ووفيات الأعيان: 106/6 .

(3) هو أبو المثنى الوليد بن الحصين الكلبي، غلب عليه لقب الشرقي القُطامي، أحد النسابين والرواة للأخبار، قال عنه الأصمعي كان كذّاباً، تُوفي نحو (155هـ)، استقدمه أبو جعفر المنصور لتأديب ولده المهدي، ولا يُعرف عنه أنه صنف كتاباً، وإنما هي أحاديث تروى عنه. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 92، وتاريخ بغداد: 382/10، نزهة الألباء: 38.

(4) حماد الرواية هو: أبو القاسم حماد بن سابور،(75- 156هـ)، وكان والده من سبي الديلم، جالس الخلفية المهدي، والوليد بن عبد الملك، كان عالماً بأيام العرب وأشعارها وأخبارها، وهو أول من لُقّب بالراوية، جمع السبع الطوال (المعلقات)، قال ابن النديم: لم يرَ لحماد كتاباً، وإنما روى النّاس عنه، وصُنفت الكتب بعده. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 94، ونزهة الألبا: 39، ووفيات الأعيان: 206/2. أما الأصمعي فهو: أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الباهلي (122-216هـ) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر، وتصانيفه كثيرة منها: الأضداد، والإبل، وخلق الإنسان والخيل وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 54، تاريخ بغداد: 157/12، ووفيات الأعيان: 170/3، ونزهة الألباء: 90 .

10- وسهل بن هارون[1].
11- وابن المقفّع[2].
12- والعتبي الأموي[3].
13- وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري[4].

(1) أبو عمرو سهل بن هارون بن (راهبون أو راهيون) الدستميساني (ت: 215هـ) كان بخدمة المأمون، وأمين مكتبته دار الحكمة، وكان كاتباً بليغاً، فارسي الأصل، من واضعي القصص، يلقب (بزرجمهر الإسلام) شعوبي المذهب يتعصب ضد العرب، له مصنفات كثيرة، منها: ثعلة وعفرة على نسق كليلة ودمنة، والإخوان، وتدبير الملك والسياسة، والنمر والثعلب وغير ذلك، وأغلبها مفقود. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 124، والبيان والتبيين: 52/1، وفوات الوفيات: 368/1، ومعجم الأدباء: 1409/3.

(2) أبو محمد عبد الله بن المقفع (106- 142هـ) كان اسمه بالفارسية قبل إسلامه روزبة بن داذويه، والمقفع لقب غلب على أبيه، وابن المقفع أحد البلغاء الفصحاء، من رؤساء الكُتّاب، كان واسع الفضل، متقد الذكاء، ولي كتابة الديون للخليفة المنصور، وعُني بترجمة بعض كتب المنطق، وترجم كتاب: كليلة ودمنة عن الفارسية، وله أيضاً من المصنفات الأدب الصغير، والأدب الكبير، قُتل بتهمة الزندقة، انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم: 123، وسير أعلام النبلاء: 209/6.

(3) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله القرشي الأموي المعروف بالعتبي (ت: 228هـ)، الشاعر البصري المشهور، كان أديباً فاضلا شاعراً مجيداً، وكان يروي الأخبار وأيام العرب، قدم بغداد، وحدَّث بها، وأخذ عنه أهلها، له من التصانيف: كتاب الخيل، وكتاب أشعار الأعاريب، وأشعار النساء اللاتي أحببن ثمَّ أبغضن، وكتاب الذبيح، وكتاب الأخلاق، وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 126، ومعجم الشعراء للمرزباني: 417، وطبقات الشعراء لابن المعتز: 314.

(4) في الأصل: [ابن زيد، والصواب]، أبو زيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (119- 215هـ) أحد أئمة الأدب واللغة، وهو من ثقات اللغويين، قال ابن الأنبار: «كان سيبويه إذا قال: «سمعت الثقة» عني أبازيد، روى عن أبي عمرو بن العلاء، ورؤبة بن العجّاج، وجده ثابت أحد الستة الذين جمعوا القرآن، من تصانيفه: النوادر في اللغة، وخلق الإنسان، ولغات القرآن وغريب الأسماء، وغير ذلك. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 378/2، وبغية الوعاة: 582/1، وتاريخ بغداد 10 /109، ومعجم الأدباء: 1359/3.

14- والنَّضْر بن شُمَيْل[1].

15- وعبيدالله بن عائشة[2].

16- وأبو عبيد القاسم بن سلام[3].

17- وأبو عثمان بن بحر الجاحظ[4].

18- وأبو زيد بن شَبَّة[5].

(1) أبو الحسن النَّضر بن شُميل بن خرشة المازني التميمي (122- 203هـ) أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث، أخذ عن الخليل، وأقام بالبادية مدة طويلة، وولي قضاء مرو، واتصل بالمأمون العباسي، فأكرمه وقربه، له تصانيف كثيرة منها: غريب الحديث، وكتاب المعاني، وكتاب الأنواء، وكتاب الصفات، وغير ذلك، انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 51، ووفيات الأعيان: 397 ومعجم الأدباء: 2758/6.

(2) في الأصل: [عبد الله] ، والصواب: عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، (ت228هـ) يقال له: ابن عائشة، نسبة إلى عائشة بنت طلحة؛ لأنه من ذريتها، وقد يقال له أيضاً: العيشي أو العائشي، كان كثير العلم، وهو ثقة صدوق عند أصحاب الحديث، وقد روى عن جماعة منهم: حماد بن سلمه، ومهدي بن ميمون. انظر ترجمته في: الحيوان: 102/1، وتهذيب التهذيب: 7/ 45.

(3) في الأصل هكذا: [وأبي عبيد القسم بن سلام الجمحي]، ويبدو أنَّ الناسخ قد التبس عليه الأمر بين أبي عبيد، وبين محمد بن سلام الجمحي لاشتراكهما في سلّام، فأضاف كلمة الجمحي. وأبو عبيد هو: القاسم بن سلام الهروي الأزدي بالولاء (175- 224هـ) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، اتصل بعبد الله بن طاهر، وأهداه معظم مصنفاته، وهو من أهل هراة، ولي القضاء مدة بطرطوس، ثمَّ رحل إلى مصر وبغداد، وحج، وتوفي في مكة، له مصناف كثيرة منها: الغريب المصنف، وغريب الحديث وفضائل القرآن، والأمثال، والمقصور والممدود وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 71، وتذكرة الحفاظ: 417/2، وفيات الأعيان: 60/4، وتهذيب التهذيب: 315/7.

(4) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الشهير بالجاحظ (163- 255هـ) من كبار أئمة الأدب في العربية، ورئيس الفرقة الجاحظية المعتزلة، أولع بالكتب، حتَّى قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء، ومجموعة رسائل متنوعة وغير ذلك. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 470/3، وتاريخ بغداد: 124/14، وإعتاب الكتاب: 154.

(5) هو: أبو زيد، عمر بن أبي عبيدة النمري البصري، ويلقب: ابن شَبَّة وابن ريطة (173- 263 هـ)، صاحب أخبار ونوادر، ورواية واسعة، صنيف كتاب: «تاريخ البصرة». انظر ترجمته في نور القبس: 231، وفيات الأعيان: 440/3.

19- وأبو السائب المخزومي[1].
20- وعلي بن محمد النوفلي[2].
21- والزّبير بن بكّار[3].
22- والإنجيلي[4].
23- والرّقاشي[5].
24- وعمارة المصري(67).

(1) في الأصل: ابن السائب، والصواب: أبو السائب عبد الله بن السائب المخزومي المديني، قدم الأنبار على أبي العباس السفاح، وكان أديباً فاضلاً مشتهراً بالغزل، ولم تحدد المصادر تاريخ مولده ولا وفاته. ولم يصنف كتاباً، إنما هي أخبار تُروى عنه. ويظهر أنه غير عبد الله السائب أحد القراء الذي أخذ عنه أهل مكة القراءة، وتُوفي بها بعد السبعين للهجرة وتواترت أخباره في كتب أصحاب الحديث: كطبقات ابن سعد، وأسد الغابة، وسير أعلام النبلاء. انظر ترجمة المخزومي المديني في تاريخ بغداد: 11/ 131.

(2) من رواة الحديث عند الشيعة، ومن أصحاب الإمام العاشر علي الهادي، ذكره أبو القاسم الخوئي في معجم رجال الحديث، وتفصيل طبقات الرواة: 190/13، وكذلك: النور الهادي إلى أصحاب الإمام الهادي: 184، ولم نعثر له على تاريخ وفاة، ويمكن أن تكون بعد وفاة الإمام الهادي سنة 254هـ.

(3) أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي الأسدي (172- 256هـ) يعود نسبه إلى الزبير بن العوام عالم بالأنساب وأخبار العرب وأشعارها، ولي قضاء مكة وفيها تُوفي، له تصانيف كثيرة، منها: أخبار العرب، ونسب قريش، وأخبار ابن ميادة، والموفقيات في الأخبار والنوادر، وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم/114، وفيات الأعيان: 311/2، وتاريخ بغداد: 486/9.

(4) لم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(5) المشهور بهذا اللقب ثلاثة، أولاهما: عمرو بن ضُبيعة (ت: 83هـ) شاعر شجاع، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وعبد الملك بن مروان، انظر ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني: 66، وثانيهما: الفضل بن عبد الصمد (ت: 200هـ) شاعر مجيد من أهل البصرة، كانت بينيه وبين أبي نواس مهاجاة، وانقطع إلى البرامكة، ورثاهم بعد نكبتهم. انظر ترجمته في فوات الوفيات: 251/2، وتاريخ بغداد: 305/14، وثالثهما: الفضل بن عيسى (ت: 140هـ) من أهل البصرة كان خطيباً وقاصاً مجيداً، معتزلي المذهب، وهذا الأخير قد يكون هو من قصده المؤلف. انظر خبره في البيان والتبيين: 290/1.

(6) هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان اليمني (513- 569هـ)، أشتهر بلقبه اليمني، وقد يُقال له أيضاً المصري لسكنه مصر، اتصل بالدولة الفاطمية، وكان شاعر مجيداً، وكاتباً ماهراً، ومؤرخاً ثقة، من مصنفاته: أرض اليمن وتاريخها، والمفيد في أخبار زبيد، النُكت العصرية في أخبار الوزراء المصريّة، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 431/3، ومرآة الزمان: 196/21.

25- وعيسى بن هيف[1].

26- وعبدالرحمن بن عبد الحكم[2].

27- وأبو حسّان الزيادي[3].

28- ومحمد بن عيسى الخوارزمي[4].

29- وأبو جعفر بن السُّري[5].

30- ومحمَّد بن الهيثم بن شبانة[6].

31- وإسحاق بن إبراهيم الموصلي[7].

32- والخليل بن الهيثم[8].

---

(1) لم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(2) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (187-257هـ) مصري المولد والوفاة، مؤرخ من أهل العلم بالحديث، له بعض التصانيف، من أشهرها: فتوح مصر والمغرب والأندلس، وتُعدّ مصنفاته أقدم من وصلنا لمؤرخي مصر، وقد اعتمد على كتابه معظم الذين جاءوا بعده،كالسيوطي في حسن المحاضرة، والمقريزي، وياقوت الحموي في معجم البلدان. انظر ترجمته في الأعلام: 313/3، ودائرة المعارف الإسلامية: 223/1.

(3) هو أبو حسّان الزيادي الحسن بن عثمان بن حماد البغدادي (160- 242هـ) الإمام العلامة الحافظ، مؤرخ عصره، قاضي بغداد، اشتغل بالتاريخ، وألف كتاباً رتبه على السنين، وله معرفة بأيام النّاس.انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 479/24، وتاريخ بغداد: 339/8.

(4) لم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(5) إخباري، له روايات في كتب الحديث عند الشيعة، ويذكره كثيراً الشيخ الصدوق في الأمالي.

(6) ما ذكره المؤلف شخصية مرموقة، وقد مدحه أبو تمام، وهو: أبو الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة الخراساني، ونظن أن المقصود هو: محمد بن أبي شبانة أحد رواة الحديث الضعفاء.

(7) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم التميمي بالولاء الموصلي، الشهير بابن النديم الموصلي (155-235هـ) تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً بالموسيقى والتاريخ، وراوياً للشعر، وحافظاً للأخبار، ونادم الخلفاء وجالسهم، له بعض التصانيف، منها: أخبار حماد وعجرد، أخبار ذي الرمة، جواهر الكلام وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 142، ووفيات الأعيان: 202/1.

(8) الخليل بن الهيثم الشيعي، ذكره المسعودي في مروج الذهب، وقال عنه أنّ الخليفة هارون الرشيد قد وكّله بيحيى البرمكي، وابن الفضل حين كانا في الحبس.

33- وصاحب كتاب الحيل والمكايد في الحروب[1].
34- ومحمَّد بن زكريا[2].
35- وابن أبي الدُّنيا[3].
36- وأحمد بن محمَّد الحِمَّاني[4].
37- والمبرد[5].
38- ومحمَّد بن سليمان المنقري[6].
39- ومحمد بن محفوظ السكّوني[7].

---

(1) هذا الكتاب في حكم المفقود، وقد ألفه أبو سعيد الشعراني المعروف بالهرثمي، وأهداه إلى الخليفة المأمون، وهو كبير الحجم. انظر: الفهرست: 310 .، وقد ظهر مختصرٌ لهذا الكتاب، يقع في 70 صفحة من صنع مؤلف مجهول، واختصره، بعنوان: «مختصر سياسة الحروب»، وقد طُبع بتحقيق: عبد الرؤوف عون.

(2) كثيرون الذين يحملون هذا الاسم: محمد بن زكريا، ونرجح أنَّ ما قصده المؤلف هو: أبو جعفر، أو أبو بكر، محمد بن زكريا الغلابي الإخباري، ضعّفه أهل الحديث. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال: 550/3، والأنساب: 95/10، الوافي بالوفيات: 87/3 .

(3) هو الحافظ أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي القرشي بالولاء (208-281هـ)، قال عنه ابن حجر: «صادق حافظ صاحب تصانيف كثيرة، منها: الإخلاص والنية، المطر والرعد والبرق، الفرج بعد الشدة، الإشراف في منازل الأشراف، وغير ذلك. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: 677/2، وتاريخ بغداد: 626/11.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد الحِمَّاني، وقد يقال له: أحمد بن الصَّلت، محدث إخباري، ضعَّفه أصحاب الحديث، واتهموه بالوضع. انظر ترجمته في: تاريخ دمشق: 373/5، وتاريخ بغداد: 207/4.

(5) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشهير بالمبرد (210- 286هـ) أحد العلماء الكبار في اللغة والأدب، تلقى العلم على عدد كبير من علماء البصرة، وقد تزعم مدرسة النحو فيها بعد وفاة المازني، له تصانيف كثيرة منها: الكامل في اللغة والأدب، والفاضل، والمقتضب، وشرح لامية العرب. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 58، وطبقات النحويين واللغويين: 101 .

(6) هو: محمد بن سليمان بن داود المنقري البصري، قدم دمشق وحدَّث بها، يكثر ذكره في كتب الحديث عند الشيعة، وقد روى خبراً أنكره الذهبي في ميزان الاعتدال، رقم الخبر (7109): 447/3، ووافقه ابن حجر في لسان الميزان/473/6 .

(7) من رواة الأخبار في مصنفات الشيعة.

40- وأحمد بن أبي طاهر، صاحب كتاب بغداد[1].

41- الوشّاء[2].

42- وعلي بن مجاهد صاحب كتاب الأمويين[3].

43- ومحمّد بن صالح صاحب، كتاب المسالك والممالك[4].

44- وعلي بن عيسى المنجم صاحب، كتاب وقعة الأدهم[5].

45- وابن بشر الدولابي[6].

---

(1) في الأصل: [ابن طاهر]، والصواب ما أثبتناه، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر اسمه طيفور(204-280هـ)، من مرو بخراسان، أحد البلغاء الشعراء الرواة، ومن أهل الفضل والعلم، اشتهر بكتابه: «بغداد»، صنفه في أخبار الخلفاء وأيامهم، وله مصنفات كثيرة ذكرها الصفدي، منها: المنثور والمنظوم، وبلاغات النساء. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 345/5، الوافي بالوفيات: 7/7.

(2) في الأصل: [ابن الوشا]، والصواب ما أثبتناه، وهو: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي الوشّاء (ت: 325هـ) أديب نحوي إخباري من أهل بغداد، اشتغل بالتعليم، وأخذ عن المبرد، له بعض التصانيف، منها: الجامع في النحو، والموشى أو الظرف والظرفاء، وأخبار المتظرفات، وسيأتي ذكره حين الإشارة إلى كتابه: «فرح المُهج» .انظر ترجمته في الفهرست: 87، معجم الأدباء: 2303/5.

(3) هو: علي بن مجاهد بن مسلم يُعرف بالكابُلي (ت: 182هـ)، حدّث في بغداد، وقد ذكر كتابه هذا حاجي خليفة في كشف الظنون: 289/1، وصنّف كذلك كتاب «المغازي»، وقد ضعّفه رجال الحديث. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 592/13، وتقريب التهذيب: 704.

(4) لم نقف على ذكر لهذا الكتاب، ولا مصنفه فيما بين أيدينا من مصادر، فهناك كتب كثيرة بهذا العنوان: كتاب الإصطخري، وكتاب البكري، وكتاب ابن خرداذبة، وكتاب الجيهاني الكاتب.

(5) الكتاب الذي ذكره المؤلف في حكم المفقود، ويُنسب إلى أبي علي محمد بن الحسن بن المظفّر الحاتمي (ت: 388)، ترجمته في تاريخ بغداد: 620/2، وفي معجم الأدباء: 250/5، ووفيات الأعيان: 362/4، أما الاسم الذي ذكره المؤلف، فنظنه: أبو عيسى أحمد بن علي بن عيسى المنجم، توفي سنة 320هـ له من المصنفات: تاريخ سنيّ العالم. ترجمته في الفهرست: 233، والوافي بالوفيات: 228/7.

(6) في الأصل: [أبو بشير المدولاي]، والصواب ما أثبتناه، وهو: أبو بشر محمد بن أحمد الدُّولابي الأنصاري بالولاء(224- 310هـ) من أهل الري، مؤرخ، ومن حفاظ الحديث، اشتغل بالوراقة مدّة، ثمّ ارتحل إلى مصر، له تصانيف منها: الكنى والأسماء، وقال ابن خلكان له تصانيف مفيدة في التاريخ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 484/4، وتذكرة الحفاظ: 759.

46- وابن وكيع القاضي[1].
47- ومحمَّد بن خالد الهاشمي[2].
48- وإسحق بن سليمان الهاشمي[3].
49- وأبو بكر الرازي صاحب كتاب المنصوري[4].
50- وابن قتيبة[5].
51- ونفطويه[6].

(1) هو: أبو بكر محمد بن خلف الضبي، الملقب بوكيع القاضي (ت: 306هـ): عالم بالتاريخ والبلدان، ولي القضاء بالأهواز، وتوفي في بغداد، له مصنفات منها: طبقات القضاة، والنواحي، والأنواء، والمكاييل والموازين. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات: 37/3، وغاية النهاية: 122/2.

(2) هو محمد بن خالد الهاشمي، يُلقَّب: ابن أُمِّه، مُحدث إخباري، ضعّفه أهل الحديث، وقال عنه أبو حاتم الرازي: يكذب، انظر ترجمته في ميزان الاعتدال: 535/3، تاريخ دمشق: 379/52.

(3) ذكره ابن الجوزي في المنتظم، فقد كان عاملاً للمدينة في خلافة هارون الرشيد، كما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، بصفته إخباري ومحدِّث، وقد كان حياً إلى خلافة المهدي. انظر: المنتظم: 331/8، تاريخ دمشق: 44/7.

(4) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (251- 313هـ) الطبيب المشهور، من أهل الري، ولد بها، ثمَّ رحل إلى بغداد، اشتغل بالطب والفلسفة والكيمياء، إلا أنَّه برع في الطب، وتولى رئاسة المستشفيات في الري،ثمَّ في بغداد، له مصنفات كثيرة، منها: الحاوي وهو أشهرها، والمرشد، الفصول في الطب، وكتاب المنصوري في الطب الذي ذكره المؤلف، وقد أهداه الرازي إلى المنصور بن إسحاق حاكم الري. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 249، وطبقات الأطباء: 309/1.

(5) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213- 276هـ) من أئمة الأدب، اشتغل بالحديث والتاريخ، فارسي الأصل، ولي قضاء الدِّينور من أعمال غرب إيران، فنسب إليها، له تصنايف في علوم شتى، منها: أدب الكاتب، تأويل مختلف الحديث، الأشربة، طبقات الشعراء، عيون الأخبار، وغير ذلك. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 42/3، ولسان الميزان: 8/5.

(6) رواية (ب): [يقطونه] ورواية (ت): [نفطونه]، والصواب ما أثبتناه، وهو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرفة الأزدي من أئمة النحو الحفاظ (244- 323هـ) لقب (نفطويه) تشبيها له بالنفط، لدمامته وأدمته، وزيد مقطع (ويه)؛ لأنَّه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو، له جملة من المصنفات، منها: غريب القرآن، البارع، والأمثال، القوافي، والتاريخ، و يبدو أنها لم تصلنا. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 83، وتاريخ بغداد: 93/7/، ومعجم الأدباء: 114/1.

52- وتاريخ الخلفاء للجَهْشَياري[1].
53- وتهذيب التاريخ للجرجاني[2].
54- وتاريخ ابن شبَّاب[3].
55- وكتاب المقتبس في أنباء الأندلس[4].

(1) رواية (ت): [الخلفا]، والصواب ما أثبتناه، والكتاب الذي ذكره المؤلف نرجّح أن يكون الجزء المفقود الخاص من كتاب «الوزراء والكُتّاب»، والمصنف هو: أبو عبد الله، محمد بن عبدوس الكوفي الجهشياري (ت: 331هـ) مؤرخ من الكتاب المترسلين كان حاجباً للوزير على بن عيسى بن جَهْشَيَار، فكان ذلك سبب تلقيبه، له مصنفات منها: أخبار المقتدر العباسي، وأسمار العرب والعجم والروم وغيرهم. انظر ترجمته في: الفهرست: 132، وفي مقدمة كتاب «الوزراء والكتاب»، طبعة مصطفى الحلبي، الوافي بالوفيات: 167/3.

(2) رواية (ب، ت): [تذهيب]، والصواب ما أثبتناه، والجرجاني هو: أبو الحسن، علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني(322- 392هـ)، عالم موسوعيٌ وأديب ناقد، كثير الترحال في طلب العلم، أصله من جرجان، رحل إلى العراق والشام، واتصل بالصاحب بن عباد وزير بني بويه، ونال منزلة رفيعة عنده حتى تولى رئاسة القضاء بالرّي، وعلى الرغم من معارفه المتنوعة في التاريخ والعلوم الدينية، إلا أن شهرته الأدبية والنقدية هي التي عُرف بها بكتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، له مصنفات متنوعة، منها: تفسير القرآن المجيد، وكتاب الدلالة وتهذيب التاريخ الذي ذكره المؤلف. انظر ترجمته في معجم الأدباء: 1796/4، ووفيات الأعيان: 278/3.

(3) أقرب ما يكون: أبو عمرو، خليفة بن خياط العُصْفري البصري المعروف بشبَّاب (ت: 240هـ) نسابة وإخباري ومحدث، له من المصنفات: الطبقات، والتاريخ، وتارخ الزمان، والعرجان والمرضى والعميان. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 234، وتذكرة الحفاظ: 436/2، وتهذيب التهذيب: 160 .

(4) ورد اسم الكتاب في كتب التراجم والسير بعنوانات مختلفة، فهو: «المقتبس في تاريخ الأندلس» كما عند الزركلي، وعمر كحّالة، وهو: «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس» كما أورده فيليب حَتّي في «تاريخ العرب»، وهو «المقتبس من أنباء أهل الأندلس» كما عند ابن الأبار في: الحلة السِّيراء، وهو «المقتبس في أخبار بلد الأندلس» وهو الاسم الذي وضعه مؤلفه ابن حيان في آخر صفحة من المخطوطة المحققة. أما مؤلفه فهو: أبو مروان، حيان بن خلف بن حسين الشهير بابن حيّان (377- 469هـ) مؤرخ وأديب من أهل قرطبة، له مجموعة من المصنفات إضافة لهذا الكتاب، منها: المتين، والبطشة الكبرى، أخبار القضاة، وغير ذلك. انظر ترجمته في بغية الملتمس/342/1 . الصلة: 247/1، ووفيات الأعيان: 218/2.

56- وفضل العرب على العجم لابن قتيبة[1].
57- وأخبار ولاة خراسان[2].
58- وأخبار أبي حنيفة[3].
59- وفتوح الشام لابن بشر القرشي[4].
60- وخبر المختار للمدائني[5].

---

(1) تقدمت ترجمة ابن قتيبة، والكتاب الذي ذكره المؤلف يرد بصور مختلفة، ذكرها بالتفصيل محقق الكتاب الذي أصدره بعنوان: «فضل العرب والتنبيه على علومها»، بتحقيق وليد محمود خالص. ص: 9.

(2) كثيرة هي التصانيف التي أرخّت لخرسان، ولكن هذا المصنف الذي ذكره المؤلف، أقرب ما يكون لأبي علي الحسين بن أحمد السلامي البيهقي النيسابوري (ت: 300) أديب ومؤرخ. انظر ترجمته في تاريخ بيهق لابن فندمه: 297، ومستدرك رجال علم الحديث: 88/3.

(3) الكتاب مطبوع بعنوان: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» من تصنيف أبو عبد الله، الحسين بن علي بن جعفر الصيمري (351- 436هـ)، كان من كبار الفقهاء، ولي القضاء في الكرخ بالعراق، وله مصنف آخر كبير الحجم عن أبي حنيفة، ولعله الذي ذكره المؤلف. انظر ترجمته في الفوائد البهية: 67، والجواهر المضيئة: 116/2.

(4) وقد يقال للكتاب عند أهل التراجم: الفتوح، من تصنيف أبو حذيفة، إسحاق بن بشر القرشي مولى بني هاشم (ت: 206هـ) مؤرخ، ولد ببلخ، واستوطن بخارى، اشتغل بالحديث فوصم بالكذب، وضعّفه أهل الحديث، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد، فحدث بها، له من النصانيف إضافة إلى الفتوح كتاب المبتدأ في بدء الخلق، وقد وصل الجزء الرابع منه. انظر ترجمته في تاريخ دمشق: 187/8، الوافي بالوفيات: 264/8، سير أعلام النبلاء: 477/9.

(5) في الأصل المدايني، والمختار هو أبو عبيد الثقفي أحد قادة الثورات الشيعية ضد الأمويين، وقد صُنعت في أخباره مصنفات كثيرة متقاربة في الأسماء، منها ما ذكره المؤلف، والمدائني هو: أبو الحسن علي بن محمد البصري المعروف بالمدائني (135- 225هـ) تنقل بين البصرة والمدائن، وتوفي في بغداد، مؤرخ ثقة وإخباري، وراوٍ للشعر، كثير التصانيف، وقد سرد ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ له ما يتجاوز 150 كتاباً، وكذلك صنع البغدادي في هدية العارفين، إلا أنهما لم يذكرا هذا الكتاب الذي ذكره المؤلف، ولم أعثر له على ذكر سوى في تراجم الشيعة. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 103، وسير أعلام النبلاء: 400/24، وتاريخ بغداد: 516/13، وعيون التواريخ: 103.

61- وتاريخ واسط العراق[1].

62- وتاريخ الحلاج[2].

63- و[المستبين] للقاضي القزويني[3].

64- وأخبار الوزير لابن عبدوس[4].

65- وأخبار الملوك من الأنبياء[5].

---

(1) هناك مصنفات كثيرة في تاريخ واسط، إلا أنَّ أقدمها وأهمها هو الذي صنفه أبو الحسن، أسلم بن سهل الرَّزاز الواسطي (ت: 292هـ) الشهير ببحشل، كان من كبار الحفاظ الثقات في الحديث. انظر ترجمته في معجم الأدباء: 646/2، وتذكرة الحفاظ: 664/2، ومقدمة محقق الكتاب: كوركيس عواد: 19.

(2) في تاريخ الحلاج يوجد العديد من المصنفات، نذكر منها كتاب لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله الشيرازي، المعروف بابن باكويه (ت: 428هـ)، أحد مشايخ الصوفية، عني بالحديث، وترحل إلى عدة مدن لطلب العلم، من آثاره: أخبار العارفين، والكتاب الذي ذكره المؤلف،إلا أنَّه يرد في كتب التراجم باسم آخر: «بداية حال الحسين بن منصور الحلاج ونهايته»، وهو صغير الحجم، وهناك كتاب آخر بعنوان: «أخبار الحلاج» من تصنيف أبو طالب تاج الدين، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي المعروف بابن السَّاعي (593- 674هـ)، المؤرخ البارع، وخازن المكتبة المستنصرية، وصاحب التصانيف الكثيرة، وهو قريب من عصر المؤلف، ولعله المقصود. انظر ترجمة الأول في سير أعلام النبلاء: 544/17، الوافي بالوفيات: 261/3. وترجمة الثاني في: تذكر الحفاظ: 1469/4، والجواهر المضيئة: 546/2، ومقدمة محقق كتابه: الدر الثمين: 9.

(3) (المسيبين، أو المستبين) وجدنا صعوبة في قراءة اسم الكتاب في كلتا النسختين (ب، ت)، ومعظم كتب التراجم تذكر القزويني القاضي، بأنَّه أبو الحسن، على بن محمد بن عبد الله القزويني القاضي (ت: 357هـ) محدِّث ثقة، ورد بغداد وحدَّث فيها من كتب العياشي، من مصنفاته: ملح الأخبار. انظر ترجمته في رجال النجاشي: 267، ومنتهى المقال: 61/5.

(4) الكتاب مطبوع، بعنوان: «الوزراء والكُتّاب»، لمؤلفه: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت: 331هـ)، وهذا الكتاب يعدُّ من أقدم المصنفات في تاريخ الوزراء، وقد تقدمت ترجمة مؤلفه، وذكر المؤلف هذا الكتاب باسم آخر» تاريخ الخلفاء».

(5) نرجِّح أنَّ ما ذكره المؤلف، هو كتاب: «تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني (360هـ)، والكتاب مطبوع، بتحقيق: محمود الجيزي 1961م.

66- وكتاب [الموفق] لابن حبيب[1].
67- وفضائل الفرس لابن المقفع[2].
68- وجوامع العبر ولوامع البصر لابن حاجب النعمان[3].
69- والأخبار الطوال لأبي حنيفة[4].

---

(1) الكتاب الذي ذكره المؤلف لم تذكره كتب التراجم، وإنما نُسب إلى ابن حبيب كتابان قريبان من اسمه «المفوف، والمنمق»، ولعله تصحيف في اسم الكتاب، وابن حبيب: هو أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت: 245هـ) إخباري وراو للشعر، عالم بالأنساب، له تصانيف كثيرة، منها: المختلف والمؤتلف، غريب الحديث، أسماء القبائل، مقاتل الفرسان، والكتب الذي ذكره المؤلف. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 109، وعيون التواريخ: 405، ومعجم الأدباء: 2480/6 .

(2) تقدم التعريف بابن المقفع، وقد ترجم ابن المقفع كثيراً من الكتب التي تُمجِّد الفرس وتاريخهم، كالتاج في سيرة أنوشروان، ولعل الكتاب الذي ذكره المؤلف هو: [أيين نامة] في عادات الفرس، وقد ترجمه ابن المقفع عن الفارسية.

(3) ابن حاجب النعمان يطلق على الابن وأبيه، بسبب أنّ إبراهيم بن بيان الجدّ كان حاجب النعمان بن عبد الله الكاتب في خلافة المقتدر، أما الأب فهو: أبو الحسين، عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان أو بنان (ت: 351هـ)، كان صاحب فضل ومعرفة بالكتابة والدواوين، كان رئيس ديوان السواد لمحمد بن المهلبي وزير معز الدولة البويهي، قال ابن النديم عنه: «لم تُشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته؛ لأنها تحتوي على كل كتاب عين، وديوان فرد»، له مصنفات، منها: نشوة النهار في أخبار الجوار، كتاب الصبوة، الغرر ومجتنى الزهر، أما الكتاب الذي ذكره المؤلف، فلم نقف له على ذكر عند من ترجم له، ولعله فُقد من جملة مصنفاته، انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 149، وتاريخ بغداد: 226/12، أما الابن، فهو: أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن إبراهيم (340- 423هـ) كان كاتباً لبعض السلاطين، كالطائع لله، والقادر، ذكرت بعض التراجم أنّه صنف كُتباً، دون أن تذكر هذه المصنفات، وله ديوان شعر كبير الحجم، وقد يكون ما ذكره المؤلف أحد مصنفات الابن المفقودة، انظر ترجمته في المنتظم في تاريخ الملوك: 421/15، ومعجم الأدباء: 1806/4 .

(4) الكتاب مطبوع، وهو من تصنيف: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت: 282هـ)، أخذ عن البصريين والكوفيين، راوية ثقة، وعالم موسوعي، ومتنوع المعارف، وكثير التصانيف مثل: الأخبار الطوال، وتفسير القرآن، الجبر والمقابلة، الأنواء، إصلاح المنطق، والوصايا، وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 86، معجم الأدباء: 258/1 .

70- وأخبار المتيمين للمرزباني[1].

71- وكتاب السياسة لهلال بن المحسن سبط الصابئ[2].

72- ومذاكرة النديم لأبي الحسن المَغْربي[3].

73- وتدبير المملكة لشاناق الهندي[4].

(1) عنوان الكتاب: «الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمُحدثين، من تصنيف: أبو عبيد الله، محمد بن عمران المرزباني-(297-384هـ) أصله من فارس، وينسب إلى جده، والمرزبان كلمة فارسية معربة، تعني القائد وحامي الحدود، وقد عرف المرزباني بالرواية وكثرة التصانيف المشهورة، فله إضافة إلى ما ذكره المؤلف: الموشح، ومعجم الشعراء، والمستنير، والمُفيد، وأشعار النساء، وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 146، وفيات الأعيان: 354/4 .

(2) رواية (ب، ت): [العبد المحسن سبط الصابئ]، والصواب ما أثبتناه، وهو: أبو الحسن، وقيل أبو الحسين هلال بن المُحَسِّن بن أبي اسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ (359- 448هـ) أحد أحفاد إبراهيم الصابئ الشهير، وقد خلّف هو أيضاً بعض الأبناء، اشتهر منهم أبو الحسن الملقب غرس النعمة، وقد تقلد هلال ديوان الإنشاء في الدّولة العباسية، فوقف على رسومها وأسرارها، فحذق آداب الملوك ومجالستهم، وبرع في التاريخ، وتفنن في الآداب، عُرف بالصدق، وقد شهد له بذلك معاصره الخطيب البغدادي، وقد صنّف هلال الكتب الجليلة النافعة، كالكتاب الذي ذكره المؤلف، ورسوم دار الخلافة مطبوع، وغرر البلاغة، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وصلت منه قطعة صغيرة، وكتاب التاريخ، وصل قطعة صغيرة من الجزء الثامن، وغير ذلك، إلا أن معظم مصنفاته مفقودة كالكتاب الذي ذكره المؤلف.انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 117/16، وفيات الأعيان: 101/6، معجم الأدباء: 2783/6، مقدمة محقق كتاب: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: 6 .

(3) رواية (ب): [المعري]، والصواب ما أثبتناه من (ت)، والكتاب يرد أحياناً باسم: تذكرة النديم وأحياناً مذاكرة النديم، من تصنيف: أبو الحسن، محمد بن أحمد المغربي، أديب وشاعر وناثر، كان راوية المتنبي، وخدم سيف الدّولة، وجالس الصاحب بن عباد، اشتهر في مصر والعراق، ولقي أبا الفرج الأصبهاني، وروى عنه، وله معه أخبار، له تصانيف، إضافة إلى ما ذكره المؤلف: الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبي، وتحفة الرسائل، والنبيه المنبئ عن رذائل المتنبي، والرسالة الممتعة . انظر ترجمته في معجم الأدباء: 2300/5، والوافي بالوفيات: 68/2 .

(4) في رواية (ب، ت): [شاماق]، والصواب ما أثبتناه، وما ذكره المؤلف كتاب من الكتب الهندية المنقولة إلى العربية عن طريق الفارسية في العصر العباسي، وقد جلبه معه «منكه الهندي» من جملة كتب، حين استقدمه هارون الرشيد لمعالجته من علة أُلمَّتْ به، ثمّ نقله أبو حاتم البلخي إلى الفارسية، وفسَّره ليحيى بن خالد البرمكي، ثمّ نُقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه، وشاناق طبيب وحكيم وفلكي هندي قديم، له مصنفات في الأدوية والسموم، وهذا الكتاب الذي ذكره المؤلف =

74- والدقائق وأخبار العجائب للكاغدي[1].
75- والعاشق والمعشوق للصَّيمري[2].
76- وكتاب صفات الأمم للبلخي[3].
77- وكتاب الظُّراف لكاتب أم جعفر[4].
78- وكتاب فرَح المُهَج[5].

= يرد بأكثر من اسم، كلها تشير إلى موضوعه في تدبير أمور الملك والسياسة. انظر أخباره في عيون الأنباء: 425، وفهرست ابن النديم: 377.

(1) لم نقف على أثر لهذا الكتاب، أو مؤلفه فيما بين أيدينا من مصادر.

(2) رواية (ب، ت): [الضميري]، والصواب ما أثبتناه، وهو: أبو العنبس،محمد بن إسحاق بن أبي العنبس الصيمري الكوفي (ت: 275هـ) أديب، وشاعر متفكه هجاّء، له معرفة بعلم الفلك، نادم المتوكل، له قصة مشهورة مع البحتري بحضرة المتوكل، ذكرها القفطي في المحمدون من الشعراء، والصيمري كثير التصانيف، فله سوى ما ذكره المؤلف: الرد على المنجمين، وعجائب البحر، وطوال اللحى، وكتاب الثقلاء، وغير ذلك. انظر ترجمته في معجم الأدباء: 2420/6، معجم الشعراء: 457. المحمدون من الشعراء: 131 .

(3) رواية (ب،ت): [للبخاري]، ولم نعثر على كتاب للبخاري بهذا الاسم، والصواب: البلخي، أبو زيد، أحمد بن سهل البلخي (ت: 322هـ) صاحب مصنفات كثيرة سوى هذا الذي ذكره المؤلف له: أخلاق الأمم، والسياسة، صناعة الكتابة، ومصالح الأبدان والأنفس، وعصمة الأنبياء، والمختصر في اللغة وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 128، معجم الأدباء: 274/1، بغية الوعاة: 311/1.

(4) هو علي بن داود المعروف بكاتب أم جعفر، له من المصنفات زيادة على ما ذكره المؤلف: كتاب النغم، وكتاب الحرُّه، وكتاب الأمة. انظر: فهرست ابن النديم: 124.

(5) رواية (ب، ت): [فرج]، والصواب ما أثبتناه، وقد نسب الرافعي في كتابه« أوراق الورد» هذا الكتاب لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت: 325هـ)، لكنَّه لم يحدد مصدره، ثم ذكر محقق كتاب: الموشى أن له كتاباً بعنوان: تفريج المُهج وسبب الوصول إلى الفرج، ويبدو أنَّ هذا كتاب يختلف عما ذكره المؤلف، ثم تأكد لنا، أنَّ الكتاب الذي ذكره المؤلف« فرح المُهج» هو للوشّاء، بتصريح الوشّاء نفسه في كتابه: الموشى، حيث قال: «قد بيَّنت ذلك أحسن البيان، وشحتُه بأخصّ المعاني، ووصفتُ ما يتوصّلون به من الوسائل، وما يُضمّنونه كتبهم من الرسائل، في كتابٍ مفرَدٍ، وكلام مجرَّدٌ، ترجمته: كتاب فرح المُهَج» الموشى: 198، وقد وهم صاحب معجم المؤلفين، فكرر ترجمته مرتين: مرة باسم: محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، ومرة باسم: محمد بن إسحاق بن يحيى، وهما شخص واحد. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 93، الدر الثمين: 97، معجم الأدباء: 2303/5، معجم المؤلفين: 48، 124.

79- وفتوح خراسان لابن سعدان، وتاريخ الدعوة له أيضاً[1].

80- وزهر الأفكار للخالدي[2].

81- وفتوح مصر والإسكندرية[3].

82- وفتوح السند والهند للمدائني[4].

83- وفتح أذربيجان وأرمينيا[5].

84- وتفسير القرآن للثعلبي وغيره[6].

85- وأخبار القضاة للماوردي[7].

---

(1) لم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(2) نظن أنّه أحد الأخوين الخالدين: سعيد (ت: 371 هـ)، ومحمد (ت: 380هـ)، فقد كانا أديبي البصرة وشاعريها، على أنَّ من ترجم لهما لم يذكر هذا المصنف الذي ذكره المؤلف ضمن مصنفاتهما، انظر فهرست ابن النديم: 172، ومعجم الأدباء: 1377/3.

(3) الكتاب مطبوع ومنسوب إلى الواقدي، أبو عبد الله، محمد بن عمر (130-207هـ) كان عالما بالمغازي والسير والفتوح، اتصل بالمأمون وولي القضاء، كثير التصانيف والفنون، وله سوى ما ذكره المؤلف: أخبار مكة، وفتوح العراق، وحروب الأوس والخزرج، وغير ذلك. انظر ترجمته في الدر الثمين: 121، تاريخ بغداد: 5/4.

(4) تقدمت ترجمة المدائني، ولم تذكر كتب التراجم اسم هذا الكتاب في مصنفاته.

(5) كثيرة هي المصنفات في فتح أذربيجان وأرمينيا، وأشهرها من تصنيف: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، وقد تقدمت ترجمته.

(6) هذا الكتاب شتهر بهذا العنوان الذي ذكره المؤلف، وعنوانه: «الكشف والبيان» لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، المفسر المشهور (ت: 427هـ)، وله من التصانيف: العرائس في قصص الأنبياء (مطبوع)، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 79/1، وطبقات المفسرين: 66/1، مقدمة محقق كتاب: الكشف والبيان: 5.

(7) المشهور أن« أخبار القضاة لابن وكيع»، ولم نعثر عند من ترجم للماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي (364-450هـ)، على ذكرٍ لهذا المصنف، ولكن يُذكر له كتاب: أدب القاضي. انظر ترجمته في طبقات المفسرين: 427/1، وفيات الأعيان: 79/1، والوافي بالوفيات: 451/21، وتاريخ بغداد: 587/13 .

86- وتاريخ الطبري[1].

87- وتاريخ ابن سنان الصابيء[2].

88- وتاريخ البلاذري[3].

89- وتجارب الأمم[4].

90- وتاريخ الخطيب[5].

---

(1) هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (224-310هـ)، وأول مصنفات الطبري هو: اختلاف علماء الأمصار، وتاريخه الذي ذكره المؤلف هو: «تاريخ الرسل والملوك».

انظر ترجمته في الوافي بالوفيات: 284/2، ومعجم الأدباء: 2441/6، وتذكرة الحفاظ: 710/2 .

(2) هو أبو الحسن، ثابت بن سنان الصابئ (ت: 363هـ) طبيب، ومؤرخ، وأديب، خدم بعض خلفاء بني العباس، كالمستكفي بالله، والمطيع بالله، وتولى إدارة البيمارستان في بغداد، والكتاب الذي ذكره المؤلف عنوانه: كتاب التاريخ. انظر ترجمته في عيون الأنباء: 263، تاريخ الحكماء: 89.

(3) رواية (ب): [الباذري]، والصواب ما أثبتناه من (ت)، وهو أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذريُّ البغدادي (ت: 279هـ) أديب، وشاعر، ومؤرخ، وكان أحد المترجمين من الفارسية إلى العربية، له من المصنفات: كتاب البلدان الصغير والكبير، وفتوح البلدان، والتاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم، ولعل هذا الأخير مو ما ذكره المؤلف. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 125، وسير أعلام النبلاء: 36/9، وتاريخ دمشق: 135/2، والدر الثمين: 292 .

(4) الكتاب مطبوع في سبعة مجلدات بعنوان: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم»، من تصنيف: أبو علي، أحمد بن محمد بن يعقوب، الملقب مسكويه (ت: 321) فيلسوف ومؤرخ، وأديب، له مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، ومنها: ترتيب العادات، وأدب العرب والفرس، وتطهير الأعراق في علم الأخلاق، وغير ذلك. انظر ترجمته في الدر الثمين: 287، معجم الأدباء: 493/2، ومقدمة محقق كتاب« تجارب الأمم»: 19.

(5) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (392- 463هـ)، كان إمام عصره، صاحب علم واسع، وكثير الرواية، نشأ في بغداد، ثمَّ ارتحل إلى بلاد كثيرة لطلب العلم، وتاريخه الذي ذكره المؤلف، هو تاريخ بغداد الشهير، وقد صنف أيضاً كتابين شهيرين في علم المصطلح، هما: قوانين الرواية والكفاية، والمتفق والمفترق، وكتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .انظر ترجمته في الأنساب للسمعاني: 166/4، والمنتظم: 129/16، وتذكرة الحفاظ: 1135/3.

91- وكتاب الأنيس والجليس(134).

92- وتاريخ دمشق لابن عساكر(135).

93- والأعلاق النفيسة(136).

94- وسلوان المطاع(137).

95- وتاريخ الهمذاني(138).

---

(1) كثيرة هي المصنفات التي تحمل هذا الاسم، أو قريبة منه، ونرجّح أنّ ما قصده المؤلف، هو: «أنيس الجليس في أخبار تنيس» من تصنيف شمس محمد بن أحمد التنيسي المعروف، بابن بسام المحتسب، والكتاب مطبوع بتحقيق: جمال الدين الشيّال 1998م.

(2) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (499-571هـ)، الإمام الحافظ، ومحدث الشام، والكتاب الذي ذكره المؤلف» تاريخ دمشق، أو تاريخ ابن عساكر» يُعدّ أشهر مصنفاته، ولابن عساكر مصنفات أخرى، منها: الإشراف على معرفة الأطراف، ومعجم النسوان، ومعجم الصحابة، الأربعون البلدانية، كشف المغطّى في فضل الموطا، وغير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 555/20، وفيات الأعيان: 309/3، ومفتاح السعادة: 244/1، ومرآة الزمان: 239/21.

(3) يقع هذا الكتاب في سبعة أجزاء، لم يصلنا منها سوى الجزء السابع، وقد طُبع، وهذا الكتاب من تصنيف: أبو علي أحمد بن عمر ابن رُسْتة(ت: 300هـ) عالم جغرافي، من أهل أصفهان، رحل إلى بلاد العرب، وحجّ، وقد صنف كتابه» الأعلاق النفسية» في وصف البلدان التي زارها، وقد اهتم بجوانب المناخ والطقس. انظر ترجمته في معجم البلدان: 565/3، معجم المطبوعات: 107

(4) الكتاب مطبوع، وعنوانه: «سلوان المطاع في عُدوان الاتّباع»، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن ظَفَر المكي (497-565هـ) أحد الأدباء الفضلاء، ولد بصقلية، ومات بحماة، له مصنفات أخرى، منها: أوهام الخواص في إيهام الخواص، وكشف الكشف، ونجباء الأدباء، وغير ذلك، انظر ترجمته في معجم الأدباء: 2544/6، والدر الثمين: 226، والوافي بالوفيات: 141/1 .

(5) رواية (ب): [الهمداني]، ونُرجحّ رواية (ت): [الهمذاني]، وتواريخ همدان كثيرة، منها تاريخ الوزير ابن شجاع (ت: 905هـ)، وطبقات همدان للأنماطي، وتاريخ الكوملاذي(ت: 384هـ)، و ابن الحائك الهمداني (ت: 334هـ)، صاحب كتاب الإكليل في تاريخ اليمن. ولعل المؤلف قصد، أبو الحسن، محمد بن عبد الملك الهمذاني (463- 521هـ) عالم فاضل، حسن المعرفة بالتواريخ وأحوال الدّول، وقد صنّف عدّة مصنفات في التاريخ، منها: مجموع التواريخ، وذيل تاريخ ابن جرير، والسِّير في محاسن البدو والحضر، والتذييل على تاريخ ابن شجاع، وغير ذلك. انظر ترجمته في الدر الثمين: 152، والوافي بالوفيات: 37/4.

96- ولقاح الخواطر وجلاء البصائر لأبي القاسم عبدالله بن يحيى بن جعفر[1].

97- وكتاب الأوراق للصولي[2].

98- والتذكرة لابن حمدون[3].

99- وكتاب العقد لابن عبد ربّه[4].

100- ومروج الذهب للمسعودي[5].

---

(1) هو: عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن جعفر، والكتاب الذي ذكره المؤلف، توجد منه مخطوطة في كامبردج.

(2) الكتاب مطبوع، بعنانية: ج. هيورث دن، وهو في أخبار آل عباس وأشعارهم، من تصنيف: أبو بكر، محمد بن يحيى الصولي، وقد يُعرف بالشطرنجي (ت: 335هـ)، أحد أكابر علماء الأدب المشاهير، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، وله مصنفات أخرى، منها: أدب الكُتّاب، وأخبار القرامطة، وأخبار ابن هرمة، وأخبار الحلاج.، ووقعة الجمل، والوزراء، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 356/4، نزهة الألباء: 204، معجم الشعراء: 943 .

(3) كتاب: التذكرة، كتاب مشهور مطبوع في عشرة أجزاء، من تصنيف: أبو المعالي، محمد بن أبي سعد الحسن بن حمدون (495- 562هـ)، الملقب: كافي الكفاة، كان فاضلاً، ذا معرفة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرئاسة والفضل، وكتابه« التذكرة» من أحسن الجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 380/4، والوافي بالوفيات: 357/2، والمنتظم: 220/10، ومقدمة محقق كتاب التذكرة الحمدونية: 5.

(4) كتاب: العقيد الفريد، كتاب مشهور، مطبوع في تسعة أجزاء، من تصنيف: أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (246- 328هـ) من أهل قرطبة، كان إماماً في الأدب، وشاعراً مذكوراً، له قصائد ومقطعات جمعها فيما أسماه« المحصّات» كان له في عصره شهرة ذائعة، ومن أشهر كتبه: «العقد» وأضاف النُساخ المتأخرون لفظ« الفريد». انظر ترجمته في: بغية الملتمس: 190، وجذوة المقتبس: 151، وفيات الأعيان: 110/1 .

(5) كتاب: مروج الذهب ومعادن الجوهر، كتاب مشهور في التاريخ والجغرافيا، طُبع عدة طبعات، من تصنيف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ) مؤرخ، ورحالة؛ من أهل بغداد، رحل إلى مصر، وأقام بها إلى وفاته، له من التصانيف سوى ما ذكره المؤلف: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، أخبار الخوارج، والاستذكار بما مرَّ في سالف الأعصار، وغير ذلك. انظر ترجمته في فوات الوفيات: 45/2، ولسان الميزان: 531/5 .

101- والأغاني للأصفهاني[1].

102- ونشوار المحاضرة للقاضي التنّوخي[2].

103- والمحاضرات للراغب[3].

104- وكتاب الفرج بعد الشدّة[4].

105- وكتاب نثر الدرر[5].

(1) كتاب: الأغاني، كتاب مشهور، طُبع عدة طبعات، من تصنيف: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي، الشهير بالأصفهاني(284- 356هـ) أمه شيعية من آل ثوابة، والأصفهاني من أعلام المعرفة بالتاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، من أشهر مصنفاته ما ذكره المؤلف، وله كذلك: مقاتل الطالبيين، والقيان، والإماء الشواعر، وأيام العرب.انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 307/3، وتاريخ بغداد: 337/13، ولسان الميزان: 526/5..

(2) اسم الكتاب: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، وقد يقال له: جامع التواريخ، كتاب مشهور مطبوع في 8 أجزاء، من تصنيف: أبو علي، المحسن بن علي بن محمد بن داوود بن إبراهيم التنوخي الأنطاكي الشهير بالقاضي التنوخي (327- 384هـ) أديب وشاعر ومؤرخ، أخذ عن كبار علماء عصره، كأبي بكر الصولي، وأبي الفرج الأصفهاني، وأصبح قاضياً في الكوفة، وظل يعمل قاضياً مدة طويلة في عدة بلدان، له من المصنفات سوى ما ذكره المؤلف: الفرج بعد الشدّة، والمستجاد من فعلات الأجواد، وعنوان الحكمة. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 159/4، والجواهر المضيئة: 422/3.

(3) اسم الكتاب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، كتاب مشهور، طُبع عدة طبعات، من تصنيف: أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل، المشهور بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) أديب من الحكماء، له عدة مصنفات سوى ما ذكره المؤلف منها: الذريعة إلى مكام الشريعة، وجامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن، وأفانين البلاغة، وغير ذلك. انظر ترجمته في روضات الجنات: 197/3، وسفينة البحار: 528/1.

(4) للقاضي التنوخي، وقد تقدمت ترجمته.

(5) هناك كتاب بعنوان: من نثر الدرّ، مطبوع في أربعة أجزاء، وهو من كتب الاختيارات، ويُعدُّ مصدراً مهما من مصادر الأدب العربي وتاريخه، إلا أنّه لم ينل حظه من الشيوع كغيره من كتب الاختيارات، وهو من تصنيف: أبو سعد، الوزير منصور بن الحسين الآبي (ت: 421هـ)، ولد في قرية» آبة» من قرى أصبهان، وإليها نسب، كان صديقاً للصاحب بن عباد، كان أديباً موسوعياً، وله شعر جيد، وقد كان الآبي وزيراً للسلطان مجد الدّولة في إقيم الري، له مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، منها: الأنس والعرس، وتاريخ الري، ونزهة الأديب، عنده بعض التشيّع، إلا أنّه كان معتدلاً في مذهبه، وقد أهملت ذكره أغلب كتب الشيعة. انظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة: 195/2، والوافي بالوفيات: 343/26، ومقدمة محقق نثر الدّر: 5، وقد يكون هذا الكتاب هو ما ذكره المؤلف، فقد نقل عنه بعض الحيل.

106- وجراب الدّولة[1].

107- وكتاب رزق الكُتّاب[2].

108- وكتاب الأوائل للعسكري[3].

109- وكتاب مقاتل الفرسان[4].

---

(1) جراب الدّولة لقب يطلق على شخص وكتاب، أما الشخص، وهو ما قصده المؤلف فهو: أبو العباس، أحمد بن محمد علوجة أوعلّوية السّجزي البغدادي الملقب جراب الدّولة، كان في أيام المقتدر، وأدرك دولة بني بويه؛ فلذلك سمى نفسه بجراب الدّولة؛ لأنهم كانوا يفتخرون(بالتسمية بالدّولة)، مات في أواخر القرن الثالث الهجري، ويلقب بالريح، من الظرفاء، وكان يضرب على الطنبور، له كتاب اسمه: «ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح»، موضوعه في النوادر والمضحكات. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 170، وإيضاح المكنون: 283/1، ومعجم الأدباء: 459/1، والوافي بالوفيات: 7/8. أما الكتاب: فهو من تصنيف: القاضي ابن عمار، موضوعه تنظيم موارد الدّولة الاقتصادية، وكذلك هو ديوان من دواوين الدّولة العباسية في زمن المأمون، يقول ابن خلدون: «وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقله من جراب الدولة: غلات السواد، كسكر، والعسل، دور دجلة.. حلوان.. الأهواز.. فارس». مقدمة ابن خلدون: 124.

(2) لم نعثر على صاحب هذا الكتاب فيما بين أيدينا من مصادر.

(3) الكتاب طُبع عدة طبعات، وهو من تصنيف: أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت، بعد: 395هـ) نسبته إلى عسكر مُكرم من أكوار الأهواز، عالم باللغة والأدب، له عدة مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، منها: التلخيص، وجمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين: النظم والنثر، وشرح الحماسة، والفرق بين المعاني، والمحاسن في تفسير القرآن، وغير ذلك. انظر ترجمته في معجم الأدباء: 918/2، والوافي بالوفيات: 78/12، وبغية الوعاة: 506/1.

(4) يطلق هذا الاسم على ثلاثة كتب، أولها: للخطيب التبريزي، وستأتي ترجمته، وثانيها: لأبي الفضل، أحمد بن طاهر، الشهير بابن طيفور (ت: 280هـ)، انظر ترجمته في الدر الثمين: 261، وثالثها: كتاب مطبوع، ونظنه هو الذي قصده المؤلف، من تصنيف: أبو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، الشهير بابن حبيب (ت: 245هـ) عالم بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، له مصنفات سوى ما ذكره المؤلف منها: من نسب إلى أمه من الشعراء، وخَلق الإنسان، وأخبار الشعراء وطبقاتهم، والمغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، وغير ذلك. انظر ترجمته في فهرست ابن النديم: 106، معجم الأدباء: 473/6، تاريخ بغداد: 277/2.

110- ومن شرح الحماسة للخطيب أبي زكريا[1].
111- ومصارع العشاق[2].
112- واعتلال القلوب[3].
113- وأخبار مكّة[4].

(1) المقصود شرح ديوان حماسة أبي تمام، وقد شُرحت الحماسة شروحاً كثيرة، منها: شرح الصولي، وابن جني، والمرزوقي، وهذا الشرح الذي ذكره المؤلف، لأبي زكريا، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، المعروف بالخطيب التِّبريزي (421- 502هـ)، من أئمة اللغة والأدب، أصله من تبريز، نشأ في بغداد، ورحل إلى الشام ومصر، وأصبح قيّم خزانة الكتب في المدرسة النظامية، له مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، منها: تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، وشرح سقط الزند للمعري، وشرح اختيارات المفضل الضبي، وغير ذلك. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 233/2، ومفتاح السعادة: 175/1، ومعجم الأدباء: 2823/6.

(2) الكتاب مطبوع، وهو من تصنيف: أبو محمد جعفر بن أحمد السَّراج، الشهير بالقارئُ البغدادي (417- 500هـ) أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة، ومن الحُفاظ، له مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، منها: مناقب السودان، حكم الصبيان، انظر ترجمته في: المنتظم: 102/17، والنجوم الزاهرة: 195/5، والدر الثمين: 315.

(3) الكتاب مطبوع، وهو من تصنيف: أبو بكر، محمد بن جعفر، المعروف بالخرائطيّ (240- 327هـ) من أهل السامرة بفلسطين، فاضل من حفاظ الحديث، قال عن الذهبي: «الإمام الحافظ الصدوق»، وأثنى عليه الخطيب البغدادي» حسن الأخبار مليح التصانيف، له عدة مصنفات سوى ما ذكره المؤلف، منها: أخبار العشاق، ومكارم الأخلاق، وقمع الحرص بالقناعة، وهواتف الجنان وعجيب ما يُحكى عن الكُهان. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 39/2، وسير أعلام النبلاء: 267/15، والدر الثمين: 195، ومقدمة محقق كتاب اعتلال القلوب: 7/1.

(4) هناك مصنفات عديدة في أخبار مكة، من أشهرها ثلاثة: الأول: أخبار مكة، من تصنيف: أبو عبد الله، محمد الواقدي، وقد تقدمت ترجمته، والثاني: أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، وهو مطبوع، من تصنيف: ابو الوليد، محمد بن عبد الله، المعروف بالأزرقي الغساني (ت: 250هـ)، والثالث: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، من تصنيف: أبو عبد الله، محمد بن إسحاق الفاكهي الكناني، معاصر للأزرقي متأخر عنه في الوفاة (ت: 280هـ)، ولعل ما قصده المؤلف كتاب الواقدي، فهو كثير النقل عنه.

114- وفُلك المعاني لابن الهبّارية[1].

115- وعيون الأخبار لابن قتيبة[2].

116- وكتاب الأذكياء لابن الجوزي[3].

117- وكتاب النساء لابن حاجب النعمان[4].

118- وكتاب جوامع اللذّة[5].

---

(1) رواية (ب، ت): [فملك المعاني]، والصواب ما أثبتناه، وفي لسان الميزان: «فُلك المعاني واللغائط»، وهو من تصنيف: أبو يعلى نظام الدين، محمد بن محمد الهاشمي العباسي، المعروف بابن الهَبّارية،(ت: 504)، وهذه النسبة إلى جده لأمه، شاعر جيد، ولكنه هجّاء، له مصنفات أخرى سوى ما ذكره المؤلف، منها: منظومة الصادح والباغم، وتاريخ الفطنة في نظم كليلة ودمنة، ونظم رسالة حي بن يقظان، وديوان شعره. انظر ترجمته في الأنساب: 382/13، وفيات الأعيان: 453/4، ولسان الميزان: 485/7.

(2) تقدمت ترجمة ابن قتيبة، وكتابه هذا طُبع عدة طبعات، ومشهور بين أيدي النّاس.

(3) الكتاب طُبع عدة طبعات، من تصنيف: المؤرخ أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الحنبلي، المعروف بابن الجوزي (510-597هـ) ولد ببغداد، وأسهم في علوم متنوعة، فهو: حافظ، ومفسر، وفقيه، وأديب، ومؤرخ، له مصنفات كثيرة منها سوى ما ذكره المؤلف، منها: المنتظم في تاريخ الأمم، تبليس إبليس، وأخبار الحمقى والمغفلين، وتقويم اللسان، وتحفة الواعظ ونزهة الملاحظ، والمغنى في علوم القرآن، وتذكرة الأريب في اللغة وغير ذلك. انظر ترجمته في مرآة الزمان: 370/3، وتذكرة الحفاظ: 1342/4.

(4) تقدمت ترجمة ابن حاجب النعمان الأب، والابن، والكتاب الذي ذكره المؤلف، هو من تصنيف الأب: عبد العزيز بن إبراهيم، وقد ذكره ابن النديم بهذا الاسم: «أخبار النساء، ويُعرف بكتاب ابن الدكاني». انظر فهرست ابن النديم: 149.

(5) يوجد كتاب مطبوع بهذا الاسم، منسوب إلى: نجم الدين الكاتبي، علي بن عمر القزويني، المعروف بَدبيرا (600- 675هـ)، فيلسوف منطقي عاصر نصير الدين الطوسي، وجلّ مؤلفاته التي ذُكرت في مصادر ترجمته في المنطق والفلسفة، من أمثال: الشمسيّة، في قواعد المنطق، وحكمة العين، وشرح المحصّل لفخر الدين الرازي، وجامع الدقائق في كشف الحقائق، انظر ترجمته في فوات الوفيات: 134/2، والوافي بالوفيات: 366/21، ومقدمة محقق كتاب: الشمسيّة في القواعد المنطقية»: 32، ونشك في أن يكون هذا الكتاب من تصنيفه، فقد يكون لمؤلف آخر مجهول، كما يوجد كتاب آخر بعنوان: جامع اللذات، من تصنيف: أبو نصر، نصر بن منصور ابن علي الكاتب الشهير السماني، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: 572/1، وفي كتاب: رجوع الشيخ إلى صباه، جاء ذكره باسم: جامع اللذة: 2.

119- وكتاب البصائر لأبي حيّان التوحيدي- رحمه الله-[1].
120- وكتاب المنعمين للصولي[2].
121- وتاريخ ابن الجوزي[3].
122- وكتاب البرق الشامي[4].
123- والفتح القُسّي في الفتح القدسي للعماد الكاتب[5].
124- وتاريخ ابن أعثم[6].

(1) عنوان الكتاب: البصائر والذخائر، من تصنيف: أبو حيان، علي بن محمد العباس، المعروف بالتوحيدي (ت: 400هـ)، وله مصنفات أخرى، منها: المقابسات، الإمتاع والمؤانسة، الصداقة والصديق، الإشارات الإلهية، وغير ذلك، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 356/1، بغية الوعاة: 190/2، معجم الأدباء: 380/5 .

(2) تقدمت ترجمته، ولم يذكر أحدٌ ممن ترجم له هذا الكتاب ضمن مصنفاته .

(3) تقدمت ترجمة ابن الجوزي، والكتاب الذي ذكره المؤلف، هو: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبوع في تسعة عشر جزءاً.

(4) الكتاب مطبوع، في سبعة مجلدات، وهو في أخبار صلاح الدين وفتوحه، من تصنيف: أبو عبد الله: محمد بن محمد صفي الدين، المعروف بعماد الدين الكاتب الأصبهاني (519- 597هـ)، مؤرخ، وعالم بالأدب من الكتاب المشهورين، ولد في أصبهان، اتصل بالوزير ابن هبيرة في بغداد، ثمّ من بعده أصبح وزير الإنشاء عند نور الدين في مصر، وصلاح الدين في دمشق.صاحب تصانيف كثيرة، سوى ما ذكره المؤلف، منها: خريدة القصر وجريدة العصر، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، زبدة النصرة ونخبة العصرة، والفتح القسّي في الفتح القدسي، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 147/5، ومرآة الزمان: 372/3، والوافي بالوفيات: 132/1 .

(5) رواية (ب): [الفيح القسّي]، ورواية(ت): [القدح القسّي]، والصواب ما أثبتناه، وقصة هذا الكتاب: أن العماد أسماه«: الفتح القدسي»، ثمّ عرضه على القاضي الفاضل، وكان معاصراً له، ووزيراً لصلاح الدين، فلمّا نظر فيه وجده قد سلك فيه أسلوب السجع، فاقترح على العماد تسميته« الفتح القُسّي في الفتح القدسي»، فالقُسّي نسبة إلى قس بن ساعدة الإيادي المشهور بالسجع، والقدسي؛ لأن الكتاب يؤرخ لفتوحات صلاح الدين في بيت المقدس. انظر: الوافي بالوفيات: 132/1، ومقدمة محقق الكتاب: 5.

(6) رواية (ب) و(ت): [أعتم] ، والصواب ما أثبتناه، وابن أعْثم هو: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي الأخباري المؤرخ، تُوفي نحو (314هـ) له كتاب الفتوح أرّخ فيه إلى أيام الرشيد، وله كتاب التاريخ الذي ذكره المؤلف، وأرّخ فيه إلى آخر أيام المقتدر، ويحتمل أن يكون ذيلا لكتابه الفتوح، وهو عند صاحب الحديث ضعيف. انظر ترجمته في معجم الأدباء: 202/1، والوافي بالوفيات: 160/6 .

125- وتلبيس إبليس لابن الجوزي[1].
126- وتاريخ العجم لابن القِرِّيَّة[2].
127- وسقط الجوهر [لابن الكتبي][3]، ومن كُتب كثيرة يطول ذكرها.
وهذه جملة الأبواب:
- الباب الأول: في ذكر العقل وفضله.
- الباب الثاني: في الحثّ على الحيل واستعمالها.
- الباب الثالث: في حِكَم الله ولطفه وحسن تدبيره بعباده.
- الباب الرابع: في حيل الملائكة والجن.
- الباب الخامس: في حيل الأنبياء.
- الباب السادس: في حيل الخلفاء والملوك والسلاطين.
- الباب السابع: في حيل الوزراء والعمال والمتصرفين.
- الباب الثامن: في حيل القضاة والعدول والوكلاء.
- الباب التاسع: في حيل الفقهاء.
- الباب العاشر: في حيل العباد والمتعبدين.
- الباب الحادي عشر: في حيل القواد والأمراء وأصحاب الشرط.
- الباب الثاني عشر: في حيل الأطباء.

---

(1) تقدمت ترجمة ابن الجوزي، وكتابه: تبليس إبليس مطبوع.

(2) رواية (ت): [ابن القربة]، والصواب ما أثبتناه من (ب)، وهو: أبو سليمان، أيوب بن يزيد بن قيس، المعروف بابن القِرِّيَّة الهلالي (ت: 84هـ)، أحد البلغاء الفصحاء، يضرب به المثل في الخطابة: «أبلغ من ابن القرية»، والقِرِّيَّة أمه وقيل جدته، له قصه مع الحجاج بن يوسف، أكرمه، ثم لما لحق بابن الأشعث، قتله الحجاج. كان أعرابياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وما ذكره المؤلف، قد يكون بعض الأخبار التي رويت عنه، ثمّ جُمعت وأطلق عليها هذا الاسم. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 250/1، وتاريخ دمشق: 140/10، وسير أعلام النبلاء: 197/4 .

(3) نظن أنّ صواب الاسم: ابن الحكيمي، وهذا الكتاب نسبه ابن النديم في الفهرست: 154 إلى محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش الحَكيمي الكاتب (252-336هـ)، وترجمته في تاريخ بغداد: 85/2، ومعجم الأدباء: 230/5، وله أخبار في نشوار المحاضرة: 117/6.

- الباب الثالث عشر: في حيل الشعراء.
- الباب الرابع عشر: في حيل التجار والسوقة.
- الباب الخامس عشر: في حيل بني ساسان وهم الطرقية.
- الباب السادس عشر: في حيل اللصوص والعيارين.
- الباب السابع عشر: في حيل النساء والصبيان.
- الباب الثامن عشر: في حيل الحيوان.
- الباب التاسع عشر: فيمن احتال وانعكست عليه حيلته.
- الباب العشرون: في نوادر الأبواب.

الباب الأول
في فضل العقل وما قيل فيه

اعلم أنَّ مواهبَ الله تعالى التي فضَّل بها الإنسان على باقي الحيوان، نور الحظ من العقل الذي به يُعرف الربُّ ويُحمد ويُشكر، وبه يُفرّق بين الحقّ والباطل، والحسن والقُبح، والعدل والجور، وبه تُوضع الأشياء في مواضعها، [من صواب الرأي والتدبير][1]، وتُكتسب الأشياء المحمودة، وتُجتنب الرذائل المذمومة، فيفيد به الإنسان حسن الأحدوثة في الدنيا، ويبلغ به مبلغ الأبرار في الآخرة.

قال فيتاغورس: العقل الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً. وقال بعضهم: من لم ينفعه عقله ضرَّه جهله. وقال مسلم بن عقيل[2]: رأس العقل مداراة الناس. وقال بعضهم: من سعادة الرجل سلامة عقله. وقال أفلاطون: العقل النظر في العواقب. وقال بعض الحكماء: [العقل][3] والحياء أخوان لا يفترقان، ومتى عُدم أحدهما لا يوجد الآخر. وقال سُقراط: لو صُوِّر العقل لأضاء معه الليل، ولو صوّر الجهل لأظلم معه النهار. وقال [سوماحاش][4]: كل شيء إذا أكثر رخص إلاّ العقل إذا أكثر غلا. وقال أردشير[5]: من أُعطيَ العقل فأيُّ

---

(1) سقط من: (ت)، وما أثبتناه من (ب).

(2) هو أبو داود، عقيل بن مسلم بن أبي طالب الهاشمي، أدرك بعض الصحابة، وهو ابن عم الحسين بن علي، أرسله لأخذ البيعة له من أهل الكوفة، ومات هناك، يُطلق عليه الشيعية «سفير الحسين»، ويقيمون له مأتماً في الخامس من محرم. انظر ترجمته في الثقات: 391/5، وقصته في بحار الأنوار: 354/44.

(3) سقطت من: (ت).

(4) حكيم هندي، ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(5) أردشير بن بابك، أحد ملوك الدولة الساسانية .انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي: 62.

شيء حُرم ومن حُرِم العقل فأيّ شيء أُعطي. وقال هرمس[1]: الرجل بعقله لا بحاله، وببلاغته لا بصورته. وقال بعضهم: صديق كل أمرئ عقله وعدوّه جهله. وقال بعض الحكماء: إن للعقل مفاصل كمفاصل الجسد، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذُنه التّفهم، ولِسانه الصدق، وقلبُه صحة النيّة، ويدُه الرحمة، وقدمه السلامة، وسلطانه العدل، ومركبه وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرضى، وفَرسُه المصالحة، وسهمه التحية، ورمحُه التوقّي، ومِجنّتُه المداراة، ودرعه مشاهدة الحكماء، وماله الأدب، وحربه المكايدة، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ودليله الإسلام.

وقيل: من أخلاق العاقل عشرة: الحلم والعلم، والرشد والعَفاف، والصيانة والرزانة، ولزوم الخير والمداومة عليه، وبغض الشر وأهله، وطاعة الناصح وقبول قوله. فالحلم يتشعب منه حسن العاقبة، والمحمدة في الناس، وشرف المنزلة والسلامة من السفيه، وركوب جميل الفعل، وصحبة الأبرار، والارتفاع عن الرذالة والخساسة، والسمو إلى البرّ [وما يُقرِّب][2] من الدرجات.

والعلم يتشعب منه الشرف، وإن كان دنياً، والعز وإن كان مَهيناً، والغنى وإن كان فقيراً، والقوة وإن كان ضعيفاً، والنُّبل وإن كان حقيراً، والاقتصاد والتواضع والكرم والصِّدق، والعَفافُ يتشعب منه الكفاية والاستكانة، والصبر والمصادقة، والتصبر واليقين، والسداد والرضى، والرحمة والهدى، والصِّيَانَةُ يتشعب منها الصدق، والورع، وحسن الثناء، والتزكية، والمودة والتكرُّم، والفضيلة والرشد، والمتانة، والتفكُر، والحَياءُ يتشعب منه اللين، والرقة، والرجاء، والمخافة، والسماحة، والصحة، والسياسة، والطاعة، وذلّ النفس.

والرَزانةُ يتشعب منها الراحة، والسكون، والتّأنّي، والحظوة والنجاة، والفتح، والتكرّم، والهيبة، وجودة الرأي، وكراهية الشر، وحسن الأمانة.

---

(1) هو هرمس الثاني، أو هرمس البابلي، يُعرف بمثلث الحكمة؛ لأنه ثالث الهرامسة الحكماء، عاش في مصر القديمة بعد الطوفان، وقيل إنّ العلوم التي ظهرت بعد الطوفان تنسب إلى هرمس، الأول الذي يزعم العبرانيون أنه أخنوخ النبي، وهو إدريس. انظر: أخبار الحكماء: 259.

(2) في: (ت): [ما يقترب].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال لما خلق الله تبارك وتعالى العقل استنطقه، ثمَّ قال له: أقبل، فأقبل، ثمَّ قال له أدبر فأدبر، قال وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أحبُّ إليّ منك، ولا أكملتك إلاّ فيمن أُحبّ، أمّا أني إيّاك آمرُ، وإيّاك أنهى وإيّاك أعاقب، وإيّاك أثيب، ولما خلق الجهل قال له: أقبل، فأدبر، وقال له أدبر فأقبل. فقال الله عزّ وجلّ، وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أبغض إليّ منك ولأسكنتك في أبغض الخلق إليّ[1].

وقال أردشير: إذا أراد الله عز وجل «إزالة نعمة عن عبد فأول ما يزيل عنه عقله». وروي عن علي بن أبي طالب- عليه الصلاة والسلام-[2] أنه قال: هبط

(1) هذا الحديث، فيه زيادات واختلافات في ألفاظه، وهو من الأحاديث المنكرة المكذوبة التي لا تصح عند أهل الحديث المعتبرين.

انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: 336/18.

(2) استعمالُ لفظ «ﷺ» لغير الأنبياء، فيه خلاف بين أهل العلم، ملحق بخلافهم في الصلاة عليه انفراداً، والراجح جوازه إذا فُعل أحياناً، ولم يُتخذ شعاراً يُخص به صحابيّ عمّن هو أفضل منه. وقد بسط ابن قيمّ الجوزيّة الكلام في هذه المسألة في كتابه: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام - ﷺ -: 547- 574، ونسب القول بالكراهة إلى ابن عباس، وطاووس، وعمر بن عبد العزيز، وأبي حنيفة، ومالك، وسفيان بن عيينة،وسفيان الثوري، وأصحاب الشافعي. ونسب القول بالجواز - نقلا عن القاضي أبي يعلى - إلى: الحسن البصري، وخُصَيْف، ومجاهد، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيّان، وكثير من أهل التفسير. قال: وهو قول الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور ومحمد بن جرير الطبري. وساق للمانعين عشرة أدلة، وللمجيزين أربعة عشر دليلا، وانتهى إلى قوله: «وفصل الخطاب في هذه المسألة أنَّ الصلاة على غير النبي إما أن يكون آله وأزواجه وذريته أو غيرهم، فإن كان الأول، فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي- ﷺ - وجائزة مفردة. وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموما الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم جاز ذلك أيضا، فيقال: اللهم صل على ملائكتك المقربين وأهل طاعتك أجمعين. وإن كان شخصاً معيناً أو طائفة معينة كُره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه، ولا سيما إذا جعلها شعاراً له، ومنع منها نظيره أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي - رضي الله عنه - فإنهم حيث ذكروه قالوا عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع، لا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به، فتركه حينئذ متعين. وأما إن صلى عليه أحياناً، بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما صلي على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر: للميت - رضي الله عنه - وكما صلى النبي - ﷺ - على المرأة وزوجها، وكما رُوي عن علي من صلاته على عمر، فهذا لا بأس به، وبهذا التفصيل تتفق الأدلة وينكشف وجه الصواب، والله الموفق».

جبرائيل -عليه السلام-، على آدم -عليه السلام-، وقال له: «يا آدم إني أُمرتُ أن أُخيِّرك واحدة من ثلاث، فاخترها ودع اثنتين»، فقال له آدم: «يا جبرائيل وما الثلاث؟» قال: العقل والحياء والدين. قال آدم: «إنني قد اخترتُ العقل». فقال جبرائيل للحياء والدين: «انصَرِفا ودَعَاه». فقالا: «يا جبرائيل إنّا أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان». قال: «شأنكما» وعَرَج[1].

وقال الرضى[2] عليه- [الصلاة][3] والسلام-: من كان عاقلاً كان له دين، ومَن كان له دِيْن دخل الجنة. وعن أبي جعفر -عليه السلام-[4]: إنما يُداق[5] الله عز وجل عباده يوم القيامة في الحساب على ما أتاهم من العقل في الدنيا. وعن النبي ﷺ أنَّه قال: إذا بلغكم عن أحدٍ حُسن حاله، فانظروا إلى حسن عقله، فإنما يُجازى بعقله[6].

وقيل: العقل أحسن حِلْية، والعلم أفضل قِنية. ودَوْلة الجاهل عبرة للعاقل. أية العقل سرعة الفهم. ثمرة العقل حسن الاختيار، خير المواهب العقل، وشر المصائب الجَهل. مَن كان ذا عقل حصل خاتم الملك بيده. العقل أقوى أساسٍ

---

(1) هذا من مرويات الشيعة في العقل، منتشرة في كتبهم، وينسبونها إلى علي بن أبي طالب، وبعض أئمتهم. انظر مثلا الكافي للكليني: 11/1، 10 .

(2) أبو الحسن علي بن موسى الرضى، ولد بالمدينة المنورة في (148 هـ وتُوفِّي بطوس في 203 هـ)، هو ثامن الأئمة الاثني عشر عند الشيعة، ولقبه عندهم «غريب الغرباء»، دفن في بلاد فارس بعيدًا عن أرض أبائه العرب. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 388/9، وتاريخ الرسل والملوك: 568/8.

(3) سقطت من (ب).

(4) في (ب): [ﷺ]، وأبو جعفر، هو: محمد بن زين العابدين علي بن الحسين، (57- 113هـ)، الإمام الخامس عند الشيعية الإثني عشرية عند الشيعة. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 174/4، والكافي: 469/1.

(5) المداقة: المناقشة في الحساب.

(6) حديث موضوعٌ لا يصح، فلم يرد في الحديث النبوي لفظ العقل بصيغة المصدر، وقد نصَّ ابن تيمية على أنَّ حديث: «أول ما خلق الله العقل» حديث موضوع، وحديث أبي سعيد الخدري، إنما جاء فيه: «ما رأيت من ناقصات عقل ودينٍ للبِّ الرَّجل الحازم من إحداكن...» انظر: أحاديث القصاص لابن تيمية: 57/1.

والتقوى أفضل لباس. لا سائس مثلُ العقل. ولا حارس مثلُ العدل. العاقل يعتمد على عمله، والجاهل يعتمد على أمله. نظر العاقل بقلبه وخاطره، ونظر الجاهل بعينه وناظره. العقل ثوب جديد لا يبلى. العاقل من أحسن صنائعهُ ووضع سعيه مواضعه. عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل.

وقال أفلاطون: لا تهب نفسك لغير عقلك، فتُسيء ملكتَها وتُضيع زمامَها، ويختلف فيها من سوء العادة ما يَرذلها. قال بعض الحكماء: وجدتُ الأمور التي خُص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعةَ، وهي تجمع كلّ شيء في العالم: وهي العقل، والحكمة، والعفة، والعدل. فالحلم والصبر والرفق والوفاء داخلة في باب العقل. والعقل والأدب والمروءة والعلم داخلة في باب الحكمة. والحياء والكرم والصيانة [والأنفُ][1] داخلة في باب العفّة. والصدق والمراقبة والإحسان وحسن الخلق داخلة في باب العدل.

وقال أفلاطون: الفضائل المكتسبة بالعقل أربع وعشرون فضيلة وهي: العلم والعدل، والمحبة والرحمة، والصدق والصّبر، والحياء والحلم والأدب، والتواضع والأمانة، والقناعة والعفو، والصبر، والصفح، والأنفة والوفاء، والشجاعة وطهارة الخلق، وكتمان السر، والكرم وحسن المروءة.

فالحمد لله الذي أهّلنا حتى رأينا هذه الخصائل مجتمعة في المولى الأمير الكبير سعد الدين جمال الإسلام.

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[2]

---

(1) في (ب): [الأنفة].

(2) البيت لأبي نواس، الحسن بن هانئ، من مقطوعة كتبها للرشيد يمدح الفضل بن الربيع، أولها: قولاً لهارونَ إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشدِ. انظر: ديوان أبي نواس، برواية الصولي: 262 .

الباب الثاني
في الحثّ على الحيلة واستعمالها[1]

اعلم أيّها السيد السعيد أنَّ الحِيلة لما كانتْ ثمرة العقل، ومستخرجة بقوانينه، وطُرُقُه في استخراج عويص العلوم، ومحاسن الفنون المختلفة الأصول والمنافع، وجب أن تكون للإنسان خاصة دون غيره من الحيوان. فإن قال قائل: إنّا نرى كثيراً من الحيوان يعمل من الحيل ما يفتح له منها فوائد جمّة مثل الحيّات، فإنها تخرج في الربيع من أجحرها، وقد غشى على بصرها، فتأتي الرازيانج[2] فتمرغ وجهها عليه فتنفتح أعينها.

وكالدب، فإنّه في الربيع أيضاً يأتي إلى أجحرة النمل، فيلقطها ثم يشرب عليها من الماء، فيقذف كل ما معه من الأخلاط، كما يشرب الإنسان الشُّرْبَة[3]، ومثل الطير الذي يأخذ في منقاره ماءً ويَزْرقه في دبره، فينطلق إذا أصاب تُخمة. وكالخفاش الذي يرى بأفراخه يرقاناً أصفر، فيمضي فيأتي بحشيشة، وقيل بحجر فيطرحه في عشه فيزول عنهم مرضهم. وكالكلب إذا برد [له][4] في الشتاء، فإنه يعدو أشواطاً كثيرة فيدفأ. وكالكركي إذا خاف على نفسه من النوم يقف على فرد رِجْلٍ خوفاً لا ينام. وكالعنكبوت فإنه يأتي إلى

(1) مفهوم الحيلة من المفاهيم الشائكة، صُنعت فيه مؤلفات عديدة، وتناولته كتب الفقه بتفصيلات دقيقة، منها ما هو محرّم في التشريع الإسلامي، وعند الأئمة الأربعة، وهذا النوع يناقض سدّ الذرائع مناقضة ظاهرة، ومنها ما هو مكروه وجائز، وسيأتي الحديث عنها عند تحليل الكتاب. انظر: أعلام الموقعين: 159/3.

(2) عشبة يقال لها أحياناً: الشَّنُوت أو الرازيانج أو الشمْر أو البسباس أو الشمرة، تستخدم لأغراض طبية.

(3) نوع من السوائل، تُشرب للتداوي، وتستعمل لبعض أمراض البطن، كالسنا مكي.

(4) زيادة في كلتا النسختين.

زوايا البيت، فينسج بها شبكةً فتأتي [الذبابة][1] فتسقط عليها، فتعلق فيأخذها فيأكلها. ومثل هذا كثير.

قلنا: فهذه ليست معدودة في الحيل لغزارة عقلها. وإنما ذلك إلهام من الله تعالى لصلاح أحوالها ولطف من الله بها. وإذا كانت الحيلة طريقاً[2] أو آلة استعملها العقل، فبغير شك أنه ينبغي للعاقل أن يعرف طرق الحيل، وكيف يستعملها، ويعلم من أين دَخلتْ عليه حيلةٌ من الحِيل، وكيف الخروج.

وقد علّم الله سبحانه وتعالى أيوب إبراراً ليمينه «وخُذْ بيدِكَ ضِغْثاً فاضْرِبْ به ولا تَحْنث»[3]. فيدُل على أن الحيلة مُباحةٌ. وقال النبي ﷺ الحرب خَدْعة[4]. وقيل: وإنْ لَمْ تَغلبْ فاخْلُبْ[5].

ومن وصية المُهَلَّب[6] لولده: عليكم في الحرب بالمكيدة، فإنها أبلغ من النّجدة. وقال عبدالملك بن صالح لرجل أنفذه في سرية: وكُن من احتيالك على عدّوك أشدّ حذراً من احتيال عدّوك عليك[7]. وقال بعضهم: كن بحيلتك أوثق

---

(1) في (ب): [فيأتي الذباب].

(2) في كلتا النسختين: [طريقٌ].

(3) سورة: ص، الآية: 44، وقد أورد ابن قيمّ الجوزيّة أدلة قويّة تُبطل صحة الاحتجاج بهذه الآية على جواز الحيلة. انظر: أعلام الموقعين: 209/3.

(4) تروى: خَدْعة، وخُدْعة، وخُدَعة، والأولى أفصح، وقيل: إنها لغة النبي ﷺ. انظر الحديث وتخريجات لفظ خدعة في: فتح الباري شرح صحيح البخاري: 183/2.

(5) يروى المثل: «فَاخْلِبْ» بالكسر، والصحيح الضم، يقال: خَلَبَ يَخْلُبُ خِلاَبة، وهي: الخديعة ويراد به الخُدْعَة في الحرب، كما قيل: نَفَاذُ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب، انظر مجمع الأمثال: 43/1.

(6) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي، وكنيته أبو سعيد ظالم بن سراق (ت: 82)، يُنسب إلى قبيلة أزد عمان، وهو من ولاة الأمويين على خراسان. انظر ترجمته في: الكامل في التاريخ: 96/4، وتاريخ الطبري: 387/3.

(7) هو أبو عبد الرحمن، عبد الملك بن صالح بن علي بن العباس بن عبد المطلب (ت: 196هـ)، ولي المدنية، ثم ولي الشام، كان فصيحاً بليغاً، وكان من دهاة بني هاشم، والوصية التي ذكرها المؤلف، نسبها النويري في كتاب نهاية الأرب لعبد الملك بن مروان، انظر: نهاية الأرب 143/6، وفي عيون الأخبار نسبها لعبد الملك بن صالح، ونصّ الوصية، هكذا: «وأوصى عبد الملك بن صالح أمير =

منك بشدتك، وبحذرك أفرج منك بنجدتك، فإن الحرب خدعة، والحرب حرب للمتهور وغيمة للمتحذر.[1] وقيل: المكر أبلغ من النجدة[2].

وفيما كتب بعض الملوك إلى يزيد بن أبي سفيان[3] يحذره، ويأمره بالتحرُّز لغاية يقول: إذا علمتَ مِنْ عدّوك عورةً، فلا تناظره، وأسمر في جيشكَ تعلَم الأخبار. وتولَّ حرس عسكركَ بنفسكَ، وأكثر مفاجأة الحرس في محارسهم بغير علم منهم بكَ، فإن رأيت خللاً فعاقب، ولا تظلم واعقب بينهم بالليل. ولتكن العقبة الأولى أطول من الثانية، ولا تطوّل في العقوبة [فيُنكرا][4] صاحبها. ولا تكشف النَّاس عن أسرارهم، وأصدق في اللقاء ولا تجبُن[5].

وكتب أيضاً إلى خالد بن الوليد يقول: يا خالد اجْعل قوتكَ ونشاطك على أهل الخُبْر، فإنما سمّي الجهاد لشدة جهده، وأدْلى العيون وقدّم النَذر، فإذا قرُبتَ من عدوكَ فلا تَنزلُ به نهاراً فيراك عدوّك ويعرف مكانك، وأنزلوا بهم سحَراً عند نومهم، وأرغوا إبْلكم وحركوا سلاحكم. ولا تهيجوا أحداً نزلتهم به ليلاً أو نهاراً حتى تعلموا ما هم عليه. وتعذروا، فإنْ قاتلوكم فاتخذوا للأمور أقرانها. وقدّم

= سريّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر اللّه لعباده، فكن كالمضارب الكيِّس الذي إن وجد ربحًا تجر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوّك أشدّ حذرًا من احتيال عدوّك عليك». انظر: عيون الأخبار: 33/1، وترجمته في وفيات الأعيان: 30/6، وسير أعلام النبلاء: 9/ 221 .

(1) يُنسب هذا القول إلى علي بن أبي طالب في نهج البلاغة، كما ينسب إلى غيره.

(2) هذه الأقوال ينقلها المؤلف من الراغب الأصفهاني، وهي عنده بلا عزو، انظر: محاضرات الأدباء: 147/2 .

(3) هو: أبو خالد، يزيد بن أبي سفيان الأموي القرشي، صحابي جليل من فضلاء الصحابة استعمله النبي - ﷺ - على صدقات بني فراس من قبيلة كنانة وكانوا أخواله، وهو أحد القادة الذين أرسلهم الخليفة أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام، ويُقال له يزيد الخير، مات في طاعون عِمواس عام 18هـ. انظر ترجمته في أسد الغابة: 1260، وطبقات ابن سعد: 13/6 .

(4) في (ب): [فيكفرا].

(5) نسب ابن الأثير هذه الوصية إلى أبي بكر الصديق يوصي بها يزيداً، وبعض أمراء الجيوش، وفيها اختلافات وزيادات في الألفاظ، انظر: الكامل في التاريخ: 253/2، وسير أعلام النبلاء: 248/2.

راياتك حيث تأمن، وأخّرها من حيث تخاف. وليكن موقفك متأخراً عن الحملة فإني لا آمن الجولة.

وكتب معاوية[1] إلى مروان[2] لمّا ورد عليه قتل عثمان يقول: إذا قرأتَ كتابي هذا فكن كالفهد لا يَصطاد إلاّ غِيلةً، ولا يُباعِد إلاّ عن حِيلة، وكالثعلب لا يُغلب إلاّ روغاناً. واخفِ نفسك عنهم إخفاء الغراب سفاده، والقُنفُذ رأسه عند لمسِ الأكُفّ. وأمّنهم نفسك أمانَ مَن يئس القوم من نصره. وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة[3].

قيل لعنترة بن شداد: أنت أشجع الناس وأشدّهم. قال: لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا. قال: أُقدم إذا رأيتُ الإقدامِ عزماً، وأحجم إذا رأيتُ الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً إلاّ أرى فيه مخرجاً. واعتمد الضعيف الجبان، فأضر به الضربة الهائلة يطير لها قلبُ الشجاع، فأثني عليه فأقتله. وقيل: حازمٌ في الحرب خيرٌ من ألف فارس؛ لأن الفارس يقتل نفساً وعشرين وثلاثين، والحازم يقتل الجيش كله. وكانتْ عظماء الترك يقولون: ينبغي للقائد في [الحرب][4] أن يكون فيه من أخلاق البهائم ثمانية، شجاعةُ الديكِ، وجرأة الأسد، وحملةُ الخنزير، وحراسة الكُرْكي، وحذرُ الغرابِ، وغارة الذئب، وروغانُ الثعلبِ، وصَبرُ الجَمل.

---

(1) أبو عبد الرحمن، معاوية بن صخر بن حرب أبي سفيان، ولد قبل البعثة بخمس سنوات في مكة المكرمة، وتوفي في دمشق سنة 60هـ، وهو من كتّاب الوحي، ومؤسس الخلافة الأموية في الشام، أسلم قبل الفتح، انظر ترجمته في أسد الغابة: 281/7، وسير أعلام النبلاء: 153/3 .

(2) أبو عبد الملك، مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، رابع خلفاء الدولة الأموية (ت: 2 - 65هـ)، ولد بمكة المكرمة، كان من سادات قريش وفضلائها، رابع الخلفاء الأمويين، هناك من يجعله من صغار الصحابة، وهناك من يجعله من كبار التابعين، كان فقيهاً ثقة، من رواه الحديث، روى عنه البخاري وأصحاب السنن، كان كاتبا لعثمان بن عفان في خلافته، ووالياً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد: 35/5، وسير أعلام النبلاء: 476/3 .

(3) هذه الوصية أوردها الراغب في المحاضرات بزيادات واختلافات، ونصها كاملاً مع بعض الزيادات في جمهرة رسائل العرب: 1/ 301.

(4) سقطت من (ب).

وقال قبيصة بن مسعود[1] يوم ذي قار يحرّض بكر بن وائل: الجزع لا يُغني عن القدرَ، والصَّبر من أبواب الظَّفر، والمنيّة ولا الدنيّة واستقبالُ الموتِ خيرٌ من استِدباره، والظّفر في الثغر خيرٌ منه الدبر[2]، وهالكٌ معذورٌ، خيرٌ من ناجٍ فرور.
وفي وصية أرسطاليس للإسكندر يقول: أيّها الملك لا تلقَ حرباً بنفسكَ، مهماً قدرتَ وإنْ ضَعُف عدوكَ، واستعمل المكائدَ، فإنّ فتوحها أسْلم الفتوح وأهناها.
وكان الإسكندر يقول: إذا كنتَ في الحرب احتل للشمس والريح أن يكونا لك لا عليك. وقال ملك الترك: الملوك لابدّ أن تُدبّر[هم][3] الملك، وتصير لهم مزيّة في حِيل الرأي في الحوادثِ التي تطرُقهم ليست لغيرهم؛ لأن أفكارهم صافية من الاهتمام بما يهتم به غيرهم من المعاش، بوقوفه إمّا على مصالح المملكة، ومداراة الخوارج، أو على الشهوات حسب ما قد شغلوا به نفوسهم، وليس بتحصلِ الواحدِ منهم المُلك إلاّ لِسرٍّ فيه. ومَعْنى قد فَضُل به، وتقدم من أجله، إمّا بسعادة تخدمه أو بفضل في نفسه.

ويقال في أمثال العامة: رأس لا حِيْلة فِيْه قَرَعةٌ خيرٌ منه.

---

(1) الصواب أنّ هذه الخطبة لهانئ بن قبيصة بن مسعود الشيباني، أحد سادات بكر بن وائل، يحرّض قومه بني شيبان في يوم ذي قار المشهور، الذي انتصر فيه العرب على الفرس، وهذه الخطبة ترد في مصادر التراث بزيادات واختلافات في ألفاظها.

(2) وفي رواية أخرى: الطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر.

(3) سقطت من (ب).

الباب الثالث
في حِكَمِ الله ولُطفه وحسن تدبيره بعباده

الحكمة التي فعلها الله - تبارك وتعالى- مع إبراهيم -عليه السلام- وعلى نبينا محمد النبي الأمّي ﷺ [وآله][1]، حين قبض روحه، وسبب ذلك ما حكاه الثعلبي[2] في كتابه المسمّى بالكشف والبيان في تفسير القرآن في تفسير سورة إبراهيم عليه السلام.

إنّ الله تعالى كان قد وعد إبراهيم ألاّ يقبض روحه إلاّ إذا طلبَ ذلك منه واشتهى الموت. فلما قَرُب أجل إبراهيم، وأراد الله عز وجل قبضه، أرسل إليه ملكاً في صورة شيخ هرم قد بطلت أكثر أعضائه. فوقف بباب إبراهيم، وقال له: يا إبراهيم أريد شيئاً آكل. فتعجب إبراهيم منه، وقال: موت هذا خير له من هذه الحياة.

وكان إبراهيم لا يزال عنده طعامٌ معدٌ للأضياف. فأحضر للشيخ قصعةً من الثريد واللحم. فجلس الشيخ يأكل وهو يَخرج من تحته. ويبلعُ اللقمة بالجهد والعذاب، ويأخذ اللقمة فتقع من يده، فيقول: يا إبراهيم أطعمني، فيرفع إبراهيم اللقمة بيده إلى فم الشيخ فتجري على لحيته وصدره. فقال له إبراهيم: يا شيخ كم لك من العمر، فذكر الشيخ سنين فوق سنيّ إبراهيم بشيء يسير، فقال إبراهيم -عليه السلام-: اللهم اقبضني قبل أن أصل إلى هذا العمر وهذه الحالة، فما استتم كلامه حتى قبضَه الله عز وجل.

---

(1) سقطت من (ب).

(2) هو: أحمد بن محمد الثعلبي، أحد المفسرين والفقهاء، مات في 427هـ تقدمت ترجمته.

1. حكمته مع يعقوب -عليه السلام-:

يُروى بالأسانيد الصحيحة عن مقاتل[1] أنّ يعقوب بن إسحق- عليهما السلام- كان أنذر إن وهبه الله اثني عشر ولداً ذكوراً، [وأتى بيت المقدس][2] صحيحاً أن يذبح أحدهم، فوهب الله له ما طلب، فلما كبروا، قصد بهم البيت المقدّس، فتلقّاه ملك من الملائكة في زيٍّ راع، فقال له: سمعتُ أنك قويٌّ، فهل لك في الصراع، قال: نعم. فتصارعا، فلم يصرّع أحدهما صاحبه.

ثم إن الملك غمزه فعرض له عرق الأنسا[3]، ثم قال له: أما إني لو شئتُ لصرعتك، ولكن غمزتك هذه الغمزة؛ لأنك نذرتَ إن أتيتَ البيت المقدس صحيحاً ذبحت أحد ولدك، وقد جعل الله لك هذه الغمزة مخرجاً.

فلما قدم يعقوب عليه السلام إلى بيت المقدس، أراد أن يذبح أحد أولاده ونسي قول الملك، فأتاه الملك وقال له: إنما غمزتُك لتخرج من نذرك، ولا سبيل لك إلى ذبح أحدٍ منهم، فإن الله قد أخرجك من نذرك.

2. حكمته مع موسى -عليه السلام-:

حتى رده إلى أمه، وسلّمه من فرعون، وقد قتل من أجله ستمائة ألف مولود، وذلك لما أراد الله إظهار موسى عليه السلام، رأى فرعون في منامه كأنّ ناراً قد أقبلت من البيت المقدس، وقد دخلت إلى مصر ودخلت إلى قصر فرعون، فأحرقتْ القصر وكلَّ ما فيه. فانتبه فرعون فزعاً مرعوباً واستدعى [بالكهنة][4]

---

(1) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، وُلد ببلخ، دخل بغداد وحدّث بها، كان متروكاً عند أهل الحديث، من أعلام المفسرين، يعتمد في تفاسيره على الإسرائيليات، له بعض التصانيف، أغلبها مفقود: كالتفسير الكبير، ونوادر التفسير، والرد على القدرية، الناسخ والمنسوخ، ومات في البصرة في 150هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان112/2، وميزان الاعتدال: 196/3 .

(2) في (ت): [وهو ببيت المقدس].

(3) عرق في الفخذ يمتد على طول العصب الوركي، ويتفرع من أسفل الظهر إلى الوركين، وألمه شديد، يصيب أسفل الظهر والأرجل.

(4) الفعل يتعدى دون حرف الجرّ، وقد تركناها كما هي في كلتا النسختين.

وأصحاب النجوم ومعبري الأحلام، وقصّ عليهم الرؤيا، فقالوا: يولد ولد من آل يعقوب يكون هلاكك وزوال ملكك على يده، فخاف فرعون من ذلك، وأمر القوابل[1] أنّ كلّ مَنْ وضعتْ ذكراً من نساء بني إسرائيل [يُقتل][2]، فقتل ستمائة ألف مولود. فلما أرادتْ أمّ موسى عليه السلام أن تلدَ خافتْ على الولد إن كان ذكراً أن تقتله القابلة، فطلبت البرَّ وأتت إلى غار هناك، فدخلت فيه وواقعها الطلق، فوضعت موسى -عليه السلام-، وهو قطعة نور فأضاءت المغارة منه، وفرحت أمه به فرحاً شديداً، إلا أنها في حيرة من أمره، ثم إنها صنعت بنفسها ما يُصنع بالنفساء عند ولادتها، وقمّطته وكحّلت عينيه وأرضعته، ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب أستودعك هذا الطفل، وتركته في المغارة ومضت، ثم صارت كل يوم تتردد إليه وترضعه بكرة وعشية، حتى صار له أربعون يوماً. فلما كان اليوم الحادي والأربعون أوحى الله عز وجلّ إلى أم موسى عليه السلام أن اصنعي له تابوتاً واطرحيه فيه، وألقيه في اليمّ، ولا تخافي، فإنّا رادّوه إليك، فأتت إلى نجار كان قرابتها وقالت له: أريد أن تعمل لي تابوتاً محكماً بحيث لا يدخل فيه ماء، فقال لها: ما تصنعين به؟! قالت أطرح فيه ولدي وألقيه في البحر، فعمل لها تابوتاً أحكم ما يكون، ثم حمله ليلاً إلى أمّ موسى، فلمّا رأته أم موسى فرحتْ به. وكان عمران قد تُوفي[3] يوم كَمُل لموسى أربعون يوماً، فأخذت التابوت منه وأعطته أجرته، فقال لها: ما أريد منك أجرة إلاّ النظر إلى هذا المولود.

وسبب ذلك أنه لمّا قالتْ أريدُ أن أطرح فيه ابني وأرميه في البحر كان لها هارون، وكان قد وُلد قبل موسى بسنتين، فقال لها: ترمين هارون؟! قالت: لا، ولكني ولدتُ غلاماً سميته موسى. ولم تكتمه أمرها لكونه قرابتها.

فلما انصرفتْ عنه غلق دكانه، وهمّ أن يمضي إلى هامان ليعلمه بولادة

---

(1) جمع قابلة، وهي: الداية أو المولدة التي تساعد الحامل وقت الإنجاب، وقد تصف لها بعض الأعشاب لتعتني بصحتها بعد الولادة.

(2) في (ت): [فخبروه به]، وفي (ب): [يُقتل]، فأثبتنا رواية (ب) لتناسبها مع السياق.

(3) في (ب): [تُوفي في يوم].

موسى؛ لأنه كان المتولي على قتل الأطفال، فقبضتْ الأرضُ على رجليه إلى ساقيه وقالت: والله [العظيم][1] الذي لا إله [إلاّ][2] هو ما تُحدِّثُ أحداً أو تُعْلِم أحداً إلا ابتعلتك. فبقي النجارُ متعجباً [حايراً][3] لا يدري ما يصنع، وقال: والله لا أطلعتُ أحداً من خلق الله، فخلَّتْ الأرض عنه، وفتح دكانه وعمل التابوت أحكم ما يكون، وجاء به إلى أم موسى، وطلب النظر إليه، فأحضرته بين يديه، فرآه والنور يخرج منه، فقبّل يده وهو أول من أسلم على يد موسى.

ثمَّ إنَّ أم موسى فرشتْ له في التابوت أثواباً كانت قد أعدتها لهذا الأمر، وكحّلت عينيه، وقمطته وأرضعته، وطرحته في التابوت، وأخذته ليلاً وأتت به إلى جانب البحر وهي تبكي، فنادها جبريل -عليه السلام-: لا تحزني فإن الله يرده عليك. قالت: توكلتُ على الله ورمت به في البحر، فأمر الله الملائكة بحفظ التابوت وأمر البحر بحفظه.

وكثرت الأحلام على فرعون في تلك الليلة، وداخله الرعب والفزع، وأمر بالزيادة في الحرس، فلمَّا أصبح وجلس في مَنظَرة تشرف على البحر، وإذا هو بالتابوت تلعب به الريح حتى تركته مقابل منظرة فرعون.

قال كعب الأحبار[4]: وكان لفرعون سبع بنات ليس فيهن واحدة إلاّ وبها نوع من المرض، وكان قد أجمع رأي الأطباء على أن ما لهن دواء إلاّ السباحة في ماء النيل، وكان فرعون قد عمل في داره بركة عظيمة، وساق إليها نهراً من النيل ليتسبَّحن فيها بناته. فلما أراد الله عز وجل وقوع التابوت إلى فرعون، أمر

---

(1) سقطت من (ب).

(2) سقطت من (ب).

(3) تخفيف الهمزة كثير في لغة المؤلف، أو من الناسخ.

(4) هو، أبو إسحاق: كعب بن ماتع الحميري (ت: 32)، أصله من عرب اليمين، كان يهودياً قبل إسلامه، عاش في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، كان عالماً بأخبار الأقدمين والإسرائيليات، روى عنه بعض الصحابة تفسيرات للقرآن الكريم، وتنتشر في المصادر التاريخية بعض الافتراءات على كعب الأحبار، وتنسب إليه أخبار لم يُحدِّث بها. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: 8/ 438، وسير أعلام النبلاء: 472/4 .

الريح أن تلقي التابوت في النهر، فألقته فيه، فلم يزل يسير حتى حصل وسط البركة، فلمَّا رأينه عدت الكبيرة منهن وأخذت التابوت وفتحته، وإذا فيه موسى وله نورٌ وشعاعٌ، [فأخرجتْ موسى منه][1]، فحين لمسته بيدها ذهب ما بها من المرض، وتناولته منها أخواتها بينهن، فشفين كلهن ببركة موسى -عليه السلام-.

وأقبلن بموسى والتابوت إلى آسية وذكرن لها القصة، فنظرت آسية إلى الغلام فعَجِبتْ منه، وهي لا تعلم من هو ولا أنه ابن عمها عمران، فدفعته إلى جارية وأمرتها بحمله لتريه فرعون، وأقبلت به إليه، فلما رآه فرعون، فقالت له: أيها الملك لا تفزع ولا تخف، وذكرتْ له حديث التابوت والبنات، وكيف ذهب بلاؤهن ببركةِ التابوت.

ثمَّ فتحته وأخرجتْ موسى منه، ووضعته في حجر فرعون، فنظر فرعون إلى حسنه وجماله ونظافته ونوره، فقال: يا آسية إني أخاف أن يكون هذا عدوي فلابد من قتله. فقالت آسية: هذا قرة عين لي ولك، لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، ثم قالت: أيها الملك أنت منْ قتله متمكّن في أيِّ وقت شئتَ، إن كان عدوك فقد ظَفِرتَ به، وإن لم يكن عدوك فلا تعجل عليه، فإنه ليس لنا ولد، ولم تزل به حتى فعل ذلك.

ثم أراد الله عزَّ وجلّ أن يرده إلى أمه كما وعدها، ووعده الحق وقوله الصدق، فحرّم عليه المراضع كلها، وصار يبكي وكل مَنْ أتوه بها لا يأخذ ثديها ولا يرضع منه، وشاع ذلك بمصر، وبلغَ أمّ موسى حُزنِ فرعون عليه وطلبه له الدايات[2].

أفلا تنظر إلى هذه الحكمةَ التي أعجزت البشر، إنَّ فرعون قتل ستمائة ألف مولود حذراً على نفسه وملكه من موسى، وموسى في حجره وقد حَزَن عليه، وكيف لم يَرضَع وحرمٌ الله عليه المراضع حتى يجمع بينه وبين أمه، فلمَّا وصل

---

(1) في (ب): [فأخرجت منه موسى].

(2) جمع داية، وهي: القابلة التي تساعد الحامل وقت الإنجاب، وقد تصف لها بعض الأعشاب لتعتني بصحتها بعد الولادة.

الخبر إلى أمّ موسى وأنه في حِجْر فرعون، وأنه لا يَرضع من أحد، قالت لأخته: اخرجي قُصّي خبر أخيكِ واعرفيه، فخرجتْ وطلبتْ قصر فرعون، وكان فرعون قد وصّى أنه لا تُمنع امرأةَ من الدخول كُلّه لأجل موسى، فدخلتْ ونظرتْ إليه وهو في حجر فرعون، فتقدمت إلى آسية وقالتْ كما قال الله تعالى: ﴿هل أَدُلُّكم عَلَى أَهْلِ بَيت يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُم له نَاصِحون﴾[1]، ولم تعرفها آسية أنها أخته ابنة عمها لرثاثة حالها، فالتفتَ فرعون إليها وقال: من هؤلاء الذين يكفلون هذا الغلام؟! قالت قوم من آل إبراهيم. قال: فاذهبي فأتيني بهم، فرجعتْ أخته إلى أمها، فأخبرتها بذلك، فقامت من ساعتها ودخلت إلى فرعون وموسى بين يديه يبكي، فعرفتها آسية حين قالتْ: أنا زوجة عمران. فقالت لها: خذي هذا الطفل، واعرضي ثديك عليه، فلما أخذته أمه وجد موسى ريحها، فضحك ولقم ثديها ورضع، فقال لها فرعون: إني أرى لك لبناً غزيراً فهل لك ولد؟! فقالت: وهل ترك الملك لأحد من ولد لم يقتله، فقال لها: ومَنْ قتل ولدك؟ قالت: الملك أعلم، ثمَّ قالت لها آسية: يا هذه أنا أحبُّ أن [تكوني][2] عندي إلى حين ما تفطمين هذا الغلام، قالت: حباً وكرامة، وأقامتْ عندها حولين كاملين، فلمّا أرادت الانصراف إلى منزلها أعطتها آسية من الذهب والفضة والثياب ما جاوز الحد، وانصرفتْ إلى بيتها فرحانة مستبشرة.

3. حكمته مع موسى وهو صغير:

وذلك أنَّ موسى كان جالساً في حجر فرعون وهو صغير، فلزمَ بلحية فرعون وهزّها حتى كاد أن يقلع رأسه، فقال فرعون لآسية [زوجته][3]: هذا عدوي لا شك فيه. فقالت له آسية: على رسلك حتى أُريكَ أنه طفلٌ لا عقلَ له يُفرِّق به بين الأشياء ولا يبين، ثم أنها أتته بطشت فجعلتْ فيه جمرة وجوهرة، ووضعته

(1) سورة: القصص، آية: 12.

(2) في الأصل: [تكونين].

(3) سقطت من (ب).

بين يدي موسى، فهمَّ موسى بأخذ الجوهرة، فأخذ جبريل بيده فوضعها على الجمرة، فوضعها في فمه فاحترق لسانه وصار ألثغاً، وكفَّ فرعون عن قتله.

4. حكمتهُ مع موسى -ﷺ- حين أرسله إلى فرعون:

وذلك لما استأذن موسى شعيباً في عوده إلى أمه وأخيه ليجدد بهما عهداً، فأذن له شعيب في ذلك فأخذ أهله معه، وكان الزمان شاتياً، فحاد موسى عن الطريق، وضرب زوجته الطلق، وكانت ليلة مُثلجة، فقدَح موسى الزناد فلم يور، فبينما هو مفكر في أمره إذ أبصر ناراً من بعيد، فقال لأهله: أقيموا مكانَكُم إنِّي أبصرتُ ناراً لعليِّ أتيكم منها بقبس، أو أجد على النار من [يهديني على الطريق][1]، فلما أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها، ورأى ناراً بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً، فخاف وتعجب، فأُلقيتْ عليه السكينة ثم نودي: ﴿يا مُوسى إنِّي أنا رَبُّكَ فاخْلَع نَعْليكَ إنَّكَ بالوَادي المقدَّس طُوى﴾[2]، ثم قال له بعد ذلك: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى[3] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، فقال له الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلْقِهَا يامُوسَى﴾، فألقاها موسى عن يديه، فإذا هي حيَّةٌ تَسْعى، وجعلتْ تُكبَّر حتى صارتْ ثعباناً، فلما رآها موسى ولّى مدبراً فناداه الله: أقبل ﴿ولا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيَرتَها الأُولَى﴾؛ يعني نردها عصاً كما كانت، فعاد موسى وقبض عليها فعادتْ عصاً، وأمره بالمسير إلى فرعون وأن ينذره.

فانظر إلى الحكمة التي لا يقدر عليها أحدٌ سواه سبحانه وتعالى عمَّا يقولُ الظالمون علواً كبيراً، وهذا للتأنيس؛ لأن موسى لو لم يعلم هذا من شأن العصا لولى مدبراً عند فرعون، وبطل معنى المعجزة، فأراه الله ذلك ليطمئن بها عند إلقائها بين يدي فرعون.

---

(1) هكذا في كلتا النسختين، والأفصح: إلى الطريق، أو يهديني الطريق.

(2) سورة: طه، الآية: 12

(3) سورة: طه، آية: 12.

5. حكمته مع صاحب البقرة حتى اغناه[1]:

مما رواه الثعلبي في كتابه الكشف والبيان أنه كان في زمن بني إسرائيل رجل، وكان براً بوالديه، وبلغ من بره أن رجلاً جاءه بحجر ياقوت فابتاعه منه بخمسين ألف درهم وكان [يساوي][2] مائة ألف درهم، فقال للبائع: إن أبي [نايم][3] ومفتاح الصندوق تحت رأسه، فأمهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن، قال: فأيقظه وأعطني، قال: ما كنتُ لأفعلَ، ولكنّي أزيدكَ مائة إذا انتبه، فقال البائع: أنا أعطك مائتين، وأنبّهه وعجّل لي بالثمن، فقال له: فأنا أزيدكَ ثلثمائة إنْ انتظرت انتباه أبي، فقال له: أنا محتاج إلى الثمن الساعةَ فأنبّه أباك، قال له: أزيدك خمسمائة درهم قال: لا أفعلُ، وأخذ الحجر وانصرف.

وقيل إنّه كان صبياً، وكان برّاً بوالديه، وكانت له بقرة وجرى له مثل هذا، فأراد الله أن يعوضه ببره لأبيه بكلّ درهم ألف دينار، فأحوج بني إسرائيل إلى بقرة كانت عنده، فباعها بملء جلدها ذهباً وفضة [وخمراً][4]، وسبب ذلك أنه وُجِدَ قتيلٌ في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يُعرف قاتله، وقيل إنّ المقتول كان له مال عظيم، وكان له ابن عمٍّ مسكين لا وارث له غيره، فلمّا طال عليه بقاؤه قتله ليرثه، وقيل كان للمقتول زوجة في غاية الحُسن والجمال، فقتله ابن عمّها ليتزوج بها، فلمّا حُمِلَ من قريته إلى قرية أخرى، وألقي هناك وطُولبوا بديته، وقع قتال بين القريتين وقُتِل بينهما ألف نفس.

قال عكرمة: وكان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً، كل سبط يدخل من باب، فوجدوا هذا المقتول على باب سبط من الأسباط، فجُرّ إلى باب سبط آخر فاختصم السبطان.

---

(1) تواتر قصة البقرة في كتب التفاسير، وتختلف في طرق عرضها، وهناك اختلافات كثيرة في أسباب القتل، والقصة في تفسير الكشف والبيان للثعلبي 213/1، وقد نقلها المؤلف منه مع بعض الزيادات، وهي كذلك في الجامع لأحكام القرآن: 192/2 .

(2) في الأصل: [يسوى].

(3) تخفيف الهمزة كثير في لغة المؤلف، أو من الناسخ.

(4) كلمة لم نستطع قراءتها، ولم نجدها في التفاسير التي ذكرت القصة، ولفظها قريب مما أثبتناه.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل، وحمله إلى باب رجل منهم، ثم أصبح فطلب ثأره ودمه وادعى به، فجاء أهل المقتول إلى موسى، وأتوا بناس وادّعوا عليهم وسألوه القصاص، فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا، فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم خلاف، فسأل موسى ربّه فأمره بذبح البقرة.

وكان الغرض في ذبحهم البقرة؛ لأن البقرة التي أمَرهُم الله بذبحها كانت عند الرجل البارِّ بوالديه، فقال لهم موسى: ﴿إن اللهَ يأمُرُكُمْ أن تَذبَحُوا بَقَرَةً﴾، قالوا: يا موسى أتتخذنا هزواً، فقال موسى: ﴿أعُوذ بالله أنْ أكونَ منْ الجَاهلينَ﴾، فلمّا علم القوم إنَّ ذبح البقرة عزمٌ من الله سألوه الوصف، ﴿قَالُوا أدعُ لنَا ربَّكَ يُبينّ لّنَا ما هِيَ﴾[1]، فوصف لهم البقرة التي عند الرجل البار، فطلبوها، قال: لا أبيعها إلاّ على جلدها ذهباً وفضّة، فاشتروها منه بما طلب، وذبحوها وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها.

ثمّ أخذوا منها قطعة، واختلفوا في القطعة، فقيل الغضروف، وقيل اللسان، وقيل الذَنَبْ، وقيل أُذنها، وقيل القفص، وقيل الفخذ، فلمّا ضربوا القتيل بالقطعة، قام والدم يشخب من أوداجه، وقال قتلني فلان بن فلان داره بالموضع الفلاني وصنعته كذا، ثم أنه ألقى نفسه إلى الأرض ومات.

6. حكمته مع موسى -عليه السلام- حين برأ ساحته:

من اتهام بني إسرائيل له، وقد ذكر الثعلبي في تفسيره أنَّ بني إسرائيل كانوا يغتسلون من مغتسل لهم، وينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى -عليه السلام- يغتسل وحده، فقالت بنو إسرائيل: ما يمنع موسى الاغتسال معنا إلاّ وبه عاهة في جسده، فاجتنبه بنو إسرائيل مُدّة، فأراد الله عزّ وجلّ أن يريهم أن ليس بموسى عاهة، فمضى موسى -عليه السلام- بعض المرات ليغتسل، فخلع أثوابه ووضعْها على حجر هناك، ونزل موسى إلى الماء، فأمر الله عز وجلّ الحجر أن يأخذ ثياب موسى ويذهب، وطلع موسى من الماء وهو يقول ثوبي يا حجر، فنظر

(1) سورة: البقرة، الآيات: 66-68.

بنو إسرائيل إلى موسى عُرياناً وليس به سوء، فلمّا تحقّقوا ذلك، وقف الحجر فأخذ ثوبه وزال ما كان عند بني إسرائيل من أمره.

7. حكمته في غرق فرعون:

وذلك لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يهلك فرعون وجنده أمر الله عزّ وجلّ موسى أن يسري ببني إسرائيل الاثني عشر سبطاً من مصر، وأمر موسى قومه [أن يُسرجوا في بيوتهم إلى الصبح][1]، وخرج موسى -عليه السلام- في ستمائة وعشرين مقاتلاً لا يَتعدّون ابن عشرين سنةً لصغره، ولا ابن ستين سنة لكبره، سوى الذريّة، فساروا وهارون على مقدمتهم، وموسى على ساقتهم.

ونَذَر بهم فرعون، فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل إلاّ حتى تصيح الديوك، فوالله ما صَاحَ [في تلك الليلة][2] ديك حتى طَلَعتْ الشمس، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف عنان[3] وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألف أدهم سوى [ساير][4] الألوان، فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى ساحل البحر والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعون وقومه، وذلك حين أشرقت الشمسُ، فبقوا متحيرين، وقالوا: يا موسى كيف نَصنعُ؟ وما الحيلة؟ فرعون خلفنا والبحر أمامنا. فقال: ﴿كلاَّ إنَّ مَعِيَ ربِّي سَيَهدِينِ﴾[5]، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إلى موسى: أن اضرب بعصاك [البحر][6]، فضربه موسى فلم يُطعه، فأوحى الله إليه أن كُنْه، فضرب موسى -عليه السلام- بعصاه البحر وقال: انفلق أبا خلد بإذن الله تعالى،

(1) في كلتا النسختين: [أن يسيروا إلى الصبح]، وما أثبتناه من كتاب الكشف والبيان: 192/1، وهو أنسب للسياق.

(2) زيادة في (ت).

(3) عنان الخيل، كناية عن الفرسان.

(4) تخفيف الهمزة كثير في لغة المؤلف أو من الناسخ.

(5) سورة: الشعراء، الآية: 62 .

(6) زيادة في (ت).

فانفلق البحرُ اثني عشر فرقاً ﴿كلُّ فرق كالطوْدِ العَظيم﴾[1]، فكان لكل سبط طريق، وأرسل الله عزّ وجلّ الشمس والريح إلى قعر البحر فصار [يبساً][2]، وهو الذي لم تَطلُع عليه الشمس إلاّ مرة واحدة، فسلك كلُّ سبط طريقاً، وعن جانبهم الماء [كالجبل الضخم الذي لا يَرى بعضهم بعضاً][3]، فخافوا وقال كل سبط: قد هلك الآخر، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الماء يتشبّك فصار على هيئة الشُّبّاك يَرى بعضهم بعضاً، فاطمأنوا حتى [عَدَوا][4] البحر سالمين.

فلمّا وصلَ فرعون إلى البحر، رآهُ على تلك الحالة، قال لقومه: انظروا كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عدوي وعبيدي الذين أبقُوا مني، أُدخلوا البحر. فهاب قومه ذلك، ولم يكن في عسكره [حِجْرة][5] بل الكلّ [خيلٌ][6] حُصُنٌ، فجاء جبرائيل على فرس أنثى [وديق][7] فقدمتهم، فلمّا شمَّتْ خيل فرعون [ريح][8] الأنثى اقتحمت البحر في أثرها، حتى تكمّلوا جميعهم في البحر، وهمَّ أوّل عسكر [فرعون][9] أن يخرجوا، فأمر الله عزّ وجلّ البحر أن يأخذهم فالتطمَ عليهم، فغرَّقهم جميعهم، وغرق فرعون في الجملة، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله عزّ وجل: ﴿وأغرَقْنَا آلَ فِرْعونَ وأنتُم تَنظُرون﴾[10].

---

(1) سورة: الشعراء، الآية: 63 .

(2) في (ب): [يباساً].

(3) هكذا في كلتا النسختين، والعبارة في تفسير: الكشف والبيان، هكذا: [كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً].

(4) في (ب): [عبروا].

(5) يقال لأنثى الحصان البالغة حِجر.

(6) زيادة في (ت).

(7) التصحيح من تفسير: الكشف والبيان 193/1، والوادق في كل ذات حافر، هي التي ترغب في التزاوج، يقال: أتان وديقٌ وبغلة وديقٌ، وفي لسان العرب: قول الفرزدق: كأن ربيعاً من حماية مِنقرٍ ××× أتانٌ دعاها للوِداق حِمارُها.

(8) زيادة في(ت).

(9) زيادة في(ت).

(10) سورة: البقرة، الآية: 50 .

8. السبب في غرق فرعون، ولمَ لم يهلك بغير الغرق؟

ذلك أنَّ فرعون لما ادّعى الألوهيَّة جاءه جبرائيل في صورةِ رجلٍ من أهله، وقال [له][1]: ما تقولُ أيُّها الملكُ في مولىً له عَبْدٌ قد أحسن إليه وأعطاه وخوَّله، فقام العبدُ يطلب الرياسةَ على سيده، وأخْذ موضعه، فقال له فرعون: جزاء هذا العبد أن يُغرق في البحر، فقال له: أعطني خَطَّكَ بذلك، فأعطاه خطه، ولو ذكر شيئاً سوى الغرق لكان هلاكه به، لكن جعل الله هلاكه بما حكم به، فلمَّا غرق فرعون جاءه جبرائيل -عليه السلام- بخطه فأراه إيّاه في البحر عند غرقه.

9. حكمته عزّوجلّ كيف اسقى بني اسرائيل بغير زيادة النيل، ولا وقوع مطر:

وذلك أن موسى -عليه السلام- دعا على قومه بأن لا يزيد لهم النيل ولا يأتيهم مطر فبقوا على ذلك مدة فكادوا يهلكون، فقام الزُّهاد منهم والأتقياء، فتضرّعوا إلى الله -عزّ وجلّ- وسألوه كشف ما نزل بهم، فأمر الله عزّ وجلّ أرض النيل أن ترتفع مقدار خمسة أذرع، فارتفعت، فطفح النيل وسقى أرضهم وزرعهم وبلادهم أكثر من العادة، فلمّا رأى موسى ذلك صعد إلى الجبل وقال: إلهي وسيّدي قولك صدقٌ ووعدُكَ حقٌّ، وأنت ضمنتَ لي أن لا تسقي بني إسرائيل بزيادة النيل ولا بمطر، وأنَّ النيل قد زاد بخلاف العادة، فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لا زدت النيل ولا أتيتهم بمطر، ولكن لمّا قصدني أوليائي أجبتُ دعاءهم، وأمرتُ أرض النيل أن ترتفع، فطفح الماء فأجبت دعوة أوليائي، وقضيت حاجتهم، ولم أنكث لك عهداً. فقال موسى -عليه السلام-: سبحانك من قادر حكيم، لا إله إلاّ أنت الواحد القهّار.

10. حكمته في وفاة هارون -عليه السلام-:

[فيما ذكره الثعلبي أيضاً أنَّ موسى وهارون -عليهما السلام-][2] كانا في

---

(1) زيادة في(ت).

(2) زيادة في(ب).

التيه، فلمّا دنا أجل هارون رأى في بعض الليالي نوراً عظيماً يطلع [من بين تلك الجبال][1]، فقال هارون لموسى: قم بنا ننظر ما هذا النور؟ فقال موسى: انهض بنا، فقاما يمشيان حتى أتيا الجبل، فرأيا النور يطلع من مغارة، فدخلاها فرأيا في صدرها سريراً عليه أنواع الفرش، وعليه مكتوب بالعبرانية: هذا السرير لمن هو في طوله، فنام موسى ﷺ، فعبرتْ رجلاه السرير، فقال هارون: أنا أنام عليه، ونام عليه فجاء [طوله][2]، وهمَّ أن يقعد فلزم ملَكُ الموت برأسه وقال: السلام عليكم يا آل عمران أتعرفونني؟ فقال موسى: لم نركَ قبل هذا اليوم فنعْرفكَ. من أنت؟ فقال: أنا ملكُ الموت أرسلني الله لقبض روح هارون، فدمعتْ عينا موسى وبكى هارون، وقال: يا موسى أوصيك بولدي خيراً، وتقرأ مني السلام على بني إسرائيل، فبكى موسى، ثمَّ إن ملك الموت أخرج موسى، وقبض روح هارون، وغسلته الملائكة وكفنته ودفنته.

11. حكمته في وفاة موسى - ﷺ -[3]:

مّما حكاه أيضاً الثعلبي قال: لما أراد [الله][4] عزّ وجلّ وفاة موسى - ﷺ - أرسل إليه ملك الموت، فلمّا رآه موسى لطمه ففقأ عينه، فرجع ملك الموت إلى بين يدي الله عزّ وجلّ وقال: إلهي وسيّدي أنت أعْلَم بما كان وما يكون، فردّ الله

(1) في (ب): [من أسفل تلك الجبال].

(2) في (ب): [بطوله].

(3) قصة «لطم موسى ملك الموت» وردتْ في حديث رواه الشيخان في صحيح البخاري، بشرح فتح الباري، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى - ﷺ - 508/6 رقم (3407)، وكذلك في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى - ﷺ - 3497/8، وقد اختلف العلماء في تأويل لطم موسى عَين الملك، وفقتها على أقوال، فصّلها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسيره الآيات: 20- 26 من سورة المائدة: 406/7.

(4) سقط من (ب).

عليه عينه، ثمَّ أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى يوشع بن نون[1]:

[أني][2] قد نبّيتُكَ[3] على بني إسرائيل، فكان يغدو ويروح على موسى - عليه السلام - فيقول له موسى: يا نبيّ الله ما أحدث الله إليك، فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فقال نعم، فقال يوشع: هل سألتك يوماً قط عمّا أحدث الله إليك حتى تسألني أنت؟ فلمّا تكرّر هذا القول من يوشع كره موسى الحياة وطلب الموت

فبينما هو في بعض حاجاته، إذ مرَّ بقوم من الملائكة يحفرون قبراً لم يُر أحسن منه ولا أخضر ولا أنضر ولا أبهج، فقال لهم: يا ملائكة ربيّ لمن هذا القبر؟ فقالوا: نحفره لعبد كريم على ربِّه، فقال موسى: إن العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعاً، فقالت له الملائكة: أتحبُّ أن يكون لك هذا القبر؟ قال: وددت ذلك، قالوا: انزل فانضجع فيه لنراه يَسَعُكَ، فنزل موسى - عليه السلام -،

---

(1) اسم (يوشع)، أو (يشوع) هو المقابل العربي للاسم العبري (يهوشواع) ومعناه (يهوه الرب)؛أي: الخلاص، ويشوع بن نون، كان اسمه: شواع، وأضاف موسى - عليه السلام - الجزء الأول، فصار يهوشوا، ثم دعاه موسى يشوع. ويُسمَّى أيضا يوشع، وهو خليفة موسى وخادمه، و(ابن نون من سبط إفراي)، ويوشع بن نون - عليه السلام - هو أحد أنبياء بني إسرائيل، وكان من تلاميذ موسى - عليه السلام -، وذكره الله تعالى في القرآن الكريم بغير تصريح باسمه في قصة موسى والخضر، وذلك في قوله تعالي: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾، الكهف 60، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ﴾، الكهف 62، وثبت في الصحيح من رواية أُبيّ بن كعب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: من أنَّه يوشع بن نون، وقد دخل بنو إسرائيل إلى أرض فلسطين لأول مرة بعد خروجهم من فترة التيه على يد نبي الله يوشع بن نون، الذي يُعدّ أوّل من فتح بيت المقدس. وذكر ابن كثير، في كتابه «قصص الأنبياء: 506/2» أنَّه: يوشع بن نون ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وأهل الكتاب يقولون: «يوشع ابن عم هود»، لم يخرج أحد من«التيه»، الذي عاقب الله به بني إسرائيل بعد رفضهم قتال القبائل الكنعانية التي كانت تسكن المدينة المقدسة في فلسطين وكانت مدة التيه 40 عاما، مات فيها نبي الله موسى، إلا اثنين، منهم يوشع بن نون - عليه السلام -، الذي قاد بني إسرائيل لقتال الجبارين، وحُبِستْ من أجله الشمس في المعركة التي انتصر فيها لدخول بيت المقدس، انظر: البداية والنهاية 359/1، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية 229/4.

(2) سقطت من (ب).

(3) أي جعلتُك نبياً على بني إسرائيل خليفة لموسى - عليه السلام -.

وانضجع فيه فوافاه ملك الموت فقبضه فيه صلّى الله عليه، ثمّ سوّت عليه الملائكة القبر. هذا في بعض الروايات، وسنذكر موته برواية أخرى من حيل الملائكة.

12. حكمته مع بني إسرائيل:

وهو عذابُ يوم الظلة، وذلك أن شعيباً دعا على قومه فاستجاب الله دعوته، وحبس عنهم الريحَ والظلَّ سبعة أيام، فأصابهم حرٌّ شديد وكربٌ عظيم، فنزلوا إلى السَّراديب، فكانت أشدّ حراً من وجه الأرض، وبقوا في العذاب سبعة أيام، فلمّا كان في اليوم الثامن رفع الله لهم سحابة، فأتى شخصٌ منهم إلى ظلّها فوجد روحاً وهواءً طيباً، فعاد؛ ليجيء بأهله وأعلم قومه، فأتوا جميعهم إلى ظل السحابة ليستظلّوا بها، ويطلبوا البردَ والروح، فلمّا اكتملوا جميعهم تحتها، ولم يبقَ منهم أحدٌ، أرسل الله عليهم السحابة ناراً فأهلكهم عن آخرهم.

13. حكمته مع العُزَيْر -عليه السلام-[1]:

[روى][2] وهب بن منبّه عن ابن عبّاس قال: كان عُزَيراً أجرأ خلق الله عزَّ

---

(1) هو: عزير بن شريه بن خلقيه بن عزريه بن شالوم بن صدوق بن أخطب، ويعود نسبه إلى النبي إبراهيم -عليه السلام- وفي رأي أغلب علماء المسلمين هو رجل صالح، وليس نبياً، وقد ذُكر في القرآن الكريم وضُرب به المثل، وقد أماته الله مائة عام، ثمُ بعثه، لإثبات قدرة الله -تبارك وتعالي- على البعث، وذلك حين مرّ عزير على قرية خاوية، فتساءل متعجباً فيما حكاه القرآن الكريم: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وقال ابن كثير: (فأما ما روى ابن عساكر وغيره، عن ابن عباس، ونوف البكالي، وسفيان الثوري وغيرهم، من أنه سأل عن القدر فمحا اسمه من ذكر الأنبياء، فهو منكر، وفي صحته نظر، وكأنه مأخوذ عن الإسرائيليات). انظر البداية والنهاية: 389/2.

(2) رواية (ب): [رواه]، ووهبة بن منبه هو: أبو عبد الله اليماني (34- 114هـ)، إخباري من التابعين، وقد تقدمت ترجمته، وابن عباس، هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي جليل، وابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - حبر الأمة وفقيهها، وإمام التفسير وترجمان القرآن، وُلد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي حَبر سنة 68 هـ بالطائف، وهو ابن إحدى وسبعين سنة. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة: 122/4، وأسد الغابة: 291/3.

وجلَّ عن مساءلته عن الأمر إذا أشكل عليه، فقال في بعض مناجاته: يا ربِّ إني قد نظرتُ في جميع أمورِكَ وأحكامكَ، فعرفتُ عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه فأوضحه لي، قال: وما هو يا عُزيرُ؟ قال: يا ربِّ تَسخَطُ على أهلِ بلدٍ فيَعمُّهم عذابُكَ وفيهم الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم، فلو أنزلتَ عذابَكَ بمن استحقّه وعفَوتَ عن أولئك، فأجابه الله عزَّ وجلَّ: يا عُزيرُ لولا ما أعرفُ من إخْلاصِكَ لخَسَفْتُ بكَ الأرضَ السابعة [السفلى][1]، وإنْ عُدت تسألُني [في][2] مثل هذا إلا محيتُك من ديوان النبوّة، ولكن صُمْ [واحداً][3] وعشرين يوماً حتى يأتيك أمري، فلمّا صام الأيام أمره الله عزَّ وجلَّ أن يخرج إلى البريَّة، فلمّا فعل سلَّط الله -عزَّ اسمه- عليه الحرَّ من فوقه والرمضاءَ من تحته، حتى إذا بلغ مجهوده، أنشأ الله له شجرة كثيرة الورق ذات ظل فسيح، فقيل له: اِئت هذه الشجرة، واستظل بظلها، فلمّا أتاها، استراح وذهب عنه ما كان يجده، فقيل له: ياعزير [هل][4] تقدر تزن مثقالاً من النور؟ قال: لا أقدر. قيل فهل تقدر تَصُرَّ صُرَّةً من الشمس؟ قال: لا أقدر. قيل له: فهل تقدر تكيلُ مَكُّوكاً[5] من الريح؟ قال: لا أقدر. فألقى الله عزّ وجلّ عليه النوم، فنام، فطاب له نومه، فأنشأ الله له قرية من النمل، فلصقت نملة بباطن فخذه وقرصته، فألمته، وأيقظته من نومه وغضب لذلك، فدلك الأرض برجله، فقتل من النمل أكثر من ثلاثة آلاف نملة، فأوحى الله إليه: يا عُزيرُ إنما قرصتك نملة واحدة، فلِمَ قتلتَ ثلاثة آلاف نملة؟ فعلم ما أراد الله- عزَّ وجلَّ- فقال: سُبحانكَ، لا إله إلا أنتَ إنّي كنتُ من الظّالمين.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): [عن].

(3) في الأصل (احدى).

(4) في (ب): [فهل].

(5) المَكُّوكُ: جمع مكاكيك، هو: مكيال قديم، سعته صاع ونصف، أوما يعادل تقريباً أربع لترات ونصف، وقد يطلق على وعاء يُشرب به، أعلاه ضيق، ووسطه واسع. انظر: المعجم الوسيط، مادة: مك.

14. حكمته مع داود - عليه السلام - [1]:

(1) القصة التي سيوردها المؤلف عن داود - عليه السلام - لا صحة لها، وهي قصة خرافية، وأنقل هنا قولاً ثميناً نشرته مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، في العدد192 .«اعتمد جل المفسرين - إن لم نقل كلهم- في تعيين فتنة داود على ما جاء في الإسرائيليات التي اختلفت رواياتها على جهات:

1 - أنه رأى امرأة تغتسل، فأعجبه جمالها، وحانت منها التفاتة، فأحسَّتْ ظله، فنقضت شعرها، فغطت به بدنها، فزاده ذلك إعجابا بها. فسأل عنها فقيل: هي امرأة أوريا وزوجها غائب، في غزاة بالبلقاء. فكتب داود إلى أمير تلك الغزاة: أن أبعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه، أو يقتل. فبعثه وقدمه ففتح على يديه. فبعثه ثانياً وثالثاً حتى استشهد. فلمّا انقضت عدة المرأة تزوجها داود، وهي أم سليمان. فأنزل الله ملكين، قيل هما جبريل وميكائيل، في صورة خصمين، يختصمان في نعاج كناية بها عن النساء، فلمّا حكم بينهما، تبسم أحدهما للآخر وغابا، فعلم أنّه المقصود. أنّه كان له تسع وتسعون زوجة ضم إليهن زوجة أوريا، فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب. وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما من طريق ابن لهيعة عن أبي صخر بن يزيد الرقاشي عن أنس قال: سمعت رسول الله- ﷺ - يقول: إنّ داود - عليه السلام - حين نظر إلى المرأة قطَع مدة الغزو على بني إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو، فقرب فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان، يُستنصر به، من قدم بين يديه لم يرجع حتى يُقتل، أو ينهزم عنه الجيش، فقُتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود - عليه السلام - فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجداً، حتّى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه. وذكر حديثا طويلاً، قال السيوطي: سنده ضعيف، وهذا لا يكفي؛ لأن يزيد الرقاشي مع ضعفه، قال عنه ابن حبان: كان يقلب كلام الحسن، فيجعله عن أنس عن النبي - ﷺ - وفيهم غلام وضيء، فأجلسه النبي- ﷺ - خلف ظهره. وقال: إنما كانت فتنة أخي داود من النظر. وقد وردت هذه القصة عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأبي الجلد وأبي عمران الجوني والسُّدى والكلبي ومقاتل، وفي بعض رواياتها زيادات منكرة أيضاً. ووجد القصاص في هذه القصة بزياداتها، مادة دسمة لترقيق قلوب العوام، واستنزال دموعهم، واستدرار نقودهم.والعجب أن ينخدع كثير من السلف بهذه القصة، ويذكروها في مواعظهم، كما تجد ذلك في كتاب الزهد لابن المبارك، ولأحمد بن حنبل، مع أنّها باطلة قطعاً. وليس في القرآن الكريم ما يدل عليها تصريحا ولا تلميحاً، ولا أتى في حديث ثابت إشارة إليها. ولا أدري على أيّ أساس حُشرت في كتب التفسير؟!

2 - إنّ داود طلب من أوريا أن يتنازل له عن زوجته حين رآها وأعجبته، فنزل الملكان، ونبهاه بحكاية النعاج، إلى أنّه لا ينبغي له أن يفعل ذلك، وكان طلب التنازل عن الزوجة جائزاً في =

= شريعتهم. وذلك لعظم منزلته، روى هذا عن ابن مسعود، وابن عباس أيضاً، وابن زيد، ورجُحه الزمخشري في الكشاف، وابن العربي في الأحكام. وهذا باطل أيضاً؛ لأنّه لم يثبت أن طلب التنازل عن الزوجة كان جائزاً في تلك الشريعة، بل المعروف عنهم: أن زواج المطلقة زنا. ولأنّ طلب الملك من أحد رعيته يكون غصباً، وداود لا يفعل ذلك جزماً لعصمته. قال ابن العربي: كان ببلدنا أمير يُقال له: سير بن أبي بكر، فكلمته في أن يسأل لي رجلاً حاجة، فقال لي: أما علمتَ أن طلب السلطان الحاجة غصب لها؟ فقلت له: أما إذا كان عدلا فلا. لكن غاب عن ابن العربي: أن سيف الحياء أشد من سيف الغصب. بل ما وسط الأمير في طلب الحاجة من الرُّجل إلا الاستعانة بسيف الحياء الذي لا يقاوم.

3 - أنّه رأى إن مات زوجها أن يتزوجها، حكاه ابن العربي في الأحكام. وقال: هذا لا شيء فيه، إذ لم يُعرِّضه للموت. وهو باطل أيضاً؛ لأنّ امرأة أوريا والنظر إليها، ومحاولة زواجها باطلة من أصلها، فما بني عليها باطل أيضاً.

وقد أبطل الإمام الرازي تلك القصة، في تفسيره من عدة وجوه، وأفاد فيها وأجاد.

4 - أنّه حكم لأحد الخصمين، قبل أن يسمع كلام الآخر، حكاه ابن العربي أيضاً، وأبداه الإمام الرازي احتمالاً، وقال: لا شيء فيه. قال ابن العربي: لا يجوز ذلك على الأنبياء. وقال الحليمي: أنّه رأى في المدعى مخايل الضعف والهزيمة، فحمل أمره على أنّه مظلوم، كما يقول، فدعاه ذلك إلى ألا يسأل المدعى عليه، فاستعجل بقول: «لقد ظلمك». قال أبو حيان: ولكنّه لم يحك في القرآن الكريم اعتراف المدعى عليه، لأنّه معلوم من الشرائع كلها، إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعى عليه.

5 - أنّه خطب المرأة، بعد خطبة أوريا لها، فآثروه عليه، وزوجوه بها، فعوتب على ذلك. وهذا باطل أيضاً. وقد قيل في فتنة داود غير هذا، مما لا أصل له. قال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. ولكن روى ابن أبي حاتم هنا، حديثاً لا يصح سنده. لأنّه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - ﷺ - ويزيد، وإن كان من الصالحين لكنّه ضعيف عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله -عزّ وجلّ-، فإن القرآن الكريم حق، وما تضمن فهو حق أيضاً. وقال أبو حيان: ذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء، ضربنا عن ذكرها صفحاً. قال كاتب المقال: وعندي مسلك آخر يدل على بطلان ما ذكره المفسرون.وهو مراعاة السياق، وهو مسلك مهم، يجب على المفسر أن يجعله نصب عينيه، ولا يتكلم على آية، حتى ينظر علاقتها بما قبلها؛ لأنّ آيات القرآن متماسكة، آخذ بعضها بحجرة بعض، فمن لم يراع ذلك في تفسيره، جانبه التوفيق. ومتقدمو المفسرين غفلوا عن هذا المسلك، فوقعوا في أغلاط كثيرة. وتنبه له من المتأخرين الزمخشري والرازي والزركشي، والبقاعي وأبو حيان... ولو كانت فتنة داود ما ذكره المفسرون، لزم على ذلك مفاسد:

1- أنّه ليس في سياق الآيات ما يدل عليها، أو يرشد إليها.

2 - أن قصة الخصومة، تفيد أنه وقع في حب امرأة، وحاول انتزاعها من زوجها. وهذا ضعف =

من كتاب تواريخ العجم[1]: ذُكر أن داود -عليه السلام- سأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل اسمه بعد موته على ألسنة بني إسرائيل، كما جعل اسم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه: أنَّ كل نبي من هؤلاء ابتليته ببلائي فصبر، ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، وإسماعيل بالغربة فصبر، وإسحاق بالذبح فصبر، ويعقوب بالعمى فصبر. فقال داود: اللهمَّ فابْتَلني، واجعل اسمي مع أسمائهم في أفواه بني إسرائيل عند صلاتهم، فأوحى الله عزّ وجلّ: إذا لم تقبل العافيةَ فستأتيكَ البليَّة، وأمهله الله -عزَّ وجلَّ- حتى نسي

= في الإرادة، وخور في العزيمة، ينافي ثناء الله عليه بأنه ذو الأيد أي القوة.

3 - أن الله تعالى قال لنبيه: (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد) وما كان من داود إلا الصبر على عبادة الله، وعلى جهالة قومه. لا حب امرأة، ومحاولة انتزاعها من زوجها. فكيف أقحم هنا؟!

4 - أن يكون الله أمر نبيه بالاقتداء بداود، في حب النساء والافتتان بها!

5 - أن الملائكة كذبوا في ادعاء خصومة لم تقع. مع أنهم معصومون. ودعوى أن ذلك كان منهم على سبيل التمثيل، مردودة بأنه يجب نصب قرينة على ذلك، ولا قرينة في سياق القصة إطلاقاً.

6 - وبالجملة، فما ذكر المفسرون في فتنة داود -عليه السلام- كله مأخوذ من الإسرائيليات التي نهينا عن تصديقها، لا سيما إذا كان فيها ما يمس مقام الأنبياء، ويخدش عصمتهم. وكذلك فعلوا في تفسير قصة هاروت وماروت ويوسف وأيوب وسليمان، ذكروا فيها إسرائيليات، ملأى بالخرافات. ولا يغرنك نقلها عن كثير من التابعين، مثل الحسن ومجاهد وأبي الجلد والسدي ومقاتل والكلبي وأبي صالح وسعيد بن جبير وعكرمة وأبي عمران الجوني وغيرهم. فإنَّ هؤلاء يأخذون عن الإسرائيليات، على سبيل الموعظة والتذكر. وأخذ عنهم مثل ابن المبارك وأحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وأضرابهم. وامتلأت كتب التفسير والزهد والرقاق بالإسرائيليات حتى اشتبه الأمر على بعض الضعفاء في الرواية، فرفعوا منها أحاديث إلى النبي - ﷺ - كما أنَّ قصة هاروت وماروت مع أناهيد التي أحبها وفي سبيل الوصول إليها شربا الخمر وعلماها الاسم الذي يطلعان به إلى السماء، بطلبها، فطلعت إلى السماء، ومسخت هناك، وهي الآن الزهرة. فهذه الخرافة منقولة عن الإسرائيليات، ورفعها بعض الرواة إلى النبي - ﷺ - واغتر بعض الحفاظ بنظافة سندها، فحسبها حديثاً نبوياً مرفوعاً، ولم يتنبه لما فيه من علل تقضي بعدم صحته، والكمال لله تعالى.

(1) نسب المؤلف الكتاب لأبي سليمان، أيوب بن يزيد بن قيس، المعروف بابن القِرِّيَّة الهلالي (ت: 84هـ)، وقد تقدمت ترجمته.

المسألة التي سأل ربه تعالى. فبينما هو ذات يوم في مسجده يقرأ الزبور، وكان ذلك المسجد يشرف على بستان لبعض بني إسرائيل، وفي ذلك البستان [عين][1] ماء تنتهي إلى حوض معمول لنساء بني إسرائيل [يَتَطَهَّرن][2] فيه، إذ سقطت بين يدي داود حمامة من ذهب، جناحاها من الياقوت الأحمر، ذنبها من الزمرد الأخضر، منقارها من لؤلؤة بيضاء، مخالبها من الفيروز الأزرق، فلما رآها أعجبته وظن أنّها من طيور الجنة، فنهض ليأخذها، فمَشتْ بين يديه حتى سَقطتْ على سطح المسجد، وكلمّا مدّ يده ليأخذها، وقد [أصابت][3] يده طرف جناحها، ووقعت إلى البستان، فظن أنّه قد صرعها، [فأشرف][4] على البستان لينظر خبرها، فرأى امرأة تغتسل أحسن أهل زمانها، فبقي باهتاً إليها ينظرُ إلى حسنها وجمالها، ونظرتِ المرأة خيالَ دَاودَ -عليه السلام- في الماء فرفعتْ رأسُهَا، وإذا بِدَاودَ مُشْرفٌ عليها، فأرختْ شعرها، فجلّلها من رأسها إلى كعبها، فوقعتْ من داود -عليه السلام- موقعاً عظيماً، فنزل من السطح وسأل عنها، فقيل له: إنها زوجة (أروما). وكان زوجها قد أرسله داود إلى ناحية الشام، إلى قوم كنعان يقاتلهم، وكان من عسكر داود ابن أخيه [و][5] معه التابوت الذي فيه السّكينة، وكان مَنْ تقدّم من بني إسرائيل نحو التابوت لا يَنهزم بل يَقْتل عدوه أو يُقْتل، فكتب داود إلى ابن أخيه: أن قدّم (أورما) أمام التابوت حتى يفتح الله على يديه، فلمّا قرأ الكتاب قال: إن نبي الله لم يقدمني أمام التابوت إلاّ وقد علم أني مقتول، فتقدّم في كتيبة، فقاتل حتى قُتل، فأمهل داود زوجته حتى قضت عدتها ثم تزوجها.

فبينما داود -عليه السلام- ذات يوم يصلّي ويعبد الله وذلك اليوم الذي ذكره الله، إذا تسوّر على المحراب ملكان في صورة بني آدم، فلمّا رآهما أقبلا نحوه خافهما،

---

(1) سقط في (ب).

(2) في (ب): [يتطهرون].

(3) في (ب): [أصاب].

(4) في (ت): [فأنزل]، فأخذنا برواية (ب)؛ لأنهّا أنسب.

(5) سقطت من (ب).

وغضب على حُرّاسه وقال: بلغ من تهاونكم أن تتركوا رجلين يتسوّران عليّ في مسجدي يوم عبادتي لله. فقالا: لا تخف فإننا خصمان. فقال لهما: ارجعنا، ليس هذا يوم قضاء، فقالا: إنَّ حاجتنا يسيرة. قال: هاتا. فقال أحدهما: ﴿إنَّ هذا أخِي له تِسعٌ وتسعون نَعجةً وليَ نَعجةٌ واحِدة﴾[1]. وقد ضمَّ نعجتي إلى نعاجه. إلى قوله: ﴿وقَليلٌ مَّا هُم﴾[2]، ثم ارتفعا إلى السَّماء وهو ينظر إليهما، وقالا: يا داود حَكمتَ على نفسك، فعلِم داود عند ذلك ما أرادا وأيقن أنَّه قد أتى أمراً عظيماً، فخر مغشياً عليه. وقال: إلهي وسيدي كيف غفلتُ وأنت لا تغفلُ؟ إلهي كيف أعمل وأنتَ لا تقبل مني؟ إلهي كيف أتوبُ ولا تقبل توبتي؟ إلهي كيف أعتذرُ وأنتَ لا تقبل عذري ولا عذر لي؟ إلهي كيف ألقاكَ وأنا صاحب الخطية، إلهي كيف ألقاك وأنا صاحب الذنب العظيم؟

فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه: يا داود أجائع أنت فأطعمك، أم عطشان فأسقيك، أم عريان فأكْسُوك؟ قال: إلهي أنت [بحاجتي غير مَعلَّم][3]، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه أن انطلق إلى قبر (أوروما) فقد أذنت له في كلامك، فاستوهب الذنب منه، فإنْ وهبه لك فقد غفرته لك.

فانطلق داود إلى قبر (أورما) ليلاً فدعاه، فأجابه وقال له: من الذي أيقظني وقطعني عن لذتي؟ فقال: أنا أخوك داود، قال: مرحبا يا نبي الله ما حاجتك؟ قال: ذنب مني إليك. قال: أنت في حِلٍّ من كلِّ ذنبٍ كان منك إليّ، فانصرف داود وقد ذهب بعض همّه.

فبينما هو يمشي إلى بيته إذ أوحى الله -عزّ وجل- إنِّي حَكمٌ عدلٌ، ولا أقضي إلاّ بالحق، فانصرف إليه وبيّن له الذنب، فرجع داود -عليه السلام- إلى قبر (أورما) ثم دعاه، فأجابه وقال: من هذا الذي أيقظني وقطع عليّ لذتي؟ قال: أنا أخوك داود، قال: وفيما رجعتَ يا نبي الله؟ قال: الذنب الذي كان مني [إليك.

---

(1) سورة: ص، الآية: 23.

(2) سورة: ص، الآية: 24.

(3) في (ب): [أعلم بحاجتي غير معلّم].

قال[(1)]: أوَلم أجعلك في حلٍّ، قال: ربّي أمرني أن أخبرك ما الذنب. قال: وما هو يا نبي الله؟ قال: عرَّضتُك للمهالك من أجل زوجتك لأتزوج بها بعدك. قال: فتزوجتَ بها؟ قال: نعم. قال: فلست أجعلك في حِلٍّ حتى أُخاصِمُك يوم القيامة بين يدي ربيّ عزّ وجلّ.

فلمّا سمع داود ذلك وضع يديه على رأسه وصاح، ومرَّ من وقته هائماً على وجهه، يحثو التراب على رأسه، ويقول: كيف أعمل ولا يقبل مني؟ كيف أتوب ولا تقبل توبتي؟ ويلي، إنّ سُلِّطتْ الزَبَانيَة عليّ، ويحي إن كانت النار مثواي، ويحي إن كان الجحيم مصيري، ويلي إن ازرقَّت عيناي.

ومكث على هذا زماناً طويلاً يبكي الليل والنهار بدمع غزير، وقلب حزين حتى نبت العشب من دموعه. فرحم الله طوال بكائه وتضرّعه، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه، يا داود ارفع رأسك فقد غفر لك. قال: إلهي وسيدي كيف تغفرُ لي وأنتَ عدلٌ لا تجُور؟ فأوحى الله -عزّ وجلّ- أنّي أرى (أورما) في الجنة، [وأريه][(2)] ما لا عين رأتْ، ولا أُذن سمعتْ، فيسألني لمن هذا؟ فأقول: هذا لَمن غفر لأخيه المؤمن ذنبه، فيقول اجعله لي حتى أغفر ذنب أخي داود -عليه السلام- فقال داود: إلهي وسيِّدي الآن قد علمتُ أنك قد غفرت لي.

ولم يزل باكياً على خطيئته أيام حياته، وكان يلبس الصُّوف، ويأكل خبز الشعير ويصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان إذا ذَكر خطيئتَه خرّ مغشياً عليه حتى ربط الله على قلبه بالصبر والإيمان.

15. حكمته مع ارميا -عليه السلام-[(3)]:

وهو مما رواه محمد بن إسحاق الواقدي ووهب بن منبه، إنّ الله تعالى قال

---

(1) سقطت من (ت).

(2) سقطت من (ب).

(3) لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية ذكر اسم (أرميا)، وليس هناك ما يؤكد أنّه من الأنبياء، وإنما هو شخصية ذكرها بعض المؤرخين، ومثل هذه الأخبار لا يلزمنا تصديقها، لاحتمال أنهّا من أكاذيب أهل الكتاب، كما لا يجوز لنا تكذيبها لاحتمال أنها حقٌّ، بل نتوقف في شأنها دون =

لأرميا -عليه السلام-، حين بعثه نبياً إلى بني إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلُقك اخترتك، ومن قبل أن أصوِّرك في الرَّحم سدّدتك، ومن قبل أن تبلغ السّعي نبّيتك، ولأمر عظيم أحْبَيتك[1]، اذهب إلى (ناشية ابن أرموص)[2] ملك بني إسرائيل [فانههُ][3] عن ركوب المعاصي واستحلال المحارم، وذكّر بني إسرائيل نعمتي، وعَرِّفْهم أحداثهم وادْعُهُم إليّ.

فقال أرميا -عليه السلام-: يارب إني ضعيف، فقوِّني، وعاجز فانصرني، قال الله تعالى: أنا ألهمك. فقام أرميا -عليه السلام- فيهم ولم يدرِ ما يقول: فألهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة، فبيّن لهم فيها ثواب الله في الطاعة وعقابه في المعصية، وقال في آخرها: إني أحلف بعزّتي لأُقيِّضنَّ لهم فتنة يتحيّر فيها الحكيم، ولأُسلطنَّ عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة يتبعُهُ عددٌ مثل سواد الليل المظلم.

ثم أوحى الله إلى أرميا: إني مهلكٌ بني إسرائيل بيافث ومنافث، وهم أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح. فلمّا سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق أثوابه، وحثا التراب [على وجهه ورأسه][4]، فلمّا رأى الله تضرُّع أرميا وبكاءه ناداه: يا أرميا أشقَّ عليك ما أوجبت [عليك][5]؟ فقال: نعم. يا ربِّ أهلكني قبل أن تهلك بني إسرائيل. فقال الله عزَّ وجلّ وعزتي وجلالي لا أُهلك بني إسرائيل حتى تكون أنتَ الآمرَ بذلك، ففرح أرميا وطابتْ نفسه بذلك، وقال: لا والذي

= قبولها أو ردها. نظر: مرقاة المفاتيح: 240/1، وذكر غير واحد من المؤرخين والإخباريين أن «أرميا» عليه السّلام: نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقيل: إنّه عزير، وقيل: هو الخضر، والصواب أنه غيرهما قال الحافظ ابن عساكر: «أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب؛ من أنبياء بني إسرائيل»، انظر: تاريخ دمشق: 8/ 27، وقال ابن كثير: هو أَرْمِيَا بْنُ حَلْقِيَا مِنْ سِبْطِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الْخَضِرُ. رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ غَرِيبٌ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ»، انظر: البداية والنهاية 2/ 360 .

(1) أي: أكرمتك، من الفعل: أحبى.

(2) في معالم التنـزيل للبغوي: [أموص]: 1/318 .

(3) في الأصل: [فانهاه].

(4) في (ب): [على رأسه].

(5) سقطت في (ب).

بعث موسى بالحق نبياً لا أرضى بهلاك بني إسرائيل.

ثم أتى الملك فأخبره بذلك، وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح وقال: إن يعذبنا الله فبذنوب كثيرة، وإن عفا عنا فبرحمته وكرمه.

ثم أنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلاّ [تعميّة][1] وتمادياً في الشر، وذلك حين قَرُب عذابهم، ودعاهم إلى التوراة، فلم يقبلوا، فسلّط الله (بُخْتُ نَصَّر) في ستمائة ألف راية يريد [البيت المقدس][2]، فلمّا [فصل سائراً][3]، جاء الخبر إلى الملك، فقال لأرميا: أين ما زعمتَ أن الله تعالى أوحى إليك؟ فقال أرميا إن الله لا يخلف المعياد وأنا به واثق.

فلمّا قَرُب الأجل، وعزم الله على هلاكهم، بعث إلى أرميا ملكاً فتمثل على صورة رجل من بني إسرائيل فقال له: يا نبي الله أنا أستغيث بك في [أهل رحمي][4]، وهم قراباتي وبني عمي، وصلت رحمهم ولم آت إليهم إلاّ حسناً، ولا يزيدني إكرامي لهم إلاّ سخطاً فافتني فيهم. فقال له: اصلح ما بينك وبين الله وصِلْهم واصبر [تصب][5] خيراً، فانصرف الملك، ومكث أياماً ثم أتى إليه فجلس بين يديه، وقال: له مثل الأوّل، فقال له أرميا: وما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: لا يا نبي الله، والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه إلاّ وآتيهم وأفضل. فقال أرميا: ارجع إلى أهلك وأحسن إليهم، واسأل الله تعالى أن يُصلح عباده الصّالحين، فمكث أياماً وقد نزل (بُخْتُ نَصَّر) على البيت المقدس في أكثر من الجراد، ففزعت بنو إسرائيل وشق عليهم، فقال ملكهم لأرميا: يا نبي الله أين وعدك من الله عزّ وجلّ، فقال: إني بربي واثق.

ثم أقبل الملك على أرميا وهو جالس على جدار البيت المقدس يضحك

---

(1) في (ب): [معصية]، وكذلك في معالم التنزيل للبغوي.

(2) في (ب): [بيت المقدس].

(3) في كلتا النسختين: [فلمّا وصل ساوا]، وما أثبتناه من معالم التنزيل.

(4) في كلتا النسختين: [أمور رحمي]، وما أثبتناه من معالم التنزيل.

(5) في الأصل: [تصيب].

ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده، وجلس الملك بين يديه وقال: أنا أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال له أرميا: أما آن لهم أن يتوبوا من الذي هم فيه؟ فقال له الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبني قبل اليوم كنت أصبر عليه، واليوم رأيتهم في عمل لا يُرضي الله -عزّ وجلّ-، فقال أرميا: على أيِّ عمل رأيتهم. قال: على عمل عظيم يسخط الله ويغضبه. فقال أرميا: يا ربُّ السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم، وإن كانوا على ما يسخطك ولا يرضيك فأهلكهم، فلم يستتم كلامه حتى أرسل الله عليهم صاعقة من السماء في بيت المقدس، والتهب مكان القربان وخُسف بتسعة أبواب من أبوابه، فلما رأى أرميا ذلك صاح وشق ثيابه وحثا التراب على رأسه وقال: يا ملك السموات والأرض أين وعدك الذي وعدتني؟ فنُودي: أنهم لم يصبهم ما أصابهم إلاّ بدعائك عليهم، فعلم أرميا أن السائل كان ملكاً من السماء، فعاد عمّا كان عليه.

16. حكمته حتّى نجا عيسى -عليه السلام- من القتل:[1]

وكيف مَكرَ اليهودُ ومكَر الله بهم: قال الله تعالى: ﴿ومَكَرُوا﴾[2]؛ يعني كفار بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهم الكفر، ودبروا في قتل عيسى -عليه السلام-.

والمكرُ ألطفُ التدبير ﴿ومَكَرَ الله والله خَيْر المَاكِرينَ﴾، قال الفراء: المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، وهو من الله تعالى استدراجهم، قال الله تعالى: ﴿سَنَستَدْرِجُهُم مِنْ حَيثُ لا يَعْلَمُون﴾[3]، وقال ابن عباس: معناه كلما أحدثوا أمراً عُكسَ عليهم، وقال الزجاج، مَكرُ الله مجازاتهم على مَكْرِهم، وأن يُعجِز لهم مع مَكرِهم بِمكرٍ منه [لهم][4]. ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه

(1) المؤلف هنا ينقل بالنص تقريباً من تفسير معالم التنزيل للبغوي (ت: 516)، ولم يذكره في مصادره التي سردها في أول الكتاب، وهذا أيضاً يخالف كلامه حين قال: إنه لا يورد حيلة إلا ذكر مصدرها.

(2) سورة: آل عمران، آية: 54.

(3) سورة: الأعراف، آية: 182.

(4) زيادة في (ت).

الآية، إنَّ إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل -عيسى -عليه السلام- حتَّى قُتل وصُلب، ورفع عيسى إلى السماء. وذلك أنَّ عيسى -عليه السلام- جمع الحواريين ليلة أرادوا به المكر، وأوصاهم أن يمضي كلُّ شخص منهم إلى قُطْر من الأرض، يدعو إلى الإيمان، ثم قال: ليَكْفُرنَّ بي أحدُكم قبل أن يصبح، ويبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا.

وكانت اليهود قد أقامت الأعين على عيسى -عليه السلام-، فأتى إليهم أحد الحواريين وقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها، وقال: اتبعوني، فتبعوه إلى منزل عيسى -عليه السلام- الذي كان فيه، فلما وصلوا إليه، قالوا له: أُدخل جئنا به، فدخل، فرآه عيسى وقال له: ما تريد؟ قال أنتَ. فرفعه الله إليه وأوقع شَبَهه على الرجل الذي طلبه، فخرج إليهم ليعلمهم أن عيسى -عليه السلام- قد رفع إلى السماء، فرأوا عيسى فلم يملوه دون أن قبضوا عليه، فقال لهم: لستُ بعيسى وأنَّ عيسى رُفع إلى السماء، قالوا: بل أنت عيسى وتريد أن تهرب، قال: أنا الذي دلَلْتُكم عليه، لم يلتفتوا إلى قوله، وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى، فكان مكرُ الله أقوى من مكرهم.

17. حكمته مع يونس -عليه السلام-[2]:

وذلك لما أرسله الله إلى أهل نَيْنَوى[2]، فكذَّبوه ورجموه وشتموه وجرّوه برجليه، فبقي يدعوهم زماناً طويلاً، ولم يزدادوا إلا طغياناً وكفراً، فدعا عليهم،

---

(1) وردت هذه القصة عند كثير من المؤرخين والإخباريين وفي كتب الأدب، كنهاية الأرب للنويري، وفيها زيادات كثيرة منذ مولد يونس -عليه السلام-، والمؤلف لم يذكر هنا مصدر نقلها.

(2) مدينة أثرية، تعدُّ من أقدم المدن في العصور القديمة، تقع في بلاد الرافدين في شمال العراق على الضفة اليمنى لنهر دجلة، وكانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية. وقد كانت نينوى أكبر مدن العالم في فترة الإمبراطورية الآشورية الحديثة، وتنتشر بقاياها في الجانب الأيسر من مدينة الموصل في محافظة نينوى شمال العراق على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وقد دُمرت نينوى بعد معركة نينوى 612 ق.م بعد أن غزاها (نبوبولاسر) ملك بابل بالتحالف مع الميديين، والكلديين وأرمن وكميريين، ونُهبت، وبذلك سقطت الإمبراطورية الآشورية الحديثة، وقد جاء ذكرها في الإنجيل، وارتبط ذلك بالنبي يونس -عليه السلام-. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: 3457.

فأوحى الله إليه أن: لا تعجل على قومك، وادعهم أربعين يوماً، فإن آمنوا وإلاّ أخذهم العذابُ، فدعاهم يونس أربعين يوماً فلم يجيبُوا له، فقال: إلهي وسيِّدي أنت أعلم بهم مني. فأوحى الله إليه أن: اخرج من بين أظهرهم فإني معذبهم، فخرج يونس -عليه السلام- إلى [جنب][1] الدجلة، ينظر كيف يَنزلُ [بهم][2] العذاب.

ثم إنَّ الله -عزّ وجلّ-، أوحى إلى مالك خازن النار أن يخرج شرارة من أرض الحُطَمةِ ليُرسلها على قوم يونس، فأخرج مالك شرارة من قَعْر الحُطَمة، كأنها سحابةٌ سوداء، وجاءت به الزبانية في الهوى إلى نينوى، وانبسطتْ على بلاد القوم، وظن الناس أنَّها مطرٌ، ونظر المَلكُ إلى السحابة والنار [يتطاير][3] منها، فاستدعى بوزيره، وكان قد آمن بيونس وكتم إيمانه، فقال: هذا العذاب الذي وعدنا به يونس، فالحذر الحذر، ليس هذا سحابة مطر، إنِّي أخشى عليك أيها الملك وعلى أهل بلدك، ولكن اطلبوا يونس، فإنْ كان بين أظهرنا فهو سحاب مطر، وإن كان قد رحل فهو العذاب لا مطر فيه، فطلبوا يونس فلم يجدوه، وقالوا: إنه رحل من بلدنا، فما سمع الملك بذلك لبس مسحاً أسود، وكذلك كل من في البلد، من شريف ووضيع، وغني وفقير، وذكر وأنثى وحُرٍّ وعبد، وخرجوا إلى تلٍّ قريب من المدينة، يُعرف الآن بتل توبة[4]، فصعدوا عليه ونادوا: يا إله السماء، يا إله يونس اعفُ عنَّا، فقد جئنا إليك بعد أن ظلمنا أنفسنا، وتبنا إليك وصدَّقنَا بما جاء به نبيك ورسولك يونس، فاغْفر لنا فنحن نَشْهد أن لا إله إلا أنت، وخَرُّوا كلهم سجّداً.

فعلم الله منهم صدق النية فأمر الملائكة: أن ارفعوا العذاب عن عبيدي،

---

(1) في (ب): [ريف].

(2) في (ب): [عليهم].

(3) هكذا في كلتا النسختين.

(4) يقع قرب هذا التل في الوقت الحاضر مسجد النبي يونس علي الساحل الغربي من (تل توبة) في مدينة الموصل في العراق، وقد تعرض هذا المسجد إلى تفجير من تنظيم داعش في 26 رمضان1435هـ.

فإنهم قد آمنوا بي ووحّدوني، [فرفعوا العذاب عنهم][1]، وهتف بهم هاتف يقول: أبشروا يا أهل نَيْنوى بالرحمة من ربكم، فرجعوا [أهل نينوي][2] إلى مدينتهم وهم مؤمنون موحدون.

كل هذا ويونس على شاطئ دجلة ينتظر ما يحل بقومه من [العذاب فلمَّا طال عليه ذلك، طلب المدينة ليـعْلَم ما حلَّ بقومه][3]، فبينما هو في بعض الطريق، إذ تعرض له إبليس في صورة شيخ قد أقبل من المدينة، فقال له يونس: يا شيخ من أين أقبلت؟ قال: من نينوى. قال: ما فعل الله بها؟ قال: نشر علينا رحمته وغفر ذُنوبَنَا وكشف عنَّا العذاب، ونحن في أطيب ما يكون من العيش والخير والدَّعَة، فلمَّا سمع يونس كلام الشيخ ولّى مُغْضباً، أي غضباناً على الله، كيف لم يُوقع على قومه العذاب؟!

وسار حتى أتى إلى جانب البحر، فرأى سفينة سائرة فأشار إليهم، فأتوا إليه وحملوه معهم، فلمَّا توسطوا البحر جاءهم المَوْج من كلِّ مكان وهبّتْ عليهم أرياح كادتْ تقلبُ السفينة، فقال يونس: يا قوم إن أردتم النجاة فألقوني في البحر، قالوا: كيف نلقيك في البحر بغير ذنب جنيته ولا فاحشة ارتكبتها؟ قال: أنا المطلوب من السفينة، قالوا: لا نفعل ذلك أبداً. قال لهم: فنقرع على من وقعتْ عليه القرعة فألقوه في البحر، فأقرعوا ثلاثاً وهي تقع على يونس، قالوا: هذا ما نقبله. قال: فاكتبوا أسماءكم، فكل من غاص اسمه فهو المطلوب، ففعلوا ذلك وألقوها في البحر، فغاص اسم يونس، فقالوا: ما نقبل [هذا][4]، قال: كل من طفا اسمه فهو المطلوب، ففعلوا ذلك فظهر اسم يونس، فقالوا ما بقي شيء، [فقام يونس][5] فغطى وجهه ببردته، وهمّ أن يلقي نفسه في البحر، ففتح الحوت فاه ليلتقمه، فأوحى الله تعالى إلى الحوت: أنيِّ لم أجعل يونس قوتاً لك، وإنما

---

(1) في (ب): [فرفعوا عنهم العذاب].

(2) زيادة في (ت).

(3) زيادة في (ت).

(4) في (ب): [بهذا].

(5) زيادة في (ب).

جعلتُ بطنك سجناً له، فدار يونس إلى الجانب [الآخر][1] فإذا الحوت فاتحاً فاه فأرمى يونس نفسه فالتقمه الحوت وغاص في البحر. فلما رأى يونس ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر وظلمة الأرض قال: سبحانك لا إله إلا أنت إنِّي كنتُ من الظالمين، فاستجاب الله له ونجّاه من بطن الحوت.

واختلفوا في كم لبثَ في بطن الحوت، قال عكرمة: ثلاثة أيام، وقال ابن مسعود: ثلاث ساعات، وقال قتادة: أربعين يوماً، وقال مقاتل: يوماً واحداً. قال: فلمّا قال يونس: سبحانك لا إله إلا أنت إنيِّ كنتُ من الظالمين، أمر الله الحوتَ أن يلفظه، فلفظه بالعراء[2]، وهو موضع فوق الموصل بسبعة فراسخ، يُسمَّى بلطاً، وتداوله الناس فسموه بلداً، فنبذ وهو كأنَّه الفرخ الذي لا ريش له، فأنبتَ الله عليه شجرة اليقطين، وجاءته غزالة فسقته من لبنها حتى كَمُل أربعين يوماً، فلمّا عاد إلى حال الصحَّة كما كان أولاً، أذهب عنه الشجرة، ويبُستْ العينُ، وذهبتْ الغزالة، فضاق صدره وبكى، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يونس: يضيق صدرك [على شأن شجرة يقطين، ولا يضيق صدرك][3] على مائة ألف رجل يُوحِّدوني ويعبُدوني، فنادى: سبحانك لا إله إلا أنت إنيِّ كنت من الظالمين، فأمره الله عزّ وجلّ أن يطلب نَيْنوى، لأن أهلها اشتهوا أن يروا يونس.

فسار يونس ذلك اليوم إلى المساء، فجاء إلى قومه فاستضاف برجل «فاخراني»[4] فأضافه[5]، وبات عنده، فلمّا كان نصف الليل ويونس قائمٌ يصلّي أوحى الله-عزّ وجلّ- إليه: يا يونس قل لهذا الفاخراني أن يَكسْر كل ما عنده من الفخار، فناداه يونس: يا فاخراني، فقال له: ما شأنك؟ قال كَسِّر كلَّ ما

(1) زيادة في (ت).

(2) العراء: الفضاء، والمكان الخالي المكشوف لا يُسْتَتَرُ فيه بشيء، والأرض المستوية والمُصْحِرة، وليس بها شجر ولا جبال ولا آكام ولا رمال، وما ذكره المؤلف من تحديد المكان الذي نبذ فيْه الحوت يونس، إنما هو من تخرصات الإخباريين.

(3) زيادة في (ت).

(4) أي: صانع الفخّار.

(5)

عندك من الفخار، قال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً، فلحَّ عليه يونس بالقول، وكان ذلك بأمر الله تعالى: فقال له الفاخراني وقد غضب: يا هذا ما أنت إلاّ مجنون، قم اخرج من عندي، كيف تأمرني أن أكَسِّر شيئاً قد عملته في أيام كثيرة، وما زال بيونس حتى أخرجه نصف الليل.

فخرج يونس وهو لا يدري أين يذهب، فأوحى الله إليه: يا يونس لَجَجتَ على الفاخراني في هلاكِ فخَّارٍ يساوي ديناراً، فغضبَ وأخرجكَ من منزله، فكيف أهلك مائة ألف يُوحِّدونِي ويَعْبُدوني، فعلم يونس ما أراد الله سبحانه وتعالى فقال يونس: سبحانك لا إله إلاّ أنت إنيّ كنت من الظالمين.

18. حكمته مع محمد ﷺ:

وذلك أنَّ محمداً ﷺ لما [هرب][1] هو وأبو بكر، وطلبا الغار، وخرج الكفار في طلبهما، فما زالوا يَقصُّون أثرهما حتى أتوا باب الغار، [وكان قد سبقهم النبي ﷺ وأبو بكر معه ودخلوا الغار][2]، فأمر الله عزَّ وجلَّ العنكبوت فسدَّتْ على باب الغار لساعته، وأمر الحمامة فعشَّشتْ وأفرختْ على فمه، والنبي عليه [الصَّلاة][3] السَّلام وأبو بكر داخل الغار، فلمّا [أتى][4] الكُفَّار إلى باب الغار، وجدوا سُدى[5] العنكبوت، وعشَّ الحمامة وهي [راقدة][6] على أفراخها، فبقي القوم [باهتين حائرين][7]، وقالوا: قد قصَّينا أثرهما إلى [هاهنا][8] وقد انقطع

---

(1) هكذا في كلتا النسختين.

(2) زيادة في (ت)

(3) زيادة في (ت).

(4) في كلتا النسختين: [أتوا].

(5) السدى: هو النسج، وفي كل نسج توجد خيوط اللُّحْمَة، وهي الخيوط التي تمتد عرضًا وأفقيًا فوق خيوط السدى وتحتها؛ لتشكل النسج.

(6) في (ت): [رابضة].

(7) في الأصل: [باهتون حائرون].

(8) في (ت): [هنا].

أثرهما، فقال أحدهم: [لا يكونان][1] إلاّ قد دخلا هذا الغار فقالوا له: أعمى الله قلبك كما أعمى نظرك، أما تنظر سدى العنكبوت لم يتخرّق والحمامة لم تجفل، وأعمى الله عليهم فرجعوا خائبين.

(1) في الأصل: [لا يكونا].

الباب الرابع
في حِيَل الملائكة والجنّ
فصـــل فـي حِيَـل الملائكـــة

19 . حيلة جبرائيل وميكائيل -عليهما السَّلام- على قابيل:

وذلك أنه لما قتل قابيلُ هابيل، تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به؛ لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فقصدته الطير والسباع والوحش، فحمله في جِرَابٍ على ظهره حتى أرَوح ونتن، وعكفتْ عليه الطير والسِّباع تنتظر رميه، فأمر الله عزّ وجلّ جبرائيل وميكائيل أن انزِلا إلى الأرض فعلّما قابيل كيف يدفن أخاه.

فنزل جبرائيل وميكائيل في صورة غرابين، فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، كان هذا بمرأى من قابيل، فلمّا مات أخوه حفر الآخر في الأرض بمنقاره ومخالبه حفرة وطرحه فيها وطمّ عليه بالتراب. فقال قابيل: ﴿ياويْلتي أعَجزْتُ أنْ أكُون مِثلَ هذا الغُراب، فأُوارِيَ سَوءَةَ أخي﴾[1]، ثمّ إنّه حفر له قبراً وواراه فيه.

20. حيلة الملائكة مع إبراهيم -ﷺ-:

وذلك أنّ إبراهيم -ﷺ- كانت سيرته ألاّ يأكلَ طعاماً إلاّ مع ضيف، فبقي ثلاثة أيام لم يأته ضيفٌ، ففي اليوم الرابع وهو في بيته يقرأ في الصحف إذ دخل عليه أربعة نَفر، قالوا: [سلامٌ][2]، قال: وعليكم السَّلام ورحمته وبركاته، ورحَّبَ بهم وأمرهم بالجلوس، قالوا: نحن ضيوف. فقام إلى سارة وقال: قد أتاني

(1) سورة: المائدة، الآية: 31 .

(2) في (ب): [سلام عليك].

ضيوفٌ صِباح الوجوه، نظاف الثياب، فقومي اخدميهم، فقالتْ له: كان عهدي بك غير الناس، قال: هو كما تقولين، إلاّ أنَّ هؤلاء النفر أبرارٌ قد سلّموا عليّ سلام الأبرار الأخيار. ثم قام إبراهيم إلى عجلٍ سمين فذبحه وشواه لهم، فلمَّا نَضُج وضعه بين أيديهم على خِوانٍ[1] مع خبزٍ كثير، وسارة على رؤوسهم تنظر إليهم، وإبراهيم يأكل ولا ينظر إليهم، فقالت سارة: يا إبراهيم إنَّ أضيافك هؤلاء ما يأكلون، فقال لهم: لِمَ لا تأكلون، وداخله الخوف من ذلك، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فلمَّا رَأى أَيْدِيَهُم لا تَصلُ إليه نَكِرهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفةً﴾[2].

ثم قال لهم: لو عَلِمتُ أنكم لا تأكلون لَمَا كنتُ قَطَعتُ هذا العجلَ عن أمِّه، فمدَّ جبرائيل يده إلى العجلِ وقال له: قم بإذن الله تعالى، فقام وطلب أمَّه، وجعل يرضعها، فاقْشَعَرَّ إبراهيم منهم، وقال: ﴿إنَّا منكم وجِلُون، قالُوا لا تَوْجل إنَّا نُبَشِّرُك بغُلامٍ عَلِيم﴾[3]، فطاب قلبه، وبشرّوه بإسحاق -عليهم السلام-.

21. حيلة أخرى للملائكة مع إبراهيم -ﷺ-:

وذلك لما اتَّخذ الله إبراهيم عليه السَّلام خليلاً [دخلتْ][4] الغيرة في جبرائيل وميكائيل [وقالا][5]: إلهنا وسيِّدنا أتأذن لنا أن نزور خليلك ونختبره هل فيه من علامة الأحباب شيء؟ فأذن لهما، فنزلا فإذا هو واقف على الأغنام، وكان له أربعة آلاف راعٍ ومع كل راعٍ كلب، وفي حلق الكلب طوق من الذهب

---

(1) الخِوان: سفر الطعام المرتفعة عن الأرض.

(2) سورة: هود، الآية: 70 .

(3) سورة: الحجر، الآية: 53، وقد وقع خطأ في الآية في كلتا النسختين (لا تخف بدل لا توجل)، والصواب ما أثبتناه.

(4) لم يذكر المؤلف مصدره الذي نقله عنه هذه الحيلة، كما هي طريقته في أغلب الحيل والقصص التي يوردها، ولم يرد في كُتب السنة، أو المصادر الموثوقة ذكر لهذه القصة، كما أنَّ أخلاق الملائكة لا تنشغل بغير الذكر والتسبيح، وصفاتها أرفع من الصفات البشرية التي يداخلها الحسد والغيرة، وظاهر القصة التكلف والصَّنعة، ولا يُتصوّر أن تتغنّى الملائكة بالذِّكْر، كما لا يُتصور من نبي من أنبياء الله أن يَهَب أولاده من أجل إعادة كلام أو صوت شجي.

(5) في كلتا النسختين: [قالوا].

وزنه ألف مثقال. فوقفا حذاءه وقالا بصوت شجيّ: سبحانه من قديم ما أعظمه، وسبحانه من عظيم ما أكرمه، وسبحانه من كريم ما أحلمه، وسبحانه من حليم ما أرحمه، سبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والرُّوح.

فاهتزت أركان إبراهيم -عليه السلام- ونادهما: ممّن أنتما؟ فقالا عباد الله، قال: فأنشدتكما بالله ألا قلتما مرة أخرى، قالا: ما نقول إلا بشيء، قال: قد وهبتُ لكما جميع ما أملك من الأغنام والمواشي، فقالا مرة أخرى أحسن من الأولى، فقال لهما: أعيدا ذلك الصوت، فقالا: ما نقول إلاّ بشيء. قال: قد وهبتكما ما في داري من متاع وغيره، فأعادا ثم سكتا، فقال لهما: قولا مرةً أخرى. قالا: ما نقول إلاّ بشيء. قال: قد وهبت لكما أولادي. فقالا ثم سكتا، فقال: قولا مرةً أخرى حتى أهبُ لكما نفسي وأكون لكما راعياً، فالتفت جبرائيل إلى ميكائيل وقال: يحق له أن يكون خليل الله، ثم قالا له: بارك الله لك في مالك وأولادك، فأنا جبرائيل وهذا ميكائيل، وتركاه وانصرف.

22. حيلة الملائكة مع لوط -عليه السلام-:

قيل إن لوطاً كان ذات يوم يحرث، فلمَّا فرغ من حرثه قصد بيته، فالتقاه جبرائيل وميكائيل ومعهما ملكان وهم في أحسن صورة تكون، فقالوا له: يا لوط نحن أضيافك؛ لأننا قد أتينا من موضع بعيد وقد جزنا بساحتك، فهل لك أن تضيفنا هذه الليلة؟ قال: نعم، ولكن أخاف عليكم من هؤلاء الفاسقين عليهم لعنة الله، فقال جبرائيل لميكائيل: هذه واحدة، وكان الله عزّ وجلّ قد أمرهم [لا يهلكون][1] قوم لوط إلاّ بعد أن يلعنهم لوط، ويشهد بفسقهم ثلاث مرات، ثم أقبلوا عليه وقالوا: يا لوط قد أقبل الليل علينا، وما لنا موضع نلبث فيه، ونحن الليلة أضيافك، فاعمل على حسب ذلك، فقال لهم لوط: قد أخبرتُكم بأن قومي يفسقون ويأتون الذكران عليهم لعنة الله، فقال جبرائيل لميكائيل: هذه ثانية، ثم قال لهم لوط: انزلوا عن دوابكم ها هنا حتى يشتدُّ الظلام، ثم تدخلون

(1) في (ت): [لا يهلكوا].

ولا يشعر بكم أحد، فإنهم [قوم][1] فاسقون عليهم لعنة الله، فقال جبرائيل لميكائيل: هذه ثالثة. ومضى لوط بين أيديهم حتى دخلوا إلى منزله، فأغلق الباب ثم دعا زوجته وقال لها: يا هذه قد عَصيْتِ الله أربعين سنة وهؤلاء أضيافي قد ملأوا قلبي خوفاً، فاكتمي على أمرهم في هذه الليلة حتى أغفر لك ما مضى، قالت: نعم.

وقيلَ كانت خيانة امرأة نوح أنّه كان إذا ضربوه تقول: لا تضربوه فإنه مجنون، وامرأة لوط كانت إذا جاءه ضيف نهاراً دخّنت، وإذا جاءه ليلاً سرجتْ ليعلموا أن عنده ضيف، فهذه كانت خيانتهما؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- كثيراً ما كان يبتلي أنبياءه بالنساء الفواجر[2].

فلمّا كان في هذه الليلة خرجتْ وبيدها سراج لتُعلِّقه، فطافتْ على عدة من القوم وأخبرتهم بحال [ضيفيهما وحُسْنهما][3]، فعلم لوط بذلك، فأغلق الباب وأوثقه، وأقبل الفُسّاق حتى وقفوا على باب داره فقرعوه، وذلك قوله تعالى: ﴿وجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرعُون إليْه ومِن قَبلُ كانُوا يَعْملُون السَّيِّئات﴾[4].

فناداهم لوط: هؤلاء بناتي هنَّ أطهرلكم؛ يعني لا تفضحوني في ضيفي، أليس [منكم][5] رجل رشيدٌ يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر، قالوا: ﴿لقد عَلِمتَ ما لَنا في بَنَاتكَ مِنْ حَقٍّ، وإنَّكَ لتَعْلم ما نُريدُ﴾[6]؛ يعنون عملهم

(1) زيادة في (ت).

(2) وردَ عن ابن عبّاس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال: كانت امرأة نوح تقول للنّاس: إنّه مجنون. وقيلَ أيضًا: إنَّها كانت تُطلعهم على سِرِّ نوح -عليه السلام-، فإذا آمن مع نوحٍ أحد أخبرَتْ الجبابرةَ من قومه به. ووردَ عن الضحاك قوله في تفسير الآية: ما بغَت امرأةُ نبيٍّ قط، أمّا «فخانتاهما» أي خانتاهما في الدين. إذن فالخيانة الزوجيّة مستحيلةٌ بالنسبة لامرأة نبيٍّ بإجماع العلماء، أمّا هذه فهي خيانة في الدعوة، فزوجُها نبيٌّ كريم وهو نوحٌ -عليه السلام- ومعه دعوةٌ من خالق السماوات والأرضِ، وزوجته لم تؤمن بهذه الدعوة، فالخيانة أنّها كانت مشركةً على غير دينه. انظر: تاريخ الطبري: 23/ 498 .

(3) في الأصل: [ضيفيهم وحسنهم].

(4) سورة: هود، الآية: 78.

(5) في (ب): [فيكم].

(6) سورة: هود، الآية: 79.

الخبيث، ثم كسروا الباب ودخلوا وقالوا له: ﴿أَوَلَمْ ننهك عن العالمين﴾[1]؛ يعني عن الناس أجمعين، فوقف لوط على الباب الذي فيه الضيوف وقال: لا أسلم ضيفي إليكم دون أن تذهب روحي أو لا أقدر عليكم، فتقدّم بعضهم ولطم وجهه، وأخذ بلحيته ودفعه عن الباب، فعند ذلك قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[2]، وقال إلهي وسيِّدي خذ لي بحقي من قومي، وألعنهم لعناً كثيراً.

فقال جبرائيل لميكائيل عند ذلك: هذه الرابعة، ووثبَ جبرائيل وقال للوط: افتح الباب إنَّا رُسُلُ ربِّك فلن يصلوا إليك، فهجم القوم عليهم وهم يقولون: ألم نَنهك عن العالمين؛ أي أن تأوي ضيفاً، ورأوا جمال الملائكة وحسنهم فبادروا نحوهم، فطمس الله على أعينهم فإذا هم عميٌ لا يُبصرون، وصارتْ وجوههم كأنها الغار، وجعلوا يدورون ووجوههم تضرب الحيطان، وعلى الباب قوم آخرون يقولون: إنْ كان قد قضيتم شهوتكم اخرجوا حتى ندخل، فقالوا: يا قوم إن لوطاً قد سحر أعيننا فادخلوا خذوا بأيدينا، فدخلوا وأخذوا بأيديهم وقالوا: يا لوط إذا أصبحنا أريناك.

فَسكتَ لوطٌ عنهم حتى خرجوا، ثم قال للملائكة: بِمَ أرسلتم؟ فأخبروه أنَّ العذاب واقع بقومه، فقال: متى؟ قالوا الصُّبحُ، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[3]، ثم قال له جبرائيل: انتقل عنهم، فأخذ لوط أهله وأولاده وما يعزّ عليه، وانتقل عنهم، فما كان إلا الصُّبح حتى نَزل عليهم العذاب فهلكوا جميعاً.

23. حيلة الملائكة مع يعقوب -عليهم السَّلام-:

وذلك أنَّ يعقوب -عليه السلام- لما اجتمع مع يوسف -عليه السلام- في مصر بعد أربعين سنة من فراقه أقام عنده مدة، فلمَّا أراد الله -عزّ وجلّ- قبضه في البيت

(1) سورة: الحجر، الآية: 70.

(2) سورة: هود، الآية: 80.

(3) سورة: هود، الآية: 81.

المقدّس ألهمه الزيارة لقبور آبائه إسحاق وإبراهيم، فقال ليوسف: أريد أن أمضي لأزور قبور آبائي إسحاق وإبراهيم، قال له يوسف: الأمر لله ولك، فتجهز يعقوب، وأتى إلى بيت المقدس. فلمّا وصل [بيت][1] المقدس رأى جماعة من الملائكة يحفرون قبراً، فوقف يعقوب -عليه السلام- فرأى ذلك القبر وقد فُرش بأنواع الفرش، فقال لهم يعقوب: لمن هذا القبر؟ قالوا: لعبدٍ كريم على ربه، قال: ومن أنتم؟ قالوا: نحن ملائكة ربّنا، فنظر يعقوب إلى القبرِ، فرأى فيه أقواماً حِساناً على أمثال المنابر جلوس هناك، فقال يعقوب: من هؤلاء الذين على المنابر؟ قالوا: أولاد الخليل إبراهيم، فهمَّ يعقوب أن يدخل إليهم ويسلّم عليهم، فقالت له الملائكة: إنَّ هؤلاء لا يَدخل إليهم إلاّ من يشرب هذا الكأس، فقال يعقوب: هَلُموا به لأشربه، فناولوه الكأس فأخذه منهم وشربه، فما هو إلاّ أن أتى على آخره حتى خرّ ميتاً عليه السّلام، فغسّلته الملائكة وكفّنته بأثواب من الجنة، [وصلّى][2] عليه الملائكة مع من حضره من أولاده، ودُفن إلى جانب قبر أبيه إسحاق -عليهما السلام-.

24. حيلة ملك الموت مع موسى -عليه السلام-[3]:

لما أراد قبض موسى -عليه السلام- نزل إليه ملك الموت، فسلَّم عليه، فردّ عليه موسى السلام وقال له: مَن أنت أيّها الشخص الذي لم أرك قبل يومي هذا؟ قال: أنا ملك الموت، جئت لأقبض روحك، قال له موسى: من أين تقبض روحي؟ قال من فيك، قال موسى: فقد خاطبتُ به ربي، قال: من عينيْكَ، قال: نظرتُ بهما نور ربي، قال: من أُذنيْكَ، قال: سمعتُ بهما كلام ربي، قال: من يديكَ قال: قد تناولتُ بهما ألواح التوراة، قال: فمن رجليكَ، قال: قد وقفتُ بهما في مناجاة ربي، قال ملك الموت: أظنكَ يا موسى شربتَ الخمر؛ لأنّك

---

(1) سقطت من كلتا النسختين.

(2) في كلتا النسختين: [صلّوا].

(3) ذكر المؤلف قصة وفاة موسى عليه السلام في الفصل السابق، مع بعض الزيادات والتغيير.

تُكلِّمني كلام سكران، فغضب موسى وقال: إذن استنكهني[1]، فانظر هل شربتُ خمراً، فدنا منه ملك الموت، فتنفس موسى فقبض روحه، وغسّلته الملائكة وكفنوه وصلّوا عليه ودفنوه[2].

(1) النَّكْهَةُ: رائحة الفم.

(2) ما ذكره المؤلف هنا هي رواية من روايات كثيرة انتشرت بين المؤرخين والإخباريين، وبعضها قد ينسجم مع العقل ويتوافق مع مقام الملائكة والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، أما ما ذكره المؤلف هنا، فهو مُنكر، لا يليق بمقام الملائكة مع أنبياء الله.

فصل في حيل الجن

25. حيلة إبليس لعنه الله مع آدم -عليه السلام- [1]:

وذلك أنَّ الله عزَّ وجل لما زوّج آدم بحواء -عليهما السلام- قال له: ﴿اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنَّةَ، وكُلا منْها رَغَداً حَيْثُ شئْتُما، ولا تَقرَبا هذه الشَّجَرَةَ﴾[2]، وكان إبليسُ قد مُنع من الدخول إلى الجنَّة لما امتنع من السجود لآدم، وبقي آدم في الجنَّة وحواء عنده. فحسده إبليس، وكان إبليسُ لا يُمنع من الصُّعود إلى السَّماوات إلاّ الجنة وحدها لا يدخلها، فأتى إلى السماء السابعة وأراد أن يدخل الجنة، فلم تمكّنه الخَزَنة، فأتى الحيَّة، وكانت من أحسن الدواب، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خُزَّان الجنَّة، وكانت صديقة إبليس، فسألها أن تُدخله الجنَّة في فمها، فأدخلته ومرَّتْ به على خَزنة الجنَّة وهم لا يعلمون[3]. وكان آدم لما دخل الجنَّة ورأى ما فيها من الكرامة والنعمة قال: لو أنَّ هذا خالد، فاغتنم إبليس ذلك منه، وأتاه من قِبَل الخلد، فلما دخل الجنَّة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فناح عليهما بناحية أحزنتهما وبكى، فقالا: ما يبكيك؟ فقال أبكي عليكما كيف تموتان وتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتمّا.

ومضى إبليس، ثم أتاهما بعد ذلك وقال: ﴿يا آدمُ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾[4]، فأبيا أن يقبلا منه، فقاسمهما أنَّه لهما من الناصحين، [فاغترّا] [5] به، [وقالا][6]: لا يحلف أحدٌ بالله كاذباً، فبادرتْ حوّاء

(1) القصة في تاريخ الطبري: 121/1، وكذلك في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 208/1
(2) سورة: البقرة، الآية: 35.
(3) وردت هذه القصة عند كثير من المفسرين بزيادات واختلافات متعددة، وقد أخذ خيال الرواة يضيف إليها على مرّ العصور.
(4) سورة: طه، الآية: 120.
(5) في كلتا النسختين: [فاغتروا].
(6) في كلتا النسختين: [قالوا].

إلى الشجرة فأكلتْ منها، ثمَّ ناولتْ آدم فأكل. وقيل: إنَّ إبليس سقاهما الخمر حتى أخذتْ منهما، فأخذتْ حوّاء بيده وأتتْ به إلى الشجرة، [فأكلا][1] منها فبدتْ لهما سوءاتهما وأُخرجا من الجنَّة، فهبط آدم بسرنديب[2] وحواء بجُدَّه[3] وإبليس بالأُبلَّة[4] والحية بأصفهان[5].

26. حيلة إبليس على قابيل حتَّى قتل هابيل وكيف علمَه القتل:[6]

وذلك لما نفذ القضاءُ بقتله، لم يدرِ كيف يقتُله وبقي متحيراً، فجاءه إبليسُ ومعهُ طيرٌ كبيرٌ فتركه حتى نام، وقام إبليسُ فأخذَ حجراً فَشَدخ به رأس الطاير فمات، فتعلَّم قابيلُ قتل هابيل، فأتى إلى هابيل وهو نائم في خَيمته، فأخذ حجراً وشدخ به رأسَه فمات، وكان عمره يوم قتله عشرين [سنة] [7]. فلمَّا قتله ذهب طريداً شريداً، وهام لا يدري أين [يُقيم][8] ولا يأمنُ من [يراه فأخذ][9] بيد أخته إقليما، وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليسُ وقال له:

---

(1) في: (ب): [فأكل].

(2) سرنديب: هي سريلانكا.

(3) جُدَّة من كبريات المدن في المملكة العربية السعودية، وضبطها بالشكل فيه ثلاثة أقوال، لكل رأي دليله، فهي بالضم تعني شاطئ البحر، وهو رأي ياقوت الحموي وابن بطوطه، وبالكسر نسبة إلى جِدَّة بن جرم وهو شيخ قبيلة قضاعة، وبالفتح نسبة إلى الجدة والدة الأب أو الأم نسبة إلى حواء، وما قاله بعض المؤرخين من أنها دفنت فيها، وهناك مقبرة في جدة يطلق عليها: مقبرة أمنا حواء، وقد حدثت قبل سنوات معركة أدبية لغوية بين عبد القدوس الأنصاري وحمد الجاسر أطلق عليها: «ضم جيم جدة». انظر: جُدة في شذرات الغزاوي، لعدنان اليافعي: 53 .

(4) الأبلة: بضم أولها وتشديد اللام وفتحها، مدينة صغيرة بالعراق قريبة من البصرة، انظر معجم البلدان: 89/1.

(5) أصفهان أو أصبهان إحدى مدن إيران.

(6) اختلفت أسباب قتل قابيل لهابيل عند المفسرين والإخباريين، وأوردوها بطرق كثيرة مختلفة، انظر: البداية والنهاية 92/1، وتاريخ الطبري: 137/1، والمنتظم في تاريخ الملوك: 221/1 .

(7) زيادة في (ت).

(8) في (ب): [يهيم].

(9) في كلتا النسختين: [ولا يأمن من سواه بيد أخته] والتصحيح من معالم التنزيل.

أتدري لِمَ أكلتْ النار قربان قابيل؟ فقال له: لِمَ؟ قال: لأنَّه كان يَعْبُدها بغير علم أبيكَ، فلذلك أكلتْ قُرْبانه وتركتْ قُرْبانكَ، فاعبدها أنتَ وقد أعطتْك ما تُريد، وما زال يتحدث عليه حتى عبد النار واتخذ لها بيتاً، [وهو][1] أوّل من عبد النار.

27. حيلة إبليس مع نوح -عليه السلام-[2]:

ذكرها عامر الشعبيّ[3] وأيوب بن القِرِّية[4] في كتابهما المعروف بسير العجم[5]: أنَّ نوحاً لما طاف الماء وفار التنّور وأمره الله تعالى أن يأخذ معه في السفينة من كلٍّ زوج اثنين، فأخذ من كلِّ الحيوان حتى بقي الحمار والحمارة، فصعدت الحمارة، وأتى إبليسُ فلزم بذنب الحمار فامتنع من الدخول إلى السفينة، [فلمّا][6] أعيا نوح، [قال][7]: اِصْعَد يا شيطان، فصَعِدَ هو وإبليس؛ لأن

---

(1) في (ب): [وهذا].

(2) القصة في: تاريخ الطبري: 179/1، ومروج الذهب: 43/1، والمنتظم في تاريخ الملوك239/1.

(3) عامر الشعبيّ،هو: أبو عمرو الهمداني الشعبي، عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، المشهور بـ الإمام الشعبي: (21- 100هـ)، تابعي وفقيه ومحدّث، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وروى عن بعض الصحابة، وُلد في الكوفة وعاش فيها، وقد سكن المدينة المنورة عدة أشهر هرباً من المختار الثقفي، شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث، ثم نجا من انتقام الحجاج بعد أن عفا عنه، وتولى الكتابة فترة من الوقت عند «قتيبة بن مسلم الباهلي، كما أوفده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في سفارة خاصة إلى بيزنطة، كما عيّنه عمر بن عبد العزيز قاضياً، إذا غلب عليه الفقه والتفسير، وقد أُشتهر بما روى من الأخبار في الإسرائيليات، أخذها عمن أسلم من أهل الكتاب، وفي قصص التبابعة وأخبار اليمن والمغازي لا يُعرف عنه أنه صنف كتاباً، وإنما قد يكون ما ذكره المؤلف بعض الأخبار التي رويت عنه، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 15/3، وسير أعلام النبلا: 295/4 .

(4) ابن القِرِّية، هو: أبو سليمان، أيوب بن يزيد بن قيس، المعروف بابن القِرِّية الهلالي(ت: 84هـ)، وقد تقدمت ترجمته.

(5) ذكر المؤلف هذا الكتاب في قائمة مصادره في الصفحات الأولى، باسم: تاريخ العجم، ونسبه إلى ابن القِرِّية، وقلنا: إنَّ هذا الكتاب لا وجود له، فابن القِرِّية أميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وما ذكره المؤلف قد يكون بعض الأخبار التي رويت عنه، ثم جُمعتْ وأطلق عليها هذا الاسم، ويؤيد رأينا هذا أنَّ المؤلف هنا ينسب الكتاب إلى شخصين.

(6) سقطت من (ب).

(7) في (ب): [وقال].

إبليس ما كان يقدر يصعد السفينة إلا بأمر نوح، فمَسَك بذنب الحمار حتى يقول له نوح: اِصْعَد يا شيطان، فلما صار [إبليسُ][1] في السفينة رآه نوح، [فقال][2] [له][3]: ويلك يا ملعُون من أدخلك سفينتي؟ قال: أنت أمرتني بالدخول وليس لك عليّ سبيل؛ لأني من المُنظَرين، وانقضت الجن والشياطين ما بين السَّماء والأرض أربعين يوماً حتى فرغ الطوفان.

28. حيلة إبليس على [بيوراسف] وهو الضحّاك:[4]

قال عامر الشعبي في كتابه المتقدم ذكره أن الضحّاك بن علوان بن [عصليق][5] بن عوج بن عاد وهو الذي [سمّته][6] العجم [بيوراسف][7]، وهو الذي بنى بابل، وكان قد ولاّه سام على طائفة من أولاده وأعطاه أرض بابل، فبقي مدة، فلمّا مات سام عقبه الضحّاك على أولاد سام ونصَّب نفسه لذلك، وعتا وتمرّد، وهو أوّل من أظهر الصَّلب والقَتْل، وكان قد بنى بابل وسمّاها [جرفا][8]، وكان الذي علّمه الصلب والقتل إبليس بحيلة عملها عليه.

وذلك أنّه دخل عليه يوماً في صورة طبّاخ، وقال له: أيّها الملك أنا رجل طبّاخ أجيد عمل الأطعمة الطيّبة ما لا يعرف أحدٌ من قومك مثلها، فولاّه على

---

(1) سقطت من (ب).

(2) في (ب): [وقال].

(3) سقط في (ب).

(4) القصة في: تاريخ الطبري: 194/1، ومرآة الزمان: 250/1، والكامل في التاريخ: 58/1.

(5) في كتاب: المنتظم في تاريخ الملوك: عبيد بن عويج.

(6) في (ت): [تسميه].

(7) في كلتا النسختين: [بيو راسب]، والتصحيح من كتاب: مفاتيح العلوم، وهو أحد ملوك الفرس القدماء، وقد تعارف عليه العرب بلقب الضحّاك الحميري، وهو تعريب: دهاك، ومعناه: ذو عشرة آفات وقيل: بل هو تعريب: أزدها؛ أي التنين، بسبب سلعتين كانتا به فوق كتفيه، وسيورد المؤلف في القصة سبب ذلك في حكاية أسطورية مع إبليس، وتقول بعض المصادر أنه يعود في نسبه إلى علوان بن عاد بن عوس بن إرم بن سام بن نوح -عليه السلام-.

(8) في تاريخ الطبري: [حوب].

مطبخه، وكان الناس قبل ذلك لا يأكلون [الحملان][1]، وكان أول ما اتخذ له طعاماً من البيض فأكله فاستطابه، وقال: تقدر تصنع شيئاً أطيب منه، قال: نعم. ما يخرج هذا منه، قال فدونك، فذبح في اليوم الثاني الدجاج، واتخذ له منه طعاماً طيباً، فلمّا أكله استطابه، ثمَّ ذبح له في اليوم الثالث الغنم، وفي الرابع البقر وفي الخامس الجزور، وأراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى التجرؤ على قتل النَّاس وسفك الدماء. وكان يأخذ الشاة ويصلبها [يعلّقها][2] إلى أن تموت [ويطبخها][3] ويطعمه إيّاها، فلمّا رآه قد هان عليه ذلك، نصبَ له الحيلةَ لقتل النَّاس، فطبخ له طبيخاً استطابه [غاية][4] الطيبة، فخلع عليه وأعطاه [ومنّاه][5]، وقال له: أريد أقبّل منكبي الملك.فأذن له فقبّل منكبه فخرج موضع قبلته سلعتان[6] نابيتان[7] عظيمتان كهيئة الحيتين لهما أفواه وعيون، فلمّا رآهما الضحّاك علم أنه إبليس، فقال له وقد ولى عنه: ما غذاء هاتين الحيتين يا ملعون؟ فالتفتَ إليه إبليس وقال: أدمغة الناس، وغاب عنه فلم يره. فأمر الضحّاك وزيره أن يذبح له في كل يوم أربعة رجال جسام سمَان يستخرج أدمغتهم ويأتيه بها ليُغذي تلك الحيات، ومكث على ذلكَ زماناً طويلاً، فمات الوزير فجعل على وزارته رجلاً من ولد أرفخشد[8] ويسمى

(1) لعلها: [اللحم].

(2) في (ب): [يحلقها].

(3) في (ب): [وينضجها].

(4) في (ب): [عليه].

(5) في (ب): [وسناه].

(6) السلعة، بالكسر: زيادة في الجسم تشبه الغدة، تتحرك بين الجلد واللحم.

(7) رواية: (ت): [نابيتان]، ورواية (ب): [نابيتان]، الأولى من: ناب، جمع أنياب والثانية، من: نبا، أي بارزة أو منفلته، وفي: المنتظم في تاريخ الملوك: [ناتئتان].

(8) تذكر معظم المصادر أنَّ أرفخشد هو ولد سام بن نوح.

أرمابيل[1] له رقة ورحمة، فكان يؤتى كل يوم بأربعة رجال سِمَان قد كُتِبَتْ أسماؤهم، فيأمر بذبح رجلين منهم ويستخرج دماغيهما ويضيف إليهما دماغي كبشين، ويدخل بذلك إلى الضحّاك ليغذّي به الحيّات ويستبقي الرجلين، ويأمر أصحابه بكردهما إلى الجبل فبقوا إلى أن هلك الضحّاك، وصار الذين سكنوا الجبل أصل الأكراد إلى يومنا هذا.

29. حيلة مع إبراهيم -عليه السلام- وعمله للمنجنيق:[2]

وذلك أنّ النمرود[3] لما أراد إحراق إبراهيم الخليل -عليه السلام- جمع له حطباً عظيماً، وحفر له حُفرة عظيمة، وطرح عليها النِّفْط، وضربوا فيه النار، فعَقَد لهبُها إلى السَّماء، فكان الطيرُ إذا مرَّ بها سقط من شدّة لهبها، ثمّ أرادوا أن يطرحوا إبراهيم -عليه السلام-، فلم يقدروا على ذلك لشدّة لهب النار، فبقوا حيارى، فبينما هم كذلك إذ أقبل إبليس[4] في صورة شيخ نجّار على كتفه فأس، فقال لهم: ما لكم حيارى؟ فقصّوا عليه القضية: فقال: إنّي متخذٌ لكم منجنيقاً ترمون به إلى النار، ولم يكن يُعرف قبل ذلك اليوم، قالوا: وما هيئته؟ فخطّ لهم على التراب

(1) لا يغيب عن ذهن القارئ أنّ مايرويه المؤلف في كثير من المواضع هو من نتاج المخيلة، وتداخلها مع الأساطير وثقافات الأمم، وحكاياتها الشعبية منذ أقدم العصور، فهذه القصة مثلاً تروى بطريقة أخرى، «وتُنْسَب له حكاية الطباخَيْن: أرمابيل وكرمابيل، اللذين أمرهما بقتل الشبان، لكنهما رقّا للشبان المذبوحين، فكانا يذبحان عنزاً بدلًا منهم يوميًا، ويتفرّقون في الجبال حتى أصبحوا أممًا، فهم أصول جميع الأكراد في نواحي البلاد». انظر: الحكايات الشعبية، شوقي عبد الحكيم: 96 .

(2) القصة في: تفسير الجامع لأحكام القرآن: 327/14، ومعالم التنزيل: 326/5، والبداية والنهاية: 324/1.

(3) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح -عليه السلام- واحدٌ من أعْتى ملوك الأرض وأكثرهم استكباراً فيها، إذ ادّعى الألوهية، والقدرة على الإحياء والإماته، وهو أحد أربعة ملكوا الدنيا، مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: النمرود، وبُخت نَصر، والنمرود هو الذي جاء ذكره ضمناً في القرآن الكريم، في قوله الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ سورة البقرة، الآية: 258. انظر: تفسير ابن كثير.

(4) عند ابن كثير في البداية والنهاية ما نصه: «ثمّ وضعوا إبراهيم -عليه السلام- في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد، يقال له: (هيزن)، وكان أوّل من صنع المجانيق، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

مثاله، قالوا: افعل، فصنع لهم المنجنيق وأراهم كيف يرمون به، فحاروا لما رأوا، فأوثقوا إبراهيم ووضعوه في الكفة ورموا به إلى النار.

30. حيلته على قوم لوط حتى علّمهم اللواط:[1]

وذلك أنّه كان قوم لوط بستانيين، وكان لهم مشاتي كثيرة، وكان الجهلة يأتون فيجنون ثمرتها بغير إذن أصحابها، فشكوا ذلك [لبعضهم بعضاً][2]، فأتى إليهم إبليسُ وقال: كلُّ مَنْ دخل إلى بستان ما هو له ولا له فيه حكم فألزموه أُجرته، وقد انتهوا عن ذلك، ثم إنّه أخذ شيطانة في زي صبي، ودخل إلى بعض البساتين، وجعل يستعملها فرآه الناطور الذي للبستان وأنكر عليه، فقال له: إنه جنى ثمرة البستان، فأخذه ومضى إلى بستان آخر في صورة شيخ وعمل كعمله الأول، فأُنكر عليه فأخذه ومضى، واجتمع النّاس على حديثه ووافقوه على ذلك، واستمروا عليه حتى لم يفلتوا أحداً.

31. حيلة إبليس في تعليم الزّنا:[3]

وذلك أنَّ بَطْنَيْن من ولد آدمَ عليه السَّلام، كان أحدُهما يَسْكُنُ السَّهْل، والآخر يَسْكُنُ الجَبَل، وكان رجالُ الجبل صباحاً وفي النِّساء دَمَامةٌ، وكان نساء أهل السهل صباحاً وفي الرِّجال دمامة. وإنَّ إبليسَ أتى رَجُلاً من أهل السهل في صُورةِ غلام. فأجَّرَه نَفسَه يتخدّمه، واتّخذ إبليسُ شيئاً مثل الذي تَزمُرُ فيه الرُّعاةُ، فجاء لهُ صوت لم يُسْمع مثله، فبلغ ذلك مَنْ حوله، فجاؤوه يسمعون الصوت، واتّخذوه عيداً يجتمعون إليه في السّنة مرتين [تَتزينُ][4] النِّساء للرجّال

---

(1) من الأخطاء الشائعة بين العلماء، وعامة النّاس نسبة عمل قوم لوط إلى لوط -ﷺ-، لتشابه الألفاظ، وقد حررّ هذه المسألة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه: معجم المناهي اللفظية: 476 .

(2) في (ب): [إلى بعضهم بعضا].

(3) القصة في: معالم التنزيل: 349/6، والبداية والنهاية: 324/1، وأخرج هذه القصة ابن جرير الطبري في تفسيره: (4/22)، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (598/2) بإسناد قوّاه ابن حجر في الفتح: (520/8).

(4) في (ب): [يتزين].

والرجّال للنِّساء، وأنَّ رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم، فرأى النساء وصَبَاحتهنَّ، فأتى أهله فأخْبرهم بَصَباحَةِ نساء السَّهل فتحوَّلوا إليهم ونَزَلوا معهم، فزيَّن لهم إبليسُ الفواحش وحسَّن لهم القَبيح، ووسوس في صدور النِّساء حتى كَثُرتْ فيهم الفاحشة والفُسَّاق.

32. حيلة إبليس على أهل الرَّس حتَّى علَّم نساءهم السَّحْق:[1]

قال وهب بن مُنبِّه: إنَّ أصحاب الرَّسِّ بحَضْرَمَوت، وقد ذكرنا أنَّهم بَنوا مدينةً طُولها أربعون ميلاً في مثلها، وكانوا قد احتفروا قناةً سمّوها رسًّا، وكانوا من إعجابهم بها وبالقنوات والأشجار والثمار ينتسبون إليها، وأقاموا يعبدون الله دهراً طويلاً حق عبادته. ثمّ إنّهم تغيروا، فكان ممّا أحدثوا في قومهم عبادة الأصنام، وإتيان الرجّال والنِّساء [في][2] أدبارهنّ، وكانوا يتبادلون بالنساء، يبعث هذا زوجته إلى هذا، وهذا يبعث زوجته إلى هذا، فشقّ ذلك على النِّساء، واجتمَعْن على باب المدينة [يَتحدَّثنَ][3] [في ذلك][4] [ويتعوَّذنَ][5] منه إذ أقبل إبليسُ في صورة امرأة جميلة فجلس بَينَهُنَّ، فقُلنَ لها من أنتِ أيتها الامرأة التي لم نرها قبل هذا اليوم؟ فذكر إبليسُ أنه امرأة فلان بن فلان من قرية كذا وكذا، وأنَّها قد جاءتْ إلى المدينة؛ لأن زوجها يريدُ منها من دُبرها، وأنها لا تُريدُ ذلك، وكان قبل هذا علَّم آل لوط اللياط، وذكرتْ أنَّها كانتْ لها امرأة تتعاشقان وتجتمعان على السَّحق، وأنّها ماتتْ وليستْ تجدُ امرأة بدلها، فعَجبتْ أولئك النسوة من حديث إبليس وقُلن لها: كيف السَّحق؟ فما زال إبليسُ يُعلّمُهنّ حتى [فَعلْنَه][6] [فرأَيْن][7] له لذةً عظيمة، واشْتَغلَن به عن الرجال، [ومَازِلْنَ][8] على ذلك حتى أبَادَهُنّ الله تعالى جمعياً.

---

(1) القصة في: الجامع لأحكام القرآن: 32/13 .

(2) في (ب): [من].

(3) في كلتا النسختين: [يتحدثون].

(4) في (ب): [بذلك].

(5) في كلتا النسختين: [يتعوذون].

(6) في كلتا النسختين: [فعلوه].

(7) في (ب): [فرأوا].

(8) في كلتا النسختين: [ومازالوا].

33. حيلة إبليس على ذي الكفل -عليه السلام-[1]:

روى الأعـــمش[2] عـــن الـــمنهال عن عمـــرو[3] عـــن عبداللـــه بن

---

(1) تكرر اسم ذي الكفل في القرآن الكريم مرتين: الأولى: في قوله سبحانه: «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين» سورة الأنبياء، آية: 85 والثانية: في قوله تعالى: «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار» سورة ص، آية: 48، والذي عليه أكثر المفسرين أن ذا الكفل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين، قال الرازي: «والأكثرون أنّه من الأنبياء -عليهم السّلام-». وقال ابن كثير: «وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنّه ما قُرن مع الأنبياء إلا وهو نبي». وقال الآلوسي: «وظاهر نظم ذي الكفل في سلك الأنبياء -عليهم السّلام- أنه منهم، وهو الذي ذهب إليه الأكثر». وقال ابن عاشور: «وأما ذو الكفل فهو نبي، اُختلف في تعيينه، فقيل: هو إلياس المسمى في كتب اليهود (إيليا)، وقيل: هو خليفةاليسع في نبوة بني إسرائيل. والظاهر أنه (عُوبديا) الذي له كتاب من كُتب أنبياء اليهود، وهو الكتاب الرابع من الكتب الاثني عشر، وتعرف بكتب الأنبياء الصغار»، وذهب آخرون إلى أن ذا الكفل ليس بنبي، بل كان رجلاً صالحاً، وقد روي عن مجاهد في قوله: سبحانه: (وذا الكفل)، قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي: ذا الكفل. ونقل القرطبي في هذا الصدد أن الذي عليه الجمهور أنه ليس بنبي، وهذا يخالف ما نُقل عن أكثر المفسرين. وقد توقف شيخ المفسرين الطبري في هذا الأمر، فلم يقطع بنبوة ذي الكفل، ولم يقطع بكونه غير نبي. وقد استدل الرازي على كون ذي الكفل نبيًا بأدلة ثلاثة، هي:

الأول: أن ذا الكفل يحتمل أن يكون لقباً، وأن يكون اسماً، والأقرب أن يكون مفيداً؛ لأن الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد، فهو أولى من اللقب. إذا ثبت هذا، فيقال: (الكفل) هو النصيب، قال تعالى: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ (الحديد: 28). والظاهر أن الله تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل، هو كفل الثواب، فهو إنما سمي بذلك؛ لأن عمله وثواب عمله، كان ضعف عمل غيره، وضعف ثواب غيره، ولقد كان في زمنه أنبياء، ومن ليس بنبي لا يكون أفضل من الأنبياء. الثاني: أنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس، والغرض ذِكْرُ الفضلاء من عباده؛ ليُتأسى بهم، وذلك يدل على نبوته. الثالث: أن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي

(2) هو: أبو محمد سليمان بن مهران مولى لبني أسد (61-174)، أصله من الري، ونشأ بالكوفة، أحد رواة الحديث وشيخ المقرئين في زمنه، رأى أنس بن مالك وسمعه. جعله أصحاب الطبقات في الطبقة الرابعة من التابعين، قال عنه الذهبي: إنّه ثقة، ولكنه مدلس، وضعفه بعض رجال الجرح والتعديل. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 227/6، وفيات الأعيان: 403/2، وطبقات ابن سعد: 6/ 332، وتهذيب التهذيب: 506/3.

(3) هو: أبو عمرو المنهال بن عمرو، من تابعي الكوفة، مولى لبني أسد بن خزيمة.، روى الحديث عن أنس بن مالك، اختلف علماء الجرح والتعديل فيه، قال عنه الدار قطني: صدوق، وقال ابن حزم: =

الحارث[1] أنَّ إيليا[2] لمَّا حضرته الوفاة قال: مَنْ يكفل لي ثلاثاً كان خليفتي: يصوم النهار، ويقوم الليل، ويقضي بين الناس بالحق؟ فقام إليه شابٌ فقال: أنا، فقال له: اجْلس، ثمّ أعاد القول، فنهض إليه الشّاب فقال له: اُقْعد، ثمّ أعاد القول، فقام إليه الشاب، فقال له: تَصُوم النهار، وتقوم الليل وتقضي بين الناس بالحقّ؟ قال: نعم، قال: أنت خليفتي[3].

فلما مات إيليا -عليه السلام- جلس ذلك الشاب فحكم بين الناس بالحقّ، وكان لا يغضب، ويقوم الليل ويصوم النهار، ولا ينام إلاّ في القيلولة، فجعل إبليسُ يسلّط عليه شيطاناً شيطاناً ولا يقدر عليه إلى أن أعياهم جميعهم.

فقال إبليسُ: أنا له فجاء وقت القائلة، فدقّ عليه الباب، فقال: من هذا؟ قال شيخٌ كبيرٌ مظلوم، فقام إليه وفتح الباب ليقضيَ له أو عليه، فقال له: إنَّ بيني وبين قومي خصومة وإنّهم ظلموني، وفعلوا بي وصنعوا، وطوّل في القول حتى ذهبتْ القيلولة، وحضر وقت القضاء، فقال له: إذا رحتَ [فأتني][4] بهم لآخذ لك بحقّك، فانطلق إبليسُ، وراح الشّابُ إلى مجلسه وانتظر الشيخ فلم

= ليس بالقوي، وقال الذهبي عن حديثه بشأن القبر وطوله: فيه نكارة وغرابة، وقال الجوزجاني: «المنهال بن عمرو سيئ المذهب، وقد جرى حديثه»، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 184/5، وتهذيب الكمال: 568/28.

(1) هو: أبو الوليد عبد الله بالحارث البصري، نسيب ابن سيرين، وهو من رواة الحديث من الطبقة الثالثة في التابعين، روى عن عائشة أم المؤمنين، وهو عند علماء الجرح والتعديل ثقة، وقد روى عن أصحاب الستة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 135/2، وتهذيب الكمال: 400/14.

(2) هو: إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو إلياس بن ياسين، من ولد هارون أخي موسى- عليهم السلام-. ويعرف في كتب الإسرائيليين باسم): إيليا)، وقد ذُكرت قصة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الصافات، آية: 123 - 132.

(3) القصة عند ابن كثير، وفيها اختلافات وزيادات: انظر: البداية والنهاية: 396/1، والكشف والبيان: 299/6، والجامع لأحكام القرآن: 364/14.

(4) في كلتا النسختين: [فأتيني].

يره، فلمّا كان من الغدِ وجلس يقضي بين الناس فلم يره، فلمّا انقضى مجلسه ومضى إلى بيته لينام القيلولة، [وقد][1] أخذ مرقده دقّ إبليسُ الباب، فقال له: من؟ قال: الشيخ المظلوم، ففتح الباب وقال: انتظرتُك البارحة واليوم فلم أركَ، قال: خصماء أخباث، إذا عرفوا أنك جالس يقولون نُعطيكَ، فإذا قمتَ جحدوني، قال: فإذا جلستُ فأحضرهم لآخذ لك بحقّك منهم، فلم يزل إبليسُ يُطوِّل حتى فاتته القيلولة، فراح إلى المسجد[2] وجعل يترصَّد الشيخ فلم يره، وشقّ ذلك عليه وانتظره الغد فلم يره، فقال لبعض أهله: لا تَدَعُنّ أحداً يقرب الباب حتى أنام فإن السُّهر قد شقّ عليّ، فلمّا كان وقت القيلولة جاء إبليسُ، فلم يؤذن له ومنعه البواب، فلمّا أعياه الدخول عبر من روزنة[3] في الحائط، فإذا هو في البيت واستغاث: شيخٌ مظلومٌ، فاستيقظ ذو الكفل وقال للبوّاب: ما قلت لك لا تفتح الباب لأحد، ولا تدع أحداً يدخل؟! فقال: والله البابَ مغلق كما غَلقته أنت، قال: فمن أين دخل؟ قال: والله ما أعلم. فقال له: يا شيخ تنامُ والخصم ببابكَ؟ فعرفه ذو الكفل وقال: يا عدوّ الله أنت هو؟ قال: نعم، أعييتني في كلّ شيءٍ احتلْت عليكِ فلم أقدر، وتركه وانصرف.

34. حيلته على الزاهد:[4]

حُكِي أنّه كان في بني إسرائيل رجلٌ زاهدٌ عبدالله مائتي سنة، وهو يطلب من الله - عزّ وجلّ- إبليسَ لِعْلمه أنه لا سبيل له عليه، فرآه في المحراب قائماً عنده فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا إبليس قد تَعْبتُ في بابك ولم أقدر عليك، فواعجباً منكَ وقد بقي من عُمرك [مائتا][5] سنة، وأنت تُجهد نفسكَ، فلو

---

(1) في كلتا النسختين: [فهو قد أخذ].

(2) معلوم أنّ هذه الزيادة من المؤلف، وفي هذه المواطن تنشط المخيلة في فنون السرد، فالمصادر التي ذكر القصة لا تذكر المسجد، فلفظ المسجد لم يظهر سوى في الإسلام.

(3) الروزنة: هي الفتحة أو الثُلمة في الجدار، وقد يقال: كُوَّة.

(4) القصة مع بعض الاختلافات في كتاب: الزهر الفائح لابن الجزري: 89، وفي حلية الأولياء: 33.

(5) في الأصل: [مائتي].

التذيّتَ ببعضها، وعبدتَ بعضَها لكان فيه كفاية، فقال الزاهد في نفسه: أمضي آكل وأشرب وألتذ مائة سنة، ثم أرجع إلى عبادتي، فمضى وفارق مسجده فأكل وشرب [والتذّ](1)، فمات في تلك الليلة.

35. حيلته على قارون:

حكى الثعلبي في كتابه كشف البيان(2) يقول: تبدّى إبليس لقارون، وكان قارون قد أقام في رأسِ جَبلٍ يعبُد الله أربعين سنة حتى غلب بني إسرائيل في العبادة، وبعث إبليسُ شياطينه فلم يقدروا عليه، فتصدّى هو له بنفسه، وجعل يتَعبَّد معه، فكان إبليسُ يقهر قارون في العبادة [ويفوقه](3)، فخضع له قارون، فقال له إبليس: يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه،لا نشهدُ لبني إسرائيل جماعة، ولا نعودُ لهم مريضاً، ولا نزورُ لهم عابداً، ولا نُشيّع لهم جنازة، فانحدرا من الجبلِ إلى البيعة، فكانوا يأتون بالطعام، فقال إبليسُ: يا قارون قد رضينا أنْ نكُونَ كَلاً على بني إسرائيل، فقال له قارون: فأيُّ شيءٍ عندك من الرأي؟ قال: نكتسب يوم الجمعة، ونَتَعبَّد بقية الأسبوع، فتكسّبا يوم الجمعة وتَعبَّدا بقية الأسبوع.

فقال إبليسُ لقارون: قد رضينا أنْ نكُونَ هكذا، قال قارون: فأيُّ شيءٍ عندك من الرأي؟ قال: نكتسبُ يوماً، ونتعبَّدُ يوماً، ونَتصدَّقُ، فلمّا تكسّبا يوماً، وتَعبَّدا يوماً خَنَسَ إبليسُ وتركه، وفُتِحتْ على قارون الدنيا وبَلغ [ماله] (4) ما بلغ، فطغى وتَجبَّر، فخسف الله به وبماله الأرض.

---

(1) في (ب): [وفسق].

(2) الكتاب مطبوع بعنوان: الكشف والبيان، انظر القصة في: 262/7 .

(3) سقطت من (ب).

(4) سقطت من (ب).

36. حيلة إبليس على بَرْصيص العابد:[1]

ذكر وهب بن منبه أن عابداً كان في بني إسرائيل يُدعى بَرصيصُ العَابد، وكان أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوةٌ، ولهم أختٌ بكرٌ أحسن أهل زمانها، وليس لهم غيرها، فبعثهم أميرهم في شُغل له فلم [يدروا][2] عند مَنْ يُخَلِّفون أختهم، ولا مَن يأمنون عليها ولا عند مَن يضعونها، فاجتمع رأيهم [على][3] أن يضعوها عند برصيص العابد، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه وسألوه أن يُخَلِّفوها عنده، فأبى ذلك وتعوَّذ بالله منهم ومن أختهم، فلم يزالوا به حتى أجابهم، وقال أنزلوها في بيت جوار صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت، ثمَّ انطلقوا وتركوها.

فكانت في جوار برصيص أياماً يُنزل إليها الطعام من صومعته، فيَضعُه عند باب بيتها، ثمَّ يغلق بابه ويصعد إلى موضعه، فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام، فلطَّف له إبليسُ، ولم يَزل يُرَغِّبُه في الخَير، ويُعَظِّم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويُخَوِّفه أن يراها أحدٌ فيَعْلقُها، حتَّى مشى بطعامها وناولها من يده إلى يدها.

ثمَّ جاءه إبليسُ فَرَغَّبه في الخير والأجْر، وقال له: لو كنتَ تَدخُل إليها بطعامها حتى تضعه بين يَدَيْها كان أعظمُ لأجْرِكَ، فبقي كذلك أياماً، ثم جاءه إبليسُ فَرَغَّبه في الخَيْر وقال له: لو كنتَ تُكلِّمُها وتُحدِّثها لتأنس بحديثكَ، فإنها [قد][4] استوحشتْ وحشةً شديدةً، ولم يزل به حتى صار يجلسُ معها ويُحدِّثها.

ثم أتاه إبليسُ بعد ذلك وقال له: لو بتَّ عندها لكان أحبَّ إليها، فلمْ يزل به حتى باتَ عندها، فلمَّا باتَ عندها زيَّنها له حتى ضرب الزاهدُ يده على

---

(1) القصة مع اختلافات وزيادات في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 379/20، والبداية والنهاية: 44/3.

(2) في كلتا النسختين: [يدرون].

(3) سقطت من (ب).

(4) سقطت من (ت).

فخذها وقبَّلها، ولم يزل إبليسُ يُحسِّنها في عينه، ويقول له [حتَّى][1] وقع عليها فأحْبَلَها، فولدتْ له غلاماً.

فجاءه إبليسُ فقال له: أرأيت إن جاءَ إخوتها وقد ولدتْ منك غلاماً، كيف تصنع؟ ولا آمنُ عليكَ أن تُفتَضح، فاعْمد إلى ابنها فاذبحه، فإنَّها تكْتم ذلك عليك مخافة إخوتِها أن يَطَّلعُوا على ما صنعت بها، فاحتفر خلفَ باب بيتها حفيرة، وذبح الطفل ودفعه فيها، ثمَّ تركه أيّاماً ثم جاءه، وقال: هَبْها كَتمت الناس ما فعلتَ بها وقتلك لولدها، أتراها تَكْتم إخوتها ما صنعت بها؟ فاذْبحها وادفنها مع ابنها، وقل ماتتْ بعدَكم بأيام، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفيرة مع ابنها، وأجلسَ عليها صخرةً عظيمة، وسوَّى عليها الترابَ، وصعدَ إلى صومعته يَتعبَّدُ فيها.

فَمكَثَ فيها كذلك ما شاء الله أن يَمكُث حتى أتى إخوتها، فجاؤوه وسألوه عنها، فنعاها إليهم وترحَّم عليها [وبكاها][2]، وقال: كانتْ خَيِّرة مباركةً وهذا قبرها فانظروا إليه، فأقاموا على قبرها ثلاثة أيّام، ثمَّ انصرفوا إلى أهلهم.

فلمَّا جنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم إبليسُ في النوم، فبدأ بأكبرهم وسأله عن أخته، فأخبره بقولِ الزاهد وموتها، فَكذَّبه وقال: لم يَصْدُق، ولكنَّه أحْبَلها، وولدتْ منه غلاماً، فذبحه وذبحها معه [خوفاً][3] منْكم، ودفنها في حفيرة خلفَ باب البيت [الذي][4] كانت فيه عن يمين الباب للداخل، فانْبش، فإنكَ تَجدُها هناك، ثم أتى الثاني والثالث.

فلمّا استيقظ القوم من نومهم تعجبوا من المنام الذي رأوه، وقصَّ كلُّ واحد منهم مثل منام صاحبه، وأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيت الليلة عجباً، فقال كبيرهم: هذا ليس شيئاً، فامضوا بنا ودعوا هذا، وقال صغيرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان وأنظر ما فيه، فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانتْ

---

(1) سقطت من (ت).

(2) في (ب): [وبكى].

(3) في (ب): [فزعاً].

(4) في كلتا النسختين: [التي].

فيه أختهم، ففتحوا الباب وحفروا الموضع الذي ذكره لهم إبليس، فوجدوا أختهم وولدها مذبوحين كما قيل لهم، فسألوه عنها العابد، فذكر أمره معها، فأعلموا ملكهم بذلك، فأمر بصلبه، فلمَّا أوقفوه عند الخشبة أتاه إبليسُ وقال له: قد علمتُ أنكَ تُصلب فأطعني حتى أُخلِّصُك من الصلبِ والفضيحة، فإذا لم تُصلب لم يَصْدق فيكَ قول الناس، قال له: ماذا تريدُ حتى أطعيك فيه؟ قال: تكفر بالله الذي لا إله إلاّ هو، فكفر العابد بالله، فلمَّا كفر تركه إبليسُ ومضى، فصلبوه، وهو الذي أنزل فيه الله تبارك وتعالى الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾[1].

37. ومن حيل الجن:[2]

أنَّ سليمان بن داود -عليهما السّلام- كان إذا أراد الدخول إلى الخلاء ينزع

---

(1) سورة: الحشر،الآية: 16.

(2) هذه القصة مع الاختلافات والزيادات التي فيها، والقصص الأخرى المرتبطة بها، نقلها ابن جرير في تفسيره: 657/1، وأوردها كذلك الثعلبي في كتابه: قصص الأنبياء، والقصة من الافتراءات والكذب الذي تناقلته كتب بعض المفسرين والوعاظ عن جهل، وهي من الإسرائيليات الواهية الموضوعة التي تطعن في حق الأنبياء، وإليك تحقيقها:

أولاً: المتن: يُروَى عن ابن عباس قال: «كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه، قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم، فعُوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا. قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئًا من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه، فلمَّا أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأخذه فلبسه، فلمَّا لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس، قال: فجاءها سليمان، فقال: هاتي خاتمي، فقالتْ كذبتَ، لست بسليمان، قال: فعرف سليمان أنّه بلاء أُبتلي به، قال: فانطلقت الشياطين، فكتبتْ في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر، ثمَّ دفنوها تحت كرسي سليمان، ثمَّ أخرجوها، فقُرئت على النَّاس، وقالوا: إنَّما كان سليمان يغلب النَّاس بهذه الكتب، قال: فبرئ النَّاس من سليمان وأكفروه، حتَّى بعث الله محمدًا - ﷺ - فأنزل جلَّ ثناؤه: ﴿واتَّبعوا ما تتلو الشَّياطينُ على مُلكِ سُلَيْمان﴾ يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر: ﴿وما كفرَ سُليمان ولكنَّ الشياطينَ كفرُوا﴾ [البقرة: 102]». اهـ. قلتُ: ولقد وضع الوضّاعون قصة أخرى باطلة ترتبط بهذه القصة تبين ما كتبته الشياطين. فقد رُوِي عن شهر بن =

خاتمه من إصبعه، ويسلّمه إلى بعض نسائه، فإذا خرج دعا بالوضوء، فإذا توضّأ

= حوشب قال: «لما سُلِب سليمان ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان». فكتبت: «من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا، فليستدبر الشمس، وليقل كذا وكذا». فكتبتْه وجعلتْ عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم»، ثمَّ دفنته تحت كرسيه فلمَّا مات سليمان، قام إبليس خطيبًا، فقال: يا أيها النَّاس، إنَّ سليمان لم يكن نبيًا، وإنَّما كان ساحرًا، فالتمسوا سحره في متاعه وبيته، ثمَّ دلَّهم على المكان الذي دُفن فيه، فقالوا: والله، لقد كان سليمان ساحرًا، هذا سحره، بهذا تعبَّدنا، وبهذا قهرنا، فقال المؤمنون: بل كان نبيًا مؤمنًا، فلمَّا بعث الله محمدًا - ﷺ - جعل يذكر الأنبياء حتَّى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء وإنَّما كان ساحرًا يركب الريح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: 102]». اهـ.

ثانياً: التخريج: القصة أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (657/1) الخبر (1663) عن ابن عباس، والقصة الأخرى المرتبطة بها أخرجها أيضًا ابن جرير في «تفسيره» (659/1) الخبر (1669) عن شهر بن حوشب، وأورد القصة الثعلبي في «قصص الأنبياء» (ص354)، وفيها بيان لإحدى نساء سليمان، وهي الجرادة بنت الملك صيدون، تلك القصة التي وضعها الوضَّاعون، وجعلوا هذه المرأة سببًا في سلب ملك داود، حيث قال الثعلبي: «روى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء أنَّ سليمان أخبر أنَّ في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يُقال له: صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للنَّاس إليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانًا لا يمتنع عليه شيء في برّ ولا بحر، فخرج إلى تلك المدينة، فحملته الريح على ظهرها حتَّى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها، فأصاب فيما أصاب بنتًا لذلك الملك، يقال لها جرادة لم يُر مثلها حسنًا وجمالاً فاصطفاها لنفسه، ودعاها للإسلام، فأسلمتْ على يديه في الظاهر خيفة منه، وقلة ثقة، فأحبها حبًا شديدًا لم يحبه أحدًا من نسائه، وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان، فقال لها: ويحُك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ فقالت: إنِّي أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه، وما كان فيه يحزنني ذلك، فقال لها سليمان: قد أبدلك الله ملكاً، هو أعظم من سلطانه، قالت: إنَّ ذلك حق، ولكنِّي إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرتَ الشياطين يُصوِّرون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية، لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتَّى لا تُنكر منه شيئًا، فمثَّلوه لها، حتَّى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنَّه لا روح فيه، فعمدتْ إليه حين صنعوه، فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها، ثمَّ أنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو، إليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها، كما كانت تصنع معه في ملكه». =

دعا بالخاتم، فكان يفعل هذا كراهة بسبب الاسم الذي على الخاتم؛ لأنه كان

= ثالثًا: التحقيق:

أ- القصة واهية ومنكرة، ولا أصل لها عن النبي - ﷺ -، بل هي من الأخبار المقطوعة والموقوفة المنكرة، وهي من الأخبار التي أوردها ابن جرير، ومن التخريج، يتبين أن جميع طرق القصة لم يُوجد بها الخبر الصحيح المسند.

ب- الأخبار المقطوعة والموقوفة التي جاءت بها القصة واهية منكرة، وإلى القارئ تحقيقها:

1- قال ابن جرير: حدثني أبو السائب السوائي، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يُقال لها جرادة...» القصة. قلت: وهذا الخبر لم يصرح فيه الأعمش بالسماع ولكنه عنعن: يعني (قال: عن المنهال). قال ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الضعفاء. قال الجوزجاني: قال وهب بن زَمعة المروزي: سمعت ابن المبارك يقول: إنما أفسد حديث أهل الكوفة أبو إسحاق، والأعمش. قال الذهبي: «من صغار التابعين ما نقموا عليه إلا التدليس». قال علي بن سعيد: سمعت أحمد بن حنبل يقول: منصور أثبت أهل الكوفة، ففي حديث الأعمش اضطراب شديد. قال جرير بن عبد الحميد: سمعت مغيرة يقول: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعيشكم هذا. قلت: وهو مردود، خاصة بتدليس الأعمش عن المنهال بن عمرو الكوفي، وتفرده عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهذا مما أنكره الذهبي في الميزان: (192/4، 8806).

2- تخريج الإمام النسائي للقصة: ولقد أخرج هذه القصة الإمام النسائي في «السنن الكبرى»: (287/6، 288)، (ح10993) قال: أخبرنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فذكر القصة في تسعة وعشرين سطرًا. قلت: تبين أن الإمام النسائي أخرج القصة بنفس السند الذي جاءت به القصة عند ابن جرير، والقصة موقوفة وبها لتدليس إلا أنه بمقارنة المتن عند ابن جرير بالمتن عند النسائي وجد أن ابن جرير اختصر المتن اختصارًا شديدًا أدى إلى السقط الكثير، خاصة فيما يبين نكارة المتن مثل:

أ- في رواية القصة عند ابن جرير:

ب- في رواية القصة عند النسائي:

«جاءها سليمان قال: هاتي خاتمي، قالت: اخرُج، لست بسليمان، قال سليمان: إن ذاك من أمر اللَّه، إنه بلاء ابتلي به، فخرج فجعل إذا قال: أنا سليمان رجموه حتى يدموا عقبه، فخرج يحمل على شاطئ البحر، ومكث هذا الشيطان فيهم مقيمًا ينكح نساءه ويقضي بينهم، فلمَّا أراد اللَّه - عزَّ وجلَّ - أن يرد على سليمان ملكه انطلقت الشياطين، وكتبوا كتبًا فيها سحر، وفيها كفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان».

جـ- قلتُ: انظر إلى السقط في رواية ابن جرير بين جملة: «إنه بلاء ابتلي به» وجملة: «فانطلقت الشياطين» تجد العجب.

=

اسم الله الأعظم، وأنَّ بعض مَرَدة الشيطان كان ممن آمن بسليمان وأسلم على

= 1- الشيطان تمثل بنبي الله سليمان، وأخذ خاتمه من امرأته، ودانت له الشياطين والإنس والجن.

2- سليمان النبي إذا قال لهم أنا سليمان كذبوه ورجموه حتى يدموا عقبه.

3- الشيطان يحكم، وسليمان النبي على شاطئ البحر يحمل الأسماك بالأجر.

4- الشيطان تمثل بسليمان، حتَّى وصل به الأمر إلى أنَّه أصبح مقيمًا في ملك سليمان يحكم بين النَّاس وينكح نساء سليمان.

5- وإن تعجب فعجب كيف يكون هذا مصير نبي ابن نبي؟ والأعجب كيف يذكر في كتب التفاسير والسنن؟!

3- أما القصة الأخرى الباطلة التي ترتبط بهذه القصة تمام الارتباط كما بيَّنا آنفًا، فهي أوهى من السابقة، حيث قال ابن جرير: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثني حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب قال: «لما سلب سليمان ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر». القصة.

أ- متن هذه القصة مقطوع وليس بمرفوع، حيث قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (355/1): «شَهر بن حوشب الأشعري الشامي من الثالثة». قلت: والثالثة هي الطبقة الوسطى من التابعين كما هو مبين في مقدمة التقريب. «وما أضيف للنبي المرفوع وما لتابع هو المقطوع» فما نقل في هذه القصة ليس هو عن النبي ﷺ.

ب- شهر بن حوشب: أورده الإمام الذهبي في «الميزان»: (3756/283/2)، وحتَّى لا يقول قائل: إنَّه من رجال مسلم، فقد بيَّن الذهبي أنَّه لم يرو له مسلم احتجاجًا، ولكن روى له مقرونًا، ونقل عن ابن عون قال: إن شهرًا تركوه. قال ابن عدي في «الكامل»: (36/4) (898/18): «عامة ما يرويه شهر وغيره من الحديث فيه من الإنكار ما فيه، وشهر هذا ليس بالقوي في الحديث، وهو ممن لا يحتج بحديثه ولا يتدين به». اهـ. قال ابن حبان في «المجروحين»: (357/1): «شهر بن حوشب: كان ممن يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات».

جـ- وعلة أخرى، أبو بكر: وهو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سبرة، أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب»: (31/12)، ونقل عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة: «ليس بشيء، كان يضع الحديث ويكذب». قال ابن حبان في المجروحين (147/3): «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل كتابة حديثه ولا الاحتجاج به بحال كان أحمد بن حنبل يكذبه». قال ابن عدي في «الكامل»: (295/7) (200/12): «ولأبي بكر بن أبي سبرة غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، وهو في جملة من يضع الحديث» .اهـ. فالقصة واهية بالمتروكين والكذابين.

4- قصة عبادة التماثيل في دار سليمان النبي: وهذه هي القصة الثالثة الأخرى الباطلة مرتبطة بالقصتين السابقتين تمام الارتباط، كما بينا آنفًا، وهي أوهى من السابقتين، حيث قال الثعلبي: «روى محمد =

يده، فتمثّل على صورة سليمان -عليه السلام-، فلمّا دخل سليمان بيت الخلاء دخل

= بن إسحاق عن بعض العلماء أن سليمان... «القصة. قلت: سند هذه القصة مظلم باطل بالتدليس والجهالة.
أ- تدليس محمد بن إسحاق: فقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في الطبقة الرابعة رقم (91) وقال: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وصفه بالتدليس ابن حبان. اهـ. قلت: حكم رواية أصحاب هذه الطبقة: قال ابن حجر في مقدمة «كتاب المدلسين»: الرابعة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل». اهـ. قلت: وابن إسحاق عنعن ولم يصرح بالسماع.
ب- جهالة ابن إسحاق يتبين ذلك من السند: «روى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء أن سليمان... » وهذا النوع من أنواع المجهول يسمى «المبهم»، ومن أبهم اسمه جهُلت عينه، وجهلت عدالته، فمن باب أولى لا تقبل روايته، وفوق التدليس والجهالة، فالخبر مقطوع.
رابعًا: قرائن تدل على أنَّ هذه القصة من الإسرائيليات: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (15/148- 150): «وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي - ﷺ - ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه». قلتُ: بالبحث عن هذه المرأة التي تسمى الجرادة بنت الملك صيدون التي ورد ذكرها في القصة الواهية أن سليمان أحبها حبًا شديدًا، لم يحبه أحدًا من نسائه، حتّى اتبع هواه في الحكم لقومها الصيدونيين والصيدونيات، وأمالت قلب سليمان، وعبدت التماثيل في بيته، وجدتُ أنَّ هذا موجود عند أهل الكتاب في الكتاب الذي يسمونه بـ «الكتاب المقدس» سفر «الملوك الأول» الإصحاح الأحادي عشر من (1- 11) (ص554) جاء فيه: (1) وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات، وعمونيات وأدوميّات، وصيدونيّات وحثيات (2) من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يُميلُون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة (3) وكانت له سَبعُ مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه (4) وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرّب إلهة كقلب داود أبيه (5) فذهب سليمان وراء عشتوث إلاهة الصديونيين وملكوم رجس العمونيين (6) وعمل سليمان الشر في عيني الرّب، ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه (7) حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمّون (8) وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لألهتهن، (9) فغضب الرّب على سليمان؛ لأنَّ قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين (10) وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع =

المارد معه، ثمّ خرج قبله ودعا بالوضوء، كما كان يفعل سليمان، فلمّا فرغ، قال

= آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب (11) فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك، ولم يحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك». اهـ (11/إصحاح 11/ ملوك 1). قلت: انظر إلى الكتاب الذي يسمونه «الكتاب المقدس» كيف جعل نبي الله سليمان - عليه السلام - رجلاً شهوانيًا أحب النساء حتَّى أملن قلبه، حتَّى أشرك بالله في شيخوخته؟ هذا هو كتابهم المقدس، كتاب سب الأنبياء، وكما بيَّنا آنفًا في سب نبي الله داود وابنه نبي الله سليمان - عليهما السلام - ولما لم يستطيعوا أن يَسبوا النبي محمدًا - ﷺ - في كتابهم المقدس، ذهبوا إلى صحف الزنادقة والملاحدة؛ ليسبوا خاتم النبيين محمدًا - ﷺ - فاليهود وغيرهم ممن ينتمون إلى ما يسمى بالكتاب المقدس وراء سَبّ الأنبياء، وسَبّ مسك ختامهم محمد ﷺ.

خامسًا: تكريم القرآن لنبي الله سليمان:

1- سليمان - عليه السلام - نبي رسول وليس بساحر ولا مشرك، قال الله تعالى: (إنا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً (163) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما [النساء: 163، 164].

2- سليمان - عليه السلام - قلبه في أعلى أعمال القلوب، وهو «الإحسان»، قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين [الأنعام: 84].

3- وصف نبي الله سليمان - عليه السلام - بالفهم والحكم والعلم، قال الله تعالى: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً [الأنبياء: 79].

4- اتصف نبي الله سليمان - عليه السلام - بأنه رجّاع إلى الله في جميع أحواله بالتأله والإنابة والمحبة والذكر والدعاء والتضرع والاجتهاد في مرضاة الله وتقديمها على كل شيء، قال الله تعالى: ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنَّه أواب [ص: 30].

قلتُ: هذا هو القرآن، وتكريم نبي الله سليمان - عليه السلام - أما هذه القصص التي أوردناها فقد أوردها ابن كثير في «تفسيره» للآية (102 البقرة)، (30: ص)، وقال: «وأرى هذه كلها من الإسرائيليات». وقال: «الظاهر أنَّه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما - إن صح عنه - من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان - عليه السَّلام -، فالظاهر أنهم يكذبون عليه». اهـ.

وقال: «وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط، ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد اللَّه تعالى، والله أعلم». انظر: قصة خاتم سليمان: تحذير الداعية من القصص الواهية، علي إبراهيم حشيش: 128.

للمرأة: هاتي الخاتم، فناولته إيّاه، فوضعه في إصبعه، ثمَّ انطلق وجلس على كرسي سليمان، والنَّاس لا يشكّون أنَّه سليمان، وعكف الطيرُ والوحشُ بين يديه والنَّاس حوله. وأنَّ سليمان لمّا طلع من الخلاء وتوضّأ، وطلب الخاتم قالت المرأة: ألم أدفعه إليك؟ فعلم سليمان أن قد أُتِي، فخرج طالباً كرسيه فرأى عليه الشَّيطان، فولّى هارباً في البراري والقفار أربعين يوماً، وقيل أربعة أشهر، حتَّى رحمه الله تعالى وردّ عليه خاتمه.

38. حيلة الجن على سليمان وعلى بلقيس[1]:

يُحكى في تاريخ العجم[2] أن بلقيس لما قَدُمتْ على سليمان، وهمَّ أن يَتزوَّجَها، قالت الجن: إن تزوج سليمان ببلقيس لا نأمن أن تُطْلعه على سرائرنا، وتخبره بأمورنا [فيملكنا][3] ولدهما إلى يوم القيامة؛ لأنها كانتْ بنت ملك من ملوكهم[4]، فاعملوا في تزهيد سليمان فيها[5].

---

(1) هي بلقيس ملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان -ﷺ-، وقد أورد القرطبي نسبها في تفسيره هكذا: بلقيس بنت السرح بن الهداهد بن شراحيل بن أدد بن حدر بن السرح بن الحرس بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

(2) ذكر المؤلف هذا الكتاب حين ذكر مصادره في الصفحات الأولى باسم: تاريخ العجم، ونسبه إلى ابن القِريَّة، وقلنا: إن هذا الكتاب لا وجود له، فابن القِريَّة أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وما ذكره المؤلف قد يكون بعض الأخبار التي رويت عنه، ثم جُمعت وأُطلق عليها هذا الاسم، ويؤيد قولنا هذا أن المؤلف هنا ينسب الكتاب في صفحات سابقة إلى شخصين.

(3) في كلتا النسختين: فيملكونا.

(4) هذا من الأخبار المنكرة الواهية، فقد ذكرت بعض المصادر أنَّ أمها كانت من الجنّ؛ لأنَّ والد بلقيس السرح بن الهداهد قد تزوج جنية؛ لأنه تكبَّر عن نساء الإنس، وقال للملوك ليس أحد منكم كفئاً لي، وقد قال الماوردي: «والقول بأن أم بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين، واختلاف الطبعين، وتفارق الحسين؛ لأنَّ الآدمي جسماني والجن روحاني، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، ويمنع الامتزاج مع هذا التباين، ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف، وللقرطبي رأي آخر في إمكان التزاوج.

(5) قال القرطبي في تفسيره: «لم يرد فيه خبر صحيح لا في أنه تزوجها، ولا في أنه زوَّجها»، يعني زوجها غيره بحسب بعض الروايات.

قالتْ رؤساؤهم: سنحتال في ذلك، ثم إنَّهم أتوا سليمان وقالوا له: يا نبي الله قد سمعنا أنكَ تريد تتزوج ببلقيس، فلا تردها، فأنَّ أمها كانت إنسيَّة، ولن تلد قط أنسيَّةٌ من جنيٍّ، إلاّ جاء الولد ورجلاه رجلا حمار وعليه شعر كثير، فنَقصتْ في عين سليمان واشمأز قلبه منها، وبان ذلك عليه، فقال له صخر العفريت: ما لي أراك يا نبي الله مهموماً؟ فقصَّ عليه ما قالت الجنُّ من أجل بلقيس، قال له: يكذبون، وأنا أُريكَ ذلك عياناً، ثم إنّ صخراً اتَّخذ أمام مجلسه صرحاً من قوارير وهو الزجاج، وعمله تحته ماءً وسمكاً.

فلمَّا أقبلتْ بلقيس نحو مجلس سليمان رأت الصَّرحَ، ولم يكن طريق إلى سليمان إلاّ في وسطه، فخلعت خُفَّها، ورفعتْ ثوبتها كي تغوص في الماء، فنظر سليمان [إلى][1] قدميها فلم يجد شيئاً أحسن منهما[2]، ونظر إلى سَاقَيْهَا، فإذا عليهما شعر كزرد الدرع[3] يبين على بياض ساقها، فلمَّا نظرها قال: ضعي ثوبك فإنَّه صَرْح مُمَرَّد. فعَبَرتْ عليه، وقالت: ﴿ربِّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي وأَسلمْتُ مع سُلَيمانَ للهِ ربِّ العَالَمِينَ﴾[4].

وأقبلتْ حتى جَلستْ على كرسي بين يدي سُليمان -عليه السلام-، وأسلمتْ على يده، وحُسن إسلامها. وأراد سليمان تزويجها، فكره ما رأى من الشَّعر على ساقها، ففهمتْ بقليس ذلك فقالت: الرمانة لا يُدْرَى ما طعمها حتى تُكسر يا نبي الله، فقال سُليمان: ما لا يحلو في العين ما يحلو في القلب، قال له صخر: أنا أحتال لك في إزالة الشَّعر حتى يَبقى ساقها كالفضة بياضاً، قال له سُليمان: أن أفعل، ففعل النُورة والزرنيخ فاستعملته، فخرجتْ بيضاءً نقية، وهو أوَّل من

---

(1) سقطت من (ب).

(2) هذه القصة من الإسرائليات المنكرة، وقد زادها كذباً خيال الرواة والقصاص، فهذا القول لا يناسب مقام الأنبياء.

(3) هي: حلقات معدنية صغيرة مترابطة معاً؛ لتُشكل تَعْشيقَة من الحلقات المُتَشَابِكة. السُتْرَة التي تصنع من هذا الدرع، ويرتديها المقاتل غالباً ما يشار إليها بالزردية أو درع الزرد.

(4) سورة: النمل، الآية: 44.

اخترع هذا[1]، وأمّا الحمامات فكانتْ قبل هذا بزمان، عُملتْ في زمان [ملك][1] حمير بن قحطان بن أرفخشذ بن سام بن نوح -عليه السلام- الذي سُخِر له الجن والشياطين، ولم تُسَخَّر له الطير والريح.

39. حيلة الجنّ على سليمان عليه السلام:

قال الثعلبي -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾[3]، يعني عَرْش بلقيس، وذلك أنَّ آصف[4] لمَّا أتى بعرشِ بلقيس نَظرت الجنّ إلى أفعاله، وكتبتْ كُتُب السِّحرِ والعزائم

(1) انظر: تفسير الكشف والبيان: 214/7، وفيه أن سليمان -عليه السلام- هو أول من اتّخذ الحمامات.

(2) سقطت من (ب).

(3) سورة: النمل، الآية: 40.

(4) إن قصة آصف بن برخيا لم يرد فيها حديث مرفوع إلى النبي ﷺ فيما نعلم، وإنما ورد فيها كلاماً لابن عباس- رضي الله عنهما- فيما رواه النسائي في السنن الكبرى أنه قال: كان آصف كاتب سليمان بن داود -عليه السلام-، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كلَّ شيء يأمر به سليمان -عليه السلام- ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان، أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطر من سحر، وكذب، وكفر، فقالوا: هذا الذي كان يعمل سليمان بها، فأكفره جهال الناس وسفهاؤهم وسبوه، ووقف علماؤهم، فلم يزل جهالهم يسبونه، حتّى أنزل الله عز وجل ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102]، وفي سند هذا الحديث المنهال بن عمرو الأسدي، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق، وربما وهم، ومن كان هذا حاله، فإن حديثه قابل للتحسين، لا سيما أن صاحب الصحيح البخاري أخرج له كما أشار إلى ذلك ابن حجرفي التقريب برمز (خ) وهذا يبين براءة آصف بن برخيا مما نُسب إليه. وروى الحاكم عن ابن عباس وصححه أنه قال: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع، وكان أحدهم يجيء بكلمة حق قد سمعها الناس، فيكذب معها سبعين كذبة، فيشربها في قلوب الناس، فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود، فأخذها فدفنها تحت الكرسي، فلمّا مات سليمان، قام شيطان بالطريق، فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحد مثله، كنزه الممتنع؟ قالوا: نعم، فأخرجوه، فإذا هو سحر، فتناسختها الأمم، فبقاياها يتحدث به أهل العراق، فأنزل الله عذر سليمان، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: 102].

والنارنجيات[1] على لسان آصف بن برخيا، ويقال إنَّه كـان ابن خالة سليمان -عليه السلام-[2]، [وقد][3] كتبوا [هذا ما عَلَّمه آصف بن برخيا سُلَيمان المَلِك، ثم دفنوها في موضع ما كان يصلّي، فلمّا نزع الله عزّ وجلّ ملكه لم يشعر بذلك سليمان، فلمَّا مات سُليمان -عليه السلام- استخرجوا ذلك وقالوا للناس: إنما ملكهم سليمان بهذا فتعلمه الناس من ذلك الزمان][4].

وفيه قال الله تعالى: ﴿واتَّبَعُوا ما تَتْلوا الشَّيَاطِينُ عَلى مُلْك سُلَيْمان﴾[5]، وذلك أنَّ الشَّياطِين كانتْ تصعَد إلى السَّماء، وتقعد منها مقاعد للسَّمع، [فَيَسْمعون][6] كـلام الملائكة بما يكـون فـي الأرض فيُخْبرون به الكَهَنَة، [فاكتتب][7] الناس ذلك، وذلك في حياة سُليمان -عليه السلام-، وفشا ذلك في بني إسرائيل أنَّ الجِنَّ تعلَمُ الغَيْبَ، فبَعث سُليمان عليه السَّلام وجمع تلك الكُتب، وجعلها في صندوق ودفنها تحتَ كرسيِّه،[8] وقال: ما أسمع أحداً يقول إنَّ الجِنَّ تعلمُ الغيبَ، إلاّ ضَرَبتُ عُنقه، فلمّا ماتَ سُليمان [وذهبتْ][9] العلماء الذين

---

(1) نيرَنجاتٌ، ونَيارِجُ، ولنَيرَنْجُ مثل الطلاسم في السحر.

(2) وعند ابن كثير في البداية والنهاية زيادة أقوال: المشهور: أنه آصف بن برخيا، وهو ابن خالة سليمان، وقيل: هو رجل من مؤمني الجان، كان فيما يُقال يحفظ الاسم الأعظم، وقيل: رجل من بني إسرائيل من علمائهم، وقيل: إنه سليمان، وهذا غريب جدا، وضعفه السهيلي، بأنه لا يصح في سياق الكلام. قال: وقد قيل فيه قول رابع وهو: جبريل. انظر: البداية والنهاية: 323/2.

(3) أضفناها لتناسب السياق.

(4) النص في تفسير الثعلبي الذي ينقل عنه المؤلف، هكذا «هذا ما علَّم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثمَّ وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان، فلمّا مات، استخرجوها من تحت مصلاه، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا، فتعلَّموه».

(5) سورة: البقرة، الآية: 102.

(6) في (ت): [فيسمعن]، والتصحيح من (ب) والكشف والبيان.

(7) في كلتا النسختين: [فاكتسب]، والتصحيح من الكشف والبيان.

(8) تقول كتب التفاسير: ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، لذلك حفروا ما تحته بعد موت سليمان -عليه السلام-.

(9) في الكشف والبيان: [ذهب]، وعند ابن كثير: [ذهبت].

يَعْرِفُون أمرَ سُليمان ودفنه للكتب [كما قال الله][1] تمثّل [الشيطان][2] في صُورةِ إنسان، وأتى بني إسرائيل، وقال لهم: هل [أدلكم][3] على كَنْزٍ لا تأكلونه أبداً؟[4] فقالوا: نعم. قال: احفروا تحت كرسي سُليمان، وأراهم المكان الذي يحفرونه، وجلس عنهم ناحية، فقالوا: أُدْنُ، قال: لا، [ولكن احضروها هنا، وإنْ لم تجدوا شيئاً][5]، وذلك أنّه لم يَكُنْ أحدٌ يدنو من كرسي سُليمان من الشّياطين والجنِّ إلاّ احترق.

فلمّا حفروا وجدوا تلك الكتب، قال لهم الشّيطان: إن سُليمان كان [يَسْتخدم][6] الجنَّ والإنس والطير والوحش والريح بهذه الكتب، ثمَّ طار وفشا في الناس أنَّ سُليمان كان ساحراً، [وملكها][7] بنو إسرائيل، [وتعلّموا][8] منها السِّحر، وهُمْ سحرة فرعون، فلذلك لا يوجد السِّحر إلاّ عندهم.

40. حيلة إبليس على أيوب - عليه السلام -[9]:

قال وهب بن مُنَبِّه: لما نظر إبليسُ إلى أيوب وكثرة أمواله ورجاله وما أعطاه

---

(1) في (ب): [الله تعالى]، وهذه العبارة لا معنى لها في السياق، وفي الكشف والبيان الذي ينقل عنه المؤلف، هكذا: [وخلف من بعدهم خلف].

(2) في كلتا النسختين: [شيطان]، والتصحيح من الكشف والبيان، وابن كثير.

(3) في كل التفاسير، ومنها تفسير الكشف والبيان الذي ينقل عنه المؤلف: [هل أدلكم؟].

(4) قال ابن كثير: [أيّ لا ينفد بالأكل منه].

(5) عبارة الكشف والبيان: [ولكن هاهنا، فإن لم تجدوه فاقتلوني].

(6) عبارة الكشف والبيان، وابن كثير: [يضبط].

(7) عبارة الكشف والبيان، وابن كثير: [فاتّخذ بنو إسرائيل].

(8) في (ت): [ويتعلمون].

(9) هذه القصة يذكرها بعض المفسرين في تفسير الآية: 83 من سورة: الأنبياء، وبعضهم يذكرها في تفسير الآية: 44 من سورة: ص، وقد أنكرها ابن كثير، وأعرض عنها، وقال: «وقد ذكر وهب بن منبه في خبره قصة طويلة، ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة تركناها لطولها، انظر تفسير ابن كثير: 360/5، والخبر في جامع البيان للطبري: 333/16، وهو في معالم التنزيل للبغوي: 338/5، وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 211/18، ثمَّ نقل القرطبي ردَّ ابن العربي القاضي أبو بكر على هذا الخبر بقوله: «لم يصحَّ عن =

الله، صَعدَ إلى السَّماء، ووقف موقفاً كان يقف فيه، ثم قال: إلهي نَظرتُ في أَمْرِ عَبْدك أيّوبَ فَوجدتُه قد أنعمتَ عليه فشَكركَ، وعافيتَه فحَمدكَ، ولم تُجرِّبه بشدَّة ولا ببلاء، وأنا لكَ زعيم إن ضربته بالبلاء ليكفرنَّ بك ويَنساك، فقال له: انطلق، فقد سلّطتك على ماله[1].

فانقضَّ عدوُ الله حتى وقع إلى الأرض، ثمَّ جمع عفاريت الجنِّ والشَّياطين وعظماءهم وقال لهم: ما عندكم من القوَّة والمعرفة؟ فإني قد مُلِّكتُ[2] على مال أيوبَ، وهي المصيبةُ الفادحةُ والفتنةُ التي لا تَصْبر الرجال [عليها][3]. قال عفريتٌ من الجنِّ: عندي من القوَّة ما إذا شئتُ تحوَّلتُ إعصاراً من نار فأحرق كلَّ شيءٍ أمُرُّ[4] عليه. فقال إبليس: فأنت للإبلِ ورعاتِها، فانطلق يؤمُّ الإبلَ، وذلك حينَ وضعت رُؤوسَها في مراعيها، فلم تَشعُر الناسُ حتى ثار من تحت الأرض [نارا][5] تُنْفخ منها أرواحُ السَّموم، ولا يَدنُو منها أحدٌ إلاّ احترقَ، فلم تَزَلْ تحرق الإبلَ ورُعاتَها حتى أتت على آخرها، فلمَّا فرغ منها أتى إبليسُ فأخبره، فتمثَّل إبليسُ على قَعود ثمَّ انطلق يؤمُّ أيوبَ فوجده قائماً يُصلِّي، فناداه:

= أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين؛ الأولى قوله تعالى: ﴿وأيُّوب إذ نادى ربَّه أنّي مسَّني الضُرُّ﴾ [الأنبياء: 83] والثانية في [ص] «أنّي مسَّني الشَّيطانُ بنُصب وعذاب» وأما النبي - ﷺ - فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينا أيوبُ يغتسل إذ خرَّ عليه رَجْل من جرادٍ من ذهب»، وإذ لم يصحَّ عنه فيه قرآن ولا سُنّة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يُوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أيِّ لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضةٌ عند العلماء على البَتات؛ فأعرِض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تُعطي فكراً إلا خبالاً، ولا تزيد فؤادَك إلا خبالاً. وقال القاسمي في محاسن التأويل: 282/11: روى المفسرون ها هنا في بلاء أيوب روايات مختلفة بأسانيد واهيات،لا يقام لها عند أئمة الأثر وزن، ولا تُعار من الثقة أدنى نظر.

(1) في التفاسير التي ذكرت القصة زيادة بعد هذه العبارة: [فإنه الأمرُ الذي تزعُمُ أنه من أجله يشكرُني، ليس لك سُلطانٌ على جسده، ولا على عقله].

(2) في أغلب التفاسير: [سُلِّطتُ].

(3) سقطت من كلتا النسختين، والتصحيح من جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

(4) في جامع البيان: [أتى عليه].

(5) ما أثبتناه رواية (ت)، ورواية (ب): [إعصار نار]، وفي جامع البيان: [إعصار من نار].

يا أيوبُ، قال: لبَّيكَ، قال: [تدري][1] ما الذي صنَع ربُّكَ الذي اخترتَه وعبدَه بإبلكَ ورُعاتها؟ قال أيوبُ: إنها مالُه أعارَنيه، وهو أوْلى به، قال إبليس: فإن ربَّكَ أرسَل عليها ناراً من السَّماء فأحرَقتَها ورُعاتَها كلَّها، فتركتْ الناسَ مبهوتينَ ووقفوا عليها مُتَعجبينَ، فقال أيوبُ: الحمدُ لله عُرْياناً خلقني، وعُرْياناً أعود إلى التراب.

فرجع إبليسُ وأصحابه [خاسئين أذلاّء][2]، وقال لهم ما عندكم من القوَّة فإنّي لم أكْلِم قلبه؟ قال عفريتٌ من عظمائهم: عندي من القوَّة ما إذا شئتُ صحتُ صيحةً لا يسمعها ذو رُوح إلاّ خرجتْ روحه، قال إبليسُ: فأتِ الغَنَم ورُعاتَها، فانطلق إلى الغَنَم حتى إذا توسَّطها صاح صوتاً تجثَّمتْ أمواتاً جميعها [ومات][3] رعاتُها، ثم خرج إبليسُ متمثلاً بقَهْرمان[4] الرُّعاة فجاء أيوبَ وهو قائمٌ يُصلِّي، فقال له القولَ الأوَّل، فردّ عليه أيوبُ مثل الأوَّل. فرجع إبليسُ إلى أصحابه وقال لهم: ما عندكم من القوَّة [فإنّي لم أكْلِم قلبه؟ قال عفريتٌ: عندي من القوَّة][5] ما إذا شئتُ تحوَّلتُ عليه عاصفاً أنسف كلَّ شيء آتي عليه حتى لا أُبقيَ شيئاً. قال له إبليسُ: فأتِ الزرعَ والأكداسَ، فانطلق نحوها وذلك حين قَرُبتْ التَّذرِيَة[6]، فلم يشعروا حتى هبَّت عليهم ريحٌ عاصفٌ فنسفتْ كلَّ شيء، حتى كأنه لم يَكُنْ. فخرج إبليسُ مُتمثِّلاً بقَهْرمان الحَرْث فقال له: يا أيوبُ نَزلَ البلاءُ بكَ واحترقَ جميعُ زرعك وغلالك، وقد قال النَّاس: ما كان أيوبَ يعبدُ شيئاً، وما هو إلاّ في غرور، ومنهم من قال لو كان إله أيوب يقدر على شيء لمنع عن وليّه، ومنهم من يقول بل هو فعل ما فعل ليَشْمتَ به عدوه، ويَفْجعَ منه صديقه.

---

(1) في معظم التفاسير: [هل تدري...؟].

(2) في كلتا النسختين: [خاسؤون أذلاء]، وجامع البيان، ومعالم التنزيل: [خاسئاً ذليلاً].

(3) في كلتا النسختين: [وماتت]، والتصحيح من جامع البيان، ومعالم التنزيل.

(4) القهرمان، وهو المسؤول عمن تحت يده، أي رئيس الرُّعاة.

(5) سقطت من (ت)، والتصحيح من (ب).

(6) التَّذرية: تَذْرِيَةُ الحِنْطَةِ بِالمِذْرَاة: ذَرْوُهَا، أيْ تَنْقِيَتُهَا مِنَ التُّرَابِ في وقت الحصاد.

قال أيوبُ: الحمد لله على كلِّ حال عُرْياناً خلقني، وعرياناً أُحشر، فعاد إبليسُ مكبوداً[1] وأتى على مالِ أيوب فأهلكه جميعه، وكلما قال له من أجل شيء حَمِدَ الله وأثنى عليه ورضي بالقضاء، ووطَّن نفسه للصبر على البلاء.

فلما رأى إبليسُ أنه قد أفنى جميع مالَ أيوب ولم يعمل معه شيئاً، صَعَد سريعاً إلى السَّماء، حتى وقف موقفه الذي يقف فيه، وقال: إلهي إنَّ أيوبَ يرى [أنَّكَ متَّعْتَه بنفسه وولده][2]، فهل أنت تُسلِّطُني على ولده [فإنها][3] الفتنة المُضِلَّة والمُصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرِّجال، ولا يقوى عليها صبرهم. قال الله -تبارك وتعالى-: انطلق، فقد سَلَّطْتك على ولده، فانقضَّ عدو الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم القصر، حتى تداعى من قواعده، ثمَّ جعل يناطح جدرانه بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجندَل[4]، حتَّى مَثَّل بهم كلَّ مُثلَة، ورَفَع بهم القصرَ وقلبه فصاروا منكبين[5].

وانطلق إلى أيوبَ في صورة شيخ يُعلِّم أولاده الحكم وهو مشدوخُ الوجه يسيل دمُه ودماغُه، فأخبره بذلك وقال: يا أيوبُ لو رأيتَ بَنيك كيف عُذِّبوا، وكيف هم مُنْكبين على رؤوسهم، تسيلُ دماؤُهم وأدْمغتهم من أفواههم، ولو رأيتَ كيف شُقَّتْ بُطونُهم وتناثرَتْ أمعاؤُهم لتقطَّع قَلْبُك، ولم يَزَل يقول هذا ويخبره ويُرقِّقُه، حتى رقَّ أيُّوبُ وبكى، [وقبَضَ على لحيته][6] وقَبَضَ قَبضةً من التراب ووضعَها على رأسه، فاغتنمَ إبليسُ ذلك، فصَعَد سريعاً بالذي كان من جَزَع أيُّوبَ مسروراً به، ثم لم يَلبث أيُّوبُ أن فاء واستغفر الله، وصَعَد قرناؤه من الملائكة بصحيفته، فوقفوا بين يدي الله وهو أعلم. فوقف إبليسُ حزيناً ذليلاً

(1) مكبوداً، الأصل فيه بالدال؛ أي أصاب الحزن كبده، وقد تُقلب الدال تاء، فتصبح مكبوتاً، انظر: لسان العرب: مادة كبت.

(2) عند الطبري، والبغوي، والثعلبي: «ما متَّعته بنفسه وولده».

(3) سقطت من كلتا النسختين، والتصحيح من جامع البيان، معالم التنزيل.

(4) الجندل: الحجارة.

(5) نلحظ هنا شطحات خيال القصاص، وتهويلاتهم ومبالغاتهم.

(6) لا وجود لهذه العبارة عند أغلب المفسرين.

وقال: يا إلهي [وسيدي][1] إنما هوَّن على أيوبَ خَطَرَ المالِ والولد أنّه يَرى [أنّك متّعته][2] بنفسه، فأنت تُعيدُ له المال والولد، فهل أنت [مُسَلِّطُني][3] على جسده؟ فإنّي لك زعيمٌ، [فإن][4] ابتليته في جسده ليَنْسينَّكَ، وليكفُرَنَّ بكَ ويَجْحدنَّ نعمتك، فقال الله تعالى: انطلقْ، فقد سلَّطتُك على جسده، ولكن ليس لك سلطانٌ على قلبه ولا لسانه ولا عقله.

وكان الله [تعالى][5] أعلم به لَم يُسلِّطه عليه إلا رحمةً له؛ ليُعظم له الثواب وعبرة الصابرين، فانقضَّ إبليسُ سريعاً، فوجدَ أيوبَ ساجداً فأتاه من قِبَل الأرض قبل أنْ يَرْفعَ رأسه فَنَفخ في مِنْخَره [نفخةً][6] اشتعل منها جسدُه [من قَرنه إلى قدمه، وصار جسده ثآليل مثل دُيوس[7] المرأة][8]، ووقعت فيه حكّةٌ لا يَملكها، فحَكَّ بأظْفاره حتى سقطتْ كلُّها، ثمَّ حَكَّ بالمُسوح الخشنَة حتى قَطَّعها، ثم حك بالحجارةِ والفخَّار والخَشَب حتى أدماها، ولم يَزَلْ يَحكُّها حتى نَغِل[9] جسمه وتقطع وتغير وأنتن حتى [لا كان أحد يقدر يشم ريحته][10] فأخرجه أهل القرية من عندهم، وألقوه على مزبلة لهم، وجعلوا له عريشاً، ورفضه

---

(1) زيادة في (ت).

(2) في جامع البيان، ومعالم التنزيل، والكشف والبيان: «ما متّعته بنفسه وولده».

(3) في (ب): [تسلطني]، وعند أغلب المفسرين مُسطلي.

(4) عند أغلب المفسرين: [لئن].

(5) سقطت من (ب).

(6) سقطت من كلتا النسختين.

(7) الدِّيس: الثدي للمرأة والدابة، والجمع دُيُوس، وفي العباب للصغاني أنها لهجة عراقية وليست عربية، إلا أنها مسموع في بعض مناطق الجزيرة العربية كبوادي الحجاز، وعلى ساحل الخليج العربي. انظر: العباب الزاخر، مادة: ديس.

(8) هكذا في كلتا النسختين، وعند أغلب المفسرين: [ثآليل مثل أليات الغنم]، ولا يخفى هنا تهويلات خيال القصاص، واختراعاتهم الغريبة.

(9) نَغِل الجرح، أيْ: فسد وتعفّن.

(10) يبدو أن هذه العبارة من ابتكار خيال المؤلف، فلا وجود لها عند أغلب المفسرين الذين ذكروا هذا الخبر.

خَلقُ الله كلُّهم غيرَ امرأتِه، وهي رحمة[1] بنت [إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليه][2]،

وبقي أيوب ثماني عشرة سنة مبتلياً، منها سبع سنين وأشهر على مزبلة يختلف فيه الدود، ومع ذلك لا يفتر من ذكر الله والثناء عليه والحمد لله[3].

فلمَّا رأى إبليسُ ذلك صَرخَ صرخةً عظيمةً جمع فيها جنودَه من أقطار الأرض جَزَعاً من صبرِ أيُوبَ، فلمَّا اجتمعوا إليه قالوا له: ما شأنك؟ قال: أعياني صبر هذا العبد الذي سألتُ ربِّي أن يُسَلِّطَني عليه وعلى ماله .وولده، ولم يَزْدَدْ بذلك إلاّ صبراً وثناءً على الله -تبارك وتعالى-، وقد افتَضَحتُ مع ربِّي، واسْتعنْتُ بكم فأعينوني عليه. فقالوا له: أين مَكرُكَ وأين عَمَلُك وحيلُك التي احتلتَ بها على ما مضى؟ قال: بَطُل ذلك كلُّه في أيوبَ، فأشيروا عليَّ، قالوا: نُشير عليك؟ قال: نعم. قالوا: أرأيتَ لَمَّا أخرجتَ آدم عليه السَّلام من الجَنَّة من

---

(1) وقيل اسمها: إليا، قال ابن كثير في البداية والنهاية 506/1: امرأته قيل: اسمها ليا بنت يعقوب، وقيل: رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وهذا أشهر فلهذا»، ثمَّ قال: «ومن فهم من هذا اسم امرأته. فقال: هي رحمة من هذه الآية فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع».

(2) في كلتا النسختين: [إبراهيم بن يوسف الصِّديق -ﷺ-]، والتصحيح من الكشف والبيان، ومعالم التنزيل.

(3) يتفق المحققون من العلماء على أنَّ نسبة هذه القصة، وما جاء فيها إلى المعصوم أيوب -ﷺ-، إمَّا من عمل بعض الوضَّاعين الذين يُركِّبون الأسانيد للمتون، أو من اختراع بعض الرواة، أو أنَّ ذلك من الإسرائليات والافتراءات على الأنبياء، وقد قال الله - تعالى-: أنَّه ابتلى نبيه أيوب -ﷺ- في جسده وماله، وأنه صبر حتَّى صار مضرب الأمثال في ذلك، والذي يجب أن نعتقده أنَّه أبتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنَّه أصيب بالجذام، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنَّه ألقي في مزبلة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، فالنبي أيوب -ﷺ- أكرم على الله من أن يُلقى في مزبلة، وأن يصاب بمرض يُنفِّر النَّاس من دعوته، ويقززهم منه، وأيُّ فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله، وكل ما ورد في قصة أيوب -ﷺ- مما رواه وهب بن منبه وغيره إنَّما أخذ من أهل الكتاب الذين أسلموا، وجاء القصاص المولعون بالغرائب، فزادوا في قصته وأذاعوها، حتَّى اتخذ منها الشحاذون، والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب النَّاس، واستدرار العطف عليهم. انظر: كتاب الإسرائليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد أبو شهبة 279.

أين أتيتـه؟ قـال: من قبـل حـواء، قـالوا: فـأيتِ أيوبَ من قِبَلِ امرأته، فـإنَّه لا يَسْتطيعُ أن يُغْضبها[1] وليس أحدٌ يَقرَبُه غيرُها. قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى زوجة أيوبَ وهي تتصدَّقُ فتمثَّل لها في صورةِ رجلٍ، فقال لها: أين بعلك يا أمةَ الله؟ قالت: هو ذلك يَحُكُّ قروحَه، ويتردَّد الدّودُ في جسده. فلمَّا سمع ذلك طَمع فيها، فوسْوَسَ لها بما كانتْ فيه من النِّعَم والمالِ، وذكّرها حال جمالَ أيوبَ وشبابه، وما هو فيه من الضُّرِّ، وأن ذلك لا يَنْقطعُ عنه أبداً. فصَرختْ وبكتْ، فلما صرَختْ، علم أنها قد جَزِعتْ، فأتاها بسَخْلةٍ، وقال لها: قولي [لأيوب يذبح هذه لي ويبرأ][2]، فجاءت إلى أيوب فخبرته بذلك، فعلم أنَّه إبليس، فعند ذلك قال ربِّ: ﴿أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحمُ الرَّاحِمِين﴾[3]؛ أي قد بلغ المرضُ مني إلى أن أطمع إبليس فيّ.

وقيل إن زوجته دخلت تطلبُ له شيئاً، فلم يُطعمها أحدٌ إلى قَرُب العَصْر، وتلف أيوبُ من الجوع، فتمثَّل لها إبليس في صورة امرأة، وقالتْ لها: تبيعيني شعرك لبنتي يأكل أيوب، قالتْ لها: إنَّ أيوب إذا أراد القيام لحاجة يلزم بضفائري فلا أقدر أبيعها، قالتْ: فبيعيني الواحدة، فباعتها واحدة بقرصين من شعير، فأخذته وطلبت به أيوبَ، وقد أبطأتْ عنه خلاف العادة، وهو ينتظر قدومها، فسبقها إبليسُ إليه وقال: يا أيُّوبُ إن امرأتك زَنتْ بشيءٍ تُطْعِمكَ إياه[4]، وقد

---

(1) في (ب): [يَعصيها]، وكذلك في تفسير ابن كثير، ومعالم التنزيل.

(2) هذه العبارة في كلتا النسختين هكذا: [قولي لأيوب يَذبَح هذه، وقد برئ وعاد كما كان]، وهي عبارة مضطربة، وصوابها من ابن كثير ومعالم التنزيل.

(3) سورة: الأنبياء، آية: 83، وقد أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: 257/14 سبعة عشر قولاً للعلماء في سبب دعاء أيوب -عليه السلام- هذا الدعاء، كما ذكر في تفسير الآية: 44 من سورة: ص، 217/18 سبعة أسباب لحلف أيوب -عليه السلام- لضرب زوجته، كما في قول الله تعالى: ﴿وخُذ بيدكَ ضِغْثاً فاضْرب به ولا تَحْنث﴾.

(4) الأمر الذي اتفقت عليه أقوال أهل التفسير، والعلماء أن منع وقوع النساء اللاتي لهن تعلق بالأنبياء هي عصمتهن من الوقوع في خيانة الزنا؛ لمقام الأنبياء القاضي بمنع وقوع ما يُنفِّر منهم في قبول دعوتهم، قال الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل، في حديثه عن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط -عليهما السلام-: وأنكر ابن عباس ذلك؛ [أنكر خيانة الزنا] وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيهاً =

لزموها وقطعوا شعرها، فلمَّا سَمع أيوبُ ذلك كادتْ مرارتُه تنفطر ونادى ربِّي: ﴿أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحمُ الرَّاحِمِين﴾؛ أي قد وصلتُ إلى حالتي هذه حتَّى تزني زوجتي بما أقتات به[1].

فلمَّا أقبلتْ قال لها: أريد أقوم لأمر، فأبرزتْ له ضفيرة واحدة، فقال لها أيُّوبُ: وأين الضفيرة الأخرى؟ قالتْ: بعتها بهذين القرصين من الشعير لتقتات به، فعندها نادى ربِّي: ﴿أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحمُ الرَّاحِمِين﴾، وقال: والله لأضْربنَّك مائة جلدة لمَّا سمع كلامَ إبليس، وقيل: إن دُودة وصلتْ إلى فؤاده، فخشي أن يَشْتغل بوجَعِها عَنْ ذكر الله عزَّ وجلَّ فقال ربِّي: ﴿أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحمُ الرَّاحِمِين﴾.

41. حيلة إبليس حتَّى أضلَّ النصارى:[2]

عن وهب بن مُنبِّه قال: جاء إبليسُ ومعه رجلان ذوا هيبة وجسارة، وعيسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: ﴿أنِّي قد جِئْتُكُم بآيَةٍ من رَّبِّكُم، أنِّي أخْلُقُ لَكُم مِّن الطِّين كَهيْئةِ الطَّيْر فأنفُخُ فيه فيكُونُ طَيْراً بإذْن الله، وأُبرئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ، وأُحْيِي المَوْتى بإذن الله، وأُنبِّئُكُم بمَا تأكُلُون ومَا تدَّخِرُون فِي بُيُوتكُم، إنَّ فِي ذَلِك لآيةً لكم إن كُنتُم مُّؤمنين﴾[3].

فقال إبليسُ لأصحابه: اقبلوا إلى عيسى فإذا كلمْتكم فأجيبوني، فإنِّي أتكلم كلاماً يكونُ فيه فتنــة للناس، ولم يُبيِّن لأصحابه شيئاً مما يُريد [أن]

= من الله لهم عن هذا النقص. وقال ابن كثير في تفسيره: وليس المراد بقوله فخانتاهما في فاحشة، بل في الدين، فإنَّ نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، وجاء في تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: وحاشا وكلا من هذه الوصمة الخسيسة أن يفعلها الله تعالى مع أنبيائه -عليهم السَّلام-، وكيف والأمة مجمعة على أنَّه ما زنت امرأة نبي قط كانت مؤمنة أو كافرة، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط - عليهما السَّلام- إنَّما كانت في إظهارهما الإيمان وإخفائهما الكفر لا غير.

(1) هذا من الإفك المبين والافراءات الواهية التي تناقلها الجهال.

(2) القصة مع بعض الزيادات في: نهاية الأرب: 188/14.

(3) سورة: آل عمران، الآية: 49.

يقول[1]: فلمَّا سَمع قول عيسى - عليه السلام - قال: أعدْ كلامك يا نبي الله، قال عيسى أيها الناس: ﴿أنِّي قد جئتُكُم بآيَة من رَّبِّكُم، أنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّن الطِّينِ كَهَيْئة﴾، إلى قوله: ﴿إنْ كُنتُم مُّؤمنين﴾، فقال له إبليسُ: أتخْلُق وتشفي من المرض، وتُحيي الموتى وتخبر بالغيب، قال عيسى: نعم. فقال إبليسُ: [أيُّها الناس، عهد هذا العهد، فانظروا إليه، وإلى قدرته، وهل ينبغي لخلقه أن ينظروا إليه أو يسمعوا كلامه أو يقوموا لرؤيته؟ ولكنَّه ابن الله، وليس هو الله تعالى، ثم قال: ليس هو كذلك، ومن قال: ذلك فقد قال: شططا وخطأ، وقال قولاً عظيماً، وهل ينبغي له أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد، وهل ينبغي لولد هو من الله أن تستقل به قوة امرأة ويسعه رحمها، ولكنه إله معه، وليس هو الله، ولا ولده، وتفرقوا على هذا القول، ونطق به الناس وانقسموا ثلاثة أقسام، كل قسم يعتقد شيئاً][2].

42. حيلة إبليس مع زكريًا عليه السلام[3]:

وذلك أن زكريًا هَرَب من يَد الملك هيرودس لَّما هرب ولده، لَّما بُشر بولادة المسيح، فأمر هيرودوس بقتل الأطفال، وخاف زكريًا على يحيى وهرب به، فطلبه الملك فهرب من يده، فأقام عليه الرَّصد، فلمَّا ظفروا به، هرب منهم والتجأ إلى

---

(1) سقطت من كلتا النسختين.

(2) كذا في كلتا النسختين، والقصة كما ذكرها المؤلف فيها انقطاع واضطراب، وهي في نهاية الأرب أكثر اتساقاً: «فقال إبليسُ: هذا الله عزَّ وجلَّ أيُّها الناس، فانظروا إليه، فإنه نزل إليكم ليريكم قدرته. فقال أحد أصحاب إبليس: بئسما قلت ياشيخ، أخطأتَ وجُرتَ، وقلتَ قولاً عظيماً، أتزعم أن الله يتجلى لخلقه لينظروا إلى قدرته، وهل ينبغي لخلقه أن ينظروا إليه أو يسمعوا كلامه أو يقوموا لرؤيته؟ لا، ولكنَّه ابن الله، وليس هو الله. فقال الثالث: كلا، كما قال شططاً وأخطأ وجار وقال قولاً عظيماً، وهل ينبغي له أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد، وهل ينبغي لولد هو من الله أن تستقل به قوة امرأة ويسعه رحمها، ولكنه إله مع الله، وليس بولد الله، وليس بالله كما قلتما. قال: وتفرقوا على ذلك، ونطق النَّاس بقولهم، فصارى ذلك كلام النصارى».

(3) القصة عند ابن الأثير في الكامل بزيادات واختلافات 235/1، وفي البداية والنهاية 411/2. وهي من الاسرائليات الواهية التي لا تثبت.

شجرة فناداها: يا شجرة واريني، فانشقَّت الشجرة ودخل فيها وانطبقت عليه. فأتى اليهود في إثره يطوفون عليه، فلقيهم إبليسُ في صورة رجل شيخ، فقال لهم: لمن تريدون؟ وعلى من تطوفون؟ قالوا: على زكريًا، قال لهم: إنَّ زكريًا دخل هذه الشجرة، فقالوا: كيف دخلها؟ قال: دخلها بسحره، وهذا طرف ثوبه خارج منها، فإذا همُ بطرفه ثوبه، فلمَّا حققوا ذلك، قالوا: نَحْرق الشجرةَ ويحترق هو في جَوْفها، قال بعضهم: هذه شجرة خضراء ولا تحترق، وجعلوا يتشاورون في هلاك الشجرة ومن فيها، فقال إبليسُ: أنا أصنع لكم شيئاً تقطعون به الشجرة ومن فيها، قالوا: اصنع ما أنتَ صانعٌ، فصنع لهم المنشار ولم يكن يُعْرَف، فشقُّوا الشجرة وزكريًا فيها، فوقعتْ قطعتين وزكريا قطعتين، ورموا به في بئر في بيت المقدس[1]، فما زالت البئر تفور وتسيح بالدم حتى سلط الله عليهم بُختنصّر، فأتى إليهم وقال لهم: ما سبب هذا الدم؟ فأخبروه بقتل زكريًا فقال: لا أبرح أقتل فيكم أو يسكنْ هذا الدم، فوضع السيفَ، فيهم وقتل حتى جَرت الأنهر من دمائهم، فلمَّا رأتْ نساءُ اليهود ذلك أخذتْ خِرَقُ الحيض وطرحتها في البئر فانقطع سيحها، فلمَّا رأى بختنصّر ذلك رفعَ عنهم السيف، ورأيته في التوراة مكتوباً بالعبرية، وحدَّثني به جماعة من اليهود[2]، [قالوا: إنَّه لمَّا قُتل زكريًا ودُفن، جاء بُختنصّر حتَّى حاصر القدسَ، فداستْ فرسه قبرَ زكريًا، فغاصتْ يد

---

(1) جاء في كتب الأخبار والروايات، وبعض التفاسير أنَّ زكريًا -عليه السلام- خرج عن قومه لما أرادوا قتله، فانصدعت له شجرة فدخل في وسطها، فالتأمت عليه، فجاء قومه بالمنشار، فقطعوا به الشجرة، فقُطع معها نصفين، قال ابن كثير في (كتاب قصص الأنبياء 636/2): «وقد اختلفت الروايات عن وهب بن منبه: هل مات زكريا -عليه السلام- موتاً أو قتل قتلاً؟ على روايتين: فروى عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال: هرب من قومه فدخل شجرة فجاءوا، فوضعوا المنشار عليهما، فلمَّا وصل إلى أضلاعه أنَّ فأوحى الله إليه: لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها، فسكن أنينه حتَّى قُطع باثنتين». ثمَّ قال: «وقد رُوى هذا في حديث مرفوع، وبعد أن ذكر الحديث، عقَّب عليه بقوله: «هذا سياق غريب جداً، وحديث عجيب، ورفعه مُنكر وفيه ما ينكر على كل حال...». وقيل إنَّ النبي الذي قُطع وسط الشجرة هو يحيى ابن زكريا، وقيل شعيباً، ولم نقف في ذلك على نص صحيح عن رسول الله- ﷺ -.

(2) ظاهر السياق يدل على أنَّ الضمير يعود على المؤلف.

الفرس فنزل عنه، وأخرجوا يدها فغار الدم وساح، فقال بختنصّر عليّ بأحبار اليهود، فلمّا حضروا بين يديه قال لهم: ما هذا القبر؟ قالوا: هذا للذبح دم الغنم والبقر، والدم سيح [أحمرَ][1] حاراً، فقال: هذا دم طريّ أخبروني، ثم أنزل عليهم العذاب، فقالوا: هذا دم زكريًا -عليه السلام- قتلناه ودفناه هنا، فَغَلّق أبواب المقدس وقال: لأقتلنّكم حتى يَعْبُر دَمُكم السُّور، ويسكُن دَمُ زكريًا، ووضع السيف فيهم، وقتل حتى لم يبق إلا النساء والأطفال، فأخذوا خرقة رووها بالدم ورموها من داخل السُّور إلى برا البلد، فسكن دمُ زكريًا فرفع عنهم السيف، وهذا الوجه ترويه اليهود عن أشياخهم في كتبهم، والنصارى تنكر هذا وتقول إنّ الذي شُق بالمنشار كان أشعيا[2] ولم يكن زكريًا، وأنّ زكريًا قتله اليهود بالسيوف][3].

43. حيلة لإبليس من كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي:[4]

وذلك أنّ إبليس رأى جماعة يجتمعون في مجلس الذِّكر والقرآن، فطاف عليهم ليفتنهم، فلم يَسْتطع أن يُفرِّق بينهم، فأتى أهل مجلس يذكرون الدُّنيا وأهلها، فأوقع بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل مجلس الذِّكر ليحجزوا بينهم، فتفرقوا [وتفرقتْ عزائمهم، وانفلوا ولم يعودوا يجتمعون][5].

---

(1) في كلتا النسختين: [أحمراً].

(2) يذكره بعض المفسرين على أنّه من أنبياء بني إسرائيل، ولم يثبت ذلك بسند صحيح، فأنبياء الله ورسله لا يعلم أسماءهم جميعاً إلا الله- تبارك وتعالى-، ومنهم من ذكر الله اسمه في القرآن، ومنهم من لم يذكر الله اسمه، كما في قوله سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء/164، ومجرد ذكره عند المفسرين لا يدل على الثبوت، وكتب التفسير يكثر فيها النقل عن بني إسرائيل، ولذا فالذي ينبغي في مثل هذا التّوقف، دون تصديق أو تكذيب.

(3) أعاد المؤلف هذه القصة مع بعض الاختلاف اليسير.

(4) تلبيس إبليس: 26، مع وجود اختلاف في بعض ألفاظ القصة.

(5) هذه زيادة من المؤلف، وفي كلتا النسختين: [يجتمعوا].

44. حيلة أخرى نقلتها من تلبيس إبليس أيضاً:[1]

وذلك أن شجرة كانت تُعبد من دون الله، فغضب رجلٌ لذلك وأقبل ليقطعها، فجاءه إبليسُ في صورةِ إنسان، وقال له: ما تريد تصنع؟ قال: أقطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله، قال: إذا كنتَ لا تعبدها فما ضَرُّكَ من يعبدها؟ قال: لأقطعنها، قال: فهل لكَ فيما هو [خيرا][2] من هذا، قال: نعم، قال: لك كل يوم ديناران وقت الصبح، قال: ومن لِيَ بذلك؟ قال له إبليسُ: أنا لك بهما، فلمَّا أصبح وجد على مخدته دينارين، فلمَّا كان اليوم الثاني لم يجد شيئاً، فغضب وجاء ليقطع الشجرة، فجاءه إبليسُ وقال له: ما لك؟ قال: أريد أقطع الشجرة، فقال له: ما لك إليها سبيل، فذهب يقطعها فضرب به الأرض وكاد يقتلهُ، فقال له: من أنت؟ قال: [أنا][3] إبليس: جئتَ أول مَرَّة غضباً [لَه][4] فلم يكن لِي عليك سبيلٌ، فلمَّا جئتَ غضباً للدينارين سُلِّطت عليك، فتركه الرجل ومشى.

45. حيلة لإبليس منقولة من مروج الذهب:[5]

أنَّ الحجاج لَمَّا ولدته أمهُ كان مشوّه الخلقة لا دُبر له، فثقبت أمهُ دبره، وكان لا يَقبل الثدي من أمه وغيرها وأعياهم أمره، فتصَوَّر لهم إبليسُ في صورةِ طبيبٍ[6] فقصّوا عليه قصته، فقال: اذبحوا له جدياً أسود [وأولِغوه دمه][7]، [وفي

---

(1) تلبيس إبليس: 33، مع وجود اختلاف في بعض ألفاظ القصة.

(2) في (ب): [خير لك].

(3) زيادة في (ب).

(4) هكذا في تلبيس إبليس، ورواية (ب): [الله].

(5) القصة في مروج الذهب: 3/ 125، وقد أوردها المسعودي تحت عنوان: «سبب ولوع الحجاج بسفك الدماء»، ولا شك أنَّ القصة التي سيذكرها المؤلف هي قصة مخترعة؛ بهدف البحث عن أسبابٍ لما عُرف به الحجاج من البطش والقتل.

(6) عند المسعودي: [في صورة الحارث بن كلدة (حكيم العرب) الذي قِيل إنه كان زوجاً لأم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة الثقفي قبل أن تتزوج بأبيه يوسف بن عقيل الثقفي].

(7) في (ب): [والعقوه من دمه]، وفي (ت): [ألقوه في دمه]، والتصحيح من مروج الذهب.

اليوم الثاني اذبحوا له تيساً، وفي اليوم الثالث اذبحوا له عنـزاً، وفي اليوم الرابع اذبحوا له أسود سالخاً وألعقوه دمه وألطخوا وجهه من دمه، فإنه يقبل الثدي][1]، وكان من أمره ما كان من سفك الدماء.

(1) زيادة من المؤلف، وفي مروج الذهب، هكذا: [فإذا كان اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسود سالخاً فأولغوه دمه واطلوا به وجهه، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع].

الباب الخامس
في حِيَل الأنبياء عليهم السَّلام

46. حيلة إدريس -عليه السلام-[1]:

حكى ابنُ الأزهر عن وهب بن مُنبّه في كتابه الموسوم (بمبتدأ الدنيا)[2] أنّ إدريس -عليه السَّلام- أول من اعتد السلاح، وجاهد في سبيل الله -عزّ وجلّ-، ولبس الثياب، وكان يلبس قبل ذلك الجلودَ، وهو أول من أظهر الأوزان والأكيال وآثار علم النجوم.

قال ابن منبه[3]: وكان إدريس شديد الحرص مع ذلك أن يدخل الجنة، وكان قد علم من الكتب أن لا يدخل الجنة قبل الموت والبعث، وكان مجاهداً في قومه في ذات الله، وكان يعبد الله حق عبادته.

فبينما هو يُسَبِّحُ في عبادته، إذ عَرض له الموت في صورة رجل في نهاية الحسن والجمال، فقال له إدريس: من أنت؟ قال: عبد من عبيد الله أعبده مثل عبادتك، وقد أحببتُ أن أصحبكَ، فهل تأذن لي في ذلك؟ فأذن له إدريس،

---

(1) القصة في الكشف والبيان: 219/6، وفي البداية والنهاية: 234/1، وفي معالم التنزيل: 238/5، وروت كتب التفسير قصة النبي إدريس -عليه السلام-، وطريقة موته، وقد ملأتها بكثير من الاسرائليات، حتّى قال ابن كثير في تفسير سورة مريم بعد أن سرد ما رواه الطبر: «هذا من أخبار كعب الأحبار والإسرائليات، وفي بعضه نكارة واللّه أعلم».

(2) تقدم الحديث عن هذا الكتاب، وذكرنا أنّ أكثر مادته التهويل والمبالغات، والقصص المكذوبة والأساطير المنتزعة من الحكايات الإسرائيلية.

(3) في (ب): [وهب بن منبه].

ثمَّ سـارا [جمعياً][1] حتى إذا كان آخر النهار إذا همـا براعٍ يرعى غنماً[2]، [فسـأله][3]، فـقـال له ملك الموت: لو طلبنا من هذا الراعي لبناً من هذه الشويهات نفطر عليه، فقال له إدريس: انطلق بنا، فإنَّ الذي اصطحبنا من أجله لا يتركنا بلا رزق، فلمّا أقبل الليل رزقهم الله طعاماً، فأكل إدريس ولم يأكل ملك الموت، ثم قاما [جمعياً][4] يصليان حتَّى أصبحا، وكان حالهما في اليوم الثاني كذلك. فلمّا كان في اليوم الثالث، قال إدريس لملك الموت: [إنَّكَ][4] قد صحبتني يومين وليلتين، ولم أركَ تأكلُ شيئاً وأراكَ [قوياً][6] على العبادة، قويُّ البدن، حَسَن الوجه، طيّب الرائحة، قال: [إنّي كذلك][7] يا نبي الله منذ خُلقتُ، فقال له: فمن أنت؟ قال: أنا ملكَ الموت، فقال له إدريس: قد صحبتني فهل جئتَ تقبضُ روحي، قال: لا؛ لأن ربيّ لم يأمُرني بذلك، لكنَّه أمرني أن أصحبك. قال له إدريس: يا أخي لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبضُ روحي، قال: فما تريد بذلك وللموت من الكرب ما لا يُحصى، قال له إدريس: لعلّ الله أنْ يُحيِيَنِي بعد ذلك، فأكون أشدّ اجتهاداً في عبادتي إيّاه، فقال له ملك الموت: لا يُمكِنني ذلك إلاّ بأمر الله تعالى، فسل ربّك ذلك، فأوحى الله إلى ملك الموت: أنّي قد علمتُ ما في قلب عبدي إدريس فاقبض روحه، فقبَض ملك الموت روحه، ثم أحياه الله تعالى في الحال، وكان

---

(1) زيادة في (ت).

(2) في (ب): [غنمات له].

(3) زيادة في (ت).

(4) زيادة في (ت).

(5) زيادة في (ت).

(6) في (ب): [قواماً].

(7) في (ت): [إنيّ لي ذلك].

يجتهد في العبادة، حتَّى كان أكثر النَّاس صوماً وصلاةً[1].

وكان مَلَك الموت قد صادق إدريس، فلمَّا كان بعد ذلك أقبل ملك الموت إلى إدريس يزوره، فقال له إدريس: يا أخي [هل][2] تقدر توقفني على جهنَّم حتى أنظر إليها؟ قال له ملك الموت: وما حاجتك إلى ذلك، وفي جهنم من الأهوال ما لا يحمله أحدٌ وما لي إلى ذلك سبيلٌ، ولكن أحَملُكَ إلى قريب منها، والله أعَلمُ بحاجتك، فحمله مَلَك الموت حتى أوقفه الله على طريق مالكَ خازن النار، [فلمَّا رآه مالك خازن النار وافقاً كَشَّر في وجهه كشرة كادتْ نفس إدريس أن تخرج من خَشيته[3]. فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى مالك: وعزَّتي وجلالي لا أُرى إدريس بعد كشرتك هذه سُوءاً أبداً][4]، ارجع إليه واحمله وأوقفه على شفير جهنَّم حتَّى يرى ما فيها، فأخذه مالك وأوقفه على شفير

---

(1) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ورفعْنَاه مكاناً عليًا﴾ [مريم: الآية: 57]، هكذا أشار الله عزَّ وجلَّ إلى نبوة إدريس -ﷺ-؛ حيث كان أول نبي مُنح النبوة بعد آدم وشيث -عليهما السَّلام-، وشرفُه الله تعالى برفعته له ربما مكانيًا، أو معنويًا، وقد اختلفت الروايات حول وفاته. ويرى بعض المفسرين، أنَّ النبي إدريس رُفع إلى السموات مثلما حدث مع عيسى -ﷺ-، في حين لجأ أخرون إلى تفسير الرفعة التي سبق ذكرها بكونها رفعة معنوية، ويروي الطبري في جامع البيان قصة موت إدريس -ﷺ- بطريقة مختلفة: «أما إدريس، فإنَّ الله أوحى إليه: إنِّي رافع لك كلَّ يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إنَّ الله أوحى إلي كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتَّى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثمَّ صعد به إلى السماء، فلمَّا كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بُعثتُ أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء السابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك.»

(2) سقطت من (ب).

(3) كلُّ هذا من الافتراءات الواهية التي لا يُصدِّقها العقل، ولا تليق بمنزلة الأنبياء عند الله، فبعضها كذب الإسرائليات، وبعضها الأخر من وضع خيال القصاص.

(4) لم نعثر على هذه العبارات عند كلِّ من ذكره هذه الخرافة، ويبدو أنَّ هذه العبارات من زيادات المؤلف.

جهنم [وصاح مالك بخزنة جهنّم أن: اقلبوا أطباق جهنّم][(1)]، فقلبوا فنظرَ إدريسُ إلى تلك الأهْوالِ والنَّكَال والعَذاب والنيران والقطران والحيات والعقارب، فلولا أنَّ الله تبارك وتعالى قوّاه وإلاّ كان قد صُعق، ثمَّ احتمله مالك حتى أوقفه مكانه الذي أخذه منه فوضعه فيه، فأنزله ملك الموت إلى الأرض، فأقامَ يعبد الله ولا يَكْتحِلُ بنوم، ولا يَهنأ بمطعم خوفاً من عذاب الله الذي عاينه[(2)].

فلمّا كان بعدُ ذلك، أقبل ملَك الموت يوماً وقال له: يا أخي هل لك أن تدخلني الجنّة، حتى أنظر إليها؟ وإلى ما أعدّه الله -عزَّ وجلَّ- لأوليائه، فقال: يا نبي الله، إنَّ الجنّة محرمة لا يدخلها إنسانٌ إلاّ أن يموت؛ لأنَّ أهل الجنّة لا يموتون، واذكر حاجتك لله تعالى، غير أنّي أحملك، وأقعدك على طريق الجنّة، [فسأله حاجته، قال: فافعل ذلك، ففعل ملك الموت][(3)]، وأقبل رضوان ومعه ملائكة الرَّحمة، فنظر إلى إدريس- عليه السّلام-، فقال لملك الموت: من هذا؟[(4)] قال: نبي الأرض، وقد أراد أن يَنْظُر إلى نعيم الجنّة ليكون اجتهاده على عبادة الله [تعالى][(5)] أكثر، قال رضوان: إنَّ ذلك إلى ربّي -عزَّ وجلَّ-، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رضوان: إنّي قد علمتُ ما يريدُ عبدي، وقد أمرت غصناً من أغصان شجرة طوبى أن يتدلّى [إليه][(6)] فيلتفّ به ويُدخله الجنّة، فإذا دخلها فأقعده يا رضوان على أعلى موضع في الجنّة، فلمّا دخل الجنّة، ورأى ما فيها من

---

(1) سقطت من (ت).

(2) نقل المؤلف هذه القصة من كتاب السيوطي: «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وقد اشتهر هذا الكتاب بنقل الخرافات والأساطير، وهو يختلف عن كتاب آخر في التاريخ لابن إياس الحنفي الذي له نفس العنوان.

(3) في (ب): [واقعدك على طريق الجنة، فإنه رضوان يعبر عليك، وهو خازن الجنة فسأله حاجتك، قال: افعل ذلك، ففعل ملك الموت وأقبل رضوان...]

(4) هذا دليل على تهافت هذه القصة، وأنها من الإفك، الذي ينافي طبيعة الملائكة والأنبياء، فالملائكة لا يتصرفون وفق رغباتهم، فهم لا يعصون الله، ويفعلون ما يؤمرون، وهل يقبل العقل السليم أن يجهل رضوان معرفة النبي إدريس -عليه السلام- وقد صعد إلى السّماء برفقة ملك الموت؟ وقد تم كل ذلك بتدبير الله وعلمه، ولكنّه الخيال والكذب والافتراء.

(5) سقط من (ب).

(6) سقط من (ب).

النعيم، قال له رضوان: اخرج الآن، قال له إدريس: [أيدخل الجنّة من يخرج][1]، قال له رضوان: إن الجنّة لا يدخلها أحدٌ من البشر إلاّ أن يموت، فقال له إدريس: فأنا قد مُتُّ والله- سبحانه وتعالى- لا يسلّط عليّ الموت مرتين، وقد رأيتُ جهنّم ووردتُ عليها، وكان حقاً من ربيّ ذلك على عباده، وذلك قوله تعالى: ﴿وإن مِّنكُمْ إلاّ واردُها كانَ على ربِّكَ حتماً مّقضِياً﴾[2]، فرجع رضوان إلى ربّه وقال: إلهي وسيِّدي أنتَ أعلمُ بما قاله عبدك إدريس، فأوحى الله عزَّ وجلَّ: إنَّ عبدي إدريس حاجّك بكلامي فرده في جنتي لا تعاوده، يتبوأ إدريس من الجنّة حيث يشاء، وذلك قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدّيقاً نبيّاً ورفعناه مكاناً علياً﴾[٣].

47. حيلة إبراهيم -ﷺ- في تكسيره للأصنام:

تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم﴾[4]، قال السّدي[5]: كان لهم في كلّ سَنة مَجمعٌ وعيد، وكانوا إذا رجعوا من عيدهم

(1) هكذا في كلتا النسختين، والعبارة مضطربة، ويبدو لنا أنها هكذا: [أيخرج من الجنّة من يدخل؟]، وفي بدائع الزهور: [ما أنا بخارج منها].

(2) سورة: مريم، الآية: 71.

(3) سورة: مريم، الآية: 57، وقد أورد المؤلف هذه القصة بكلّ ما اشتملت عليه من خرافات، بوصفها حيلة لجأ إليها إدريس -ﷺ- لدخول الجنة، وتفسير معنى الرفع الوارد في الآية ولم يكن عليه السّلام في حاجة لمثل هذا العمل الذي ينافي منزلة الأنبياء ومقامهم عند الله، وكل هذه أخبار غير مثبتة في القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، ويجب على المسلم أن يؤمن بأنّ إدريس -ﷺ- من الرُّسل، وأنّ الله رفع منزلته، وما وراء ذلك من كونه في السماء الرابعة حيّاً أو ميتًا لا يلزم المسلم الاعتقاد به.

(4) سورة: الأنبياء، الآية: 60.

(5) المشهور بهذا اللقب ثلاثة: الأول الكبير، وهو ما يقصده المؤلف، المُفسر أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي، تابعي ولد بالحجاز، ثمَّ انتقل إلى الكوفة، لُقب بالسُّدي؛ لأنّه كان يبيع الأقمشة في سُدة الجامع، وثّقه أغلب رجال الجرح والتعديل، رُمي بالتّشيع، مات سنة 172، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 7/ 154، ميزان الاعتدال: 237/1، والثاني يُقال له: ابن بنت السُّدي، أبو محمد إسماعيل بن موسى الكوفي، وهو ابن أخت الكبير، وقد رُمي بالتشيع كخاله، تُوفي سنة، 245 والثالث الصغير، وهو: محمد بن مروان، وهو متروك الحديث، تُوفي سنة189هـ.
انظر: تهذيب التهذيب: 329/3، ميزان الاعتدال: 32/4.

دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثمَّ عادوا إلى منازلهم، فلمَّا كان ذلك العيد، قال أبو إبراهيم: يا إبراهيم، لو خرجتَ معنا إلى عيدنا لتنظره أعجبك ديننا، فخرجَ معهم إبراهيم، فلمَّا كان في بعض الطريق ألقى نفسه، وقال: إني سَقِيم، فلمَّا مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضِعَاف الناس ﴿تالله لأكِيدَنَّ أصْنَامَكُم بَعْد أن تُوَلُّوا مُدْبِرين﴾[1]، فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا بهم في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم، يليه أصغر منه إلى باب البهو، وقد جعلوا بين أيديهم طعاماً، وقالوا: إلى حين رجوعنا من العيد يكون قد باركتْ فيه الآلهة فنأكل. فلمَّا نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم على سبيل الاستهزاء: ألا تأكلون؟ فلمَّا لم يُجبه أحدٌ، قال: ما لكم لا تنطقون؟ ﴿فرَاغ عَلَيْهم ضَرْباً باليَمِين﴾[2]، وجعل يَكسرهم بفأس بيده حتى لم يبق إلاَّ الصنم الأكبر، عَلَّق الفأس في رقبته ثمّ خرج، فذلك قولُه [تعالى][3]: ﴿فَجَعَلَهُم جُذاذاً إلاَّ كَبيراً لَّهُم لَعَلَّهم إليْهِ يَرْجِعُون﴾[4]، ولم يُكسِّر الكبير لعلهم يرجعون إليه، ويسألونه عنهم وعمّن فعل بهم هذا الفعال.

فلمَّا قدم القوم من عيدهم إلى بيتِ الآلهة رأوا أصنامهم، ﴿قَالوُا مَنْ فعَلَ هَذا بآلِهتِنَا إنَّه لَمِنْ الظَّالمين﴾[5]، فأتى الذين سمعوا إبراهيم يقول: ﴿تالله لأكِيدَنَّ أصْنَامَكُم﴾، وقالوا: ﴿سَمِعْنا فتىً يَذكُرُهم يُقال لَهُ إبراهيمُ﴾[6] يعيبهم

---

(1) سورة: الأنبياء، الآية: 57.

(2) سورة: الصافات، الآية: 93.

(3) سقطت من (ت).

(4) سورة: الأنبياء، الآية: 58.

(5) سورة: الأنبياء، الآية: 59، وقد وردت الآية في كلتا النسختين خطأ، هكذا: «قالوا من فعل هذا الذي فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين».

(6) سورة: الأنبياء، الآية: 60.

ويشتمهم ويستهزئ بهم، فبلغ ذلك النمرود الجبّار[1]، فأخذه وحبسه وجمع حَطباً ليحرقه.

48. حيلة إبراهيم -عليه السلام- مع سَارة وهاجَر:

وذلك أنَّ سـارة- رضي الله عنهـا- لما غَـارتْ من هاجـر حين حـملتْ بإسماعيل -عليه السلام-، قالت: والله لأقطَعَنّ منها عضواً، فلمّا جاء إبراهيم ذكرتْ له هاجر ما قالتْ سارة، فقال لها إبراهيم: ماذا حَلَفْتِ على هاجر؟ قالتْ: والله لأقطَعَنّ منها عضواً، فقال لها: اختِنيها وقد بَررتِ في يمينك، فكانت أول امرأة خُتنت[2].

49. حيلة يعقوب -عليه السلام-[3]:

مّا حكاه الثعلبي أن إسحق لما كَبُر وعمي، وكان له العيص[4] ويعقوب التفت يوماً إلى العيص وقال له: يا ابُني أطعمني لحمَ صيدٍ حتّى أدعو لك دعوةً دعا بها إبراهيم عليه السّلام، وكان العيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، فمضى العيص ليصيد لأبيه شيئاً، ومضى يعقوب وذبح عنـزاً، ولبس جلدها وأتاه بلحمها، وقال له: كل يا أبتي، قال من أنت؟ قال ولدك العيص. فقال:

---

(1) اختلفت آراء المفسرين في زمن أيّ الملوك وقعت هذه الحادثة لإبراهيم -عليه السلام-، كما شاع حول هذه الحادثة الأكثر من الخرافات والأساطير التي لا صحة لها، وقد أوردها الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان: 282/6.

(2) هذه القصة لا يُعلم صحتها من ضعفها، وقد وردت في كثير من كتب التفسير والمصادر الأخرى، فقد رواها الواقدي والبيهقي وابن عساكر، ورواها السيوطي في الدر المنثور، كما ذكرها ابن الجوزي في أخبار النساء، والسهيلي في الروض الأُنف، وابن القيم في كتابيه: روضة المحبين، وتحفة المودود، وابن كثير في البداية والنهاية، وذكرها ابن حجر في فتح الباري، وفيها زيادات: «ويُقال: إنّ إبراهيم شفع فيها، وقال لسارة: حلّلي يمينك بأن تثقبي أذنيها، وتخفضيها، وكانت أول من فعل ذلك، وزاد السيوطي: «فوضعت هاجر في أذنيها قرطين، فازدادت بهما حسناً.

(3) القصة في الكامل في التاريخ: 96/1، وتفسير الكشف والبيان: 285/1.

(4) وقد يُقال له: عيسو.

اللمس لمس العيص، والريح ريح يعقوب، فقالت له أمُّ يعقوب: هو ابنك العيص، فادع الله تعالى: فقال: قدّم طعامك فقدمه، فأكل منه كفايته، ثمّ قال له: ادنِ مني، فدنا منه، قال: اللّهم اجعل الأنبياء من ظهره والملوك، وذهب يعقوب وجاء العيص فقال له: يا أبتاه، قد جئتك بالصيد الذي أردت، فقال له إسحق: يا بني سبقك أخوك يعقوب، فغضب وقال: والله لأقتلنّه، فلمّا سمع يعقوب ذلك هرب إلى خاله، وتزوج عنده بابنته، وكان من أمره ما كان[1].

50. حيلة إخوة يوسف -عليه السلام-[2]:

اتفق جميع المفسّرين أنّ يوسف -عليه السلام-، لمّا رأى في المنام ما رأى وقصّه على يعقوب، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أبَتِ إنِّي رأيْتُ أحَدَ عَشرَ كَوكَباً والشَّمْسَ والقمَرَ رأيْتهُم لِي سَاجدين﴾[3]، قال له يعقوب: ﴿يابُنَيَّ لا تقصُصْ رُؤيَاكَ على إخْوتكَ فيَكيدُوا لكَ كيْداً﴾[4]، وكانت خالته قريبة منهم تسمع قولهم، فأتت أولادها فأخبرتهم بما قال يوسف، فحسدوا يوسف وقالوا: بالأمس يقول رأيتُ إخوَتي وقد غرسوا عصيّهم، وغرستُ عصاي فطالتْ عصاي وأورقت وأثمرت، وعُصيّنا لم تيْنعْ ولا تتغيّرْ، وحملوا في قلوبهم ذلك، ثمّ أنّهم فكروا في

---

(1) وهذه القصة أيضا من خرافات بني إسرائيل التي لا تصح، ولا تليق بأنبياء الله، فالقصة تزعم أنّ يعقوب قد فاز بالبركة والدعاء بهذه الحيلة، وبعد أن جاء أخوه عيسو لم يكن أمامه إلا الصراخ والعويل لفوات البركة، وتوعده لقتل يعقوب. وبهذا الكلام يصمون يعقوب -عليه السلام- بالكذب مراراً، وانتحال شخصية أخيه كيداً، وأخذ ما ليس له به حق احتيالاً، كما يصمون أباهم إسحاق -عليه السلام- بالجهل الشديد إلى حد التغفيل والغباء، حيث لم يستطع أن يميز بين ولديه، وهو أمر مستبعد جداً أن يقع لأقل الناس إدراكاً وأشدهم تغفيلاً، فضلاً عن نبي الله إسحاق -عليه السلام-، وهذا كله مما لا يليق وصف الأنبياء- عليهم السّلام- به، كما أن النبوة ليست بيد إسحاق ولا بيد غيره من الأنبياء، بل هي محض تفضل من الله عز وجل. انظر: موسوعة الأديان: في موقع الدّرر السّنية.

(2) القصة في: معالم التنزيل: 221/4، والبحر المحيط: 5: 287، الجامع لأحكام القرآن: 276/11 .

(3) سورة: يوسف، الآية: 4.

(4) سورة: يوسف، الآية: 5.

قتله، ودبروا في ذلك حيلة، وهي أنَّهم كانوا كلَّ يوم يخرجون يرعون غنماً لهم، فلمَّا كان ذلك اليوم الذي أرادوا فيه الكيد بيوسف، بَطَّلوا الرعي وجعلوا يلعبون مقابل يوسف بأنواع اللعب، ويوسف يتعجب منهم ومن لعبهم غاية التعجب، فقالوا: نَحنُ كلَّ يوم نَلعبُ كذا طول نهارنا وأحسن من هذا، وما لنا شغل إلاَّ اللعب والغنم ترعى، لم لا تأتي معنا وتتفرّج وتلعب مع إخوتك، وكانت هذه أول حيلة على يوسف، فقال: ما «يخليني» أبي، فاسألوه أنتم عسى يتركني، قالوا: غداً نسأله وتكون أنت عنده وتقول له: أريد أن أمشي مع إخوتي ألعب وأتفرّج، واتفقوا على ذلك[1].

فلمَّا أصبحوا، أتوا إلى أبيهم يعقوب، وقالوا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أبَانَا مـا لَكَ لا تأمَنَّا عَلى يُوسُفَ وإنَّا لهُ لنَاصِحُون * أرْسِله مَعَنَاه غَداً يَرْتَعْ ويَلعَبْ وإنَّا لهُ لحَافِظُون﴾[2]، فقال لهم يعقوب: اعلموا إني قد اجتهدتُ في تربيتكم وتربيته حتى كبُر، يُفرحني ما يُفرحكم ويُعجبكم، غير ﴿إنِّي ليَحْزُنُني أنْ تذْهَبُوا به وأخَافُ أن يَأكُلُه الذئبُ وأنْتمْ عَنْه غَافلُون﴾[3]، ﴿قالُوا لئن أكَلَه الذئبُ ونَحنُ عُصْبة إنَّا إذاً لخَاسرُون﴾[4]، قالَ[5]: وسأل يوسف أباه، فأنفذه معهم على كُره منه، وعاهدهم على أن يردوه إليه سالماً ويحفظوه، وإن جاع أطعَموه، وإن عطش سقوه، وإن تعب حملوه على أكتافهم، وساروا ويعقوب على تل ينظر إليهم، فلمَّا غابوا عن عينه ندم على ذلك، وجلس تحت شجرة هناك يبكي، وغلبه النوم، فنام، ثمَّ انتبه وهو مغموم مهموم.

فلما بَعُدوا عن يعقوب وأيسوا منه، أنزلوه عن أكتافهم وصاروا يجدّون في السير وهو يعدو خلفهم ولا يلحقهم، فلما طال الشوط تعِبَ وعطش فصاح بهم

---

(1) لقد قص القرآن الكريم هذه القصة مجملة، إلا أن خيال القصاص أخذ يزيد فيها الأكاذيب الواهية، بمثل هذه اللغة الركيكة، ثمَّ كيف يخرج يوسف مع إخوته في المرة الأولى ولم ينفذوا مكيدتهم؟

(2) سورة: يوسف، الآيات: 11، 12.

(3) سورة: يوسف، الآية: 5.

(4) سورة: يوسف، الآية: 5.

(5) سقطت من (ب) والضمير هنا يعود على الراوي.

من خلفهم: يا إخوتي تعبتُ وعَطشتُ قفوا لي، فلم يقفوا ولم يلتفتوا إليه، فأخذ يُذكِّرُهم الأخوّة وشفقة الأبوّة والعهد والميثاق، فلطَمَه واحدٌ منهم وأكبَّه على وجهه، وجَدّوا في السَّير ويوسف يتبعهم حتى بلغوا مراعيهم. ثم إنَّهم اشتوروا فيما يَصنعُون بيُوسف، فكلٌّ واحد منْهم يقولُ شيئاً من أمْر القتل، فقال يهوذا: لا تقتلوا أخَاكم فيَحُل بِكُم ما حَلَّ بقابيل من قتل أخيه، ولكن ألقوه في بعض الجِبَاب[1]، ويوسف يبكي ويقول: يا أخي يهوذا ألا ترى ما هم فيه إخوتي من قتلي، فقال له يهوذا: لا بأس عليكَ، فقالوا ليهوذا: نخافُ أنْ نطرحه في الجُبِّ فيخرج ويُعْلِم أباه بما صَنَعناه في حقه، قال: نُبصر له جُبّاً لا يقدر أنْ يطلع منه، فأتوا إلى جُبٍّ ضيق الرأس، وسيع الأسفل، عميق الماء، فهمُّوا أن يَرموه فيه، قال يهوذا هذا جُبٌّ عميق، فإن رميتموه ربما يقع ويموت، ولكن دَلّوه بحبل، ففعلوا ذلك، وكان في الجُبِّ صخرة، فأمر الله الصخرة أن ترتفع، فجلسَ يوسفُ فوقها، فلمَّا استقر فوقها رموا الحبلَ من أيديهم ورجعوا، وبقي يُوسُف في الجُبِّ، ثمَّ إنَّهم أخذو شاة فذبَحُوها ولطَّخُوا قميصَ يوسف بدمها، وجاءوا أباهم عِشاءً يبكون، فلمَّا قربوا من يعقوب وكان واقفاً ينظر عَوْدهُم، أخذوا في البكاء والنحيب، وضَجُّوا بصوت واحد: ويا يوسفاه، فلمَّا سَمع يعقوب الصوتَ صرَخ صرخة عظيمة [وخَرَّ مغشياً على وجهه][2]، حتى دخلوا عليه بنوة، وقالوا: يا أبانا حَلَّتْ المصيبة وعظمت الرزيّة: ﴿إنَّا ذهَبْنَا نَسْتبقُ وتركْنَا يُوسُفَ عند مَتاعنَا فأكلهُ الذئبُ، وما أنتَ بمُؤمنٍ لنا ولو كُنَّا صَادقين﴾[3]، قال: ﴿بل سَوَّلت لكُمْ أنفسُكُم أمراً فصَبرٌ جميلٌ واللهُ المُسْتعانُ على ما تصفون﴾[4]، ثم رموا القميص إليه فأخذه وقلَّبه، فلم يرَ فيه آثار خُرق، وما زال يبكي حتى عَمي.

وأمَّا يُوسُف، فإنَّه بقي في الجُبِّ ثلاثة أيام، فلمَّا كان في اليوم الرابع أقبلتْ

---

(1) جمع: جُبٌّ، جِباب، وأجْباب.

(2) في (ب) هكذا: «وخرَّ على وجهه مغشياً عليه.»

(3) سورة: يوسف، الآية: 17.

(4) سورة: يوسف، الآية: 18.

قافلة من بلاد اليمن يريدون أرض كنعان[1]، وكان طريقها بالجُبِّ الذي فيه يوسف، فخرج بَعضُهم في طلبِ الماء، فأتى إلى الجُبِّ لعلمه أن فيه ماءً من قبل ذلك في سفرة أخرى، فأدلى دَلوه، فتعلق فيه يوسف، فثقل عليه فزعق بِشَريك له، وقال: أعنِّي على الدلو فإنَّه ثقيل، فأتى صاحبه فمتح الدلو إلى رأس الجُبِّ، فرأى يوسفَ فصاح: ﴿يا بُشْري هَذا غُلام﴾[2]، فاجتمع عليه النَّاس، فرأوا صبياً مثل القمر. وكان إخوة يوسف قياماً، فلمَّا رأوا يوسفَ قد خرج من الجُبِّ وكان ظنُّهم أنَّه قد مات، فأقبلوا وضربوه ولطموه وقالوا لهم: هذا عَبْدُنا قد أبِقَ منا من ثلاثة أيام ونحن نُدَوِّر عليه، فإنْ كان فيكم من يشتريه بعناه، وقالوا ليوسف بالعبرانية: لا تُنْكر أنَّك مملوكٌ حتى نَبْيعُكَ عليهم، وإلاّ نأخُذك منْهم ونَقتلك، فسأله أهل القافلة فأقرّ، فاشتراه مالك بن دَعْر بعشرين درهماً، ثمَّ قالوا: هذا عَبْدٌ أبَق، فرضي بذلك، وكان قصدهم لا يَهرُب ويأتي إلى أبيه، فيخبره بما فعلوا معه، فأخذه مالك وقيّده، وسار به إلى مصر حتى ملكها بأمر الله تعالى.

51. حيلة يوسف الصدِّيق -عليه السلام- مع إخوته:

ممَّا حكاه وهب بن مُنبِّه قال: لما انتشر القحطُ والغلا في أرض مصر وصل إلى كنعَان، فبلغ بيعقوب وأولاده شدَّة عظيمة، فأعطى يعقوب أولاده بضاعة وقال: انطلقوا إلى مصر واشتروا لنَا طَعاماً، فأخذوا ما أعطاهم أبوهم وجاءوا إلى مصر، وكان يُوسف [جالساً][3] في منظرة له تُشْرف على البَرِّ والبَحر، فأناخوا في حائط المنظرة، فلمَّا رآهم يوسُف عَرفهم، فأشْرَف عليهم، وقال: مَنْ أنْتمْ؟ قال: نَحنُ من أرض كنعان من نَسْلِ النبي يعقوب -عليه السلام-، قدمنا هذا البلد لضيق لحِقنَا نشتري من القوت بقدر ما يكفينا، فسَكَتَ يوسُف وأمر بتزيين قصره، وباتَ إخوته تحت قصره. وكان ليوسف في حِصن داره مكانٌ مرتفعٌ من صفائح الرخام، فأمر بفرشه ففرش بأنواع الفرش، وقعد يوسف -عليه السلام- على سريره

(1) أرض كنعان تُطلق على بلاد الشام، وتحديداً فلسطين.

(2) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: «هذه قراءة أهل المدينة والبصرة.

(3) في كلتا النسختين: جالسٌ.

مُتوَّجاً، وَشدَّ على وسطه المنطقة، وطوّق عنقه وتَزيّا بزيِّ أهل المُلْك، ثمَّ أمر بإخوته أن يدخلوا عليه ﴿فعَرَفهُمْ وهُمْ لهُ مُنْكِرون﴾[1]، فسلّموا عليه ووقفوا بين يديه، فأمرهم بالجلوس، فجلسوا ينظرون إلى عظيم ملكه وأمره ونهيه، ثم قال يوسف: من أرض كنعان أنْتم؟ قالوا: نعم أيها الملك، قال: عبرانيون أنْتم؟ قالوا: نعم، قال: أولاد رجل واحد أنتم؟ قالوا: نعم، قال: فهل لأبيكم غيركم؟ قالوا: نعم من امرأة يقال لها راحيل واحد اسمه يوسف، والآخر اسمه بنيامين تركناه عند أبيه؛ لأنّه لا يصبر عنه، قال يوسف: والابن الآخر، قالوا: أكله الذئب، وذكروا له قصّة الذئب كما ذكروها لأبيهم يعقوب. فقال لهم يوسف: إن رجعتم وجئتم فأتوني بأخيكم معكم وإلاّ لا تقربوني، ﴿قالوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أبَاهُ﴾[2]، ثمَّ أمر يوسف أن يُكال لهم الطعام بقدر كِفايتِهم بحضرته، وأمر بإيفاء الكيل لهم، وقال لأعوانه: خذوا بضاعتهم دعوها في رحالهم، ثمَّ قال كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ائتوني بأخٍ لكُم مِنْ أبيكُم﴾[3] الآية، إلى قوله: ﴿فلا كَيلَ لكُم عِنْدي ولا تقْرَبُون﴾[4] بعد هذا اليوم، ﴿قالوا سَنُرَاوِدُ عَنْه أبَاه وإنَّا لفاعِلُون﴾، وكان قد جعل البضاعة في رحل يهوذا، وسار القوم حتَّى وصلوا إلى أرض كعنان، فدخلوا على أبيهم فقبّلوا رأسه، فجعل يعقوب يسألهم عن خبرهم في مسيرهم وما جرى لهم مع العزيز، قالوا: يا أبنا قد فتحنا رحالنا فوجدنا بضاعتنا رُدت إلينا، فما نبغي، قال يعقوب: يا بني إنَّ هذا الطعام مُحرمٌ علينا حتى تؤدوا ثمنه، فقالوا: كيف نرجع وقد ضمنّا له أن نأتيه بأخينا بنامين؟ وذكروا أن العزيز قال لهم: ﴿فإنْ لمْ تأتوني بِهِ فلا كَيْل لكُم عِنْدي ولا تقرَبُون﴾، قال يعقوب: [بل تريدون أن تفعلوا به كما فعلتم بيوسف من قبل][5]، فقال يهوذا: ﴿يا أبنا ما

---

(1) سورة: يوسف، الآية: 58، وقد ذكر ابن قيمِّ الجوزيّة الحيل المباحة في قصة يوسف -عليه السلام-، وردَّ على الاستنباطات الخاطئة التي احتج بها أصحاب الحيل على جوازها.

(2) سورة: يوسف، الآية: 61 .

(3) سورة: يوسف، الآية: 59.

(4) سورة: يوسف، الآية: 60 .

(5) كان المؤلف في غنى عن هذا الأسلوب الركيك البارد لو أنّه استفاد من الآية الكريمة في إيجازها القرآني البديع في قوله تعالى: [قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل].

نَبْغي هذه بِضَاعتنَا رُدَّتْ إلينا ونَميرُ أهْلَنَا ونَحفظُ أخانا ونَزْدادُ كَيلَ بَعير ذلك كَيْلٌ يَسيرٌ﴾[1]، ﴿قال لَنْ أرْسلهُ معكُم حتى تُؤتُوني موثقاً من الله لتأتُنَّني به إلاّ أنْ يُحاط بكم فلما أتوْهُ موثِقهُم قالَ اللهُ على ما نَقولُ وكِيْلٌ﴾[2].

فلمَّا فرغوا من بذل العهود، أخذوا أخاهم وساروا إلى أن أتوا إلى مصر وبلغوا باب يوسف واستأذنوا عليه، فأذن لهم فدخلوا عليه ووقفوا بين يديه، فأمرهم بالجلوس، ثمَّ نظر إلى بنيامين فأدناه إليه وأجلسه بين يديه، ثمَّ أجلس إخوته خمسة عن يمينه، وخمسة عن شماله، وقال لبنيامين: أنتَ أخوهم؟ قال: نعم من أبيهم، قال: ما لك أخ آخر؟ قال: كان لي أخٌ زعم هؤلاء إخوتي أنَّه أكله الذئبُ، فأمر فأحضر الطعام، فقال يوسف: يجلس كلُّ أخوين منكم على مائدة، فجلسوا فبقي بنيامين وحده، فقال له يوسف: فما لي أراك بلا أخ؟ [قال يوسف: يا أولاد يعقوب إن فيكم من يزعق على الأسد فيخرّ ميتاً، وفيكم من يلزم الذئب فيفسخه نصفين، وفيكم من إذا صاح تضع الحوامل، وفيكم من يقتلع الشجرة من أصلها، وفيكم من يسبق الفرس الجاري، وفيكم من يفعل أكثر من ذلك، [فسُوءة لكم][3] مع قوتكم هذه، كيف أكل الذئب أخاكم؟ فقالوا: أيّها العزيز إذا جاء القضا ذهب القوى.

ثمَّ التفتَ إلى بنيامين، وقال له: لمَ لا تأكل؟ فقال له: إنَّك قلتَ يجلسُ كلُّ [أخوين][4] على مائدة، وأنا فما لِيَ أخٌ يجلسُ معي، فقال يوسفُ وقد احترق قلبُه على أخيه وأبيه: أنا أكونُ لك أخٌ، ونزلَ عن السرير، وأكلَ معه ولم يخبره أنه يوسف. ثمَّ أقبل يوسفُ على إخوته، وقال: ما جئتم [به][5] من البضاعة؟ قالوا: ما جئنا بشيء، ولكنَّا لمَّا فتحنَا رِحَالنَا وجدنا بضاعتنا رُدَّت إلينا، فقال والدُنا: لا يَحلُّ لكم أكلَ الطَّعام حتى تؤدوا ثمنه، فلمَّا سَمعَ ذلك

---

(1) سورة: يوسف، الآية: 65 .

(2) سورة: يوسف، الآية: 58.

(3) غير واضحة، ولم نستطع قراءتها، وما أثبتناه من نهاية الأرب: 127/13.

(4) في كلتا النسختين: أخين.

(5) سقط من (ب).

قال: نعْم ما فعلتم، ثمَّ قال للخازن أعطهم طَعاماً بقدر ما تحْمِلُ جمالهم، وكان الغلمان يكيلون وهم يخيطون الأعْدَال[1]. فدعا يوسفُ ببعض أعوانه، وقال له: خُذ الصواعَ الذي أشرب فيه، واجعله في رَحْل ذلك الفتى يعني أخاه بنيامين، ففعل الغلام ذلك من غير أنْ يعلم أحدٌ، ثمَّ رحل القوم فأتبعوهم مؤذناً يؤذن: ﴿أيَّتُها العيرُ إنَّكُم لسَارقونَ * قَالُوا وأقبلُوا عَلَيْهم مَّاذَا تفقدُون * قالَوا نَفقدُ صُوَاعَ المَلَك ولِمَن جَاءَ بهِ حِملُ بَعير وأنَا به زَعيْمٌ * قالوا تَالله لقدْ عَلمْتم مَّا جئنَا لنُفسِدَ في الأرْض وما كُنَّا سَارِقين * قالوا فمَا جَزاؤهُ إنْ كُنتُم كَاذِبينَ * قالوا جَزَاؤهُ مَنْ وُجدَ في رَحْله فهو جَزاؤهُ كَذلكَ نَجْزي الظالمينَ * فبدأ بأوعيتهم قبْلَ وعاء أخيه ثمَّ اسْتَخْرجَها منْ وعَاء أخيه، كذلكَ كدنَا ليُوسُفَ ما كانَ ليَأخُذ أخاهُ في دِين المَلك إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ﴾[2]، فلمَّا نظروا إلى ذلك ضربوا بأيديهم على جباههم، وقالوا: ثكلتك أمك يا بنيامين فضحتنا، قال: يا أخوتي إنِّي لم أفعل شيئاً من هذا، قالوا: ألم تر إلى القوم أخرجوا صاعهم الذي ذهب منهم من رحَلك. ثمَّ قالوا: أيها العزيز ﴿إنْ يَسْرق فقد سَرَق أخٌ لهُ منْ قبلُ فأسَرَّها يُوسُفُ في نفسه ولمْ يُبدها لهُم﴾، وقالوا له: ﴿أيّها العزيز إنَّ لهُ أباً شيخاً كبيراً فخُذ أحَدَنا مكانَهُ إنّا نَرَاكَ منَ المُحْسنينَ﴾، قال يوسف: ﴿مَعاذ الله أن نَّأخُذ إلاَّ مَنْ وجدنَا مَتاعَنا عنْدهُ إنّا إذاً لَظالمُون * فلمَّا استيأسُوا منْهُ خَلصُوا نَجياً، قال كَبيرُهُم ألم تعْلمُوا أنَّ أباكُم قد أخَذ عَليْكُم موثقاً منَ الله ومن قبْلُ ما فَرَّطْتم في يُوسُفَ فلنْ أبرحَ الأرضَ حتى يأذنَ لي أبي أو يَحْكمَ اللهُ لي وهُوَ خَيرُ الحَاكمينَ﴾، وقال: إني مقيم ها هنا مع بنيامين، وأضاف يهوذا ﴿ارجعُوا إلى أبيكُم فقولوا يَا أبَانَا إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وما شَهدْنَا إلاّ بِما عَلِمنَا وما كُنَّا للغيْبِ حَافظِينَ﴾[3]، واستشهدوا على ذلك العيْر

(1) جمع: عِدْل، والعِدلُ وعاء أو كيس غالبا يُصنع من صوف أو خيش لحمل البضائع والأشياء، ثم يخاط، وَيوضع على ظهر البعير من الجانبين.

(2) سورة: يوسف، الآيات: 70- 76 .

(3) سورة: يوسف، الآيات: 76- 81 .

التي [كانوا فيها][1]، فقال بعضهم: إنَّ هذا الملك وأهل مصر كلهم كفرة يعبدون الأصنام، فتعالوا نتظاهر عليهم، قال روبيل: أنا أكفيكم أمر الملك وأعوانه، قال: شمعون أنا أكفيكم أمر العزيز وأعوانه، قال يهوذا: أنا أكفيكم أهل الأسواق، فعَلِم يوسفُ بذلك فبعث يوسفُ بولدٍ له صغير، وقال له المس ظهرَ عمِّك، ثمَّ إنَّ يوسف أحضرهم، وقال: يا بني يعقوبَ ما الذي غرّكم منيّ؟ أحسنت إليكم مرة بعد أخرى، وتفضَّلت عليكم فبَدَر مِنْ أخيكم هذا خيانة، فوقفتم تتشاورون في هلاك البلاد وأهلها، تظنون أنَّ القوة كلها لكم، حتى ليس لأحدٍ قوة إلاّ لكم، ثمَّ وكز برجله الإيوان الذي كانوا عليه فتطحطحَ حتى تكسَّرت صفائح الرخام، وقال: لولا أنّي أعلم أنّكم من أولاد يعقوب الصَّالح وإلا كنتُ صُحتُ فيكم صَيحة تخرُّوُن على الأذقان، وكان يهودا قد عزم أن يفعل شيئاً، وكان على كتفه شَعْرٌ إذا غضبَ خرجَ من تحت ثيابه ويقطُر منه الدم، ثمَّ يصيح صيحة لا يسمعها أحدٌ إلاّ غشي عليه، وكان لا يَسْكُن غضبه حتى يمسّه أحدٌ من ولد يعقوب، فقال يوسف لولده: اذهب والمس ظهر ذلك الرجل الكهل بيدك، وتنح عنه من حيث لا يَعلم بك، ففعل الصبي ذلك فسكن غضبه، فالتفت يهودا إلى إخوته وقال: من فيكم مسَّني فقد سَكن غضبي، قالوا: ما مسَّك أحدٌ منا، فقال: والله لقد مسَّتني يدٌ من آل يعقوب.

فلمّا عزّ عليهم ما أرادوا أن يفعلوه، ونظروا ما رأوه من يوسُف، عزموا على العود وتركوا روبيل عند بنيامين ومضوا إلى أبيهم، فقالوا له: إنَّ بنيامين سَرَقَ صَواع الملك فأخذوه به ﴿وما شَهِدْنَا إلاّ بِما عَلِمنَا وما كُنَّا للغيْبِ حَافظِينَ﴾ فتعجَّب يعقوب من ذلك، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أنفُسُكم أمراً فصَبرٌ جَميلٌ عَسَى اللهُ أن يأتِيَني بهم جَميعاً﴾[2]، ثم قال: كيف سَرَقَ ولدي وهو من الذرية الطيبة الذين يصومونَ النهار ويقومون الليل؟ قالوا: ﴿ما شَهِدْنَا إلاّ بِما

(1) في كلتا النسختين: [كنا فيها]، ولو أن المؤلف أورد الآية: «واسْأَل القَرْيَة التي كُنَّا فيها والعِيرَالتي أقبلنا فيها وإنَّا لصادقون»، لكان أفضل من هذا الأسلوب البارد الركيك، كما فعل النويري في نهاية الأرب، ويبدو أن المؤلف ينقل منه، لكنه لا يلتزم أحيانا بالنقل، فيوقعه اجتهاده في الأخطاء.

(2) سورة: يوسف، الآية: 82 .

عَلِمنَا﴾، فأخذ يعقوبُ في البكاء والنحيب حتَّى بَكتْ لبكائه الجنُّ والأنسُ والطير والوحش[1]، فأوحى الله إليه أنْ: كف عن بكائك، فإنِّي أجمع بينك وبين ولديك يوسُف وبنيامين وأرُدَّ بَصرُكَ عليك، فسَكت يعقوبُ من بكائه، ثمَّ قال لهم: ﴿اذهبُوا فتحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخيه ولا تيأسُوا من رَوْح الله﴾[2]... ﴿ولا تدْخُلُوا من بابٍ واحدٍ وادخُلوا من أبواب مُتفرِّقة ومَا أُغْني عنكُم من اللهِ من شَيءٍ﴾[3]، وهذه من حِيل يعقوب أيضاً؛ لأنَّه خاف عليهم من العين[4].

فلمَّا دخلوا مصر أتوا إلى قصر يُوسُف وسلموا عليه، وأوصلوه كتاب يعقوب الذي يَذكرُ فيه أن يَرُد عليه ولده بينامين ويسأله في ذلك[5]، فقال يوسف لإخوته: إنِّي لأظنكم لا تصدقون في كثير من قولكم، فاجتمعوا بين يديّ حتى أسأل هذا الصَّاع عنكم، فاجتمعوا بين يديه، فنقر الصَّاع نقرة، فطنَّ طنَّة شديدة، فأقبل يوسفُ على إخوته وقال لهم: يا بَني يعقوب إنَّ هذا الصَّاع يقول [قوم][6] تشهدون بالزور، وتكذبون في قولكم إنَّ أخاكم أكله الذئبُ، قالوا: ما شهدنا بالزور، وما قلنا في يوسف إلاّ الحق، ثمّ إنَّه نقر الصَّاع نقرة أخرى فطنَّ الصَّاع

---

(1) هذه إحدى الخرافات الواهية التي لم نجدها في كتاب نهاية الأرب، فلم يذكرها النويري، واكتفى ببكاء الجيران مع يعقوب -عليه السلام-.

(2) سورة: يوسف، الآية: 87 .

(3) سورة: يوسف، الآية: 67.

(4) لم يتوقف تصرُّف المؤلف وجهله عند حدِّ حشده مثل هذه الأكاذيب والخرافات الواهية، والحكايات المضحكة التي لا تقبلها العقول، بل ذهب إلى التصرُّف في مناسبة الآيات تقديماً وتأخيراً؛ للتوافق مع سياق تفاصيل أخباره الواهية وقصته المخترعة، مثلما صنع في هذه الآية، فسياقها في القرآن الكريم عند ذهاب إخوة يوسف إلى مصر في المرة الأولى، ولكن المؤلف عبث بها، للتوافق مع خرافاته، وجعلها في ذهابهم في المرة الثانية، وقد أشارنا إلى أنَّ معظم ما أورده المؤلف لم نجد له ذكراً في كتب التفسير التي لم تخل هي أيضاً من الخرفات، ولكنَّ المؤلف هنا يصف طلب يعقوب -عليه السلام- من بنيه عدم الدخول من باب واحد بأنَّها حيلة، ولا ندري حيلة على من؟

(5) وهذه أيضاً من الخرافات التي نسجها خيال الوعاظ والقصّاص حتَّى جعلوا النبي يعقوب -عليه السلام- يرسل كتاباً يطلب فيه من الملك أن يطلق سراح ابنه الذي أتهم بالسرقة.

(6) زيادة في (ت).

طنة أقوى من الأولى، فقال يوسفُ: أتدرون ما يقول الصَّاع؟ قال: إنه يقول أنكم حسدتكم يوسف، وأخذتموه من عند أبيه وأردتم قتله، ثم ألقيتموه في الجُبِّ، ثمَّ نقر الصَّاع ثالثة فطنٌ، فقال: أتدرون ما يقول؟ قال: ما كذبتَ أيُّها العزيز في قولي، ولقد أخرجوا أخاهم من الجُبِّ، وباعوه من مالك بن دعر بعشرين درهماً عدداً، وأمرُوه أن يُقيِّده ويحمله إلى مصر، فتغيرتْ وجُوههم، وقالوا: ما نعرف شيئاً من هذا، ثمَّ نقر الصَّاع نقرة أخرى وهي رابعة فطنٌ طنَّة عظيمة، فقال: يقول كتبوا كتاباً بخط يهودا، قالوا: أيُّها العزيز ما عندنا من هذا خبر، فأخرج يوسفُ الصحيفة، فأعطاها ليهودا، وقال له: تعرف خَطُّك، فنظره يهوذا، فإذا هو خطه، فقال: هو خَطِّي غير أنني ما كتبته باختياري، وإنما كتبته على عبد لنا اسمه يُوسُف، فغضبَ يوسف وقال: أليس تزعمون أنكم من أولاد يعقوب وأولاد الأنبياء، تعمدون إلى صبي ما بلغ الحلم، وهو أخوكم، ألقيتموه في الجُبِّ، ثمَّ أخرجتموه وبعتموه بيع العبد حتى صار عند عبدة الأوثان، والتفتَ إلى أعوانه وقال: انصبوا لي عشرة جذوعاً على باب المدينة، حتى أضرب أرقابهم وأصلبهم عليها، وأجعلهم حديثاً لمن مضى، فقالوا: أيُّها العزيز لا تفجع فينا أبانا، ثم قالوا: هذا جزاء ما عاملنا به أخانا. فلمَّا أقرُّوا بالذنب جمعهم بين يديه، ورفع التاج من على رأسه كأنَّه يَحُكُّ رأسه، وكان في رأس يعقوب شامة، فلما نظروا إلى الشامة عرفوها وقبّلوا الأرض بين يديه ﴿قالوا أإنَّك لأنتَ يوسُفُ، قال أنا يوسُفُ وهَذا أخي قد مَنَّ اللهُ عَلَيْنا إنَّه من يَـتَّقِ ويَصْبِرْ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المُحْسنِين﴾[1]، فقالوا له عند ذلك: ﴿تالله لقدَ آثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾[2]، ثمَّ عمد يوسف -عليه السلام- إلى القميص الذي كساه الله إياه في الجُبِّ فطواه وقال: اذهبوا به إلى أبي فألقوه على وجهه ﴿يَأتِ بَصِيراً وأتوني بأهلِكُم أجْمَعِين﴾[3]، فمضوا به إلى يعقوب، فألقوه على وجهه فعاد بَصيراً، وأخذ أهله وبنيه وأولادهم

---

(1) سورة: يوسف، الآية: 90.

(2) سورة: يوسف، الآية: 91.

(3) سورة: يوسف، الآية: 93.

وجميع ما يملكه، ومضى إلى مصر ودخلَ على يوسُف، وجمع اللهُ شملَه ولم يزالا إلى أنَّ فرّق الموت بينهم[1].

52. حيلة داود -عليه السلام- على طالوت:[2]

ذكرها ابن المقفع في كتابه تاريخ العجم[3] إنَّ طالوت لما زوّج ابنته بداود

(1) أطال المؤلف في حشد هذه الخرافات والأباطيل في قصة يوسف -عليه السلام-، ولا يكاد يصح مما ذكره سوى ما جاء به القرآن الكريم والحديث الصحيح، فالرؤيا، وتعليق القميص في رقبة يوسف، والكتاب الذي كتبه يعقوب إلى عزيز مصر، والذئب الذي اصطاده إخوة يوسف، والصواع الذي يتكلم، والشعرة على كتف يهوذا، والشامة في في رأس يعقوب، وتزويج يوسف من زليخا، والكتاب الذي بخط يهوذا حين بيع يوسف، وغيرها الكثير مما أورده المؤلف، ظاهرة عليها علامات الوضع والبطلان، فهي إما خرافات وأباطيل واهية من كذب القصاص ونسج خيالهم، أو إسرائليات نتوقف فيها، وما أجمل ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره لهذه السورة الكريمة، قال فيه: «واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعُلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً، فإن تضاعيف هذه السورة قد مُلئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي- صلى الله عليه وسلم - يُنقل.

(2) تقدمت ترجمة عبد الله بن المقفع، ولم تذكر المصادر أن ابن المقفع له كتاب بهذا الاسم، ولكن قد يكون المقصود به أحد أربعة كتب مفقودة لابن المقفع، وهي: (أيين نامة) في عادات الفرس وتاريخهم، (خداينامه) في سيَر ملوك الفرس، و(التاج) في سيرة أنو شروان، و(نامه تنسر) في تشريعات الفرس.

(3) القصة عند الطبري مع بعض الزيادات والاختلافات: 505/4، والكشف والبيان: 399/1، وطالوت كان رجلاً صالحاً، قص الله قصته في سورة البقرة، وأثنى عليه واصطفاه ليكون ملكا على بني إسرائيل، وقادهم إلى قتال جالوت القائد الظالم، وكان داود -عليه السلام- أحد الجنود في جيشه، فبارز جالوت وقتله، ثم أصبح قائدا للجيش وتزوج ابنة طالوت، وجمع الله له بين النبوة والملك، وقد أكثرت كتب التفسير من حشد الأخبار والقصص الواهية المكذوبة على طالوت، وقد قال ابن كثير: 669/1، بعد أن ساق القصة: هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ بِإِسْنَادِهِ، وَفِي بَعْضِ هَذَا نَظَرٌ وَنَكَارَةٌ.»

-عليه السلام-، بعد قتله لجالوت وقطع رأسه، وأخذ خاتمه، عَجِبتْ بنو إسرائيل من فعاله وتحدثوا به، فبلغ ذلك طالوت فحسد داود حسداً عظيماً، وخشي على ملكه وندم على تزويجه بنته ومقاسمته سلطانه وماله، فقال طالوت لابنته: يا بُنيَّة قد ندمتُ على ما كان من تزويجي إياكِ من داود؛ لأنه ليس لنا بكفو لأنه من سِبْط يهودا، ونحن سِبْط يوسف عليه السَّلام[1]، ولستُ آمنُ أن يُعيِّرنا الناسُ به، وأريد قتله وأريح نفسي منه، فتفقدي أمره فإذا رأيته منه غرّة فعرِّفيني لآتي إليه بنفسي، فإن ذلك أخفى للأمر. فقالت له ابنته: يا أبتاه لا يَحلُّ لك قتله، وهل تأمنُ من غدرك له البَليَّة، فإن البَليَّة أسرع إلى أهل الغدر والنكث، ولست آمنُ إنْ فعلتَ ذلك أنْ يَسْلُبك الله ملككَ ويُبدِّل سُلطانكَ، فقالَ لها طالوتُ: أراكِ تؤثرينه عليَّ، ولستُ أجدُ بدّاً من قتله وقتلك لأخلو من العار، إذ هو ليس بكفو ولا نظير.

فلمَّا سمعتْ ذلك من أبيها خافتْ على نفسها، فأفضتْ بذلك إلى داود، فقال لها داود: ها أنا متناوم فاذهبي إليه وقولي له: يا أبي إنِّي أؤثر هواك وطاعتكَ على داود، وإن كان بَعْلي، وها هو نائم مستثقل نوماً، ثمَّ إنَّ داود تدرّع [وليس عليه نومة ونام][2]، وذلك أنَّه لم يُصدِّق زوجته فيما قالتْ، وأحبَّ أن يتبين الأمر وصحته، ولم يَظن أنَّ طالوت يَسْتحلُّ دمَه وقتله بلا ذنب سلف منه إليه.

فانطلقتْ المرأة إلى أبيها، فقالتْ: يا أبتاه ما أحب أنْ يَعيبك النَّاس بشيء، ولا يطغينَّ عليه أحدٌ بمكافىء، فإن أردتَ قتل داود فهلمَّ الساعة فقد خلفته مستثقلاً نوماً، فاشتمل طالوتُ سيفه، وأقبل إلى منزل داود، فصادفه متناوماً فاستل سيفه وضربه على صدره، فنبا السَّيف عن الدِّرع، ووثب داود وأخذ

---

(1) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان: 399/1، أنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوّة، وسبط ملكة؛ فكان سبط النبوّة سبط لاوي بن يعقوب منهم موسى وهارون- عليهما السَّلام-، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب، منهم سليمان بن داود؛ ولم يكن طالوت من سبط النبوَّة ولا المملكة، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب.

(2) في (ب) «ولبس عليه ثوبة ونام»، وما أثبتناه من (ت) وأهو أنسب للسياق.

بأَزْيَاقه[1]، وقال له: لِمَ استحللتَ دمي بلا ذنبٍ سلف مني، إليك فمَنْ يمنعني عنك؟ ونفط السيف من يد طالوت، وخاف أن يَشيع ذلك في بني إسرائيل، وما فعله في حق داود فيُسيئون إليه ويَخْلعونه من الملك، ثمَّ إنَّ داود -عليه السلام- خلَّى سبيله وكتم أمره، وبقي طالوت بعد ذلك أياماً، ومات وتولى داود موضعه على بني إسرائيل إلى أن تنبَّا[2].

وفي رواية أخرى فلمَّا أراد طالوت قتل داود، [أخبر رجلٌ يقال له ذو العينين ابنة][3] داود، فقالتْ لداود: إنَّك الليلة لمقتول، فاعتزل حتَّى تنظرَ صِدْق قولي، فقال لها داود: إنْ كان يريدُ ذلك فما أستطيع خروجاً، ولكن آتيني بزقِ خمر فأتته به، فوضعه في مَرْقده على سريره وسجَّاه بثوبه[4]، ودخلَ تحت سريره، فدخل طالوتُ وقال لابنته: أين بَعْلك؟ قالتْ: هو نائمٌ على السَّرير، فضربه بالسَّيف فسال الخمرُ، فلمَّا وجد ريح الخمر قال: يَرْحم الله داود ما أكثر شربه للخمر، وخرج.

فلمَّا أصبح عَلِم أنَّه لم يفعل شيئاً، وقال: إنَّ رجلاً طلبتُ منه ما طلبتُ لخليق [أن لا][5] يدعني حتَّى يأخذ مني بثأره، فاشتدَّ على حُجَّابه وحُرَّاسه في الحفاظة، وأغلق دونه أبوابه، ثمَّ إنَّ داود أتاهُ ليلة وقد هدأت العيون، فأعمى الله عنه أعْيُنَ الحُجَّاب، ففتح عليه الأبواب وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه، وسهماً عند رجليه، وسهماً عن يمينه، وسهماً عن شماله، ثم خرج، فلمَّا

(1) أزياق، جمع زيق، وزيق القميص: ياقته، وما أحاط منه بالعنق.

(2) اختاره الله للنبوَّة.

(3) رواية كلتا النسختين: «أخبر رجلاً يقال له ذو العينين لابنة»، والتصحيح من الكشف والبيان للثعلبي، ومعالم التنزيل للبغوي.

(4) سجَّى يُسجي، ستره وغطاه بثوبه.

(5) قال السيوطي في همع الهوامع: 322/6: وفي «أن» الناصبة مع «لا» قولان: أحدهما: أنها تُكتب مفصولة مطلقاً، قال أبو حيان: وهو الصحيح؛ لأنَّه الأصل. والثاني: أنَّ الناصبة يُوصل بها، والمخففة من الثقيلة يُفصل منها.

استيقظ طالوت نَظر السهام[1]، فقال: رَحِمِ الله داود، هو خيرٌ منّي ظفُرْتُ به فقصدتُ موته، وظفر بي فكفَّ عنّي، ولو شاءَ وضع هذه السهام في قلبي، وما أنا بالذي آمنه، وشدّد على حُرّاسه وحُجّابه.

فلمّا كانت الليلة الثانية أتاه ثانياً، فأعمى الله على أبصار الحُرّس والحُجّاب فدخل داود عليه السّلام وهو نائم، فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه، وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هُدْب ثيابه، ثم خرج، فلمّا انتبه طالوت ورأى ذلك طلب داود وتاب من فعله، وفوَّض أمره إليه[2].

53. حيلة سليمان بن داود- عليهما السّلام- مع الجِنّ:

وذلك مما رواه ابن المقفع في كتابه تاريخ العجم: أنَّ سُليمان بن داود - عليه السلام - أوصى الريح أن تلقي إليه كل ما تسمعه، وكانتْ الشياطين والجن تجتمع عند إبليس في كل عام مرة واحدة، فتخْبره بما هي فيه من الجَهْد والشّدَّة، مما يستعملهم فيه سُليمان من الأعمال، وأنّهم في بعض الأعوام أتوه فأخبروه بذلك، فقال لهم إبليس- لعنه الله-: تعملون بالنهار وتستريحون بالليل؟ قالوا: نعم، قال فإنَّ ذلك فرَجٌ لم تتناهَ بكم الشّدَّة، فحملت الرّيح الكلام إلى سليمان، فأمر باستعمالهم ليلاً ونهاراً في الصخور وقطع الرخام وحفر المعادن، فأصابهم من ذلك جَهْد شديدٌ، فلمّا جاء الحول اجتمعوا عند إبليس فأعلموه بذلك، قال لهم إبليس: أليس إذا حملتهم ما تحملونه، ثم انصرفتم إلى الأماكن التي تحملون منها، تكونون فرغاً ليس عليكم شيء؟ قالوا: بلى، قال: فإن الشّدَّة لم تتناهَ بكم، فحملت الرّيح الكلام إلى سليمان، فأمرهم أنْ يحملوا ما يُراد حمله إلى بيت المقدس، فإذا [ألقوه][3] حملوا نحائت الصخر إلى الفلاة، ويأخذون عوضها ما يحتاج إليه في العِمَارة، فاشتدَّ ذلك عليهم، فلمّا كان في العام الثالث،

---

(1) في معظم التفاسير، فعرفها.

(2) تورد كُتب التفسير زيادات كثيرة وإطالة في للقصة.

(3) زيادة في (ت).

اجتمعوا إلى إبليس فخبّروه بذلك، فقال لهم: هل عليكم سَوّاق يَسُوقكم في مجيئتكم ورواحكم [ويضربونكم][1] متى انقطعتم؟ قالوا: لا. قال: فإنَّ الشّدَّة ما تناهت بِكُم، فحملت الريح الكلام إلى سليمان، فأمر بسوّاق يسوقهم في المَجيءِ والرواح، فمن تأخر أو عجز ضُرب أشدَّ الضَرْب، فاشتد ذلك عليهم، فلما كان العام الرابع اجتمعوا عند إبليس فأخبروه بذلك، قال: الآن تناهت بكم الشّدّة التي يُرجى بعدها الفرج، فتوقعوه، فلمَّا تم ذلك العام حتى فرغ سليمان من عمله، وفي رواية أخرى أنّه مات في ذلك العام.

54. حيلة أخرى له:[2]

خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فعدا الذئبُ على أحدهما فأكله، فأخذتا تختصمان في الصَّبي الآخر، وارتفعتا إلى داود فقضى به للكبيرة منهما، فمرتا على سليمان -عليه السلام- قال: كيف أمركما وقصتكما؟ فقصتا عليه القصة، قال: فأتوني بسكين أشق الغلام بينكما بالسويَّة، قالت الصُّغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل، حظي منه لها، وقالتْ الأخرى: شقه، فأعطى الولد للتي قالت: لا تشقه، والحكمة في ذلك أنَّها لا تؤثر هلاكه خوفاً عليه ألا يقتل وأدركتها شفقة الأم، والأخرى ليست بأمه فهان عليه هلاكه كما هلك ولدها، فعلم أنَّ الدم تحرك، وأنَّها احترقت عليه وآثرت عليه فهي أمه، فرده عليها.

55. حيلة أخرى له:[3]

جاء رجلٌ إلى سُليمان -عليه السلام- فقال له: يا نبي الله إنَّ لي جيراناً يَسْرقون إوزِّي ولا أعلمُ مَنْ هم، فنادى سُليمان الصلاة جامعة، ثم خطب خطبة، وقال في آخر خطبته: وأجدُ فيكم مَنْ يسرق إوزَّ جاره، ثمَّ يَدخلُ المَسْجد والريشُ على

(1) هكذا في كلتا النسختين.

(2) مـا رواه المؤلف هنا، مع بعض الزيادة والاختـلاف، هو حـديث شـريف، رواه أبو هريرة- رضي الله عنه -، والحديث في صحيح مسلم، في كتاب الأقضية، رقم الحديث: 1720، في المجلد الثاني: 822.

(3) القصة في كتاب: أخبارالأذكياء لابن الجوزي: 44.

رأسه، فمَسَحَ رجلٌ منهم رأسَه، فقال سُليمان لصاحب الإوز: هذا صاحبك، فلزمه بثمن الإوز.

56. حيلة عيسى -عليه السلام- مع الذي أكل الرغيف:[1]

وذلك بما رواه وهب بن مُنبّه، ذكر أنَّ عِيسَى -عليه السلام- خرج هو وصاحب له يسيحان في الأرض، فأصابهما جوعٌ شديدٌ، فأتيا قريَة مِنْ قرى الشام، فقال عِيسى لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً مِنْ هذه القرية، فانطلق الرجلُ وأقام عِيسى يُصَلّي، فجاءَ الرجلُ وأبطأ عليه عيسى في الصَّلاة، فأكلَ رغيفاً، فلمَّا قضى عِيسى صلاته قال له: أين الرغيف؟[2] [قال][3]: ما كانا إلا اثنين يأكلُ كلُّ واحدٍ منهما رغيفاً، ثمَّ انطلقا فلقيا أعمى، فقال له عِيسى: أبرئك على أنْ تعبد الله وحده، قال: نعم إنْ عاد عليَّ بصري، فدعا عيسى ربه فرَّد عليه بصره، ثم التفتَ إلى صاحبه، وقال: عزمتُ عليك بصاحب هذه القدرة ألستَ صاحب الرغيف؟[4] قال: لا والذي لا إله إلا هو، فسكت عيسى[5].

وانطلقا، فلقيا مُقعداً، فقال له عيسى: أقيمك، على أن تعبد الله وحده، قال: لك ذلك إنْ قمْتُ، فدعا عِيسى ربَّه فأقامه، ثم التفتَ إلى صاحبه، وقال له: كالقول الأول، قال: لا والذي لا إله إلا هو، فانطلقا حتَّى أتيا نهراً عظيماً، وليس فيه مَعْبرٌ ولا جِسرٌ، فقال عِيسى لصاحبه: كلمَّا رفعتُ قدمي ضع قدمك موضعه، ففعل ذلك وعبرا النهر، فقال له عِيسى: بربِّ هذه القدرة ألستَ

---

(1) هذه القصة وما سيذكره المؤلف بعدها، تُروى بطرق مختلفة، وزيادات كثيرة، وهي من الإسرائيليات التي تحكي أخبار أهل الكتاب، ولم تثبت روايتها عن الرسول - ﷺ -، وحكم هذه الإسرائيليات أنها لا تُصدَّق ولا تُكذَّب للحديث الذي رواه البخاري: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم.

(2) في رواية: أين الرغيف الثالث؟ وفي رواية: أين الرغيف الآخر؟

(3) سقطت من (ب).

(4) المعنى: ألستَ أنت الذي أكل الرغيف؟

(5) وفي رواية: «فقال عيسى لليهودي: بالذي أراك الأعمى، بصيراً كم كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيف واحد، فسكت عيسى عنه».

صاحب الرغيف، فقال: لا والذي لا إله إلا هو.

فانطلقا فأتيا غير بعيد، فرأى عيسى ثلاث لبِن[1] مِنْ ذهب، فقال لصاحبه: لبِنَة لك ولبنَة لي، قال واللّبنة الأخرى لمن هي يا روح الله؟ فقال عيسى: أنتَ أكلتَ رغيفاً وأنا أكلتُ رغيفاً، ولا يجوز لنا أنْ نأخذ إلاّ على قدر ما أكلنا، فقال: أنا صاحبُ الرغيف الآخر أكلته وأنتَ في الصلاة، قال عيسى: فهي جميعاً لك، وانطلق عيسى وتركه.

وأمّا الرّجل فبقي قائماً عليهنّ لا يقدر على حَمْلهنّ، كلمّا أراد حَمْلهنّ ثقلنَ عليه، فبينما هو كذلك إذ مرَّ به ثلاثة نفر، فلمّا نظروه وإلى الثلاث لَبِن، وثبوا عليه فقتلوه وأقاموا عليها، فقال اثنان لواحد منهم: انطلق إلى بعض هذه القرى [فأتنا][2] بطعام نأكل وشيئاً نَحْمل عليه هذه اللّبِن، فذهب صاحبهما فتشاورا عليه، وقالا إذاً جاء وثبنا عليه نقتله ونقسم أنا وأنت اللّبِن، وأمّا الذي ذهب يشتري الطعام، فقال: [أعمل لهما في الطعام][3] سماً يأكلانه فيموتان، فآخذ أنا اللّبِن كلها، ثم إنَّه اشترى طعاماً وسمّاً وحمله إلى صاحبيه، فما هو إلاّ أنْ وضعه حتى وثبا عليه فقتلاه، ثم جلسا يأكلان ما أتى به صاحبهما، فما هو إلاّ أن أكلاه فماتا، فمَرَّ بهم- عيسى عليه السّلام-، فبَصُرَ بهم مصروعين حوله واللّبِن ملقاة بينهم، قال: هكذا تصنع الدنيا بأهلها، كل هؤلاء في النار.

57. حيلة شمعون الصفا - عليه السلام -:

ذكرها الثعلبي في تفسير القرآن[4]: ﴿واضْربْ لَهُم مَّثلاً أصْحابَ القرْيَة إذ جَاءها المُرْسلون، إذ أرسَلْنا إليهمُ اثنَيْن فكذَّبُوهُمَا فعَزَّزنا بثالث فقالُوا إنَّا إليْكُم مُرسَلُون﴾[5]، الثالث شمعون الصفا، وذلك أنَّ عِيسى بن مريم - عليه السلام -

---

(1) للّبِنَةُ: واحدةُ اللّبن، قالبٌ مربّع أو مستطيل، مضروب من الطّين ويُستعمل في البناء.

(2) في الأصل: [فأتينا].

(3) في (ت): [أريد أعمل لهما في الطعام].

(4) تفسير الكشف والبيان: 193/5 .

(5) سورة: يس، الآية: 13 .

أنفذ إلى أنطاكية[1] رجلين اسم أحدهما: بطرس والآخر قولس[2]، فأتياها ولم يصلا إلى الملك وطالت مُدَّتهما، فخرج الملك ذات يوم [فكَبَّرا وذكرا][3] الله، فغضب الملك وأمَر بهما، فأخذا وجُلِدا وحُبِسا، فلمَّا عَلِم عيسى، بذلك بعث رأس الحواريين شمعون الصفا لينصرهما ويستخلصهما، فدخل البلد متنكراً، وجعل يُعَاشِرُ خَواص المَلِك، فيُريْهم الآيات حتى آمنوا به وأنِسُوا إليه، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه.

فبينما هم في بعض الليالي ذكر شمعون للمَلِك وقال له: بلغني أنَّك حَبستَ رجلين في السجن بعد ضربهما حين دعواك إلى دينٍ غير دينك، فهل ناظرتهما أو سمعت قولهما؟ قال الملك: أحال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك أن يحضرهما حتى ننظر ما عندهما، فأمر المَلِك بإحضارهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكهما إلى هاهنا، قالا: الله الذي خلق كلَّ شيء، فقال لهما شمعون: صفاهُ وأوجزا، قالا: إنَّه يَفعلُ ما يشاء ويَحكمُ ما يُريْد، قال شمعون: وما آتيكما؟ قالا: ما تتمنّى، فأمر المَلِكُ بإحضارِ غُلام مطموس العينين، قال لهما شمعون: ادعوا إلهكما أنْ يَجعلَ له عينين، فما زالا يدّعوان ربَّهما حتى انشقّ له عينين، فأخذا [بُنْدُقتي][4] طين فوضعهما موضع عينيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجَّب الملك مِنْ ذلك، فقال شمعون للملك: إنْ أنتَ سألتَ إلهكَ

---

(1) هي مركز محافظة هاتاي في جنوب تركيا، ولقرون طويلة كانت أنطاكية واحدة من أكبر مدن الامبراطورية الرومانية، وكانت من أهم المراكز المسيحية المبكرة، واليوم معظم سكانها من المسلمين، وأغلب السكان يتحدثون اللغة التركية بوصفها اللغة الأم، بينما تُعدُّ اللغة العربية هي اللغة الأم لعدد قليل من السكان، تقع أنطاكية في وادٍ خصيب ذي موارد مائية وفيرة، على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد 30 كم من شاطئ البحر، وهي تتبع لواء الإسكندرونة (هاتاي) في تركيا منذ 1939 بعد أن كانت سوريّة.

(2) اختلف المفسرون في اسميهما، فقالوا: تاروص، وماروص، وقالوا: يحيى ويونس، وقالوا: تومان ومانوص، وقالوا: صادق وصدوق، وكلها تخرصات واهية، انظر: الكشف والبيان: 195/5 .

(3) في كلتا النسختين: [كبّروا، وذكروا الله]، والتصحيح من كشف البيان.

(4) في كلتا النسختين: [بندقتين]، والمعنى أخذ قطعتين من الطين كرويتا الشكل، بحجم البُندقة.

أن يفعل مثل هذا كان لك الشرف لا عليك، فقال الملكُ: ليس عنك سرٌّ مكتومٌ، إنَّ آلهتنا التي نعبدها لا تسْمعُ ولا تُبْصرُ ولا تضَرُّ ولا تنفع، وكان شمعون إذا دخل مع الملك إلى صنمه صلّي وتضرّع وبكى حتى ظَنوا أنّه على ملّتهم. ثمّ قالَ الملك للرسولين: إنْ قدَرَ ربّكُهما على إحياءِ ميت آمنا به وبكُما، قالا: إنّه قادرٌ على كلِّ شيء، قال المَلك: إنَّ هاهنا مَيتٌ قد ماتَ مُنذ سَبعة أيام وهو ابنُ دُهقان لي[1]، وقد أخّرتُهم عَنْ دَفنه حتى يأتي أبوه فيدفنه، فأحضروه، فقد أرْوحَ وتغيّر[2]، فجعلا يدعوان الله علانية، وشمعون يدعو سرّاً حتى قام الميت وقال لهم: إني متّ منذ سبعة أيام مشركاً، [فأدخلني][3] في سبع أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله، وها هي أبواب السماء قد فُتحتْ وهذا شاب حَسنٌ الشباب يشفع لهؤلاء الثلاثة، فقال المَلك: ومَنْ ثلاثةَ؟ قال شمعون وهذين، وأشار إلى صاحبيه، فتعجّب الملك من ذلك، فلمّا علم شمعون ما عند الملك، قال: إمّا تقول لإلهك يُحيى لنا ميتاً، أو ترجع إلى ديننا، أو تنادي بَيْن الرَعيَّة أنَّ آلهتنا لا تضرُّ ولا تنفعُ، وإلاّ دعونا عليك فهلكتَ أنتَ وبلدكَ، فآمن الملك ومن معه وخواص أصحابه، وبقي شمعون عندهم إلى أنْ قبضه الله تعالى.

58. حيلة النبي ﷺ في رفع الحجر الأسود:

رواه محمد بن عمر الواقدي[4] في كتابه المعروف بمولد النبي ﷺ وآله، قال:

---

(1) الدهقان، بكسر الدّال أو ضمها أو فتحها، هو رئيس القرية، أو الوزير في الشؤون السياسية، وكل خبير في أمر من الأمور، قد يُقال له دهقان.

(2) أروح: أي فاحت رائحته، وأصبح جسده منتناً.

(3) في الكشف والبيان: [فأُدخلتُ تسعة أودية].

(4) تقدمت ترجمة الواقدي، والكتاب الذي ذكره المؤلف، لايزال مخطوطا حسب اطلاعنا، ويتضمن نظماً ونثرا، منه ثلاث نسخ خطية بمكتبة لاندبرغ برلين ألمانيا.

حدثني محمد بن عبدالله[1] عن الزهري[2] عن محمد بن جبير بن مطعم[3]، قال: لما انتهوا إلى حيث يوضع الحجر من الركن، قالتْ كل قبيلة: نحن أحقّ بوضع الحجر، واختلفوا حتى خافوا الفتنة فيما بينهم، فقام أبو أميّة بن المغيرة، وقال: يا معاشر قريش إنّما أردنا البِرَّ لا الشرَّ، وقد اختلفتم وتشتتَ أمرُكم، فاجعلوا أوَّل مَنْ يدخل من باب بني شيبة هو الذي يحكم بيننا، قالوا: رضينا وسلَّمنا، وكان شريفاً مطاعاً، فكان أوَّل من دخل من باب بني شيبة النبي ﷺ وآله، فلمّا رأوه قالوا هذا الأمين الصَّادق، فقد رضينا [بما][4] يقضي بيننا، ثمَّ أخبروه الخبر، فقال النبي ﷺ: أنا أَدعَكم كُلكُم ترفعونه، ثم رفع إزاره ووضع الحجر[5] في وسطه، ثمَّ قال: يأتي من كل ربع من أرباع قريش رجل، وكان في ربع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان في الرُّبع الثاني أبو زمعة الأسود بن المطلب، وكان في الرُّبع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، وكان في الرُّبع الرَّابع قيس بن عَديّ، ثمّ قال ﷺ: ارفعوه جميعاً، فرفعوه، فشاله النبي ﷺ فوضعه في موضعه وأرضاهم بقوله، وكان الفخر له ﷺ.

(1) هو: محمد بن عبد الله بن أبي عتيق أحد تلاميذ الزهري.

(2) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي الزهري (58-126هـ)، أشتهر برواية الحديث، من أهل المدينة، تابعي أدرك من الصحابة أنس بن مالك، وروى عن سعيد بن المسيب، يقال: أنه أول من كتب الحديث، توفي في فلسطين، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب: 445/9، طبقات ابن سعد: 429/7.

(3) هو: محمد بن جبير بن مطعم النوفلي، يُكنى أبو سعيد القرشي، تابعي من أهل المدينة، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين، عالم بالأنساب، قال عنه ابن حجر في التهذيب: إنه أعلم قريش بأحاديثها، وكان ثقة، قليل الحديث، تُوفي في خلافة سليمان بن عبد الملك؛ انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: 119/9، طبقات ابن سعد: 203/7.

(4) في (ب): [رضينا ما يقضي].

(5) وفي رواية أخرى: [طلب ثوباً فوضعه فيه].

59 . حيلة النبيِّ ﷺ ليلة خرج إلى الغار:[1]

وذلك لـمَّا خرج النبي ﷺ خاف أنْ يتبعـوه، فأمر علي بن أبـي طالب -عليه السلام-[2] أن ينام في مَوْضعه ويتشح ببردته، وقال له: لا يَخْلُص منهم إليك شرٌّ إن شاء الله [تعالى][3]، ففعل ذلك، فلمَّا كان نصفُ الليل جاءه المشركون وأحاطوا به، وهمّوا أن يبطشوا به ظنّاً أنه النبي ﷺ، ففتح عينيه ورآهم وتنَحْنح، فعرفوا صوته فهربوا منه، فمنهم من وقع، ومنهُ من مات ومنهم من تكسّر، ومنهم من نجا. وسبب قصدهم لعليّ أنّ رجلاً أتى إلى النبي ﷺ فأعلمه: أن المشركين قد اجتمعوا وتواعدوا في هذه الليلة أن يأتوك فيقتلوك، فلجأ ﷺ إلى الغار لأمر يريده الله ونام على موضعه[4].

---

(1) في (ب): [ليلة هرب إلى الغار].

(2) تقدم عرض الآراء في إفراد أحد غير الأنبياء بالصلاة أو السّلام.

(3) زيادة في (ت).

(4) قصة مبيت علي بن أبي طالب في فراش النبي ﷺ ضعَّفها بعض العلماء، ومنهم الشيخ الألباني، وقالوا: «إنَّ هذه القصة لا تثبت في السيرة النبوية، وما ذكره المؤلف هنا فيه بعض الأخبار الواهية كإصابة كفار قريش، والرَّجل الذي أبلغ النبي ﷺ، أمَّا خروج الرسول ﷺ إلى الغار برفقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان بأمر الله تعالى له بالهجرة، ولا يصلح في خبر الهجرة قصة العنكبوت ولا بيض الحمامة، انظر: قال الشيخ أحمد شاكر في «تخريج مسند الإمام أحمد» (3251): في إسناده نظر، وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على «فقه السيرة» (ص 163) لمحمد الغزالي: في المسند من طريق عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس به. وحسن المؤلف إسناده، وكأنه تبع فيه ابن كثير في لبداية والنهاية. وتبعه أيضا الحافظ في: «فتح الباري»، وفي تحسينه نظر، وقال في «السلسلة الضعيفة»: (339/3): واعلم أنّه لا يصح حديث في العنكبوت والحمامتين على كثرة ما يذكر ذلك في بعض الكتب والمحاضرات التي تلقى بمناسبة هجرته ﷺ إلى المدينة، فكن من ذلك على علم. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لـ«مسند الإمام أحمد»: (301/5): إسناده ضعيف، وقال الشيخ بكر أبو زيد: في «التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث» (ص 133) عن غار حراء: نسج العنكبوت عليه وقصة الحمامتين. ونقل كلام الشيخ الألباني الآنف في السلسلة الضعيفة.

60. حيلة أخرى له عليه الصلاة والسلام:[1]

وذلك أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله إنَّ جاري يؤذيني، وقد نَهْيته مراراً فلم يَنْته، فقال: انطلق وأخْرج متاعكَ إلى الطريق، فانطلق الرَّجلُ فأخرج رحْله وألقاه على قارعة الطريق، فقالوا له: ما شأنكَ؟! فقال: فلان جاري يؤذيني، وقد شكوته إلى رسول الله ﷺ مراراً فلم ينته، فأعلمته ذلك فقال: أخرج رحلك فألقه على الطريق، فجعلوا يقولون: لَعنه الله، اللهمَّ ألعنه في الدنيا والآخرة، فبلغ الرَّجلُ ذلك فأتاه واعتذر إليه، وقال: لا أعود، ارجع إلى بيتك، فرجع الرَّجلُ إلى منزله آمناً مطمئناً.

61. حيلة أخرى له عليه الصلاة والسلام:[2]

مرّ به رجلٌ هاربٌ من قوم وناداه: يا محمّد أغثني فإنَّ خلفي مَنْ يطلبُ دمي، فقال النبي ﷺ: أمضِ لوجهك لأصُدّ عنك الطلب، فمضى الرَّجلُ، وقام النبي ﷺ وجلس موضعاً آخر غير موضعه الأوّل، فأتى القوم يتعاودون، وقالوا: يا محمَّد جاز بكَ شخصٌ نعته وصفته كذا، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده منذ حللتُ موضعي هذا ما جاز عليّ أحدٌ، فصدّقه القوم لما يعرفون من صدقه، وطلبوا غير الطريق، ونجا الرَّجل بنفسه.

62. ومن حيلة أخرى له عليه الصلاة والسلام:[3]

أنّه قال: إذا أحدث أحدكم في الصلاة، فليزمّ أنفه وينصرف كأنّه رعف.

---

(1) هذا حديث شريف وليست حيلة، وقد عمل الرسول ﷺ بمقتضى حقوق الجار التي حفظها الله تبارك وتعالى له.، وهذا الحديث، رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال عنه الألباني: حسن صحيح.

(2) لم نجد لهذا الحديث أصلاً في كتب الأحاديث المعتبرة، فهو من الأحاديث الموضوعة المكذوبة المنكرة، والتكلف والصنعة ظاهران في لفظه ومتنه وغايته.

(3) هذه ليست حيلة، وإنما حديث صحيح رواه أبوداود والبيهقي، وهو حديث يحث على حسن الأدب، وستر القبيح، وقد قال الخطابي في [معالم السنن: 248]، تعليقاً على الحديث: «وفيه إرشاد إلى إخفاء القبيح والتورية بما هو أحسن ولا يدخل في الرياء، بل هو من التجمل، واستعمال الحياء، وطلب السّلامة من الناس».

63. ومن حيلة أخرى له عليه الصلاة والسلام على سبيل المزاح:[1]

أنّه رأى في بعض منازله عجوزاً، فقال النبي ﷺ إنَّ العجائز لا يدخلن الجنّة، فبكتْ العجوز، فضحك النبي ﷺ إلى أنْ بانت نواجذه، وقال: إنما يدخلن بنات أربعين سنة.

وأتت إليه امرأة[2]، فقالتْ له: إنَّ بعلي يدعوك، قال: من بعلك؟ قالتْ: فلان، قال: الذي في عينه بياض؟ قالتْ: والله ما في عينه بياض، قال: بلى والله في عينه بياض، فأتتْ بعلها وجعلتْ تنظر في عينه، فقال لها الرجلُ: ما بالك؟ قالتْ: إنَّ النبي ﷺ ذكر أنَّ في عينك بياض، فضحك الرجلُ وقال: أليس فيها بياض وسواد؟!

وأتت إليه امرأة[3]، فقالتْ: يا رسول الله احملني على بعير إلى أهلي، قال: احملوها على ابن بعير، قالتْ: يا رسول الله ما أركبُ إلاّ على بعير، قال: ما عندنا إلاّ ابن بعير، قالتْ: ما أركب إلاّ على بعير، فضحك النبي ﷺ وقال: هل بعير إلاّ من بعير، فركبتْ المرأة، وانصرفت إلى أهلها.

---

(1) وهذا أيضاً حديث شريف، تذكره كتب الحديث في باب مزاح النبي ﷺ، وقد جاء بروايات تختلف عن رواية المؤلف، وقد أخرجه الترمذي في [الشمائل المحمدية: 113]، وصححه الألباني، والحديث هو أنَّ عجوزاً «أتت النبي ﷺ فقالتْ: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إنَّ الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز»، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾.

(2) هذا حديث أخرجه الإخباري: الزبير بن بكار، في كتابه: الفكاهة والمزاح: 13/1.

(3) هذا حديث أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية: 112، من رواية أنس بن مالك مع اختلاف في اللفظ، فهو عنده: «أنَّ رجلاً استحمل رسول الله ﷺ ...»، وكما أخرجه الإخباري: الزبير بن بكار في كتابه: الفكاهة والمزاح: 13/1.

فصل في حِيَل من ادّعى النبوّة

64. منهم اليربوعي:

زعمَ الواقديُّ[1] أنَّ رجلاً مِنْ يَرْبُوعٍ[2]، يُقال له جُنْدَبُ بْن كُلثوم[3] وكان يُلقّبُ [بكرداب][4]، ادعى النبوّة على عهد رسول الله ﷺ، وكان يَزْعُم أنَّ دليل نبوّته أنَّه يُسْرج نشابة الحديدة، أو الطين المعجون المهيأ كالشمع، وحيلته في ذلك أنَّه كان يَطلي المسامير وغيرها بدهن البَلَسَان[5]، ثمَّ يُشْعلها فتشتعل مثلُ الشمعة، ومثل هذا العمل إلى يومنا[6] هذا في بِيعة[7] بالرُّها[8]، وفي بيعة قيامة القدس، وذلك أنَّ القيم إذا [سوَّى][9] القناديل، جعل على رأس كلِّ فتيلة خيطاً من [البلفك][10] [مشدوداً][11] به مروياً بدهْن البَلسَان، والخيطُ نافذ من سقف القبّة إلى ثقب صغيرة، فإذا أراد الوقود واجتمع الناس في داخل القبّة،

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) بطن من بطون قبيلة تميم.

(3) هذا الخبر ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر: 418، وقال محقق الكتاب عن جندب بن كلثوم: لم أجد له ترجمة.

(4) عند ابن الجوزي في صيد الخاطر: [كان يُلقّب كرداناً].

(5) الصواب: البَلَسَان: وهو نبات له زهرٌ أبيض صغير على هيئة عناقيد، وهو من الفصيلة البخورية، يُستخرج من بعض أنواعه الزيوت والعطور.

(6) زمن المؤلف في القرن السابع الهجري..

(7) معبد النصارى، جمع بِيع.

(8) الرُّها: مدينة قديمة مشهورة من مدن إقليم الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات. وهي تقع بين الموصل والشام إلى الشمال من مدينة حلب، واسمها بالرومية أديسا، وسكانها تنوّعت أصولهم ما بين عناصر سامية قديمة، وغالبية سريانية منتمية إلى الآراميين، وقد اعتنقوا المسيحية. وتعدُّ مدينة الرُّها أهم أمكنتهم الدينية والتاريخية. فتحها الصحابي عياض بن غنم سنة 17هـ. وكان فتحها صلحاً، وهي الآن تحت سيادة الدولة التركية وتُدعى (أورفا).

(9) في (ب): [ساوى].

(10) نعتقد أنها نوع من الخيوط الرفيعة الشفافة، قد تكون من القطن أو الكتّان، ولم نجد تعريفاً لها.

(11) في كلتا النسختين: [مشدودٌ].

طلع القيّم إلى سطح القبّة، وقرّب النار من طرف الخيط ولم يشعر أحدٌ، فيشتعل في الحال لأجل دهن البلسّان نازلاً في الخيط على سمته حتى يَصلُ إلى [رؤوس القناديل وفتلها] مُروَّاة بالنفط الطيّار، فتشتعل فتزعُم الرُّهبان أنَّ هذا نورٌ نزلَ من السَّماء اشعل القناديل، فتفتنُ به جُهَّال النَّاس من النصارى ونسائهم [وأغمارهم][1] وضعفاء الدِّين من المسلمين.

وحكى أنَّه كان في القدس [متولياً][2] يقال له أشير الدَّولة، فعمد إلى الوقت الذي يُشعل فيه هذا القنديل، وصعد إلى سطح الكنيسة، وأتى إلى أعلى القبّة وحفظ الموضع الذي تنزل منه النار، فلم يُمكن القيّم من ذلك وأبطأ على الناس، فبذلوا له مائة دينار وقالوا له: إنَّ الملائكة لا تنزل وهاهنا من لا يُؤمنُ بالمسيح، فعَلِمَ أنَّها حيلة فأخذ الذهب وكتمها.

65. ومنهم مسيلمة الكذّاب:

وهو من بني حنيفة [ويُعرف بكذاب اليمامة][3]، وكان يزعُمُ أنَّ دليله على نُبوّته أنَّه يمرّ يده على رأس من عليه شعر حَسنٌ فيَقبُح ويتناثر شعره، ويتفلُ في الماء العَذب فيصيرُ ملحاً، ويمسح يده على رأس الأقرع فيصير له شعراً[4]. وحيلته في ذلك أنه يأخذ دَسَم الإوز وسُم الأفاعي وزرانيخ ويعمله كهيئة المَرْهَم ويمرّه على الشعر فينتثر ويسقط في الحال. وله [دواء][5] آخر يعمله إذا لطخ به رأس الأقرع نبت الشعر، وهو أن يأخذ صفار البيض، فيسقيها بدهن وزن خمسة

(1) في كلتا النسختين: [أغماوهم]، ولم نتبين معناها، ولعل ما أثبتناه هو الصواب؛ أي: جمع النّاس المزدحم المتكاثف.

(2) في الأصل: [مولي].

(3) في (ب): [ويعزي اليمامة]، وهو: ثمامة بن حبيب من بني حنيفة، سمّى نفسه بالرحمان، وعُرف برحمان اليمامة، قرب مدينة الرياض، وقيل أنه كان ساحراً، قتل يوم معركة حديقة الموت في اليمامة في زمن أبي بكر الصديق، ويُقال أن الذي قتله: وحشي مولى جبير بن مطعم. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك: 82/4 .

(4) ما ورد في صيد الخاطر هكذا: [ثم مسح على رأسي صبيٍّ، فذهب شعره، وبصق في بئر فيبُستْ].

(5) في (ت): [وله رقى أخر].

دراهم، فيُدخل بنار ليّنة في إناء نحاس، ويُخلط معه بيض البوم، وعظم محرق، ومني الرجال، ويطلي به يده ويمرّها على رأس الأقرع ينبت له الشعر، وقد ذكر جماعة من الأطباء هذا الدواء واتفقوا عليه.

66. ومنهم كَهْمَسُ الكِلابيُّ:

كان يَزْعُمُ أنَّ الله أوحى إليه: أيّها الجائعُ اشرب الماءَ تشبع، ولا تقرب الذي لا ينفع فإنَّه ليس بمُقنع[1]، وزعم أنَّ دَليلهُ على نبوّته أنَّه يُطْرحُ بين يَديّ السباع الضّارية فلا تأكُلُه، وحيلتُهُ في ذلك: أن يأخذ دُهن الغَار وحَجَر [البُرْسَان][2] [وقنْفُذاً][3] مُحْرَّقاً، وزَبدَ البَحر [وصدفاً مُحْرَّقاً][4]، وشَحم الحنظل، وبصل العنصل، فيُغلي الجميع في الشَّيْرج[5]، ويَدْهن به بدنه، فإذا شَمَّتْ السِّباعُ تلك الرائحة، تفرَّقتْ لخاصيتها، ولا تقربُه وتهربُ منه، وزعمت الأطباء أنَّ السَّبع إذا عَضَّ من طُلي بهذه الأدوية ضرُس، وخدُر فمُه ووقعتْ أضراسُه، وهلك في يومه.

67. ومنهم أبو جعوانة: [6]

بالطائف، وادّعى النبوَّة، وكان يلعبُ بالنار، ويمشي عليها ويلقي قميصه عليها وهي تشتعل فتخمد. وحيلته في ذلك [أنَّه كان يأخذ بيضاً كثيراً][7]

---

(1) في صيد الخاطر: [يا أيها الجائع اشرب لبناً تشبع، ولا تضرب الذي لا ينفع؛ فإنه ليس بمقنع].

(2) في كلتا النسختين: [الفرسان] والتصحيح من صيد الخاطر، والبُرْسان:

(3) في كلتا النسختين: [فستقا] والتصحيح من صيد الخاطر.

(4) في كلتا النسختين: [وصدف محرق].

(5) زيت السمسم.

(6) في صيد الخاطر: [أبو جعوانة العامري، وزعم أن دليله أنه يطرحُ النارَ في القطن فلا يحترق، وهذا لأنه يدهنه بدهن معروف].

(7) النص في كلتا النسختين فيه اضطراب هكذا: [يأخذ بياض وكثيرا بيضا].

وخطمي بيضاء وطلق[1]، ويسحق الكل، ويخلطه ببياض البيض ويُلطّخ به يديه ورجليه ويلعب بالنار فلا تؤذيه، وكان له قميص ملطوخ من هذه الأدوية فهو يقع على النار فلا تعمل فيه شيئاً وربما خَمَدتْ، وكان معه منديل من ريش السمند[2] يلقيه على النار فلا يحترق.

68. ومنهم حَنظلةُ بن يزيد الكوفيّ:

وكان يُعرف بالشقيّ، وزعم من نقل الأخبار أنّه كان أطرف من تنبأ، وكان يَزعُمُ أنَّ دليله على نبوته أنّه يُدخل البيضة [إلى][3] القنّينَة ويُخرجها منها إذا شاء وهي صَحيحة، وذلك أنّه كانَ يأخذُ البيضة ساعة ما تضعها الدجاجة، فيضعها في خلِّ الخمر والنوشادر ثلاثة أيام[4]، فتبقى شبه العَجين الرقيق، ويأخذ قنّينة يملأ نصفها ماء، ويُسرح البيضة منْ رأس القنّينة، فتنزل إلى الماء فتجمد، ويُبدِّد الماء فتبقى البيضة وحدها، وقد رأينا في زماننا من يعمل في قنّينة نارنجة وإترنجة ورُمّانة وخيارة وقثاءة،[5] وأشباه ذلك، وذلك أنّه يأخذ الذي يريدُ أول ما قد عقد، فيجعله بعوده في القنّينة وشدها في الشجرة إلى أن تكمل، ثم يقطع العرق منها فتبقى داخل القنّينة، وهذا رأيناه كثيراً وعملناه[6].

(1) الخطمي: نبات من الفصيلة الخبازية، يستخدم في العلاجات الطبيعة، وكذلك الطلق، ويسمى أحياناً نبات مريم، أو كف العذراء، وله فوائد في العلاجات الشعبية.

(2) السمند، أو السمندل: طائر خرافي، تقول بعض الأخبار والأساطير أنه لا يحترق بالنار.

(3) في صيد الخاطر: [في القنينة].

(4) النشادر، أو كلوريد الأمونيوم هو مسحوقٌ بلوريٌ باللون الأبيض، ويصنّف أنّه أحد أهمّ أملاح الأمونيوم.

(5) النارنج من الحمضيات، يشبه الليمون ولونه برتقالي يكثير في بلاد الشام، والقثاء من البطيخ النباتي شبيه بالخيار.

(6) أي أن من يعمل هذه الحيلة، يجعل الثمرة تنمو في داخل الزجاجة، ثم بعد أن تكبر يقطعها من الشجرة.

69 . ومنهم زرَادشت:[1]

وكان قبل الإسلام ادعى النُبوَّة، وعمل ثوراً من نحاس يَخُور كما يخور الثور، وذلك أنَّه اتخذ ثوراً من نحاس وعمل له ثقبان، وجعل كفله مع أصل الحايط، وجعل خلفه من وراء الحايط منفاخاً مثل منفاخ الحداد في بيت لطيف خفي لا يهتدي أحدٌ إليه، وكان يُدخل ابنه ينفخ بذلك المنفاخ، فتحصُل الريح في جوف الثور، [وله عينان وأذنان ومنخران] وفم يطلع منه الريح، فيُسْمع له خوارٌ شديدٌ ويبقى على ذلك مدَّة.

70. ومنهم مصعب بن الزبير:[2]

ادَّعى النبوة ودليله عليها أنَّ له صنماً يُلقي إليه أشرار الناس، وأنه يعلم الغيب، وذلك أنَّه اتخذ بيتاً مبيضاً مليحاً، وعمل في وسطه صنماً كبيراً صفرا يَسع آدميّاً إذا دخل فيه، وخرق منافسه سمعه وأنفه وعينيه وفمه. وكان إذا سألَه أحدٌ أن يخبره بسره يجلس على باب البيت، ويقول للشخص السَّائل: ادخل وقل حاجتك لهذا الصنم، واجلس بين يديه، وقل: أيُّها الروح الأمين، بلِّغ رسالتي إلى النبيّ مصعب، ودُرْ حوله سَبع مرات واخرج، ووجهك إلى الصنم إلى أن تصل إلى الباب، فإذا سمع صاحبه الذي يختبئ في جوف الصنم أوَّل الكلام، سبق صاحب الحاجة من موضع له معمول سرب إلى جوف الصنم، فإذا دخل الرجلُ وقال للصنم ما يريدُ، التقفه الرجل وطلع خبَّر به مصعب، فكان يُحدّث الصنم، وكان يُحدّث الناس بما يقولون للصنم.

ومنهم من ادَّعى النُبوَّة وكان معه شخص آخر يفعل هذا، فيسرّ إليه رجلٌ

---

(1) زرادشت بن اسبتمان كما أسماه ابن النديم في الفهرست، وهو فيلسوف قديم في بلاد فارس، وهناك من يرى أنه أسس مذهبا دينيا قبل الإسلام

(2) هذه من المنكرات والافتراءات التي روَّجها بعض الشيعة؛ لأنَّ مصعب بن الزبير، قد قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وفتك بكثير من شيعة العراق، ولم تذكر كتب التاريخ والتراجم هذه الفرية المضحكة، والمؤلف كما هي عادته في كتابه هذا يخبط خبط عشواء، فهو ينقل بلا تثبت ولا تحقيق، كحاطب الليل.

بخبر، فيشير ذلك الشخص إليه بإشارات من جسده، مثلما يقول له الرجل: «سرقةً»، فيضع يده على ساقه، ثمَّ على ركبته، ثمَّ على قفاه، ثمَّ على هامته، ولا يتكلم ولا ينطق بحرف واحد، فيقولُ له الآخر: قلتُ له عن سرقة، ويُمَخْرِق[1] له ما يريد ويوهمه ما يشتهي، وهذه أكثر ما تعمله الطريقة[2].

---

(1) أي: يكذب، ويختلق الأخبار.

(2) لعل المقصود ما يفعله بعض المتصوفة وأهل الطريقة.

الباب السادس
في حيل الخلفاء والملوك والسلاطين

71. حيلة أبي بكر -رضي الله عنه-:

ذكرها ابن الجوزي في كتاب الأذكياء، أنّه لمّا هاجر النبي ﷺ كان رسول الله ﷺ يركبُ، وأبو بكر رديفهُ، وكان أبو بكر يعرف الطريقَ لاختلافه إلى الشّام، فكان يَمرُّ بالقوم فيقولون: مَنْ هذا بين يديك؟ فيقول: هادٍ يهديني الطريق. وبإسناده المقدّم إلاّ أنّه زاد فيه أبو الحسين بن محمد قال: حدّثنا أبو عبادة قال: حدّثنا أبو سلمة بن الأكوع، فقال: لمّا خرج النبي ﷺ وأبو بكر من الغار، ركب أبو بكر خلف النبي ﷺ فكان كلمّا مرّ بقوم يقولون: يا أبا بكر من هذا؟ فيقول: دليل يَدُلّني الطريق[1].

72. حيلة لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

ذكرها أيضاً ابن الجوزي في كتاب الأذكياء، قال: وقدمَتْ[2] على عمر بن الخطاب حُللٌ من اليمن من الغنائم ليُقسّمها على المسلمين، فرأى منها حُلّة

---

(1) هذا الخبر ورد في حديث إسناده صحيح، وهو في مسند أحمد: 264/19، رقم الحديث: (12234)، وما أورده المؤلف في الإسنادلم يذكره ابن الجوزي في الأذكياء: 52، ولم أجد له طريقاً عند أصحاب الحديث، وعبادة هو: عبادة بن الصامت، صحابي جليل شهد البيعتين، شارك في الفتح الإسلامي لمصر، تُوفي في فلسطين سنة 34هـ، انظر ترجمته في الاستيعاب: 807/2، وطبقات ابن سعد: 546/3، وسلمة بن الأكوع: صحابي شهد معركة مؤتة، وهو من أهل بيعة الرضوان، تُوفي بالمدينة سنة 74هـ. وهو الذي ظاهر امرأة ونزل فيه قرآن، انظر ترجمته في الاستيعاب: 936/2، والإصابة: 127/3.

(2) أخبار الأذكياء: 53.

رديئة، فقال: كيف نصنع بهذه الحُلة، إن أعطيتها أحداً لم يرضها، فأخذها وطواها وتركها تحت ركبته، وأخرج طرفها، ووضع الحُلل بين يديه، وجعل يقسم بين الناس، فدخل الزُّبير بن العوّام، وهو على تلك الحالة، فجعل ينظر إلى الحُلّة، وقال لعمر: ما هذه الحلة؟ فقال له عمر: دع عنك هذه، فقال له: ما شأنها؟ قال عمر: دع عنك، قال: فأعطنيها، قال: إنَّك لا ترضاها، قال: بلى، قد رضيتها، فاستوثق عمر منه، واشترط أن يقبلها ولا يردَّها، فرضي بالشرط، فرمى بها عمر إليه، فأخذها الزُّبير ونظر إليها، فرآها رديئة، فقال: لا أريدها، قال عمر: الشرط أملك[1].

73. حيلة أخرى له:

من كتاب نثر الدر[2] أنه كان لعمر غلام يبيع الحُلل، فقال له: إذا كان الثوب قصيراً انشره وأنت جالس، وإذا كان طويلاً انشره وأنتم قائم[3].

74. حيلة أخرى له:

وذلك أن عمر بن الخطاب، لما أسلم أحبَّ أن يشيع إسلامه، فقال لجميل بن معمر الجمحي[4]، وكان مشهوراً بإذاعة السِّر لا يكتم شيئاً يُخبر به: إنني قد أسلمت، فأكتم عليّ واستره، ولا تعْلم به أحداً، فخرج جميلٌ ونادى بأعلى

---

(1) هذا لفظ المؤلف، وما ورد في كتاب عند ابن الجوزي في أخبار الأذكياء، هكذا: [فقال عمر: هيهات، قد فرغت منها؛ فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه].

(2) الخبر في نثر الدر: 218/1، وعيون الأخبار لابن قتيبة: 252/1.

(3) لا نعلم صحة هذه القصة، فإن كان المقصود منها المخادعة، فهذا ما يتنزه عنه الخليفة عمر- ﷺ -، فقد كان مضرب الأمثل في عدله وورعه.

(4) هو جميل بن معمر بن حبيب الجمحي القرشي، كان يسمى: ذا القلبين؛ لأن قول الله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» قد نزل فيه، أسلم عام الفتح، وكان شيخاً كبيراً، وشهد يوم معركة حنين، انظر قصته في الإصابة في تمييز الصحابة: 355/1، والاستيعاب في معرفة الأصحاب: 247/1.

صوته في أهل مكة: ألا إنَّ عمر بن الخطاب قد أسلم، فاعلموا ذاك، فشاع الخبر بإسلام عمر، وكان ذلك إرادته[1].

75. حيلة أخرى له:

قال المدائني صاحب كتاب المكايد والحيل: لما عبر المسلمون الخليج خرج، إليهم أهل أرمينيا، ومعهم الفيلة فقتلوا المسلمين، وكانت الفيلة تنهمر في وجه الخيل فتنفر، والمسلمون ليس معهم رَجّالة، فقال عمر: ائتونا بخنازير، فأتوه بها، فقال: اضربوها بين يدي الفيلة، فكانت كلّما سمعت صوت الخنازير جفلت وهربت، فتبعهم عسكر المسلمين فقتلوهم وأسروهم[2].

76. حيلة لعثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

مّما رواه أيضاً المدائني أنّه قال: حضر عثمان حصناً يعرف بطَميسة، وطبّق عليهم فطلبوا منه الأمان إن هم فتحوا لا يقتل منهم [رجلاً واحداً][3]، ففتحوا، فقتلهم غير رجلٍ واحد[4].

---

(1) هذا الخبر بزيادة تفصيل في السيرة النبوية لابن كثير: 39/2، وفي كتاب: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: 175 .

(2) هذه القصة لم تذكرها كتب التاريخ، وفيها عدة مغالطات، فعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لم يذهب خارج الجزيرة العربية إلا حين فتح بيت المقدس، وكان ذلك صلحاً، كما أن مسألة الفيلة كانت في معركة القادسية، ولم تُتخذ فيها الخنازير حيلة.

(3) في كلتا النسختين: [رجل واحد].

(4) هذه القصة مختلقة على عثمان بن عفان، فهو لم يخرج إلى تلك النواحي، وإنما القصة تخص سعيد بن العاص في غزوه طبرستان، والخبر بتفصيله في تاريخ الطبري 269/4، أحداث سنة 30 .

77. حيلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام:[1]

مرفوع إلى الأَصْبَغ بن نُباتة[2]، قال: دخلنا مع علي -عليه السلام- إلى المسجد، فاستقبله صبي يبكي وحوله جماعة يسكتونه، فلمّا رآه أمير المؤمنين يبكي قال: ما بالك يا صبي؟ قال: يا أمير المؤمنين إنَّ شريحاً قضى عليّ بقضية ما أدري ما هي، قال له: وما قصتك؟ قال: يا مولاي هؤلاء الذين تراهم معي خرج أبي معهم في سفر، وكان أبي صاحب مال، فأخذه معه للتجارة، فعاد هؤلاء ولم يعد أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن تركته قالوا: ما خلَّف شيئاً، فقدَّمتهم إلى الشرع فاستحلفهم وأطلقهم، فقال علي: لأحكمنّ بحكم ما حكم به إلا داود -عليه السلام- يا قنبر[3] ادع بصاحب الشرطة، ثم دعاهم ونظر إلى وجوههم وقال: أنبئوني بما فعلتم بوالد هذا الصبي، فقالوا بلسان واحد: مات. ففرّق بينهم، وأوقف كلَّ رجل مع أسطوانة من المسجد ومعه شرطي، ثم دعا بكاتبه [عبدالله][4] بن أبي رافع، فقال له: اكتب، وقال للنَّاس: إذا كبَّرتُ كبروا كلكم، ودعا بأحدهم وقال له: أخبرني في أيِّ يوم مات أبو الصبي، قال: في يوم كذا وكذا وشهر كذا وكذا وسنة كذا وكذا، قال: ففي منزل من؟ قال: في منزل فلان، قال: وكم كان مرضه؟ قال: كذا وكذا، قال: ففي أيِّ وقت؟ قال: في وقت كذا وكذا، قال: فمَنْ غسله؟ قال: فلان. فلما سأله عن هذا كله كبَّر وكبَّر المسلمون معه، فارتاب الباقون، ولم يشكوا أنَّ صاحبهم قد أخبره بحديثه، وقد

---

(1) كل ما سيذكره المؤلف في حق علي بن أبي طالب هو من مرويات الشيعة المبثوثة في كتبهم، المليئة بالمبالغات والخوارق التي ليست لأحد غيره، أو الكرامات التي اختلقوها لتمييزه عن بقية البشر.

(2) هو الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن دارم التميمي الكوفي من أبرز أصحاب علي بن أبي طالب، شهد معه موقعة الجمل وصفين، وكان من الغلاة فيه، اتهمه رجال الحديث بالكذب وعدم الثقة. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: 3/ 308، وتقريب التهذيب: 151.

(3) أبو همدان قَنْبَر بن حمدان، مولى علي بن أبي طالب وخادمه، وكان قنبر مجهولاً من حيث حسبه ونسبه.

(4) المشهور عند أصحاب التراجم: أنه عبيد الله بن أبي رافع كاتب لعلي بن أبي طالب، وكان أبو مملوكاً للعباس بن عبد المطلب، فوهبه للنبي ﷺ، وقد أعتقه حين بُشر الرسول بإسلام العباس، وقد روى عن أبي رافع بعض الأحاديث النبوية، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 16/2.

أقسم عليه وعلى نفسه، فأمر به إلى السجن. ثمَّ دعا بآخر منهم وقال له: لقد علمتُ بما صنعتم وما أنا جاهل به، قال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلاّ واحدٌ منهم، ولقد كنتُ كارهاً لقتله، فلمّا أقرَّ جعل يدعوهم واحداً واحداً، فيُقرُّ بالقتل حتى أقروا جميعاً، فأمر بهم إلى السجن وألزمهم بالدم والمال[1].

78. حيلة أخرى له عليه السّلام:

حضرتْ بين يديه امرأة قد تعلَّقت برجل تزعم أنّه قد افتضّها، وأرتهم جنابته على ثيابها، وكانت قد أخذت بياض البيض ولطختْ به ثوبها، فاستحضر الرَّجلَ، وقال له: أخبرني واصدق، قال: والله يا مولاي ما لي معها، بل هي تحبني، فلمّا لم أطاوعها على ما في نفسها عملت هذه الحيلة حتى أتزوج بها، وأنا ما أريدها، فقال له: قف مكانك، ثمَّ إنّه استدعى المرأة، وقال: أريد أن أزوّجك به إن صدقتني، [فهل][2] كان بينكما أمر أم لا؟ فقالت: إنه غصبني على روحي وهذا أثره، فقال عليٌّ- صلوات الله عليه وسلامه-: يا قنبر ائتني بماء حار شديد الحرارة، فأحضره له، فأخذ ثوبها فغمسه في الماء لحظة، فقبّ منه بياض البيض، فلما رآه عليه السلام قال: ما هذا سوى بياض البيض [هاتُمْ][3] السّياط، فجاؤه بالسّياط، قال: اجلدوها، فجلدوها عشرة أسواط، فأقرَّت بما صنعتْ، فجلدها جلد المفتري، وأطلق الغلام[4].

---

(1) هذه القصة من مرويات الشيعة، وهي في كتاب: بحار الأنوار 583/14 وفيها زيادات كثيرة.

(2) الصواب استعمال همزة الاستفهام مع أم العاطفة.

(3) مفردة تقولها العامة، وهو خطأ ليس من كلام العرب، فالجمع: هاتوا، قاله: أبو القاسم الزجاج، في كتابه: «اشتقاق أسماء الله»: 163، واستشهد على ذلك بقوله الله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ آية: 111 من سورة البقرة، والآية: 24 من سورة الأنبياء، والآية 64 من سورة النمل، قلتُ: ولعلها لهجة لبعض القبائل.

(4) من مرويات الشيعة، والقصة في صحيفة الأبرار: 342/2، وبحار الأنوار: 303/40، وفيه زيادات، [وأنَّ المرأة أتت أولاً: عمر بن الخطاب، فتحيَّر كيف يحكم فيها].

79. حيلة أخرى له صلوات الله عليه وسلامه:

حدثني بها السيد الأجل المنعم الفاضل جمال الدين سيّد الأصحاب أبو عبدالله حسين الرقام[1] قال: قرأتُ في بعض الكتب بمدرسة السَّراي برأس سوق السلطان ببغداد: أنّ رجلين ارتفعا إلى علي بن أبي طالب -عليه السلام-، وذكر أحدهما أنّ الآخر ضرب عينه بحجر نقص نورها وهو مطالب له بديتها، فقال عليّ عليه السلام: شدوا عينه المضروبة وأعطى الشخص حجراً وقال له: لا تزال تبتعد بها حتى لا يراها، فما زال يمشي حتى غابت عن عينه، ثمّ قال: اذرعوا ما بين موضع الرجل والحجر، فذرعوه، [ثمّ حلوا عينه وسدوا العين الصحيحة، وفعلوا مثل الأول][2]، ثمّ ذرعوا بين الموضعين، فنقص ثلث الموضع، فألزمه ثلثي الدية للعين[3].

80. حيلة أخرى له عليه السلام:

وذلك أنّ صبياً تعلق بامرأة ادّعى أنّها أمه وأنكرته، وأنّ أباه خلّف مالاً وقد أخذته أمه دونه، فرُفعا إلى عليّ -عليه السلام-، فسألها فأنكرت، وقالت: لي شهود أنني ما تزوجتُ، فطلب الشهود فحضروا، وشهدوا أنّها لم تتزوج، وأن هذا الصبي مدسوسٌ عليها، قال عليّ -عليه السلام-: ائتوني بقابلة، فأتوه بها، فقال: انظري هل هذه بكر أو ثيب، فأدخلتها المَخْدَع[4]، فضمنتْ لها الصبية مائة دينار على أن تقول: إنّها بنت بكر، فخرجت القابلة وقالتْ: يا مولاي الصبية بنت بكر، فقال عليّ -عليه السلام-: يا صبيّ قد شهدوا لها أنّها بنت، وأنّها ما تزوجت،

---

(1) هذه أول قصة ينسبها المؤلف إلى شخص يعرفه.

(2) سقط من (ت).

(3) من مرويات الشيعة، وفي بعض مصادرهم، كالكافي: 322/7، وتهذيب الأحكام: 266/10، وسائل الشيعة: 29/ 369، [أنّه قاس ما فقده من بصره بالبيضة بدل الحجر، فأعطاه الأرش، وهو يختلف عن الدّية، فالأرش غير مقدر شرعاً، بينما الدّية مقدّرة].

(4) حجرة صغيرة للنوم، وقد تُوسع في استعماله، فأصبح يطلق على السرير.

فقال له الصَّبي: يا عليّ أين العلم الذي علمك رسول الله ﷺ[1] وورثته منه؟ فقال له: حاضر[2]، ثمَّ زعق بالصَّبية ثمَّ قال لها: ألك أحد؟ قالت: مالي إلاّ الله تعالى، ثمَّ قال للصَّبي، ألك أحد؟ فقال: مالي إلاّ الله، فقال للصَّبي: مدّ يدك، قد زوجتك هذه الصَّبية على صداق مبلغه مائة دينار، فقال الصَّبي: قبلتُ هذا النكاح، وكان [عليّ][3] -عليه السلام- قد علَّم الصَّبي سرّاً بقبول النكاح، فقال له: قم وخذ زوجتك، فقام الصَّبي وقبض على الجارية، فلمَّا تحققت الجارية ذلك، قالت: يا عليّ هكذا أمرك رسول الله ﷺ[4]، أن تزوج الأولاد بالأمهات، هذا والله ولدي ما أخسر الدنيا والآخرة، فأصلح بينهما وانطلقا، وأحضر الشهود والقابلة، وجلدهم جلد من كذب وحبسهم[5].

81. حيلة أخرى له عليه السَّلام:

وذلك أنَّ نفرين أتيا امرأة فأودعاها مائة دينار، وقالا لها: لا تُسلِّميها لأحد منا دون حضور [صاحبه][6]، ومضيا عنها حولاً، فجاء أحدهما إليها وقال: إن صاحبي مات، ادفعي إليّ المال، فأبت، وقالت: لن أسلمه حتى تحضرا جميعاً، فتثقل عليها [بأهلها][7] وجيرانها، فلم يزالوا بها حتى دفعت إليه المال، ثم لبثت حولاً آخر فجاء صاحبه، وقال لها: ادفعي إليّ المال، قالت: إنَّ صاحبك جاءني، وقال إنَّك متَ، فدفعت الذهب إليه، فاختصما وارتفعا إلى عليّ -عليه السلام-، وقصَّا

---

(1) زيادة في (ب).

(2) تأمل تهافت هذه القصة من جميع أركانها، وهذا السؤال المختلق هو الهدف من هذه القصة، لإثبات أنَّ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه حاز علماً فاق به الخلق، فاستحق الأفضلية على جميع الصحابة رضوان الله عليهم.

(3) سقط من (ت).

(4) زيادة في (ب).

(5) القصة من مرويات الشيعة، وهي في بحار الأنوار: 307/40، وفيها زيادات ومنكرات، وفي ختامها أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: [واعمراه، لولا عليّ لهلك عمر].

(6) في (ب) الآخر.

(7) سقط في (ب).

عليه قصتهما، فعرف أنّهما قد مكرا بها، فقال عليّ - عليه السلام -: إنّ الذهبَ عندي، احضر صاحبك كما ذكرتَ، وخذ الذهب، فلا يجوز أن تسلّمه إلى أحدٍ منكما دون حضور صاحبه، فترك الرّجلُ المرأة وذهب[1].

82. حيلة أخرى له عليه السلام:

جاءت إلى عليّ - عليه السلام - وشكت أنّ زوجها عنين لا يقدرعلى المجامعة، فأحضر زوجها، وسأله عن ذلك فأنكر، وكان الزوج يحبها ولا يشتهي فراقها، وهي تختار فراقه، فاستدعى أمير المؤمنين - عليه السلام - بقابلة وأمرها أن تحشي فرجها خلوقاً[2]، ولا يعلم زوجها بذلك، ثمّ أمره بإتيانها، وأعطاه منديلا يتنشف به، ويريه إياه، فلمّا خلا بها لم يطق على الفعل، فخرجا، فطلب عليّ عليه السلام المنديل فلم يجد فيه للخلوق أثراً، فقال له أنت عنين لا محالة، وطلّقها منه.

83. حيلة أخرى له عليه السلام:

جاءت إليه امرأة ادّعت أنّ زوجها عنين، فأنكر الزوج ذلك، فقال عليّ - عليه السلام - لقنبر: يا قنبر اذهب به إلى النهر، وأنزله فيه إلى سُرّته وأوقفه ساعة وأخرجه، فإن رأيتَ ذكره تقلّص وتقنفذ[3]، فأعلمني، وإن لم يتغير فأعلمني، فأخذه قنبر ومضى إلى النهر وأنزل الرجل إلى سُرّته وأوقفه ساعة وأطلعه، وذكره قد تقلّص وتقنفذ، فأخبر أمير المؤمنين بذلك، فقال للرّجل خذ زوجتك وانصرف فإنها كذّابة.

---

(1) القصة من مرويات الشيعة، وهي في الكافي: 428/7، وتهذيب الأحكام: 290/6، وسائل الشيعة: 10/19، بحار الأنوار: 370/2، وفيها زيادات، مثل: أن عمر بن الخطاب قد تحيَّر في القضاء بينهما، فذهبا إلى علي بن أبي طالب.

(2) طيب مُركَّبٌ من الزعفران وبعض المواد العطرية الأخرى، تغلب عليه الحُمرة والصفرة، وفي استعماله للمعتمر والحاج خلاف فقهي بين المنع والإباحة.

(3) أي: تقبّض.

84. حيلة أخرى له عليه السلام مع المملوك وابن سيده[1]:

وذلك أنَّ رجلاً سافر ومعه مملوك له وولد، فاتفق أنَّ الرَّجل مات في بعض الطريق، فادعى مملوكه أنَّه ولده، وأنَّ ولد الميت مملوكه، وأصرَّ على ذلك، فأتى الصَّبي إلى عليّ عليه السَّلام، فأخبره بالقصة، فأمر قنبر أن يتركهما في غرفة لها خَوْختين[2] وأن يطلعا [روسهما][3] من الخوختين، ففعل قنبر ذلك، فلمَّا أطلعا روسهما، سلَّ علي سيفه، وقال: ياقنبر اضرب رأس العبد، ففزع المملوك، ولم يفزع ابن سيِّده، وأدخل المملوك رأسه، فأخذه علي وأخذ منه المال، وباعه وسلَّم ثمنه إلى ابن سيِّده.

85. حيلة أخرى له عليه السلام:

مع اليتيمة التي شهدوا عليها بالزنى، وذلك ما ذكره ابن أبي عمير[4] عن معاوية بن وهب[5] عن أبي عبدالله[6]، قال: إنَّ عمر بن الخطاب أتوه بجارية، قد شهدوا عليها بالزنى، وكان من حديثها أنَّها كانت يتيمة عند رجل يربيها قربة لله تعالى، وكان الرجل كثير الأسفار، فنشأت اليتيمة وكبرت، وحسنت وبلغت مبالغ النساء، فخافت التي هي في بيتها أن يتزوجها زوجها عليها، وكانتْ امرأة الرجل دون الصَّبيّة في الحسن والجمال [والبهاء][7] بشيء كثير، فسقتها الخمر بغير علمها، فلما سَكرت الصَّبيّة ثقبتها المرأة بأصبعها، فلمّا قدم

---

(1) هذه القصة سقطت من (ب).

(2) الخَوْخة: هي الفتحة أو النافذة الصغيرة التي يدخل منها الضوء إلى المنزل، أو الباب الصغير وسط الباب الكبير، وهي معرّبة.

(3) هكذا في الأصل.

(4) هو: محمد بن زياد بن عيسى الأزدي، من موالي المهلب بن أبي صفرة، توفي سنة 217هـ في بغداد، مُحدّث وفقيه من أصحاب الكاظم والرضا والجواد أئمة الشيعة.

(5) هو: معاوية بن وهب البَجلي، مُحدّث وفقيه من أصحاب الصادق والكاظم.

(6) إذا أطلقت هذه الكنية عند الشيعة، فالمقصود به: جعفر الصادق (80- 148هـ) الإمام السادس عند الإثني عشرية، توفي بالمدينة المنورة.

(7) زيادة في (ت).

زوجها من سفره، قالت له زوجته: إنَّ اليتيمة قد زنتْ وثُقبت، واستشهدت النسوة على ذلك، فشهدْنَ وساعدنها على عملها، فرُفع ذلك إلى عمر بن الخطاب فلم يدر ما يحكم فيه، وقال للرَّجل انهض بنا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فأتوه وهو في المسجد فقصُّوا عليه القصة.

فقال للمرأة: ألك شاهد وبيّنة؟ قالت: جاراتي يشهدْنَ بذلك، فقال: أحضريهْنَ، فأحْضَرتهنَ، فسلَّ عليٌّ سيفه وطرحه بين يديه، ثمَّ أمر بكلٍّ واحدة منهم أن تدخل بيتاً وحدها، ثمَّ استدعى بامرأة الرجل وضاربها بكلِّ وجه فلم تصْدُق، فأدخلها بيتاً واستدعى بإحدى الشهود، وجثا على ركبتيه، وقال لها: تعرفيني أنا عليٌّ وهذا سيفي، وقد قالتْ امرأة الرجل ما قالتْ، وأعطيتها الأمان، فإن لم تصدُقيني لاملأنَّ هذا السيف منك، فالتفتتْ إلى عمر، وقالت: يا أمير المؤمنين لي الأمان على الصِّدق، فقال لها عليٌّ عليه السَّلام: أصدقيني، قالت: والله ما زنت الصَّبيّة، وإنما امرأة الرجل فعلت كيت وكيت غَيْرة منها على زوجها، وقصَّت القصّة من أولها إلى آخرها، فقال عليٌّ: الله أكبر أنا أول من فرق بين الشهود بعد دانيال، فأخذ المرأة وحدّها حدّ القذف، وألزمها بمهر الصَّبّية، وطلقها زوجها، وتزوج بالصَّبيّة، وحدّ اللواتي شهدْنَ بالزور[1].

86. حيلة أخرى له عليه السَّلام في وزن الفيل:

ذكروا أنَّ رجلاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن لابدَّ ما يزن الفيل، وذلك أنَّه قد كان قدم إلى البصرة، وجرى بسببه أيمان، فحلف ذلك الشخص لابدَّ ما يزنه، فعجز عن وزنه، فأخبر علياً بقصته، فقال: أنزلوا الفيل، إلى سفينة كبيرة، وعلموا أين يصل الماء من جنبيها، ثمَّ أخرجوا الفيل وزنوا حجارة واطرحوها في السفينة

(1) القصة من مرويات الشيعة، وهي في: الكافي425/7، وتهذيب الأحكام: 290/6، وبحار الأنوار: 310/40، وفيها زيادات واختلافات، وكما يلاحظ القارئ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يصوَّرُ في سياق هذه القصص بصورة الشخص المتحيّر في الأحكام، وليس له من الأمر شيء.

حتى تلحق الماء العلامة، فما كان وزن الحجارة فهو وزن الفيل[1].

87. حيلة معاوية:

حكي المدائني أنّه كان بصفّين، وكان عليّ -عليه السلام- قد نزل على الماء، فألقى معاوية كتاباً في عسكر عليّ -عليه السلام- أنّ معاوية يريد ينزل في المكان الفلاني، فوقع الكتاب في يد عليّ -عليه السلام-، فأمر عليّ بالرحيل وسبقه إلى ذلك الموقع، فنزل معاوية على الماء وعسكره، فلمّا قصد علي إلى المكان فلم ير لمعاوية خبراً، فرجع يطلب موضعه، فحال معاوية بينه وبين الماء.

88. حيلة أخرى له[2]:

كان قيس بن سعد[3] عاملاً على مصر من قبل علي -عليه السلام-، فأشجى معاوية، فكتب إليه معاوية يستدعيه لنفسه ويُمّنيه، فلم يجبه قيس، فأظهر معاوية أنّه قد [أجابه][4] وخطب بذلك، وكتب إلى بلاد الشام جميعها، فكتب من كان عيناً لعلي عليه السّلام فخبره بما سمع، فعزل قيساً عن مصر، فقال له عبدالله بن جعفر: إنّ هذا كيد من معاوية، وقيس ناصح لك فلا تعزله، فأبى وعزله، واستعمل على مصر محمد بن أبي بكر، ففسدت على عليّ مصر، وندم عليّ بعزل قيس، وذلك مما أراده معاوية.

---

(1) القصة من مرويات الشيعة، وهي في: تهذيب الأحكام: 318/8، وسائل الشيعة: 284/23، وفيها اختلافات.

(2) في (ب): [أنّه قد قرأ كتابه].

(3) هو: أبو عبد الله، قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي، صحابي جليل، من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسباً، أبوه سعد بت عبادة سيد الخزرج، وكان قيساً مضرب المثل في الكرم والجود، كان ملازماً للنبي ﷺ، وروى عنه عدة أحاديث، ولازم علي بن أبي طالب في صفين، ثم ولاّه مصر، ولكنه عزله، بعد هذه الحيلة التي ذكرها المؤلف، وذكرتها كتب التاريخ، وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 102/3، وتهذيب الكمال: 40/24.

(4) هذه القصة في كتاب الكامل في التاريخ، في حوادث سنة 36: ج3/ 154، وفي طبقات بن سعد: 372/5.

89. حيلة أخرى له:

وذلك أن [كرب بن إبراهيم بن صياح الحميري][(1)] قدم على معاوية، فكتب له إلى عمرو ابن العاص وهو متولٍ مصر بألف دينار، فأتاه كرب بالكتاب، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً، فرجع إلى معاوية يخبره، فقال له معاوية: ما لك عشيرة تعطيك؟ قال: بلى، قال: فأتِ مصر، فأشعْ أنك تخرج إلى اليمن، ثمّ اذهب بعشيرتك فغيروا على الرهوط وخذوا ما لعمرو بالطائف، فخرج كرب إلى مصر وأشاع ذلك، فبلغ عمراً، فأنفذ إليه عمرو: ما هذا الذي بلغني؟ قال: هو ذلك إن لم [تتعدَّ][(2)] بجائزتي من معاوية لأفعلنّ ذلك، فقال عمرو: والله ما هذا منك، وإنما هذا برأي معاوية، وانفذ إليه بألف دينار.

90. حيلة أخرى له:

حكى المدائني في كتابه المعروف بالمكايد والحيل، أنّ معاوية أرسل رجلاً إلى الكوفة ينعاه، فقيل لعلي -عليه السلام-: [إنّ رجلاً قدم الكوفة ينعي معاوية، فقال علي: ما مات، ثم قدم راكب ثم آخر ينعاه، فقيل لعلي، فقال: ما مات، فجاء رجل آخر ينعي معاوية][(3)]، فقيل لعلي -عليه السلام-، فقال: والله ما مات، [ولا يموت][(4)] حتى يملك ما تحت قدمي، وكان قصد معاوية كذلك، فصار عامة

---

(1) الصواب أنّ اسمه كريب بن أبرهة بن صباح الحميري، واسم أبرهة سريالي، ويُعرَّب إلى إبراهيم، و كريب هو أحد أبناء إبراهيم بن صباح الحميري الذي وفد على النبي ﷺ وبسط له رداءه، ثم تنقل مع أولاده إلى الشام، ثم مصر في جيش عمرو بن العاص، وتذكر المصادر من أبنائه الذين لهم صحبة: أبو شمر، وكريب، وحين حدثت الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية، وقف الأخ الأكبر أبو شمر في صف علي وكان من أصحابه، وقتله معه في صفين، سنة 37هـ. بينما وقف كريب في صف معاوية، وعاش إلى خلافة عبد العزيز بن مروان، وكان من القادة المشهورين، توفي سنة 75هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: 313/3، مروج الذهب: 97/3، الإكليل للهمداني: 150/2 .

(2) في (ب): [إن لم تقول].

(3) سقط في (ت).

(4) في (ب): [وما يموت].

أصحاب عليّ ﷺ مع معاوية ويتقربون إليه بذلك، وتفرّقت الجموع عن علي إلى معاوية، وبقي علي في نفرٍ يسير[1].

91. حيلة أخرى له:

من تجارب الأمم[2]، لمّا قُتِل- عليّ عليه السّلام- استخلف أهل العراق الحسن عليه السّلام، وكان الحسن -ﷺ- لا يريد القتال والفتنة، بل يريدُ أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثمّ يدخل في الجماعة، [وعرف الحسن أنّ قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه، فعزله، وأمرّ عبيدالله بن العباس][3]، وكان قيس بن سعد على مقدمة أهل العراق، وهم أربعون ألفاً، بايعوا علياً -ﷺ- على الموت، وعلم عبيدالله بما يريده الحسن أن يأخذه لنفسه، فكتب إلى معاوية يسأله الإمان ويشترط لنفسه من الأموال التي أصاب، فشرط له ذلك.

ثمّ إنّ معاوية دسّ إلى عسكر الحسن بن علي- عليهما السّلام- حين نزل المدائن إلا أنّ قيس بن سعد قد قُتِل، فتفرقوا، وأحاطوا بسرادق الحسن حتى نازعوه فراشه الذي كان تحت وأخرجوه، فخرج الحسن -ﷺ-، حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكتب إلى معاوية يطلب منه الأمان، فقال الحسن للحسين- عليهما السّلام- ولعبدالله بن جعفر: إنّي قد كتبتُ إلى معاوية أطلب منه [الصّلح][4]، فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا تصدّق أحدوثة مُعاوية وتكذّب أُحدوثة عليّ. فقال الحسن: اسكُتْ فإنّي أعلم منكَ بالأمر، واشترط الحسن على معاوية أن يجعل له ما في بيت المال، وخراج [ذلك الحول][5]

---

(1) هذا الخبر في مروج الذهب: 343/1، وفيه زيادات كثيرة.

(2) القصة في ج370/1 من كتاب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي بن مسكويه، وقد تقدّمت ترجمته.

(3) سقطت من كلتا النسختين، والتصحيح من تجارب الأمم.

(4) سقط في (ب).

(5) في تجارب الأمم: [دار ابْجرد].

وعلى أن لا [يشتمَ علياً][1] وهو يَسمعُ. وكان الذي في بيت المال خمسة [ألف ألف][2]، وكان معاوية قد أرسلَ قبل أن ترِد عليه صحيفة الحسن بالشّرط، صحيفة بيضاءَ مختومة على أسفلها، وكتب إليه أن: اشترط في هذه الصّحيفة التي ختمتُ على أسفلها ما شئتَ فهو لك، فلمّا أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط فيها أضعاف الشّروط التي كان سألها قبل ذلك، وأمسكها عنده، وتمسك معاوية بصحيفة الحسن التي كان كتبها، فلمّا التقى معاوية والحسنُ، سأله الحسنُ أن يُعطيَهُ الشّروط التي في السِّجِلِّ المختوم بختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يُعطيَه، وقال: ما أعطيك إلا ما سَألْتنيه بخطكَ، فاختلفا وتنازعا، ولم يُنفذ للحسن من تلك الشروط شيئاً.

92. حيلة أخرى له عند موته:

وذلك لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ولده بأشياء، من جملتها أنّه قال: لا يُنزلني قبري إلا عمرو بن العاص، فإذا ألحدني وسوّى عليَّ اللّبن، وأراد أن يطلع، فلا تتركه أن يطلع من الحفرة حتى يُبَايعك، وإن لم يفعل، فاشدخ رأسه بالسيف، فما أخاف عليك إلاّ منه، ومن الحسين بن عليّ- عليهما السّلام-، فلمّا قضى معاوية نحبه، وحملوه إلى قبره، وصلوا عليه، أمر يزيدُ عمرو بن العاص أن يُلحده، فلما ألحده وهمّ بالخروج سلَّ يزيد سيفه، وقال لعمرو: إما أن تبايعني أو ألحقك به، فقال له عمرو: ما هذا منك، والله إن هذا من هذا، وأشار إلى معاوية ورفسه على صدره، وبايع ليزيد، وطلع وهو يلعن معاوية[3].

---

(1) في تجارب الأمم: [لا يُشتمَ عليٌّ].

(2) في تجارب الأمم: [آلاف ألف].

(3) في تجارب الأمم قصة شبيهة بما ذكره المؤلف، فيها الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وليس فيهم عمرو بن العاص.

93. حيلة مروان بن محمد الحمَار[1]:

من تاريخ الطبري أن مروان حبس إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبَّاس[2] في جُبّ بالرّقة، وكان معه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز[3]، [وشراحبيل بن معاوية، وهشام بن عبدالملك][4]، فكانوا يتزاورون، وكان أكثرهم صحبة ومعاشرة إبراهيم، وشرحبيل، فأبلغ مروان ذلك، فخاف على نفسه منهما، فأخذ لبناً وسمَّه، وبعثه مع غلام من بعض الغلمان، وقال له: مرَّ به إلى إبراهيم، وقل له: قال لك أخوك شرحبيل: اشرب هذا اللّبن فقد استطابه واشتهى أن تشربه، فمضى الغلام كما أمره وبلّغ رسالته، فتناوله وشرب منه ومضى الغلام، [وتوصّب][5] من ساعته، وتكسل جسده، وأبطأ في ذلك اليوم عن شراحيل، فأرسل إليه شراحيل: جُعلت فداك قد أبطأت اليوم عني، فما

---

(1) هو: مروان بن محمد (72- 132هـ) بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك، الخليفة الأموي، يُعرف بمروان الحمار، وبمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه جعد بن درهم، يُقال: أصبر في الحرب من حمار، لهذا لُقِّب بهذا لصبره في الحروب، وقيل: بل العرب تسمي كل مائة عام حماراً، فلما قارب ملك آل أمية مائة سنة، فلقبوه بمروان بالحمار. وذلك مأخوذ من موت حمار العزير -عليه السلام- وقد لبث مائة عام، كان مروان بطلاً شجاعاً داهية، ورزيناً، وجباراً، ويصل السير بالسرى، ولا يجف له لبد، دوخ الخوارج بالجزيرة، قتل بعد معركة الزاب التي سقطت بها الدّولة الأموية، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 75/6، والبداية والنهاية: 45/10.

(2) هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بإبراهيم الإمام، (82-131هـ) زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها، وهو أخو الخليفتين، السفّاح وأبي جعفر المنصور. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 379/5.

(3) هو: عبد الله بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أمير أموي، وابن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، ولي العراق مدة وجيزة في خلافة يزيد بن الوليد المعروف بزيد الناقص، ثم ثار على مروان بن محمد، ثم قبض عليه مروان بن محمد، ومات في سجنه سنة 129هـ، انظر ترجمته في: تاريخ خليفة: 382، وتاريخ دمشق: 216/31.

(4) هناك تصحيف في كلتا النسختين، فهو: شراحيل بن مَسلمة بن عبد الملك، كما في تاريخ الطبري: 104/7، والبداية والنهاية: 125/10، أما هشام بن عبد الملك، فهو عاشر خلفاء بني أمية، وتُوفي 125هـ، وذكر المؤلف له في القصة وهم منه.

(5) في كلتا النسختين [ووثب] والصحيح من تاريخ الطبري.

حبسك؟ فأرسل إليه: إنّي لّما شربتُ اللّبن الذي أرسلت إليّ ألحقني كسلاً، فأتاه شراحيل وهو مذعور وقال له: لا والله الذي لا إله إلا هو ما شربْتُ اليوم لبناً، ولا أرسلتُ إليكَ، إنا لله وإنا إليه راجعون، أُحتيل عليكَ وسُمّمتَ، فوالله ما تصبح إلا ميتاً، وتولى بعده السّفاح.

94. حيلة المنصور[1]:

وذلك لّما كتبَ ابن المقفع[2] لعبدالله بن علي[3] نسخة كتاب الأمان الذي أخذه على المنصور، كتب إلى سفيان بن معاوية المهلبي[4] يأمره بقتله، فاستأذن

---

(1) هو: أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (95-158هـ)، ثاني الخلفاء في الدولة العباسية، ويعدُّ هو المؤسس للدولة، وهو الذي بنى بغداد، وجعلها عاصمة ملكه، وقد بُويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه أبو العباس عبد الله السفاح، الذي كان أصغر منه سنا، ولكن أصبح خليفة قبله امتثالاً لوصية أخيهم إبراهيم الملقب بالإمام، والسبب في ذلك أن السفاح أمه عربية، بينما المنصور أمه من البربر.
انظر ترجمته في: تاريخ الطبري: 471/7، تاريخ بغداد: 244/11.

(2) هو: أبو محمد عبد الله بن روزبه بن داذويه (106- 144هـ) أديب وكاتب عباسي من أصل فارسي، وكان كاتبا عند عيسى بن علي عم المنصور والسفاح، وأسلم على يديه، وفي خبر مقتله قصة طويلة اختلف المؤرخون فيها. انظر ترجمته: وفيات الأعيان: 151/2، والمنتظم: 56/8، خزانة الأدب: 177/8.

(3) هو: عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت: 147هـ)، أمير عباسي، هو عمُّ الخليفتين: أبو العباس السّفاح، وأبو جعفر المنصور، فتك بالأمويين في معركة الزاب التي قضت على الدولة الأموية، كان من الدهاة الشجعان، كان أميراً على الشام مدّة خلافة السّفاح، فلما مات طالب بالخلافة، ورفض بيعة المنصور، فبعث إليه أبو مسلم الخرساني لقتاله، ولكنه هرب، ومكث زمناً مختفياً حتى ظفر به المنصور، وسجنه في منزل بني أساسه من الملح، ثم أطلق عليه الماء، فذاب الملح وسقط عليه المنزل فمات. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 6/ 161، تاريخ بغداد: 176/11، تاريخ الطبري: 9/8.

(4) هو: سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، كان والياً للبصرة في خلافة المنصور، وكان يحقد على ابن المقفع، فسنحت له الفرصة بقتله في كلمة سمعها من المنصور بعد كتاب الأمان الذي كتبه. انظر قصته في: المنتظم: 144/8، كتاب الفتوح: ج8/ 356.

عليه مع الناس، فحجبه حتى خرج الناس، ثمَّ أذن له فقتله، [فأخذ][1] سليمان وعلي[2] ابناه على سفيان وأشخصاه إلى المنصور، وأحضروا شهوداً يشهدون عليه بقتله، فأحضرهم المنصور وقال لهم: انظروا في أمره، ثم أحضر الشهود، وقال لهم: إذا أنا قتلتُ سفيان بشهادتكم، ثمَّ خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب، أيكم يُنَّصب نفسه لأقتله بسفيان، فلمَّا سمعوا ذلك رجعوا عن الشهادة، ودُرِئ عن سفيان الحدّ.

95. حيلة أخرى له مع ابن هرمة:

دخل ابن هرمة[3] على المنصور فأنشده، فقال: سَلْ حاجتك، فقال: تكتب إلى عمالك بالمدينة متى وجدوني سكران فلا يَحُدّوني، فقال له: هذا حدُّ الله ولا سبيل إلى تركه، قال: فما لي حاجة غير هذا، ففكر المنصور ساعة، ثمَّ كتب إلى عامله بالمدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده ثمانين جلدة، واجلد الذي يأتيك به مائة جلدة، فكان الشرطي يمرُّ بابن هرمة سكران، فيقول من يشتري مائة بثمانين[4].

---

(1) الصواب: [فأخذا].

(2) قول المؤلف هنا مُلبس ومضطرب، والمقصود أنَّ عيسى بن علي طلب من عبد الله بن المقفع أن يكتب له كتاب الأمان لأخيه عبد الله بن علي، ثمّ علم سليمان وعلي ابنا عيسى بخبر مقتل ابن المقفع، فرفعا الأمر إلى المنصور، وقد احتال عليهما بهذه الحيلة التي ذكرها المؤلف، انظر هذه القصة في: كتاب الفتوح: 357/8، والبداية والنهاية: 96/10، والمنتظم: 56/8.

(3) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل الفهري القرشي (90 – 170 هـ) ولد بالمدنية، كان ابن هرمة شاعراً متكسباً من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح الطالبيين والأمويين والعباسيين، ورحل إلى الخلفاء في دمشق وبغداد، وأجاد الغزل والهجاء والفخر والحكمة، وبرع في وصف مشاهد الصحراء، ويتردد في معانيه بين متابعة القدماء وبين مجاراة المحدثين، وكان يكثر من التشابيه، ويجوّد شعره، حتى قال فيه الجاحظ: «لم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة»، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، وكان مولعاً بشرب الخمرة. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: 507، طبقات الشعراء لابن المعتز: 20 .

(4) القصة في كتاب الأذكياء: 69..

96. حيلة أخرى له:

وروي أنَّه جَلس في بعض خوخاته[1] اَللاتي ينظر منها إلى السّوق، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في [بعض][2] الطرقات، فأرسل خلفه، فلمّا حضر سأله عن حاله، فأخبره الرجل أنَّه كان مع زوجته مال، [وذكرت][3] أنَّه سُرق من بيتها، ولم ترَ نقباً [ولا تسلقاً][4] ولا باباً مفتوحاً، فقال له المنصور: مُنذ كم تزوَّجتها؟ قال مُنذ سنة، قال: فبكر أخذتها أم راجع؟ قال: راجع، قال: فهل لها ولد من غيرك؟ قال: لا، قال: صبيّة هي أم عجوز؟ قال: [بل][5] صبيَّة، فدعا له المنصور بقارورة فيها طيب كان يَتخذه لنفسه، حادُّ الرائحة غريب النوع، فدفعها إليه، وقال له: تطيّب بهذه القارورة، فإنَّها تُذهب عنك همّك. فلمَّا خرج الرجلُ من عند المنصور، قال المنصور لأربعة من نقبائه: يقعدُ كلُّ واحدٍ منكم على باب من أبواب المدينة، فمن شمَّ منه رائحة هذا الطيب آتوني به.

وأمّا الرَّجلُ فإنَّه أتى بالطيب [إلى][6] زوجته، وقال لها: هذا وهبه لي أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، فلمَّا شمّته بعثت إلى الرَّجل الذي تحبّه، وقد كانتْ أعطته المالَ، وقالتْ له: تطيّب بهذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيَّب منه الرَّجلُ ومرَّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فاشتّم الرجلُ الموكلُ رائحته، فلزمه وأتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: منْ أين لك هذا الطيب فإن رائحته طيّبة عجيبة؟ قال: اشتريته، قال: فأخْبرنا مّمن اشتريته؟ فتلجلج في كلامه واختلط، فدعا المنصور صاحب الشرطة، وقال له: خذ هذا الرَّجل إليك فإن أحضر لك كذا وكذا من المال فدعه يذهب، وإن لم يحضره فأضربه إلى أن

(1) الخَوْخة: هي الفتحة أو النافذة الصغيرة التي يدخل منها الضوء إلى المنزل، أو الباب الصغير وسط الباب الكبير، وهي معرّبة، وقد تطلق على ما يشبه المشربيات التي فيها نوافذ صغيرة.
(2) سقط في (ب).
(3) سقط في (ب).
(4) سقط في (ت).
(5) في (ب): [قال: لا. صبيَّة].
(6) سقط في (ب).

يموت من غير مؤامرة. فلمّا خرجا من بيني يديه دعا بصاحب الشرطة وقال: هَوِّل عليه وجرّده ولا تضربه حتى يأتيك أمري، فخرج به صاحب الشرطة، وأحضر السياط وجرّد الرّجل وضرب الأوتاد، فلمّا تحقّق الرّجل أنّه مضروب، أذعن ببذل المال، فأمر بإحضاره، فأحضره بعينه لم ينقص منه شيء، وأعلم المنصور بذلك، فردّه على صاحبه وطلّق زوجته منه[1].

97. حيلة أخرى له:

خلا يوماً أبو جعفر المنصور مع يزيد بن أبي أسيد[2]، فقال [له][3]: يا يزيد [ما ترى] [4] في قتل أبي مسلم؟ فقال أرى أن تقتله وتتقرّب إلى الله بقتله، فوالله ما يَصْفُو لك مُلكُكَ، ولا تهنأ بعيش ما بقي. قال يزيد: فنفرَ منّي نَفرَة ظننتُ أنّه سيأتي عليّ، ثمّ قال: قطع الله لسانكَ وسلّط عليكَ عدوكَ، أتشيرُ عليّ بقتلِ أنصَرِعباد الله لنا وناصرنا على عدونا[5]، أما والله لولا حِفظِي ما سَلَف منك لأعددتها هفوةً من هفواتك ولضربتُ عُنُقك، قم عني، لا أقام الله رِجْلَيك. قال يزيد: فقمتُ وقد أظلم بَصَري، وتمنيتُ أن تسِيخ الأرضُ بي، فلمّا قتله، قال لي: يا يزيد أتذكرُ يوماً شاورْتكَ في قتل أبي مسلم، قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: كان ذلك والله في نفسي، وما أشكّ فيه، لكن خشيتُ منك أن تشيعه فيسمعه فنيجو، فقلت لك ما قلتُ[6].

(1) القصة في أخبارالأذكياء: 69 مع بعض الاختلافات.

(2) هو: يزيد بن أسيد زافر السُلمي (ت: 162هـ) أحد القادة في الدولة العباسية، تولى أرمينيا في خلافة المنصور، وتولاها أيضا في خلافة المهدي، وقد أصبح ابنه أحمد أحد القادة عند العباسيين من بعده، كانت أمه نصرانية، له قصة مهاجاة مع الشاعر ربيعة الرقي، إذ فضّل عليه يزيد بن حاتم الأزدي. انظر ترجمته في: جمهرة أنساب العرب: 262، نثر الدر: 66/2

(3) زيادة في (ب).

(4) سقطت من (ت).

(5) في أخبار الأذكياء: [أتشير عليّ بقتل أنصر النّاس لنا، وأثقلهم على عدونا»...]

(6) عبارة كتاب الأذكياء: [أتذكر يوم شاورتك؟ قلتُ: نعم. قال: فوالله لقد كان، رأياً وما لا أشُك فيه، ولكن خشيتُ أن يظهر منك فتفسدَ مكيدتي].

98. حيلة أخرى له:

حدثنا أبو الربيع سليمان بن أيوب المدني بإسناده، أنَّ المنصور أخرج مالاً في الكوفة، وقال: ادفعوا إلى كلِّ رجل خمسة دراهم، فلمّا فعلوا ذلك عَلِم عددهم، فقال: خذوا الآن من كلِّ شخص أربعين درهماً، فاجتمع من ذلك مالٌ عظيم، فأمر أن يُنفق في عمارة السوق والخندق، فقال شاعرهم في ذلك:

يالقـــيــــوم مـــــالقــــينا
مِنْ أمـــيـــــــر المؤمنيــنا
قـــسّم الخــمـــســـةَ فـــينا
وجـــبــــانا الأربعـــينا[1]

99. حيلة أخرى له على عمّه[2]:

وذلك لمّا قُتل أبو مسلم الخراساني، أُشْغِل الجند بالأرزاق، وأنقص أهل الري، فبعث إليهم المنصور جيشاً، فقتلوا الخوارج، وسبُوا ذراريهم، وأعطى عمّه عبدالله الأمان أنّه متى رآه لم يعرض عنه بوجهه، فلمّا جيء به أمر به فحُبِس في بيت بني أسّه على حجارة الملح، وأمر الفراشين بغسله كل يوم مرتين، فنزل الماء في أساس الحائط فذاب الملح، وسقط البيت على عمّه فمات.

100. حيلته حتّى وقف على أخبار بني عمه الذين أرادوا قتله وتولي الأمر من بعده:

وذلـــك أنَّ [عـــمّ حفـــص][3] أوفـــد وفداً من السند، منهـــم عقبة بن

(1) القصة والأبيات في الكامل: 206/5، والمنتظم: 184/8 .

(2) المقصود به: عبد الله بن علي عم المنصور، وقد تقدّمت ترجمته، والقصة في الكامل: 183/5، وفي تاريخ الطبري: 9/8، وفي تجارب الأمم: 114/3 .

(3) قد تكون: [عميّ حفص]، فهناك اضطراب في العبارة، فحفص ليس عم المنصور، وإنما عمُّ محمد بن حبيب المهلبي الذي يروي القصة عن السِّندي بن شاهك مولى أبي جعفر المنصور، فعمر بن حفص المهلبي هو الذي أرسل الوفد، وكان من كبار قادة الدولة العباسية في خلافة المنصور في بلاد السند والمغرب، وأحد رجال آل مهلب المعروفين بالكرم والشجاعة، مات في إحدى معاركه مع الخوارج في المغرب العربي.

سلم[1]، فدخلوا على المنصور، فقضى حوائجهم وأرادوا النهوض، فأجلس عقبة، ثمَّ قال له: من أنت؟ قال: رجل من جند أمير المؤمنين وخدمه، قال: ما اسمك؟ قال: عقبة بن سلم بن نافع، قال: مَّن أنت؟ قال: من الأزد من بني هناءة، قال: إني أرى لك هيبة [وموضعاً][2]، وإنّي أريدك لأمر لي لنا به معنيٌّ[3]، لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكون أنت، فإنْ كفيتنيه رفعتك، قال: أرجو أن أُصدّق ظنَّ أمير المؤمنين بي، قال: فأخف أمرك، واستر شخصك، وائتني في وقت كذا؛ فأتاه الرَّجلُ في ذلك الوقت، فقال: له إن بني عمّي هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتياله، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا وكذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقاتهم وألطاف بلادهم، فاخرج بكتبي وألطاف وعَيْن من المال حتى تأتيهم متنكِّراً بكتاب نكتبه لك عن أهل هذه القرية، ثم تستتر إذا جئتهم، فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم، فأحْبِب والله بهم وأقرِب، وإن كانوا على رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم، فأشخص حتى تلقى عبدالله بن الحسن[4] متقشّفاً متخشّعاً، فإن جبهك- وهو فاعل- فاصبر، وعاوده حتى يستأنس بك وتلين لك ناحيته، فإن ظهر لك [ما قلته][5] [فأسرع ما كنت إلّي][6].

فسار حتَّى قدم [إلى] [7] عبدالله بن الحسن فلقيه بالكتاب، فأنكره ونهره، وقال ما أعرف هؤلاء القوم، فلم يزل ينصرف ويعود حتى قَبِل كتابه وألطافه

---

(1) هو: عقبة بن سلم بن نافع بن هلال الدوسي الأزدي، ولاه المنصور على البحرين والبصرة، وقد أكثر القتل في ربيعة، وكان ذلك سبب انحلال الحلف بين الأزد وربيعة، ثم وثب عليه رجل من ربيعة في جامع البصرة وقتله، وقد خلفه ابنه نافع على البحرين والبصرة من بعده سنة 151هـ. انظر: جمهرة أنساب العرب: 380 .

(2) سقطت من (ب).

(3) في العبارة ركاكة، وفي تاريخ الطبري، هكذا: [وإني لأريدك لأمر أنا به معنيّ].

(4) هو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي (68- 143هـ) المشهور بلقب الكامل والمحض، سجنه المنصور مدة، ثمّ قتله؛ لأنّه امتنع عن البوح بمخبأ ابنيه.

(5) في (ب): [ما قبله]، وعند الطبري: [ما في قلبه].

(6) عند الطبري، و في الكامل، وتجارب الأمم: [فأعجل إلّي].

(7) في (ب): [قدم على].

وأنس به، فسأله عُقبَة الجواب، فقال: أمّا الكتاب فلا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم عني السلام وأخبرهم [أنّي خارج لوقت كذا وكذا][1]، فشخص الرّجل من عنده حتّى قدم على المنصور فأخبره الخبر، وأخبره بأشياء كان ينتظرها منه.

وقال له أبو جعفر: إني أريد الحج، فإذا صرتُ بمكان كذا وكذا، فإذا لقيني بنو الحسن، [وفيهم عبد الله][2] فإني مُبجّله ورافعٌ مجلسه وأدعو بالغداء، فإذا فرغنا من الطعام فلحظتك، فامتثل بين [يديّ][3]، فإنّه سيصرف وجهه عنك، فأته من الجانب الآخر حتى يملأ عينه منك، ثم حسبك وإيّاك بأن يراك ما دام يأكل، وخرج حتّى أتى البادية، فلقيه بنو الحسن، فأجلس عبدالله بن الحسن إلى جانبه، ثمّ دعا بالطعام وأصابوا منه، ثمّ أمر به فرُفع، وأقبل على عبدالله بن الحسن يحدّثه، وقال له: يا أبا محمد قد علمتَ ما أعطيتني من العهود والمواثيق أن لا تبغي لي سوءاً، ولا تكيد لي كيداً في سلطاني، قال: وأنا على ذلك يا أمير المؤمنين، فلحظ المنصورعُقبَة، فأقبل نحوه وشاوره ساعة وعبدالله بن الحسن ينظر، فلمّا انفصلا قال ابن الحسن: يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله، فقال له أبو جعفر: لا أقالني الله إن لم أقتلك، وقبض عليه وأمر بحبسه إلى أن رأى رأيه فيه.

---

(1) عند الطبري، وفي تجارب الأمم، والمنتظم: «أن ابنيٌ خارجان»، وفي الكامل موافق لما قاله المؤلف، ولكن الرواية الأولى تبدو لنا أنها أصح؛ لتناسبها مع سياق الخبر، فإن المنصور قد انشغل بأمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن، وظل يطلبهما، حتى قتلهما، فالأول: محمد المشهور (بالنفس الزكية)، قتل في المدنية المنورة، أما إبراهيم المشهور (بقتيل باخمرا) فقد هرب إلى البصرة، ودعا لنفسه، وأسس جيشا كبيرا، وتبعه خلق من الناس، وكاد أن يغصب الخلافة من المنصور، ولكنه قتل بعد معارك كثيرة.

(2) سقطت هذه العبارة من كلتا النسختين، وهي موجودة في جميع المصادر التاريخية، ولا ينسجم السياق دونها.

(3) في الكامل، وتجارب الأمم، والمنتظم، وعند الطبري: [بين يديه].

101 . حيلة الهادي:

ذُكرتْ في سلوان المُطاع[1]: إنَّ موسى الهادي[2] كان يوماً في بستان له على حمار بغير سلاح له، وبحضرة جماعة من أهل بيته وبطانته، فدخل عليه حاجب من حُجّابه وأخبره عن رجل من الخوارج كان [ذو][3] بأس ونكاية، وأنَّه قد ظفر به بعض القواد وأنَّه بالباب، فأمر الهادي بإدخاله، فأدخل بين رَجُلَيْن قد قبضا على يديه.

فلمّا نظر الخارجيُّ الهادي جذب نفسه من الرَّجُلين، ثمَّ اخترط[4] سيف أحدهما وقصد الهادي، ففرّ كل من كان بحضرته، فثبتَ على حماره، حتَّى قرُب الخارجيُّ منه، فأشار الهادي بيده: [يا فلان، اضرب عنقه، فالتفتَ الخارجيُّ لينظر من خلفه، وثبَ الهادي وقبض][5] عليه وعصره فألصقه بالأرض، وأخذ السَّيف من يده فنحره به، ثمّ عاد إلى ظهر حماره، وتراجع إليه خاصته وأهله، وقد ولوا خوفاً ورعباً، فلم يخاطبهم [بكلمة][6] واحدة، ولم يركب بعدها إلاّ الخيل بالسَّلاح[7].

---

(1) لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن ظَفَر المكي، وقد تقدُمت ترجمته.

(2) هو: أبو محمد موسى الهادي بن محمد بن عبد الله المنصور، (144- 170) رابع خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة عام169، فكانت مدة خلافته قصيرة، أمه الخيزران بنت عطاء، وهي أم ولد، يمانية جرشية، وكان الهادي فصيحاً، وأديباً، ومشهوراً بالكرم، اشتد في قتل الزنادقة بوصية من أبيه المهدي. انظر ترجمته في: الكامل: 263/5، المنتظم: 305/8.

(3) هكذا في كلتا النسختين، والصواب: [ذا بأس].

(4) أي: استل السيف.

(5) سقط من (ت).

(6) سقطت في كلتا النسختين، وفي نوادر الخلفاء: [فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة].

(7) القصة في سلوان المطاع: 79، وفيها اختلافات يسيرة، وقد علّق صاحب السلوان على هذه القصة، بقوله: [وقد جلا عليك هذا الخبر ما أيد الله به موسى الهادي من ثبات الجأش، وشجاعة القلب، وقوة البدن]، والخبر أيضاً في كتاب: «سكردان السلطان» لأحمد بن يحيى التلمساني الشهير بابن أبي حجلة (776هـ)، وقد نقلها عنه محمد الإ تليدي (1100هـ) في كتابه: نوادر الخلفاء، المعروف Sبإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»: 145.

102. حيلة للرشيد:

لَمَّا دخل الرشيد[1] طوس[2] اشتدت علته، وكان بختيشوع[3] المتطبّب يغدو ويروح إليه ويعطيه الأباطيل، ويمنّيه الأماني، ويقول له: مرضك من هذا السَّفر، فدعا الرشيد يوماً بالفضل[4] وقال: ائتني برجلٍ عاقل من التجار أشاوره في أمري، وأفضي إليه بسرّي، فجاءه برجل من أهل طوس، فاستنطقه فرآه عاقلاً، فقال: تحفظ السِّرّ؟ قال: نعم. فخلا به، وقال له: خذ هذه القارورة فائت بها جبريل بن بختيشوع، وقل: هذه قارورة [ابن لي][5]، فتأملها إن كان له حياة عَرِّفني، وإن لم يكن له حياة فعَرِّفني، فذهب الرجل بالقارورة، فلمّا نظرها الطبيب أقبل على أبيه، وقال: يا أبتي ما أشبه هذه بقارورة ذلك الرَّجل، هذا مَيّت لا محالة، فرجع الرَّجل فأخبر الرشيد، فقال: ويلي عليه ابن الزانية، ومات بعدها بثلاثة أيام[6].

---

(1) هو: أبو جعفر هارون بن محمد بن عبد الله المنصور(149- 193هـ)، الخليفة العباسي الخامس، وُلد في مدينة الري، وتُوفي في مدينة طوس، بُويع بالخلافة ليلة الجمعة التي تُوفي فيها أخوه موسى الهادي عام 170هـ وكان عمره أنذاك 22 سنة، وكان عهد خلافته من أزهى عصور الخلافة العباسية، حيث نشطت الترجمة، وأسس بيت الحكمة، وأنشأ مصنعا للورق، واهتم بالإصلاحات الداخلية، وأنشئ أول مستشفى في عهده، أمه الخيزران بنت عطاء. انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء: 225، سير أعلام النبلاء: 287/9 .

(2) هي الآن مدينة مشهد في إيران، فتحها العرب سنة 29هـ.

(3) هو: جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس، وبختيشوع، وهو طبيب من أصل سرياني، تعود أصوله إلى الأهواز في بلاد فارس، كان طبيباً لهارون الرشيد، ثمّ ابنه الأمين، قاله عنه ابن سينا في كتابه القانون: كان مشهوراً بالفضل، جيد التصرف بالطب.انظر: عيون الأنباء: 184 .

(4) هو: أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد، جده كيسان مولى لعثمان بن عفان، تُوفي (208هـ) كان والده الربيع بن يونس وزيراً عند المنصور والمهدي والهادي، ثم أصبح الفضل مقرباً من الرشيد وحاجباً له، ثم استوزره البرامكة، وقد نهج طريقة أبيه في تدبير المؤامرات، وكانت وشايته بخصومه البرامكة من أسباب نكبتهم. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 37/4، وتاريخ بغداد: 343/12 .

(5) القصة في محاضرات الأدباء: 519/1.

(6) القصة في محاضرات الأدباء: [هذه قارورة أبي].

103 . حيلة المأمون:

حكى صاحب العقد ابن عبد ربّه[1]: أنَّ المأمون[2] كان يحبّ الجوهر، وكان النَّاس يُغالون فيه في أيّامه، فأراد يحتال بحيلة تضعُ من قدر الجوهر، ويرخص له فيشتريه، فجمع أصحابه يوماً وخاطبهم، وقال: ما أجلُّ الذخائر؟ فتقرّر رأيهم على الجوهر، فقال [هاتوا][3] جوهرة، فجاؤوا بفصٍّ ثمنه مائة دينار، فقال [للجوهريين][4]: كم قيمة هذا الفصّ؟ فقالوا: مائة دينار، فأمر بكسره قطعاً، وقال لهم كم يساوي الآن؟ قالوا: دانق، ثم أمر بدينار، قال: كم يساوي؟ قالوا: [عشرون][5] قيراطاً، فأمر بكسره قطعاً، فقال: كما يساوي الآن؟ فقالوا: سبعة عشر قيراطاً، فقال أجلّ الذخائر هذا الذي إذا كُسر ألف قطعة، لم يذهب من ثمنه إلاّ اليسير، لا الذي إذا كُسِر لم يبقَ من ثمنه إلاّ اليسير، فانتشرتْ هذه

---

(1) لم نعثر على هذه القصة في كتاب العقد الفريد، وهي في كتاب: نشوار المحاضرة للتنوخي: 40/2 وإذا عرفنا أنَّ صاحب النشوار قد اشترط على نفسه ألا يُضمِّن كتابه شيئاً نقله من مصنفات الآخرين، كما ذكر في مقدمته، أدركنا لماذا تفرد بها في كتابه، وقد تُوفي صاحب العقد الفريد سنة 328، بينما تُوفي التنوخي سنة 384، وقد سبق ابن عبد ربه التنوخي بالوفاة بخمس وخمسين سنة، ومن المحتمل أنَّ المؤلف قد وهم، ونقلها من نشوار المحاضرة.

(2) هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، لقبه المأمون، سابع خلفاء بني العباس(170- 218هـ)، أتته وفاة أبيه هارون الرشيد وهو بمرو سائراً لغزو ما وراء النهر، فبايع من قبله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب تشيب لها النواصي، إلى أن قتل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان من خلفاء بني العباس حزماً وعزماً ورأياً وعقلاً وهيبة وحلماً، أديباً، اعتنق رأي المعتزلة في مسألة خلق القرآن الكريم، التي امتحن فيها جمعاً من العلماء، من أشهرهم، الإمام أحمد بن حنبل، وكانت أم المأمون أم ولد اسمها مراجل ماتت وهي تلده. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 273/10، وتاريخ الخلفاء: 243 .

(3) في (ب)، ونشوار المحاضرة: [هاتم]، وهي كلمة تقولها العامة، ولعلها لهجة لبعض القبائل.

(4) في كلتا النسختين: [للجوهري]، وفي نشوار المحاضرة: [للجوهريين]، ولعل الصواب، لتناسب جوابهم، فقالوا.

(5) هكذا في كلتا النسختين، والصواب: عشرين.

القصة عنه، فقلّ ثمن الجوهر، وقلّت الرغبة فيه، فاشتراه رخيصاً[1].

104. حيلة أخرى له:[2] مع عبدالله بن طاهر[3]:

وذلك أن بعض إخوة المأمون، قال يوماً: يا أمير المؤمنين إنَّ عبدالله بن طاهر يميل إلى ولد علي بن أبي طالب -عليه السلام-، وكـذا كـان والده من قـبله، فـدفع المأمـون ذلك وأنكره، ثم عـاد لمثل[4] هذا القـول، فـتـقـدَّم[5] إلى رجلٍ وأمـره أن يمضي في هيئة [القرّاء والنسّاك][6] إلى مصر، وأنْ يدعو جماعة من كبرائها إلى القـاسم بن إبراهيم بن طبـاطبـا العلوي[7]، وأنْ يذكـر مناقبـه وفضله، وعلمـه

(1) لم يلتزم المؤلف بنقل القصة كما في نشوار المحاضرة، بل غيَّر في بعض العبارات، فقد اختلفت مثلا ألفاظ النقود المذكورة في القصة عدداً ونوعاً، ففي نشوار المحاضرة [دانق فضة، عشرين درهماً، تسعة عشر درهماً].

(2) القصة عند الطبري: 615/8، و في الكامل: 483/5، والمنتظم: 234/10.

(3) هو: أبو العباس: عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي بالولاء (ت: 230هـ)، كان قائدا شجاعاً، وسيداً نبيلاً، وشهما كريما، خدم الدولة العباسية في عهد المأمون، وكان واليا على خرسان، ثم مصر، وكان يعتمد عليه كثيرا، وقد قاد معارك المأمون ضد الخوارج، وكان عبد الله أديباً يقول الشعر، وقد مدحه كثير من الشعراء، من أشهرهم أبو تمام، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 83/3، سير أعلام النبلاء: 685/10.

(4) في كلتا النسختين: [عاد]، وكذلك في بعض المصادر التاريخية، وبعضها الآخر: عادوا، والفعل يعود على بعض إخوته.

(5) أسلوب المؤلف هنا ملبس في صياغته، فالضمير في الفعل يعود على المأمون، كما في المصادر التي أوردت القصة، فالمأمون هو الذي بعث الرجل ليختبر عبد الله بن طاهر.

(6) في كلتا النسختين: [العراة القتال]، والتصحيح من الطبري، والكامل، والمنتظم.

(7) هو: أبو محمد لإمام القاسم بن إبراهيم الملقب (طباطبا) بن إسماعيل الهاشمي القرشي الشهير «بالرسي»، (169-246هـ) ولد في جبل الرّس قرب المدينة المنورة، من أعيان بني هاشم، يعود نسبه إلى علي بن أبي طالب، وكان أحد الأئمة المجتهدين، عالماً ورعاً، له شعر جيد، عاش حياته متخفيا بيني خلافتي المأمون والمعتصم، وطارده العباسيون، وهو شقيق محمد بن إبراهيم، وكان مثله ثائرا في زمن المأمون. انظر ترجمته في: معجم الشعراء: 263، والحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية: 62/2.

وفضائله، ثمَّ صِرْ بعد ذلك على بطانة عبدالله بن طاهر، ثمَّ آتيه وادْعُه ورغّبه في [إجابته له][1]، وابحث عن دقيق أمره بحثاً شافياً، وآتني بما تسمع منه.

ففعل الرَّجل ذلك، حتى إذا دعا جماعة من الرؤساء والأكابر، جلس يوماً [بباب][2] عبدالله بن طاهر، وقد ركب[3] إلى [عبيد الله بن السَّري][4] بعد صلحه وأمانه، فلمّا انصرف قام إليه الرَّجل، وأخرج من كمه رقعة، فدفعها إلى عبدالله بن طاهر، فأخذها بيده فما هو إلاّ أن دخل، فخرج الحاجب فأُدْخِل الرَّجل عليه وهو جالس على بساط ما بينه وبين الأرض شيء، وقد مدّ رجليه وأخفافه فيهما، فقال له: قد فهمتُ ما في الرُّقعة من جملة الكلام، فهات ما عندك، فقال: ولي الأمان على نفسي ذمة من الله معك، قال: ذلك لك، فأظهر له ما أراد، ودعاه للقاسم وأخبره بفعله وعلمه، فقال له عبدالله بن طاهر: أتنصفني؟ قال: نعم، قال: [هل شُكْرُ الله على العباد][5]؟ قال: نعم، قال: فهل يجب شكر بعضهم على بعض عند الإحسان والمنّة والتفضل؟ قال: نعم، قال فتجيء إليّ وأنا على هذه الحالة التي ترى ولي خاتم في المشرق، وخاتم في المغرب وفيما بينهما أمري مطاع وقولي مقبول، ثمَّ ما التفتُّ إلى جهة من جهاتي إلاّ رأيتُ نعمة لرجُل أنعم بها عليّ، ومنَّة مَلك بها رقبتي، ويداً [لازمة][6] بيضاء ابتدأني بها كرماً وتفضلاً منه، أفتدعوني إلى الكُفر بهذه النعمة، وهذا الإحسان، وتقول لي: اغدر بمن كان أولى بهذا الأمر وأحرى، واسْع

---

(1) سقطت من (ت)، وفي الكامل: [استجابته له].

(2) سقطت من كلتا النسختين، والتصحيح من المصادر التي ذكرت القصة.

(3) الضمير يعود على عبد الله بن طاهر.

(4) في كلتا النسختين: [عبد الله]، والتصحيح من المصادر التاريخية التي ذكرت القصة، وعبيد الله السَّري بن الحكم بن يوسف البلخي، هو أمير مصر بايعه الجند عام 206، بعد وفاة أخيه محمد وأقره المأمون، ثم عيّن خالد بن يزيد الشيباني عليها، وحدث فتنة بينه وبين عبيد الله، ثم أوفد المأمون عبد الله بن طاهر إلى مصر وأعطاه أمان المأمون، فخرج إلى العراق ومات هناك سنة 251هـ، انظر ترجمته في: الولاة والقضاة: 173، والنجوم الزاهرة: 181/2 .

(5) عند الطبري، وفي الكامل، والمنتظم: [هل يجب شكر الله على العباد؟]

(6) عند الطبري، وفي الكامل، وتجارب الأمم: [لا ثمة].

في إزالة ملكه، واضرب رقبته، واسفك دمه، وانكث بيعته! فسكت الرَّجل، فقال عبدالله بن طاهر: أمّا أنا، فقد بلغني أمرُكَ، وتالله ما أخاف عليك إلاّ نفسَك، فارحل عني من هذا البلد، فإن السُّلطان الأعظم لا يَصبرُ على شيءٍ من ذلك إن بلغه خبرك، وتكون الجاني على نفسك ونفس غيرك. فعاد الرَّجل فأخبر المأمون، فاستبشر وقال: ذلك غرس نعمتي ويدي، ولم يُظهر من حديثه هذا شيئاً إلاّ بعد المأمون[1].

105 . حيلة المعتضد:[2]

قال أبو محمد عبدالله بن حمدون[3] جرى منّي بين يدي المعتضد أمرٌ، فضحكَ ضحكاً كثيراً[4]، فقلت: يا أمير المؤمنين، كم أضحكك ولا تضحكني؟ فقال، ارفع المطرح وخذ ما تحته، فرفعتُ المطرح فإذا بدينار، فقلتُ ما هنا غير دينار، قال: خذه، قلتُ: قط، خليفة أجاز نديمه بدينار، فقال: ما يقع لك من بيت مال المسلمين أكثر من هذا، قلت: أعطني شيئاً من عندك، قال: ما تسمح نفسي أن أعطيك شيئاً من عندي.

(1) أي: لم يعلم عبد الله بن طاهر بهذه القصة إلا بعد موت المأمون.

(2) القصة في: المنتظم: 309/12، وتاريخ دمشق: 207/71، وأخبار الأذكياء: 72، وفي تاريخ بغداد: 80/6/ رواه عن علي ين عبد المحسن التنوخي بسنده إلى ابن حمدون، والقصة أطول مما ذكره المؤلف، وفيها اختلافات وزيادات، والمعتضد هو: أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (242– 289هـ)، وكان ملكاً مهيباً شجاعاً ظاهر الجبروت،وهو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبله، حيث لم يتول والده طلحة الموفق بالله الخلافة مثل أخوانه. انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء: 293، سير أعلام النبلاء: 464/13 .

(3) هو: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون، كان نديماً للخليفة المعتمد، ثمَّ للمعتضد من بعده، مات سنة 309هـ وقد غلط ابن الجوزي في كتاب الأذكياء، وجعل اسمه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمدون.

(4) هذا الأمر ذكرته المصادر التي ساقت القصة، وهو أن ابن حمدون كان يلقم المعتضد طعاماً من فراريج ودراريج، والدراريج نوع من الطيور شبيه بالحجل، فأخطأ في تلقيمه، فضحك المعتضد، وقدّم له الحيلة.

ثمَّ فكَّر ساعة، وقال: يا بن حمدون، لكني أحتال لك حيلة تأخذ منها خمسة آلاف، دينار فقبلت يده، وقال: [إذا كان في غد وجاء الوزير][1] أبو القاسم[2] [أُسَارُّك][3] بحيث تقع عينه عليك مراراً طويلاً، ثمَّ التفتُ إليه كالمغضب، وانظر أنتَ إليه في خلال ذلك كالمُتخالِس الراحم له، فإذا انقطع السِّرارُ تخرج ولا تبْرح من الدِّهْليز حتى يخرج إليكَ، فإذا خرجَ خاطَبكَ بخطاب لطيف جميل، وأخذكَ إلى دعوته، ويسألك عن حالك، فاشكُ الفقرَ والعَيلة وقلَّة حظكَ منِّي، وثقل ظهركَ بالدَّين والعِيال، وخُذْ ما يُعطيك، واطلب كلَّ ما تقع عينك عليه؛ حتى تستوفي خمسة آلاف دينار، فإذا حصلتها في بيتك، وسألك عما جرى بيننا، فأصدُقه وإيّاك أن تكذبَه، وعرِّفه أن ذلك حيلة منِّي عليه [حتى يصل إليك القدر][4] ، وحدِّثه بالحديث كلّه على شَرْحه، وليكن إخبارك إيّاهُ بعد امتناع شديد، واستحلاف بالطَّلاق والعتاق أن تصدُقهُ.

فلمَّا كان من الغد حضر الوزير أبو القاسم، فحين رآه المعتضد قد بدأ [يُسَارّني][5] وجرت القِصَّة كما تقدم، فخرج أبو القاسم الوزير وجلس في الدهليز ينتظرني، فلمَّا رآني قام لي وقال: يا أبا محمد ما هذا الجفا الذي لا نراك، ولا تزورنا ولا تسألنا حاجة، فاعتذرتُ إليه بكثرة ملازمتي للخدمة، فقال: لابدّ اليوم ما تزورنا، وأخذني إلى منزله، فلمّا جلسنا نتحادث أحضر الطعام، فأكلنا وغسلنا أيدينا، وأخذ يسألني، فأخذت أحدثه مما أجد من العَيْلة والفاقة والفقر وكثرة الدَّين، وقلة حظي من المعتضد، فقال: لو عرفتني ذلك حملته

---

(1) في (ت): [أراك في غد، وجاء الوزير].

(2) هو: القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي(258-291هـ) وزير من الكتاب والشعراء، كان وزيرا للمعتضد ثم المكتفي من بعده، عُرف بالجور وسفك الدماء، وفاسداً في الرشوة، وتكرهه العامة، لقبه المكتفي بوليِّ الدولة، وزوج ولده بابنة القاسم، مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة .انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 19/14، إعتاب الكتاب: 182 .

(3) في كلتا النسختين: أشاورك، وما أثبتناه من المصادر التي ذكرت القصة، وهو أنسب للسياق.

(4) هكذا في كلتا النسختين، وفي المصادر التي ذكرت القصة: [حتَّى وصل إليك هذا].

(5) في كلتا النسختين: [يشاروني]، وما أثبتناه من المصادر التي ذكرت القصة، وهو أنسب للسياق.

عنكَ، وخففتُ مؤونة الصغار عنك، ثمَّ قال: يا غلام هاتِ من الذهب كذا، ومن الفضة كذا، ومن الثياب كذا، ومن الطيب كذا حتى يبلغ خمسة آلاف دينار، وكلمّا رأيتُ شيئاً مليحاً طلبته، حتّى أخذتُ كلَّ ما طلبتُ وحصّلته في منزلي. ثمَّ بعد ذلك قال: أريد أن أسألك عن شيء، وتحلف لي أنّك تصدُقني، فقلتُ: أنا مملوك الوزير السّمع والطّاعة، فحلّفني بالطّلاق والعتاق على الصّدق، ثمَّ قال: في أيِّ شيءٍ [سارَّك][1] الخليفة اليوم في أمري؟ فصَدَقْتُه عن كلِّ ما جرى حرفاً بحرف، وكيفَ أحتال عليه المعتضد، قال: لقد فرَّجتَ عنّي، ولو طلبها منّي بغير هذا الوجه أعطيته أضعافها، فانصرفتُ إلى منزلي، فجاءني رسول المعتضد، فلمّا حكيتُ له ما جرى ضحك ضحكاً شديداً، وقال: هنأك الله بما أخذت[2].

106. حيلة أخرى له، في كتاب نثر الدرُّ[3]:

يُحكى أنَّ المعتضد قام في بعض الليالي لحاجته فنظر إلى بعض الوشّاقية[4] قد نهض من على ظهر آخر، ومشى على أربعته، حتّى اندسَّ بين الغلمان، وكان بينهم مسافة لا يمكن أن يتحققه منها، فقامتْ قيامة المعتضد من هذا، ووقف ساعة لا يدري ما يصنع، ثمَّ قصد الغلمان وصار يضع يده على صدورهم واحداً واحداً، فمن وجد قلبه ساكناً تركه، إلى أن وصل إلى ذلك الجاني وهو لا يعرفه، فوجد قلبه يخفق خفق الخوف والجزع، فحركه برجله فقام، وأحضر له آلات الضرب والعقوبة ليقرره، فأقرَّ الغلام بالذنب قبل الضرب، فضَرَبَ عُنقه في الحال.

---

(1) في كلتا النسختين: شاورك، وما أثبتناه من المصادر التي ذكرت القصة، وهو يناسب سياق القصة، ولا سيما أنه ذُكر فيها: «فإذا انقطع السّرار تخرج...»

(2) نهاية القصة بهذه الصورة التي ذكرها المؤلف لا وجود في المصادر التي أوردتها، فقد جعل المؤلف هذه القصة سبباً للضحك.

(3) لم نعثر على هذه القصة في الكتاب الذي ذكره المؤلف، إلا أنّها موجودة في كتاب الأذكياء: 74 .

(4) الوشّاقية: هم الخدم من الغلمان المردان المماليك.

107 . حيلة أخرى له:[1]

قال أبو محمد عبدالله بن حمدون كنتُ قد عاهدتُ الله تعالى على أن لا أعقدَ مالاً من القمَار، وأن لا يقعُ في يَدِي شيءٌ من ذلك إلاّ صرفته في [ثمن النبيذِ والشمع والجِذر][2]، فلعبتُ يوماً مع المعتضد، فقمَرتهُ سبعين ألف درهم، فأذن العصر فنهض فصلّى، فقعدتُ أفكرُ في أمر المال، وقلت: سبعين ألف بكم أشتري نبيذاً وشمعاً وجذراً[3]، ولأي شيء حلفت؟ لو كنتُ اشتريتُ بها ضَيْعة[4]، وبقيتُ أفكّر وأنا نادمٌ، وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وبصَدَقة جميع ما أملك، فلحقني من ذلك ندمٌ عظيمٌ، فعرف ذلك المعتضد مني.

فلمَّا فرغ من صلاته، قال: في أي شيء تفكّر؟ قلت: في خير يا أمير المؤمنين، قال: بحياتي أصدُقني، فصَدَقته حديثي ويميني، فقال: طيِّب قلبَكَ، ما أعطيكَ منْ القمَار فلساً واحداً إذا كان الأمر كذا، ثمَّ قام ليُصَلّي فلحقني همّ وغمّ وندمٌ حتَّى كاد يَقتلني، وقلتُ: لِمَ صَدَقته؟ وجعلتُ ألوم نفسي، فعرف ذلك مني، فلمَّا فرغ من صلاته، قال: بحياتي أصدُقني ما هذا الفكر الثاني؟ فصَدَقته، قال: أما القمَار فما أعطيك منه شيئاً، لكنِّي أهَبُ لك من مالي سبعين ألفاً لا يكون عليَّ إثمٌ، ولا يكون عليك حَرجٌ، وتخْرُج أنتَ من يمينك، وأنا من يميني، ثمَّ إنه عجل لي بالمال فأخذته وانصرفت.

108 . حيلة أخرى له:[5]

جنى شخصٌ جناية عظيمة، فأخذه وسَدَّ جميع منافسه، ولفه في قطن وتركه في الشمس، فمازال ينتفخ إلى أن طار قحف رأسه وانبطّ[6].

(1) القصة في: نشوار المحاضرة: 266/1، وكتاب الأذكياء: 76، وقد غلط ابن الجوزي في اسم ابن حمدون.

(2) في كتاب الأذكياء: [في ثمن شمع يحترق، أو نبيذ يُشرب، أو جذر مغنّية].

(3) لعل المقصود هنا: الذهاب إلى دور الغناء والطرب، وتقديم الهبات للمغنيات.

(4) الضَّيعة: الأرض المزروعة المشتملة غلة ونتاج، وقد تطلق على الأرض الزراعية المعروضة للتجارة.

(5) القصة في: نشوار المحاضرة: 152/1، وفي مروج الذهب: 4 /197، وفيه أن الرُّجل الذي عُوقب بهذا العقاب كان لصاً سرق من بيت المال.

(6) من الفعل نبَط، أي: انفجر، وهي زيادة من المؤلف، وفي نشوار المحاضرة: ومات.

109. حيلة أخرى له:[1]

من نشوار المحاضرة، قال: البراء عن عبدالله بن الحسن قال: حدثني القاضي التنوخي قال: حدثني جماعة من أهل الحضرة[2] أنَّ المعتضد أمر إسماعيل بن [بلال][3]، فأخَذ له تغاراً[4]، فملأه إسفيداجاً[5] حياً، وبلّه، ثمَّ جعل رأسه وعنقه وشيئاً من صدره فيه، وأمسكه حتَّى جَمُد الإسفيداج عليه، فلم يزل يضرط حتَّى مات.

110. حيلة أخرى له:[6]

أخذ شخصاً قد جنى جناية، فجُعل بُلبلة المنفاخ في دبره، وما زال ينفخ فيه حتَّى انتفخ، وتبطط جسمه ومات.

---

(1) القصة في: نشوار المحاضرة: 152/1، وليس في إسنادها البراء، ولا عبد الله بن الحسن، وإنَّما يرويها القاضي التنوخي عن أبيه عن جماعة.

(2) في نشوار المحاضرة: [جماعة من أهل الحضرة يعرفون ويحصّلون].

(3) هكذا في كلتا النسختين، وهو تصحيف، والتصحيح من نشوار المحاضرة، [إسماعيل بن بُلبُل]، وإسماعيل، هو: أبو صقر إسماعيل بن بُلبل الشيباني (230- 278هـ) أحد الشعراء البلغاء الممدوحين، كان وزيراً للمعتمد، ومن كبار رجال الدّولة، ثم لما ولي الخلافة المعتضد، قبض عليه وعذبه، وفي طريقة موته اختلاف، وما ذكره المؤلف نقلاً عن التنوخي هي إحدى الروايات، وفي رواية أخرى ذكرها الذهبي رواية عن الصولي، أنَّه قال: قبض عليه سنة ثمان وسبعين، وقُيِّد، وأُلبس عباءة غمست في دبس ومرقة كوارع، وأجلس في مكان حار، وعذب بأنواع العذاب، فمات. انظر: سير أعلام النبلاء: 200/13.

(4) التغار: فارسية، وتعني الإجانة، وهي وعاء كبير تغار، والتغار أيضاً مكيال للحبوب يعادل طنين.

(5) الإسفيداج: كلمة فارسية معربة، وهو نوع الكلس، أو رماد الرصاص، ويعني المؤلف بكلمة: حياً، أي خاماً خالصاً.

(6) ذكر المسعودي في مروج الذهب 186/4 أخبارا عامة تُروى عن قسوة الخليفة المعتضد، منها هذه القصة التي ذكرها المؤلف.

111. حيلة أخرى له:

وذلك أنَّه لما وصل [إلى سكربتيـه وباين المَنْبَسَـة][1] وهي مـدينة في بلد الزّنج، وجـد حرورى كـثيرة، فوقعت الهزيمة في أصحابه، وخشي على نفسـه، وكانت الزنج قد أكمنوا حتى حصر عسكر المعتضد بين المدينة وبينهم، ففطِنَ المعتضدُ لذلك، فأحرق المعسكر، فظن الزنج أنَّ الجند قد أخذوا المدينة، وأحرقوها، فانهزموا ووقع فيهم السيف.

112. حيلة أخرى له:[2]

وذلك أنَّه لما أطلق من بيت المال في بعض رسـوم الجند عـشـر بَدْرات[3]، فحُملتْ إلى منزل صاحب عطاء الجند ليصرفها فيـهم، فنُقب منزله في تلك الليلةَ وأخِذ المالُ، فلمَّا أصبح لم ير المالَ، فأمر بإحضار صاحِب الحرس، وكان على الجـيش مـؤنس العـجلي[4]، فلمَّا أتاه قـال له: هذا المال للسلطان والجند، ومتى لم تأت به أو بالذي أخذه، غَرِيمُكَ هوَ أمير المؤمنين، فجدَّ في طلبه، وطلب اللص الذي جَسَرَ على هذه الفعال. فعاد إلى مجلسه وأحضر التوابين، وهم كبار اللصوص [الذين][5] قد تابوا عن اللصوصِّية، فإذا حدث أمرٌ علموا من فعله، فتقدم إليـهم في الطَّلب وتهـددهم وتوعَّدهم على النقصة والتواني، وأنَّه متى طُولب بالمال ولم يحصل ألزمـهم إيّاه وأخِـذ منهم، فتـفـرق القـوم في الدروب

---

(1) لم نستطع قراءة هاتين الكلمتين في كلتا النسختين، ولكن وجدنا ياقوت الحموي، يقول في معجم البلدان: المَنْبسة، مدينة كبيرة بأرض الزنج، ترفأ إليها المراكب، فأثبتناها لقربها من سياق الكلام، أما الكلمة الثانية فلم نستطع معرفتها.

(2) القصة في مروج الذهب: 197/4.

(3) البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

(4) هو مؤنس العجلي الخادم الأكبر الملقب بالمظفر المعتضدي، أحد الخُدَّام الذين بلغوا رتبة الملوك، وكان خادماً أبيض، وفارساً شجاعاً، وسائساً داهية نُدب لحرب المغاربة العبيديّة، وولي دمشق للمقتدر، ثمَّ جرت له أمور، وحارب المقتدر، فقتل يومئذ المقتدر، وله قصة مع الخليفة القاهر، سيذكرها المؤلف بعد هذه الحيلة. انظر: سير أعلام النبلاء: 56/15، تجارب الأمم: 135/5.

(5) سقطت من كلتا النسختين، والتصحيح من مروج الذهب ليُناسب سياق الكلام.

والأسواق والمواخير ودور المقامرين، فأخذوا رجلاً نحيفاً ضعيف الجسم، رَثّ الكسوة، سيء الحال، وقالوا: هذا الذي أخذ المال وهو غريب، فأقبل عليه مؤنس، وقال له: ويلك! مَن كان معك؟ ومَن أعانك؟ وما أظن أنك أخذت المال وحدك؟ فأنكر، فعمل معه كلّ حيلة من الجيد والرديء فلم يُقرّ بشيء، فلمّا أعياه ضربه بالسياطه والدبابيس والقلوس والمقارع على سائر جسده، حتّى غاب عن الدنيا، فلمّا أفاق سأله، فأنكر.

وبلّغ الخبر إلى المعتضد، فأحضر صاحب الجيش، وقال له: ما صنعت بالمال؟ فأخبره، فقال له: [ويلك!][1] تأخذ لصاً قد سرق عشرة بدَر تبلغ به الموت حتى يهلك ويضيع المال، فأين حيل الرجال؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا أعلم الغيب، ولم يكن لي في أمره حيلة سوى ما فعلتُ، قال [هاتوا][2] اللص، فأتوا به وقد حُمِل في جُل[3]، فوضع بين يديه، فقرّبه إلى نفسه، وسأله فأنكر، قال له: ويلك! إن متَ لم ينفعْك، وإن بَرئتَ من هذا الضرب لم أدعكَ تصل إليه، فلك الأمان وعليّ الضمان بما يصلح به حالك، ويَجْمُل به أمرك، فأنكر ولم يقرّ، قال: عليّ بالأطباء فأحْضِروا، قال: خذوه إليكم وعالجوه إلى أن يَصْلح، واجتهدوا على بُرئه في أسرع وقت، فأخذوه وعالجوه وواظبوا عليه حتى صَلَح وبرئ جسده، وظهر لونه وعادت إليه روحه. ثمَّ أحضره المعتضد، فسأله عن حاله، فدعا له وشكره، وقال له: أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين، فسأله عن المال، فعاد إلى الإنكار، قال ويحك! ليست تخلو من أن تكون أخذته وحدك، أو وصل إليك بعضه، فإن كنتَ أخذتَ بعضه سمحنا لك بما أخذت، فأقرّ لنا على أصحابك، وإنْ لم تقرَّ قتلتك، ثمَّ لا ينفعك بقاء المال بعدك، [ولا يبالي][4] أصحابك بقتلك، ومتى اعترفتَ رفعتُ إليك عشرة آلاف درهم، وأخذتُ لك من صاحب الجيش مثل ذلك، وجعلتكَ من جملة التوابين، وأكتبُ لك

---

(1) سقطت من (ب).

(2) في (ب) [هاتم]، وهي عامية، قد تكون لهجة في هاتوا.

(3) الجُلُّ: غطاء يشبه البردعة.

(4) في كلتا النسختين: [ولا يبالون].

[في][1] كل شهر عشرة دنانير تكفيك، وتكون عزيزاً مكرماً، وتنجو من القتل، ونخلص نحن من الإثم، فأبى إلاّ الإنكار فاستحلفه بالله فحلف، وأحضر مصحفاً فحلف به، فقال له: احلف برأسي، فحلف أنَّه ما أخذه، وأنَّه مظلوم متهم.

فقال له المعتضد: إنْ كنتَ كاذباً قتلتك، وأنا بريء من دمك، قال: نعم، فأمر بإحضار ثلاثين [أسودَ][2]، بحيث يراهم اللص بأيديهم الصَّوالِيج[3]، وأمرهم أن يتناوبوا على ضربه، فضُرِبَ إلى أن عاد إلى عادته الأولى، وترك إلى أن أفاق، وسُئل فأنكر، فأحضر الأطباء وأمرهم بعلاجه حتى هدأ وصَلُح، وسأله عن حاله فأنكر، ففعل به ذلك عدّة مرات، ويسأله فينكر. فوكل به عشرة، وقال ساهروه ومتى غمض، أو نعس صلبتكم، فصاروا يحرسونه ليلاً ونهاراً، ويطعمونه ويسقونه، فبقي عشرة أيام على هذه الحالة، ويسأله فيُنكر، قال: دعوه ينام، فتركوه، فنام يوماً وليلة، وأتى إليه المعتضد وأنبهه بزعجة، وقال له: هات حتى نقسم المال، قال: الساعة أريد أنام، فقال: اقسمه وخذ سهمك ونام، قال ما أقدر الساعة، فقال له: أين هو؟ فقال له: عند فلان في الموضع الفلاني، في البقعة الفلانية، ومعه فلان وفلان، ثم إنَّه انقلب ونام، فنهض المعتضد من ساعته، فأحضر الذين ذكرهم وضربهم فأقرّوا بالمال، فأمر بإحضاره، فمضوا وجاءوا به، وأخذ المال وصلبهم، فلما انتبه اللصّ من نومته عرضهم عليه وأراه الذهب، فاعترف فصلبه إلى جانبهم[4].

---

(1) في (ب): [على].

(2) في كلتا النسختين [أسوداً]، والصواب ما أثبتناه؛ لأنه ممنوع من الصرف.

(3) الصوجان: عصا الملك يحملها رمزاً للسلطة، وقد تُطلق على العصا المعقوفة الطرف، وقد تكون من الخيزران.

(4) القصة في مروج الذهب وفيها زيادات كثيرة في طريقة قتل اللص، وأنَّه هو الشخص الذي نُفخ بالمنفاخ، ويبدو أنَّ المؤلف قد وهم حين جعلها قصتين، وهي قصة واحدة.

113. حيلة القاهر:

من كتاب تجارب الأمم[1]: إنه لمّا تولى القاهر الخلافة اجتمع مؤنس المظفر[2]، ويَلبق الكاتب، وابنه علي والوزير أبو علي بن مقلة[3] ومحمد بن ياقوت وعلي بن عيسى المتطبب على قتله وحبسه، وعقدوا الأمر سرًّا لأبي أحمد المكتفي وحلف له يَلبق وابنه وأبو علي بن مقلة والحسن بن هارون، ثمَّ كشفوا الأمر لمؤنس، فقال لهم مؤنس: لستُ أشكُّ في القاهر، وقد أسرفتم في الاستهانة به، وأخطأتم في تقليده الأمر، فلا تعجلوه، وترفقوا به حتى تؤنسونه، ويأنس وينبسط إليكم، ثم حينئذ اقبضوا عليه، قال علي بن يلبق والحسن بن هارون: [الحجبة][4] إلينا والدار في أيدينا، وما نحتاج أن نستعين بأحدٍ في القبض عليه؛ لأنَّه بمنزلة الطائر في القفص، وعملوا على معالجته وقبضه.

فاستنكر في نفسه لما أحسَّ بالبلاء، فأخذ حِذرَهُ وراسلَ [الساجية][5] بالحضور عنده وعرَّفهم أنَّ علي بن يلبق يحضر بحيلةٍ قد عَلِمها القاهر، فحضروا متفرقين، فقال: أريد كل منكم يحمل سلاحه، ويَكْمُن في موضع من داري، فإذا حضر فلان وفلان، وعدّد أسماء الذين يريدون القبض عليه، فلمّا حضروا واستقر بهم المجلس، اخرجوا عليهم واقبضوهم، وكان قد أحضرهم على أنَّه يخلع عليهم، ويخلع نفسه، وينحدر إلى البصرة ومهَّدهم على مثل ذلك، فحضر علي

(1) تجارب الأمم: 150/5، والكامل: 81/7 .

(2) هو مؤنس العجلي، وقد تقدَّمت ترجمته في القصة السابقة.

(3) هو: أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الشيرازي (272- 328هـ) وزير عباسي، وزر للمقتدر، ثمَّ نفاه إلى فارس، ثمَّ عاد بعد أن قتل المقتدر، وهو شاعر وكاتب وخطاط، يقال: إنه أول من وضع أسساً مكتوبة للخط العربي، عاش حياة سياسية مضطربة، استدعاه الخليفة القاهر بالله واستوزره، ولكنه تآمر على الخليفه حتى خُلع، وقُطعت يده اليمنى في إحدى المؤامرات، انظر: سير أعلام النبلاء: 316/17، ووفيات الأعيان: 61/2 .

(4) في كلتا النسختين: [الحجة]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(5) في كلتا النسختين: [السلاجية]، والتصحيح من تجارب الأمم، والساجية والحجرية، هم الحرس الخاص، وكان قائدهم طريف السبكريّ.

بن يلبق[1] وفي رأسه نبيذ، ومعه عدد يسير، فلمّا قبِضَ على الجميع خَلُص القاهر من القتل، وعبر إلى داره واستتر من ليلته، وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر، وكذلك الحسن بن هارون وأبو بكر بن [قرابة][2] وانحدر يلبق إلى دار السلطان، وانحدر لانحداره كلُّ من كان معه من جملتهم مؤنس، واستوثق الأمر للقاهر[3].

114. حيلة للراضي بالله:[4]

كان له صاحبٌ يغشاه قبل الخلافة ويخدمه، ويجد منه النفع والنصح، فلمّا تولّى الخلافة حضر يوماً بين يديه، فقال له الراضي: يا هذا إنَّ لنا صاحباً ونريد ننفعه بشيءٍ من حطام الدنيا، وقد أمرتُ له بمائة ألف درهم، فهل ترى نقيم بأولاده؟ فقال له: يا مولاي هذا إسراف وتبذير في بيت المال، وأمير المؤمنين عليه خرج كثير، وإن كان ولابدّ من إعطائه، فتكون عشرة آلاف درهم بضاعة حسنة، مع مقام كبير، فما زال الراضي يَستقلها وهو يصعد إلى ثلاثين آلاف درهم، فلمّا لم يجد الراضي مزيداً على ذلك، أمر له بها، وقال له: لك أردتُ أعطيها، فقال يا أمير المؤمنين يكون حرماني لها عقوبة بسوء محضري، فقال له الراضي: أصلح محضرك ما عشت، فما يليق إلاّ الخير. وأمر له بمائة ألف دينار.

(1) قدّم المؤلف هنا ملخصاً للقصة المشهورة في كتب التاريخ، ولكنّها في تلك المصادر تحوي زيادات وتفاصيل كثيرة.

(2) في كلتا النسختين: [مرايه]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(3) هو: القائد: علي بن يبلق الذي دبّر المؤامرة، وقد قبض عليه الخليفة القاهر بالله هو وأبيه، والقائد: مؤنس المظفر، وهرب الحسن بن هارون، وعلي بن مقلة، واستتر ابن مقلة مدة خلافة القاهر، وظهر في خلافة الراضي بالله واستوزره مدّة.

(4) هو: الراضي بالله، أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم (296-329هـ)، بُويع له بالخلافة يوم خُلع القاهر بالله، وكان الراضي شاعراً، محباً للأدب والعلماء، سخياً، وهو آخر خليفة يخطب يوم الجمعة، وآخر خليفة له شعر مدوّن، إلا أنّ أمر الخلافة قد اختلّ في عهده اختلالًا خَطِرًا، وازداد تدهور أحوال الخلافة في أيّامه، وازدادت اضطرابًا وإدبارًا، ولم يكن له من الأمر شيء، وولاة الأقاليم هم المتحكّمون فيها.

انظر: تاريخ الخلفاء: 309، وتاريخ بغداد: 520/2 .

115 . حيلة للناصر لدين الله العباس أحمد :[1]

وذلك أنَّ بعض الفراشين تسلق على بعض خزائنه، وأخذ منها كيساً فيه ألف دينار، [ولم يفتح قفلاً ولا فشَّ باباً][2]، فلمّا طلبوا الذهبَ وجدوه قد نقص كيساً، فأخبروا الناصر بذلك، فسألهم عن الأقفال التي على الأبواب، قالوا ما تغيّر منها شيءٌ، وإنّما قفل الصندوق انفتح، قال: لا يكون قد نسيتم أن تقفلوه، فأروه الختمَ وقد انقلع، فقال: اكتموا أمركم، وناساهم شهراً، ثم قال للخازن: أخف المفاتيح، ثمّ إنّه أتى فوقف على باب الخزانة، وقال: أريد المفاتيح، قال الخازن: قد عُدمتْ، قال الناصر: أبْصُروا يا فراشين، كيف تفتحون، أو تتسلقون، أو تفشّون الأقفال؟ فما فيهم من كان له حيلة في ذلك، فبرز من بينهم شخصٌ قد غاب عني اسمه، وقال: أنا أدخل، ثم إنّه تسلق إلى رَوْزنة[3] على وجه الباب، [ودخل منها إلى الخزانة، فقالوا: اِقلع الغَلَق، فقلعه، وفتحوا الباب][4]، ولزمه الناصر، وقال: أريد الكيس الذي أخذت يوم كذا وكذا، فأنكر، قال: ابطحوه، فبُطح وضرب ضرباً مؤلماً، فأقرّ بأنّه أخذه، فأمرَ بإحضاره، فمضى وأحضر الكيس، [وقد نقص منه شيء][5]، فأخذه الناصر وصلبه وقطع أخبار الفراشين الذين معه.

---

(1) هو: الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء بالله (553- 623هـ)، بُويع له بعد وفاة أبيه سنة575، لم يلِ الخلافة أحدٌ أطول مدة منه، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة، حاول إعادة للخلافة هيبتها، امتدت فتوحاته إلى ما بين النهرين وبلا فارس، وكان عالماً وشاعراً وراوياً للحديث، وبعد خمس سنوات من حكمه زار بغداد ابن جبير الأندلسي الرحّالة، ورأى الخليفة رأي العين متنكراً، وقال فيه: «وهو مع ذلك، يحب الظهور للعامّة، ويؤثر التحبّب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم، قد استسعدوا بأيامه رخاءً وعدلاً وطيب عيش؛ فالكبير والصغير منهم داعٍ له»، وقد كان مهيباً، حسن الخلق، فصيحاً.

انظر: البداية والنهاية: 305/12، تاريخ الخلفاء: 352 .

(2) هكذا في كلتا النسختين: ولعل الأصواب: [لم يفتح باباً ولا فشَّ قفلاً، فالفشّ صفة أصلق بمعالجة الأقفال] .انظر: لسان العرب: مادة فشش.

(3) الروزنة: معرّبة، وتعني الكوّة، أو الفتحة الصغيرة في الجدار.

(4) سقطت من (ت).

(5) رواية (ب): [ولم ينقص منه شيء]، ولم نعثر على المصدر الذي نقل منه المؤلف هذه القصة، وقد أثبتنا رواية (ت)؛ لأنها الأنسب إلى نوع العقوبة التي أوقعها الخليفة على اللص.

فصل في حيل الملوك

116 . حيل الإسكندر:[1]

حكى ابن الخطيب صاحب كتاب [تاريخ بغداد، في كتابه المعروف بلطف التدبير][2] أن الإسكندر صار في مسيرة، في الأرض إلى المدينة في غاية النعمة والتحصّن، فتحصَّن فيها أهلها، فيئس الإسكندر منها لحصانتها، وتعرَّف خبرها، فأخبر أنَّ فيها من الميرة[3]، والعيون المتفجرة ما لا يُخاف عليه من [النفاد][4]، فرحل عنها ودسَّ تجاراً من قِبله متنكِّرين وأمدَّهم بالمال، وأمرهم بالدخول إلى المدينة على سبيل التجارة وبيع ما معهم من التجائر[5]، وأن يبتاعوا ما أمكنهم من الميرة والمغالاة فيها. [فدخل][6] التجار المدينة، وانكشف عنها الإسكندر راجعاً، وأمنوه لبعد الإسكندر عنهم حتَّى صار في أيدي تجاره أكثر ميرة أهل المدينة، فلمّا علم الإسكندر بذلك، كتب إلى تجاره: [فأحرقوا ما في أيديهم من الميرة كلها، وهربوا عن المدينة][7]، وزحف الإسكندر إليها ولا ميرة لهم إلاّ شيءٌ

(1) القصة في كتاب: لطف التدبير، بتحقيق: أحمد عبد الباقي، ط2، 1399هـ: ص: 18، وفي تجارب الأمم: 84/1، والإسكندر المذكور هنا، هو: الإسكندر الأكبر(356-323 ق.م)، أو الإسكندر الثالث ملك مقدونيا بن فليب الثاني، تتلمذ على أرسطو، وأخضع الثورات التي قامت بعد وفاة أبيه، وحارب الفرس، ثمَّ أخذ يجوب الأقطار، ووصل إلى الهند والسند ومصر، وأسس مدينة الإسكندرية.

(2) هذا الكتاب الذي ذكره المؤلف: «لطف التدبير»، ظل مدّة من الزمن يُنسب إلى الخطيب البغدادي، إلى أن ظهر الكتاب مطبوعاً بتحقيق: أحمد عبد الباقي، وثبت أنه ليس للخطيب البغدادي، وإنما لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)، وقد حدث هذا الخطأ لتشابه لقب المؤلفين، ولشهرة الخطيب البغدادي بالنسبة للخطيب الإسكافي، وهو محمد بن عبد الله الشهير بخطيب القلعة الفخرية، من أهل أصبهان، وخطيباً بالرَّي، كان نديماً للصاحب بن عباد، انظر: مقدمة محقق الكتاب: 6، ومعجم الأدباء: 2549/6.

(3) الميرة: الطعام والزاد الذي يجمعه ويدَّخره الإنسان للسفر، أو للبيع، أو للأكل.

(4) في كلتا النسختين: [النفاذ].

(5) في لطف التدبير: [وبيع ما معهم من تجاراتهم]، وكلمة: تجائر، جمع غريب، ونظنها عاميّة.

(6) في كلتا النسختين: [دخلت]، والتصحيح من لطف التدبير.

(7) في لطف التدبير: [فاحرقوا ما في أيديكم من الميرة كلها، واهربوا عن المدينة].

يسير، فحاصرها أياماً قليلة، فطلبوا منه الأمان وفتحوا الباب على حكمه.

117. ومن حيلته:[1]

كان إذا أراد محاصرة مدينة شرّد مَنْ حولها مِنْ أهل القرى، وتهدّدهم بالسبي حتى يخرجوا هاربين متعصمين بالمدينة، فلا يزال كذلك، حتّى يعلم أنهم قد حصلوا في المدينة، وصاروا فيها أضعاف أهلها، وأسرعوا في الميرة، وبطل زرعهم، نزل عليها وحاصرها.

118. حيلة أخرى له:[2]

قال صاحب كتاب التجارب: كان في زمن الإسكندر امرأة يقال لها القيذافة، كانت أجمل أهل زمانها، وأفضلهم عقلاً، وكان لها ابنان يُدبِّران ملكها، ويضبطان سلطانها، فلمّا بلغهم ما أعطي الإسكندر من الظفر والنصر على من ناوّأهُ وقدومه أرض مصر، خَافتْ على مُلكِها، ولم تأمن أن يغزوها في أرضها وبلادها، فبعثتْ مُصوِّراً حاذقاً بالتصاوير، ماهراً في صناعته إلى أرض مصر، وأمرته أن يتوصَّل وينظر الإسكندر، ويصوّر لها صورته على أدقّ ما يقدر عليه من الصنعة، في جميع أحواله، قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وجالساً ويأتيها به.

فأقبل المصوِّر إلى مصر، وتلطّف حتّى صار من ندماء الإسكندر، وأمعن[3] النظر فيه، وعرف معانيه، ورسم لها صورته على جميع حالاته في طومار

---

(1) القصة في لطف التدبير، مع بعض الزيادات، وهدفها لا يختلف عن هدف التي سبقتها.

(2) إذا كان المقصود كتاب: تجارب الأمم، فلم نعثر على هذه القصة فيه، ونظن أنَّ المقصود كتاب مفقود لعبد الله بن المقفع بهذا الاسم، سيذكره المؤلف في بعض القصص الآتية، وقد وجدنا في كتاب: لطف التدبير: 204 قصة شبيهة بما ذكره المؤلف مع بعض الاختلافات، والقصة أيضاً في شاهنامة الفردوسي: 11/2.

(3) في كلتا النسختين: [أمعن في النظر فيه].

كبير[1]، ثمَّ انصرف به إلى قيذافة الملكة، ودفع الطومار إليها وفيه جميع أحواله، وبلغ الإسكندر ما هي عليه من الحسن والجمال والظرف والكمال، ووصفتْ له مدينتها، وأنَّها أربع فراسخ في مثلها، وأنَّ الحجر الواحد من سور المدينة [طوله][2] ستمائة ذراع، وعرضه مائتي ذراع، وأنَّ بيوتها حجارة منقورة، ولها ثلاثمائة وستون باباً من حديد ونحاس.

فكتب إليها الإسكندر يدعوها إلى التوحيد[3] وقال لها: إن أجبتِ إلى الإسلام، وبعثتِ بالخراج، كففنا عنك وقتلنا أعداءك، وإن أبيتِ فإنِّي أردفك بالحرب، فاستعدِّي لذلك، فإنِّي سائرٌ إليك، فكتبتْ إليه: قد أتاني كتابك بما دعوتني إليه من الإيمان فمرْ بذلك نفسك، وأمّا الدخول في طاعتكَ فهيهات ذلك أبداً، فلمّا قرأ الكتاب أمر منادياً ينادي بالرحيل، فسار شهراً [فلمّا][4] وصل إلى مَلكٍ في طريقه يُسمّى [قربان][5]، فتحصَّن منه فوضع الإسكندر على حُصنه المنجنيق حتى هدمه ومَلَك كل ما فيه، وكان لقيذافة ولد يُسمّى

---

(1) الطومار، والطامور: لفظ دخيل على العربية، يراد به صفحة، أو مقدار من الورق، وقد يطلق على الصحيفة، أو مجموع الأوراق التي تكوّن كتاباً.

(2) سقطت من (ب).

(3) قُدمت شخصية الإسكندر في المصادر التاريخية العربية والفارسية على أنها شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن الكريم، وأُعطيت صفات الإنسان المؤمن، والمعروف عن الإسكندر الأكبر بأنّه تليمذ أرسطو، ولم يكن من أهل الإيمان، ولا ينطبق عليه ما ذكره الله عن ذي القرنين، فلا يمكن أن يكون هو، وحتّى لو لم نعرف في التاريخ ملكاً مؤمناً بهذه الصفات الواردة عن ذي القرنين، فليس هذا بمبرر لجعلها للإسكندر المقدوني، أو غيره مالم يكن بين أيدينا ما يثبت ذلك. انظر: الكامل: 214/1، وقد قال ابن تيمية: «كان أرسطو قبل المسيح بن مريم -ﷺ- بنحو ثلاثمائة سنة، كان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي غلب على الفرس، وهو الذي يؤرخ له اليوم بالتاريخ الرومي، تؤرخ له اليهود والنصارى، وليس هذا الإسكندر هو (ذو القرنين) المذكور في القرآن، كما يظن ذلك طائفة من النّاس، فإنَّ ذلك كان متقدماً على هذا، وذلك المتقدم هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج، وهذا المقدوني لم يصل إلى السّد، وذاك كان مسلماً موحداً، وهذا المقدوني كان مشركاً هو وأهل بلده اليونان كانوا مشركين يَعبدون الكواكب والأوثان «منهاج السنة النبوية»: 1 /220 .

(4) في(ب): [حتى].

(5) عند الفردوسي: [فيران].

[قيدروس][1] قد تزوج بنت ذلك الملك، وكان قد قدم على قربان ليحمل بنته ويَزفها عند أمه، فأخذه الإسكندر أسيراً مع زوجته.

ثم إنَّ الإسكندر أجلس وزيره [قيطفون][2] في مجلسه، وأمر جنوده أن يدعوه بالإسكندر والملك، ثمَّ قال الإسكندر ليقطفون: ادعُ [بقيدروس] ابن قيذافة وزوجته وأمُرْ بضرب رقابهم، فأقبِّل الأرضَ بين يَديكَ، واسْتوهبهما منكَ فأوهبهما لي، وأنفذني معهما رسولاً إلى أمه، وأنفذ معي نفراً من ثقاتك، ففعل الوزير ذلك، ودعا ابن قيذافة وزوجته، فأدخلا عليه وعلى رأسه التاج، وعليه البدنة[3]، وهو شبيه بالإسكندر، فقال له: من أنت؟ وما اسمك؟ وما أمرك؟ وما هذه المرأة معك؟ قال: أيُّها الملك أنا قيدروس ابن الملكة قيذافة ملكة الأندلس وإفريقية، تزوجت بابنة هذا الملك وهي هذه، وقدِمْتُ لأحملها وجهازها، أخذنا الملك مع من أخذ من الأسارى، فقال قيطفون: اضربوا رقابهما، فألقى الإسكندر نفسه عليهما، وقال: أيُّها الملك الإسكندر لي عليك حق خدمة قديمة، وأريد تهب لي هذا الفتى وزوجته، قال قيطفون: قد وهبتهما لك، فشكر له الإسكندر وقبّل يده، وقام قيدروس وزوجته، فقبّلا يد الإسكندر، وهما يظنّانه وزير الملك، فقال له قيطفون: أريد أنفذ وزيري هذا رسولاً معك إلى أمك ليدعوها إلى الطاعة والدخول في ديننا[4]؛ لأنِّي كاره لمحاربتها وقتل الرجال وخراب الأرض، فأحسنا إليه كما أحسن إليكما، واستوصيا به خيراً حتى يعود إليّ سالماً فيعلمني ما يكون جواب أمّك. قال قيدروس: أفعل أيُّها الملك، وكيف لا أحفظه، وقد وهب لي ولزوجتي حياةً جديدة وعمراً ثانياً.

وخرج قيدروس ومعه الإسكندر رسولاً إلى أمه، ومعه عشرون نفراً من

---

(1) عند الفردوسي: [قيذروش].

(2) عند الفردوسي [بيطقون].

(3) أي: أنَّه بدينٌ يشبه الإسكندر.

(4) عند الفردوسي طلب منها الإسكندر دفع الخراج، ولكن المصادر العربية، صرفت طلبه إلى دعوتها إلى التوحيد، على الرُّغم من أنَّ الإسكندر كما ذكرنا لم يكن من أهل الإيمان، وهذا من الأوهام التي دفعت بعض المؤرخين إلى جعل الإسكندر هو ذا القرنين.

أصحابه، وقد تقدّم إليهم ألا يدعوه إلاّ قيطفون الوزير، وساروا حتى انتهوا إلى أوّل ملكها، وأنفذ ابنها من بعض بلادها شخصاً يُعلمها بقدومه، فخرجتْ إليه مستقبلة لابنها قيدروس، ومعها ابنها الأكبر كبش في ألف فارس، فلمّا نظر قيدروس لأمه ترجّل لها، وقبّل الأرض بين يديها، فأمرته بالركوب وسار معها وهو يخبرها بخبره وما كان منه، ثمَّ قال لها: أيتها الملكة أكرمي مثواه، فإنَّه وزير الملك الإسكندر، وهو الذي خلّصني من الموت، واستنقذني من القتل، وقصَّ عليها القصة، فشكرتْ له الملكة وولدها كبش وجميع جندها، وهم يظنّون أنَّه قيطفون الوزير، وقالوا له: جُزيتَ خيراً أيُّها الوزير وأعاننا على مكافأتك.

فلمّا [دخلوا][1] البلد أمرتْ للإسكندر بمنزل نفيس، ونفذت إليه طعاماً يصلح للملوك وحلاوةً وشراباً وغيره، فلمّا كان في اليوم الثاني استدعته إليها، فلمّا تأملته علمتْ أنَّه الإسكندر لصورته التي عندها، فأحضرتْ من الطعام والشراب شيئاً لم يعرفه الإسكندر، فلمّا فرغوا من الغداء، قالت للإسكندر: يا قيطفون بِمَ بعثك صاحبك؟ وما يريد؟ وما يدعونا إليه؟ فقال لها: يُريد أن تدخلي في دينه، وتؤدي الخراج إليه، وقد بلغه حسنك وجمالك وعقلك، فلهذا أمسك عنكِ وعن حربك، فلمّا سمعتْ ذلك داخلها غيرة المُلك وقالت: تنصرف اليوم حتى ننظرَ في أمركَ غداً ونرى رأياً، فانصرف الإسكندر إلى منزله.

فلمَّا كان [في اليوم الثالث دخل عليها، وهي في مجلس أحسن من][2] المجلسين الأولين، فقال لها: ما أحسنَ مَجْالسك، قالت: صدقت يا بن دارا[3]، وتبسّمتْ في وجهه، فلمَّا سمع ذلك منها عرف أنَّها قد عرفته، فعضَّ يده، وقال: أيتها الملكة لقد أحسن الله تعالى إليَّ حيث لم يسمع أحدٌ منكِ وأنتِ تدعيني بهذا الاسم، قالتْ له: دع عنك هذا، ما دعوتك إلاّ باسمك، فأنت الإسكندر، ولا أشكّ في ذلك، فقال لها الإسكندر: يا سيّدتي لا تهلكيني إنّي لستُ الإسكندر، وإنما أنا قيطفون الوزير، فأخذتْ بيده، وأدخلته قبة هناك فأرته

(1) في(ب): [دخلتْ].

(2) سقطت من (ت).

(3) عند الفردوسي: [يابن فيلقوس].

جميع صورة يكون فيها، فعضّ على شفته، فقالت: ما لك تعضّ على شفتك، ألستَ الإسكندر الذي ملك الأرض، فاطمئنّ ولا تظن إلاّ خيراً، فإنّي حاقنة دمك، كاتمة أمرك، وإنّي أدعوك بقيطفون مخافة من ولدي الأكبر، ولو عرفكَ قتلك، فانصرف يومك هذا وليُفرج همك، وتطُب نفسك.

فانصرف عنها ذلك اليوم، ثمّ عاد إليها من الغد وهي في مجلس أحسن من تلك المجالس كلها، وعندها ولداها كبش[1] وقيدروس، فقال لها قيدروس: أيتها الملكة عجلي سِراج قيطفون وأحسني إليه، وكافئيه بما صنع معي إذا أعتقني ورد عليّ زوجتي، فقالت: إنّي فاعلة ذلك إن شاء الله، ثمّ قالت: ما الذي تريد؟ قال: أريد ثلاث خصال: الإيمان بالله لتحقني دمك ودم قومك، والجزية، والخراج، فإن أبيتِ فاسْتعدي للحرب، فإنّي مُنْذرك، فلمّا سمع ابنها الأكبر ذلك غضب غضباً شديداً، وقال: بلغ من جراءتك على الملكة أن تلقاها بمثل هذا الكلام، مَنْ أنت ومَنْ صاحبك؟ والله لا تفلتَ من يدي حتى أقتلك، وصار ينتهر الإسكندر، فقالتْ له أمه: ما لك وللرجل، إنما هو رسولٌ بلّغ ما أرسلَ به، وغضبتْ عليه، وأمرتْ بإخراجه، وقالتْ للإسكندر: إنّ ابني هذا جاهلٌ، ولا آمنه أن يقتلك ويغضبني فيكَ، ألستَ ذا دهاء وحيلة؟ فارضه حتى أمنه عليك، ولا أخاف غائلته، قال: أدخليه ولا عليكِ ودعيني وإيّاه، فبعثتْ إليه، فدخل عليها مغضباً، فقال له الإسكندر: إنّي لستُ ألومك، إنما اللوم للإسكندر، كيف وجهني إلى أعدائه، وجعلني واقية لعسكره وجنده؟ فهل لك في الأمر حتى أشفيك منه، قال كبش: وما هو؟ قال: تجعلوا إليّ عندكم أثرة[2]، وتعطوني ما يُعينني من أموالكم، وتفرضون لي بعض سلطانكم، ولكم علي الله كفيل أن أضع يد الإسكندر في يدك من غير أن يكون معه أحد من أصحابه، هكذا! ووضع يده في يد كبش، فقال: إن فعلتَ كنتَ أشهر الناس عندنا، ونواسيك بنصف مُلكِنا، ونعوّضك في جميع أعمالنا، ولك فيما عندنا متبع.

---

(1) عند الفردوسي: [طينوش وقيذروش].

(2) الأثرة: المكرُمة والمنزلة والتفضيل.

قـال الإسكندر: والله الذي لا إله إلاّ هو لأخلينك والإسكندر، [ثمَّ يضع يده في يدك كذا! ثم وضع يده في يد كبش][1]، [بمكان لا يكون له ناصر فيه من أصحابه، قال كبش:][2] فأخبرني كيف تصنع؟ قال: تخرج معي ومعك ألف رجل من أصحابك، فإذا قاربناه كنتَ له مع أصحابك في غيطة[3]، وأنطلق أنا إليه أعلمه أنِّي قد حملتُ من عندكم من الدر والياقوت ما لا قيمة له، وأقول له: إنَّ الرأي أن تجعله لنفسك لا تدخله في القسمة، وآتيك به معي وحدي حتى أنتهي به إليك، فقم عند ذلك إليه اضرب عنقه، فإن أحببتَ أن تقدر له على ذلك، فأكثر له من الهدايا وصفوف الجوهر ليكون أسرع لما تريد، فرضي كبش بذلك، وقال له: إنِّي أرجو أن يكون قتل الإسكندر على يدي، فيكون ذلك فخراً لي على سائر الأمم.

هذا وقيذافة تسمعُ الكلام، وتتعجب من مكر الإسكندر وجلادته، ثمَّ انصرف الإسكندر يومه، فلمَّا كان من الغد دخل على القيذافة، فأخذت عليه العهود والمواثيق أنَّه لا يُؤاخذ ولدها كبش بجهله وحُمْقه، وأنَّه يرده إليها سالماً، فأعطاها ذلك، فدعتْ ابنها كبش ورؤساء مملكتها، وأجلستهم عن يمينها وشمالها على كراسي الذهب، ثمَّ قالت: أرأيتم أن أجبتُ هذا الملك المُظفر إلى ما يُحّب واكتفينا مؤونته، ولا نضطر إلى محاربته، وهذا رأي، قالوا: نعم ما رأيتِ أيتها الملكة.

ثمَّ قالتْ لابنها كبش فيما بينها: إنما أريد باختياري الهدايا إليه ليكون أقرب لما تريده، ثمَّ دعتْ بتاج عظيم، وقالت للإسكندر: يا قيطفون قل لسيدي الإسكندري: أنتَ أحق بهذا التاج من جميع الناس، وقد آثرتك به على ولدي، وقامتْ من على سريرها، وقالت: ترى هذا السرير وما عليه من أنواع الجواهر، واليواقيت والمرجان والدر، قال الإسكندر: نعم. ثمَّ دعتْ ببساط منسوج بالذهب والفضة فيه الشمس والقمر، وقالت: هذا بساط لم يَمْلكه أحدٌ، وأعطته مائة ألف رطل فضة، وعشرة آلاف رطل ذهب، ومائة مركب من مراكبها مرصعة

---

(1) هذا التكرار في كلتا النسختين.

(2) سقطت من (ت).

(3) الغيط: الحقل، والأرض الواسعة.

بالدر والياقوت والجوهر، وألف سيف محلاّة بالذهب، ومائة درع بيضاً وسواعدها، وأنفذتْ ذلك كله مع الإسكندر، وسار معه ولدها كبش في ألف فارس من أصحابه، حتى انتهى إلى قريب من عسكره، فأمر بتلك الهدية فوضعتْ، وقال لكبش وأصحابه: أكمنوا هنا في هذه الغوطة، حتى آتيكم بالإسكندر، ومضى إلى عسكره.

فلمّا رأوه تباشروا، وكانوا قد أيسوا منه، فأمرهم أن يركبوا، فركبوا معه وهم ألف ألف وستة ألف، وأقبلوا نحو الغوطة، ونادى بالكبش: أُخرج إن أردت قتل الإسكندر، فخرج وقد طار عقله من كثرة الجنود، وقال للإسكندر: أين الإسكندر؟ فوضع يده في يده وقال: أنا الإسكندر، وقد وضعتُ يدي في يدك، فقال له كبش: يا سيدي أقلني عثرتي، ولا تؤاخذني بجُرمي، واغفر لي، وأحسن إليّ كما أحسنتَ إلى أخي، واحفظني في والدتي، فقال له الإسكندر: لا بأس عليك، فقد أخذتْ أمك عليّ المواثيق والعهود أنّه لا يصل إليك مني سوء، فأقرئها عني السلام، وأعلمها أنّي أفي لها بكلّ ما وعدتها، ثم أعطاه من التحف والهدايا أضعاف ما أعطته أم كبش، فلمّا وصل ابنها إليها سالماً، وخبَّرها بما عاين من عسكر الإسكندر، ومن أجناس الأمم، أنفذتْ إليه خطبته، فأجابها إلى ذلك، وتزوج بها، وأضاف ملكها إلى ملكه[1].

119 . حيلة أخرى له:[2]

وذلك أنّ الإسكندر لّما توفي والده وجلس موضعه، أنفذ إليه فوركَ[3] ملك

---

(1) هكذا قدّمت المصادر العربية قصة الإسكندر، وأضفت عليها الصبغة الدينية والخيالات العجيبة، ولم تختلف المصادر الفارسية عنها كثيراً، كما رأينا عند الفردوسي إلا أنّه في نهاية القصة، لم يزوج هذه الملكة إلى الإسكندر، ولم يحاول أن يضفي على شخصية الإسكندر صفة أهل التوحيد، بل جعله في الشاهنامة يحلف بروح القُدس، ويحمل الصليب في يده.

(2) القصة مع بعض الاختلافات في: المنتظم: 424/1، وتجارب الأمم: 82/1، والكامل: 214/1، وتاريخ الطبري: 573/1 ..، وغرر أخبار ملوك الفرس: 403.

(3) لا وجود لهذا الاسم في أغلب المصادر التاريخية، وإنما يتكرر اسم: دارا، وفي مروج الذهب 177/1: داريوس باللغة الفارسية القديمة، وفي الغرر: فور.

الهند، وطلب منه ما كان أبوه يحمله إليه، وهو كل سنة مائة بيضة ذهب، كلُّ بيضة ألف مثقال، ومائة بيضة فضة، كلُّ بيضة ألفي أوقية، فبعث الإسكندر إليه يقول له: إنَّ الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض ماتت، وما عندي إلا مائة ألف سيف مقاتلة.

فلمّا سمع فورك ذلك تأهب لمحاربة الإسكندر، وجدّ في السير، وجمع الجند، فبلغ الإسكندر ذلك، وكان رجلاً [حَوَّلاً][1] له مكر وكيد، ومصائد مع حسن تدبير، فرأى إعمال الحيلة والتمهّل والرفق، فاحتفر خندقاً حول مدينته، وفكّر في عمل الحيلة، وكيف ينبغي له أن يُقدم على فورك، وكان فورك لا يقاتل إلاّ على الفيلة، ففتحَتْ له فكرته أن صنع خيلاً من نحاس مجوفة، وعليها فرسان من نحاس مجوفة تجري على [بكار][2] من نحاس، وحشاً أجوافها بالكبريت والنفط، واتخذ منها جملة كثيرة، فلمّا قدمَ فورك إلى قتال الإسكندر، والتقتْ العساكر، وأمر الإسكندر أن تشعل أجواف الخيل النحاس، فاشتعلت ودُفعتْ، فذهبت بها العَجل وحَمِي النحاس حتى بقي [أبيض][3]، فلمّا حَمَلت الفيلة على عسكر الإسكندر التقوها بتلك الخيل النحاس، فلمّا رأتها الفيلة ظنت أنها خيلٌ مُقاتلة، فألقتْ خراطيمها عليها، وعادتها في القتال كذلك، فاحترقت خراطيمها، فنَفرَتْ وولت، فوطئت عسكر فورك، وتمزقوا كلَّ ممزق، ووقع فيهم عسكر الإسكندر قتلاً وأسراً، وأخذ فورك أسيراً وملك الإسكندر بلاده جميعها[4].

120. حيلة أخرى له:

وذلك أنّه لمّا قدم العراق لقتال دارا، وكان دارا قد نزل بموضع يقال له

---

(1) في كلتا النسختين: [حولا]، ونظنها: حوّال كثير الحيل، على وزن فعّال، مثل: صوّام وقوّال.

(2) أي: بكَرات: وهي أسطوانة من الخشبة أو النحاس أو الحديد، مستديرة، في جوفها محور تدور عليه.

(3) في كلتا النسختين: [أبيضا].

(4) في كتاب: لطف التدبير: 212، خلت القصة من المقدمة التي أوردها المؤلف.

حربى[1]، [فصيَّر إليه الإسكندر رسولاً][2]، فلمَّا دخل إليه، أعجب دارا هيئته وبلاغته، وأمر بإحضاره في مجلس شرابه، فكان[3] الإسكندر كلمَّا أعْطِي قدحاً صَبَّه على ثيابه، وشال القدح في كمه، فقيل لدارا في ذلك، فقال له دارا: ما هذا الذي تفعله؟ قال رسول الإسكندر: أمرني ملكي لا أشرب خمراً حتى أعود إليه، وأنا أكره أن أردَّ شراب الملك، فأصُبّه على ثوبي، وأضع منه على رأسي، وأمّا أخذ الآنية، فإن سُنّتنا مع ملكنا هكذا، فإن أمرني الملك أعصي ملكي وأشرب وأرد الآنية فعلتُ. فقال له دارا: لا ترد الآنية ولا تعص ملكك. [ودخل المُوبذ[4] على دارا، فعرف الإسكندر أنَّه يَعْرفهُ، وعرف الموبذ الإسكندر][5]، فنهض الإسكندر بحجة [البُرَالِي][6] فركب ونجا، وقال الموبذ للملك: إنَّ هذا الرسول الذي عندك هو الإسكندر، فطلبه، فلم يجده فعلم صحة ذلك.

فلمَّا أصبح القوم واصطف العسكران، برز الإسكندر بين الصفين، ونادى: يا معاشر الفرس، قد علمتهم ما كتبنا لكم من الأمان، فمن كان منكم معنا فليعتزل ناحية، فاتهمتْ الفرس بعضها بعضاً، وولت منهزمة وقتل دارا[7].

---

(1) حربى: بلدة في العراق بين بغداد وتكريت، كانت قديما مشهورة بصناعة الثياب القطنية، انظر: معجم البلدان: 2237.

(2) يلجأ المؤلف أحياناً إلى صياغة بعض القصص والحيل بعبارته الخاصة، إلا أنَّ المقدرة الأدبية لا تطاوعه، فلا يأتي المعنى المراد بيسر ووضوح، فهذه العبارة، كما هي في لطف التدبير، هكذا: [فصار إليه الإسكندر على أنه رسول].

(3) رواية (ب): [رسول الإسكندر]، وإثباتها يُخلّ بسياق الحديث.

(4) الموبذ والموبذان عند الفرس، هو: الفقيه أو القاضي، أو الحاكم، وفي كتاب: غرر أخبار ملوك الفرس: أن الذي أخبر دارا هو أحد الرسل الموجودين في حضرته، حيث أخبره بأمر الإسكندر.

(5) هذا أحد الأمثلة على ركاكة عبارات المؤلف، فالعبارة في لطف التدبير، هكذا: [ودخل الموبذ على دارا فنظر إلى الإسكندر، فقال للملك: أحسب هذا هو الإسكندر].

(6) بَرّل الحاجة: قضاها، وفي كتاب: غرر أخبار ملوك الفرس: [وقام الإسكندر مظهراً أنّه يريق ماءً وخرج فركب فرساً]، وفي لطف التدبير: [فانسلّ كأنه قام لحاجة].

(7) نذكّر القارئ بأنَّ المؤلف كما جرت عادته في أغلب القصص، أو الحيل التي يذكرها في كتابه، لا يلتزم التسلسل التاريخي، حتَّى عندما يذكر مجموعة حِيل لشخص واحد، فهو يُقدّم ويؤخر، فهذه الحِيل التي أوردها للإسكندر مثلاً مع دارا ملك الفرس هي تاريخياً تسبق الحيلة التي قبلها، وقد =

121. حيلة لملك الروم:[1]

حُكِي أنَّ ملك الروم غزا بلاد إفريقية، فعبر البحر إليهم، وحاصر مدينة لهم زماناً طويلاً، فحاربوه على باب المدينة، وكان في أهل المدينة رجلٌ يقال له: أقطَر، وكان في غاية النجدة والشجاعة، فما كان يبرز إليه أحدٌ إلاّ قتله، فبلغ ذلك ملك الروم، وكان لملك الروم قائد من قواده يقال له: أرسلاوس، لم يكن في الدنيا أفرس منه، وكان قد غضب عليه الملك، واعتزل الحرب، فسأله الملك فلم يطعه[2]، فقال الملك: أطرحوا الصوت إنَّ أخا أرسلاوس قد استأسره أقطَر[3]، فلمّا سمع أرسلاوس ذلك عظم عليه، وطلب أخاه فلم يجده، فطلب سلاحه وطلب أقطر، فبارزه فاستأسر أرسلاوس لأقطر وأتى به إلى ملك الروم فقتله، ففتّ به أعضاد أهل إفريقية، فزحف عليهم ملك الروم وأرسلاوس فقتل منهم مقتلة عظيمة وملك البلد[4].

= ذُكر فيها قتاله مع ملك الهند، كما أنَّ المؤلف لاينقل الحيل، أو القصص حرفياً من مصادرها، بل نجده أحياناً يصوغها بأسلوبه الخاص، فتظهر الركاكة في مواطن كثيرة، كما أنَّه يطلق العنان لمخيلته، فيضيف بعض المقاطع القصصية، ويصنع من عنده نهاية خاصة لها، فهذه القصة مثلاً في أغلب المصادر لم تكن نهايتها بهذه الصورة التي أوردها المؤلف، وإنَّما الخيانة أتت من جنود دارا، وهم الذين قتلوه، ثمَّ إنَّ الإسكندر حضر مصرعه وبكى عليه، وكفَّنه بأحسن الكفن ومشى في جنازته، وقتل قاتله، فنلاحظ الزيادات الخيالية التي تضاف في المصادر التاريخية، انظر مثلاً: لطف التدبير: 188.

(1) القصة في: لطف التدبير: 27، وفيها اختلافات وزيادات، وقد جاءت القصة في لطف التدبير أكثر حبكاً وتناسقاً في أسلوبها وأحداثها مما ذكره المؤلف هنا.

(2) أي: أنه رفض العودة إلى الحرب والقتال.

(3) أي: أشيعوا خبر أن أخاه قد أسره أقطر.

(4) القصة في كتاب: لطف التدبير طويلة، وفي أحداثها شبه بقصة فتح طروادة، كما جاء في الأسطورة اليونانية، ولكن كما هي عادة المؤلف يوجز القصة أو الحيلة، ولكنه يقع أحيانا في الإيجاز المُخلّ، ثم يصوغها بأسلوبه، فتأتي عباراته ركيكة، غامضة المعاني.

122. حيلة شِمْر ذو الجناح:[1]

وذلك أنَّه سار إلى سمرقند وحاصرها، فلم يظفر بها، فطاف حولها فأخذ رجلاً من أهلها واستمال قلبه، وسأله عن المدينة، فقال: أمَّا ملكها فأحمق النَّاس، ليس له همّ إلاّ الأكل والشرب والخلوة مع النساء، ولكن له بنت هي التي تدبر أمره وتسوس مُلكه، فبعث معه هدية إليها، وقال له: أبلغها أنَّه لما بلغني من عقلها وحسنها ما بلغني أحببتُ أن تكون زوجتي، فهذا سبب مجيئي إلى هنا، فإن أنكحتني نفسها حتى يصير بيننا ولدٌ مَلك العرب والعجم، وكان الفخر لها بذلك، وإنِّي لم آتِ في طلب المال، ومعي أربعة [الآف][2] تابوت مملوءة ذهباً، وأنا أدفعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت الأرض لي فهي زوجتي، وإن هلكتُ كان المال لها.

فلمَّا بَلَّغها الرجلُ الرسالة، قالتْ: قد أجبته، فلينفذ بالمال، فأرسلَ إليها بأربعة آلاف تابوت، في كلِّ تابوت [رجلان][3] بالسَّلاح، وجعل بينهم علامة ضرب البوق، فلمَّا كان نصف الليل ضرب البوق، ولزم أبواب المدينة، فنهض الرِّجالُ من جوف التوابيت وفتحوا الأبواب، ودخلَ شمرٌ المدينة، وقتل أهلها، وأخذ ملكها وابنته.

---

(1) ورد الاسم في كلتا النسختين، هكذا: [شهريران، وشهربان]، وهو تصحيف، والصواب: هو شمرَ بن شرحبيل بن يعفر بن الحارث بن شمر الأكبر، المعروف بذي الجناح، من ملوك حمير وتّبع في اليمن، رويت عنه في كتب الإخباريين، أحداث كثيرة، تداخلت فيها الحقائق بالأساطير، والقصة التي ذكرها المؤلف في: الكامل: 321/1، وتجارب الأمم: 126/1، وخلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة: 177.

(2) في (ب): [أربعة ألف ألف].

(3) في كلتا النسختين: [رجلين]، والصواب ما أثبتناه.

123 . حيلة بَهْرامَ جور:[1]

حكى ابن المقفع في كتابه تاريخ العجم[2]، أنَّ بهرام جور لما تولى المملكة، ودانتْ له البلاد والعباد، آثر اللهو على ما سواه، فلم يكن له همٌّ إلا الأكل والشرب والصَّيد، فعتبت الرعيَّة عليه، وطمع فيه مَن حوله من الملوك، ورجوا استباحة بلاده والغلبة على ملكه، وأول مَن سبق إلى المكابرة له خاقان ملك الترك، فإنَّه غزاه في ثلثمائة [ألف][3] رجل من الأتراك، حتى دخل في أرض خراسان، وشن فيها الغارات واستاق مواشيها، فلمَّا بلغ أهل المملكة إقبال خاقان بالجيوش إلى بلاده وتعاظمهم ذلك، [فاجتمعوا][4] ودخلوا على بهرام جور، وقالوا: أيّها الملك قد دهمك هذا الغزو، ولا ينبغي لك أن يَشغلكَ ما أنت فيه من اللهو والشرب والصَّيد، فاستعد للمسير، وتأهب لمحاربته لئلا يَخْرب مُلككَ، ويصير عليك عار إلى آخر الأبد.

قال: سأشرع في ذلك إن شاء الله، ولم يمتنع عما كان عليه من الأكل والشرب، ثمَّ أظهر أنَّه يُريد الصَّيد في أرض أذربيجان وآجامها، ويلهو في سيره إليها، فاختار من عسكره سبعة آلاف رجل، واستخلف أخاه [قربين بن يزدجرا][5]، ثم خرج على فرس له حاملاً جعبة نشاب، وقوساً وطبلاً، وكلباً سلوقياً، وعلى يده بازٌ، وأمر أصحابه أن يخرجوا على هذه الصفة، وسار بسبعة

---

(1) هو: بهرام جور، تعريب: بهرام كور، ويُقال له: بهرام الخامس، كان ملكاً ساسانياً، وهو ابن يزدجر الأثيم بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف، وقيل أن والده دفع إلى المنذر بن النعمان ليتربى في صحراء الحيرة، وقد طالت الأساطير سيرته وحكمه، والقصة التي ذكرها المؤلف في: تجارب الأمم: 118/1، والكامل: 310/1، وشاهنامة الفردوسي: 80/2 .

(2) من كتب ابن المقفع المفقودة.

(3) سقطت من (ت).

(4) يكثر في أسلوب المؤلف العطف بالواو، أو الفاء في مواطن متعددة لا توجب العطف، وترك هذا العطف أقرب إلى فصاحة العبارة، ولا سيما في مثل هذه الجملة التي هي جواب شرط لمّا، ولكننا آثرنا ترك هذه المواطن كما هي، والتنبيه عليها في الهامش.

(5) لا ندري من أين أتى المؤلف بهذا الاسم! فهو في: تجارب الأمم، والكامل، والشاهنامة، وفي غرر أخبار ملوك الفرس: [نرسي بن يزدجر].

ألف باز، وسبعة ألف كلب، وسبعة ألف طبل، وأخذ طريق أذربيجان يتصيد منزلاً منزلاً ولم يشك أهل مملكته أنّه هرب، فاجتمع عظماء أهل العراق وأشرافهم على أن يُوجهوا إلى خاقان ملك الترك ليُؤمنهم، ويُسلّموا البلاد إليه، وبلغه مسير بهرام جور هارباً إلى أذربيجان، وما اجتمع عليه أهل مملكته من المُصالحة، فاقتنع بذلك.

وبلغ بهرام جور الخبر، فسار على أرض الديلم، حتّى انتهى إلى طبرستان، وأخذ على ساحل البحر يسير الليل، ويكمن النهار حتى انتهى إلى [قومس][1]، وصاد من الطير والوحش ما لا يحصيه إلاّ الله، وحملها معه أحياءً حتى وافى جبلاً مطلاً على عسكر الترك، فلمّا كان وجه الصبح أمر بالطبول فضُربتْ، وبتلك الطيور والكلاب والوحوش فأرسلها والبُزَاة، وارتجّتْ الأرض بضرب الطبول، وقالوا: ما تكون كثرة هذه البُزَاة والكلاب والطيور إلاّ مع ألف ألف رجل، واضطرب عسكر خاقان، وماج بعضهم في بعض، وثبت بهرام جور في وجوههم وحمل عليهم، فانهزموا على وجوههم، وتبع بهرام جور أثرهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزموا، وطلب خاقان فلحقه، فقتله واحتوى على مُلكه وعسكره، وصارت [خاتونه][2] في يده، وغنم أصحابه غنيمة عظيمة، وسار في طلبهم حتى خرج من خراسان، وأوغل في طلبهم [وأرضهم][3]، ورتب في البلاد من يوثق به، وعاد وقد فتح الله عليه، ثمّ رفع عن أهل مملكته الخراج ثلاث سنين شكراً لله بما نصره، وقسّم على أهل مملكته مالاً كثيراً، وأعطى الفقراء والمساكين ألف ألف درهم، وعاد إلى ما كان عليه من الأكل والشرب.

---

(1) في كلتا النسختين: [قرمس]، والصواب ما أثبتناه من معجم البلدان: 414/4، وهي تعريب: قومس، بلدة واسعة في جبال طبرستان بين الريّ ونيسابور، ومركزها المشهور: دامغان، وذكرها أبو تمام حين اجتازها إلى نيسابور ممتدحاً عبد الله بن طاهر:

تقول في قومس صحبي وقد أخذت   منا السُّرى وخطى المُهريّة القودِ

(2) في كلتا النسختين: [جاتونه]، والصواب ما أثبتناه من غرر أخبار ملوك الفرس: 560، وخاتونة هي سيّدة نساء خاقان ملك الترك الذي قتله بهرام جور.

(3) سقطت من (ب).

124 . حيلة أخرى له :[1]

بلَّغه بعض الكرات[2] أنَّ عدواً قد نهب أطراف بلاده، وقد استولى على أكثرها، واستخف به، وأظهر الاستهانة به إلى أن قويت شوكته، وعظم سلطانه وملك أكثر بلاده، فخاف الوزراء وأكابر الدولة، ودخلوا على الملك، وأعلموه بما يجب عليه من أموره، واستهلاك العدو بلاده، وتمكُّنه من السلطنة، فنهرهم وزجرهم، واستدعي بمائتي جارية من جواريه، فألبَسَهْنَ الثياب المصبغة، وركبْهنَ القصَبَ، وركبَ مَعهنَ، وجَعَلنَ يَلعَبْنَ ويلعب مَعَهنَ، ويُغنِّي ويُغنِّينَ معه، ويَضحكْنَ ويَلعَبْنَ، فلما رأى وزراؤُه ذلك خرجوا من عنده، وقد أيسوا منه، واجتمعوا على خلعه، فبلغه ذلك. فدعا بجارية من جواريه، وقال: الويلُ إنْ عَلِم أحدٌ من أهل المملكة ما أفعله، ثمَّ إنَّه أخذ صمغاً عربياً، فلبَّد به شعره جميعه حتى صار كأنَّه أقرع مصبَّغ، ولبس مُدَرَّعة[3] صوف، وتحتها ثوب شعر، وأخذ قوْسَاً ونُشَّاباً، وخرج في جَوْف الليل، [وتقدَّم إلى الجارية][4] أن تخْفِي أمْرَه، وتظهر أنَّهُ عليلٌ إلى حين رُجوعه.

ثم مضى وحْدَه، حتَّى انتهى إلى طلائع العدو، وكَمَنَ في مغار على طريقهم، وجعل لا يَمُرُّ به طائرٌ ولا وحشٌ إلا صَرَعه، ووضع سهمه فيه حيثُ شاء، وجعل يجمع كلَّ ما صاد، حتَّى صار كالتل العظيم، فمرَّتْ به طلائع العدو، فنظروا منه إلى أمر هالهم، فقال له الرئيس: ويلك من أنت؟ فقال: إن أعطيْتني الأمانَ أخبرتكَ! قال: لك الأمانُ، قال: أنا غُلامٌ لرجُلٍ سائس، وإنَّ أستاذي غضب عليّ، وكان إليّ مُحْسناً، فأوجعني ضَرباً، ونزع ثيابي عني، وألبسني هذه المُدَرَّعَة وأجاعني، وإنِّي طلبتُ غَفلته، فخرجتُ أتصيَّدُ وآكل، وقلت: لا أبرحُ حتى أرمي بكلِّ سهم.

فأخذه معه إلى الملك، وأخبره بقصَّته. فقال له الملك: قدِّمهُ بين يديَّ، فأمره

---

(1) القصة في كتاب: التاج في أخلاق الملوك: 177، مع بعض الاختلافات والزيادات.

(2) قد تعني: الجنود، أو الجواسيس الذين يكتريهم السلطان لتزويده بالأخبار.

(3) جُبّة من الصوف مفتوحة المقدمة، وعند اليهود: ثوب من الكتّان، يلبسه كبير أحبارهم.

(4) أي: طلب منها أن تخفي أمره.

بالرمي فرمى، فكان يَضعُ سهمه من الصَّيد حيث شاء مّا يَقترحهُ الملك، فتعجَّب الملك منه، وقال له: ويلكَ، وهل في هذه المَملكة من يَرمي مثلك؟ فضحك بهرام جور، وقال: أيها الملك أنا [وأنجسهم وأخسُّهم][1] وأسقطهم رمَاية، وأحقرهم مقداراً، وطرَدوني لكوني لا أحْسِنُ الرمي مثلهم، وعندي جنسٌ آخرَ من الثقاف[2]، فقال: وما هو؟ قال ادعُ لي بإبَر، فدعا له بإبَر، فأخذ إبْرة منها، فرمى بها على أذرع[3]، ثمَّ أتبعها أخرى، ثمَّ أُتبعها أخرى، ثمَّ جعلها سلسلة قد تعلَّق بعضُها ببعض، فبُهتَ المَلك، ومُلِئَ قلبُه ذعراً، وقال له: مَلكُكم هذا جاهلٌ! ما يعلم أنني قد قُرِّبْتُ من بلاده؟ فضحك بهرم جور وقال: إن أعطاني الملك الأمانَ، نصحت له. قال: قد أعطيتكَ. قال: إنَّ ملكنا مستهزئٌ بأمْركَ، مُسْتصغرٌ لشأنك؛ لعلمه أنَّك لا تخْرُجُ من قبْضَته، وذلك أنيٍّ [أخسُّ رام في مدينته][4]، وأبخسهم رماية وأقلُّهم ذكراً، فإذا كنتُ أصيبُ بألف سهم ألف رَجُل، فما ظُنكَ بالملك، [إذا خرج ومعه أربعمائة ألف رام أنا أخسّهم، وأقلُّهم إصَابَة][5]، قال الملك: صَدقتني فيما قلت! والله ما استصْغرَ شأني، وأمهل أمري إلاّ بثقته بمن معه، ولا تركني أبْلُغُ هذا الموضعَ من مُلكه إلا لمِاَ مّا ذكرتَ.

ثمَّ أمر زعيم جيشه أن يَرحل من ساعته، ونادى في الناس بالرحيل، ورحل لا يَلوي على شيء، وأطلق بَهْرم جور وانصرف، فبقي ثلاثة أيام حتَّى دخل منزله، فلمَّا أصبح جلس للنَّاس، ودخل عليه الوزراءُ والعظماءُ. فقَّال لهم: ما

---

(1) في (ب): [أخسهم وأنجسهم]، وفي التاج: [أخسهم رمايةً، وأحقرهم قدراً].

(2) أي: نوع آخر من المهارة.

(3) أي: على مسافة أذرع، وفي كتاب: التاج: [فرمى بها عشرة أذرع، ثمَ أتبعها أخرى فشكّها، ثمَ أتبعها أخرى فشكّها كذلك حتّى جعلها سلسلة...]

(4) في التاج: [أخسُّ من في دار مملكته].

(5) في التاج: [وله مائةُ ألف عبدٍ في قرار داره، أصغرهم شأناً أكبرُ منّي].

عندكم من خَبَرِ عدوكم؟ فأخبروه برحيله وانصرافه عنهم، [فأخبرهم بالقصَّة، فعَظَمَ شأنه، وأعظموا فعله وتفرُّسه][1].

125 . حيلة كسرى أبرويز:[2]

كان كسرى أبرويز إذا رأى في مملكته رَجُلين من بطانته وخاصّته، قد تحابّا واتفقا في كلِّ شيء، خلا بأحدهما وأفضى إليه بسرٍّ في الآخر، وأعلَمَه أنَّه قد عزمَ على قتله، وأمره بكتمان ذلك عن نفسه، فضلاً عن غيره. وتقدم إليه في ذلك بوعيده. ثمَّ يجعل مِحْنته[3] في إذاعة سرِّه ملاحظة صديقه في [دخوله وخروجه من عنده][4]، وفي إسفار [لونه ولقائه][5] للملك، فإن وجد الآخر أمره [كأوَّله][6]. علم أنَّ الآخَرَ لم يُفْضِ إليه بسرِّه، ولم يُظهِره على ما عنده، فقرَّبه واجتباه ورفع منزلته، ثم خلا به. وقال له: أردتُ قتلَ فلان بشيءٍ بلغني عنه، فتحققتُ عن أمره فوجدته باطلاً، أمَّا إنْ رأى من ذلك نفوراً وازْوِراراً وإعراض جانب، علم أنَّه قد أذاع بسرِّه، فأقصاه واطَّرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنَّه أراد مِحْنته بما أوْدعته من سرِّه، ثمَّ إنَّه ينفيه من أرض مملكته[7].

---

(1) كما هي عادة المؤلف في المبالغات والزيادة في القصص، أو الحيل التي يذكرها، فهو هنا ينهي القصة بطريقة مختلفة عمَّا في كتاب التاج، فالنهاية في التاج، هكذا: [فقال: قد كنتُ أقول لكم: إنّه صغير الشأن، ضعيف المُنّة. ولم يعلم أحدٌ منهم ما كانت العلّة في انصرافه].

(2) هذه القصة في كتاب: التاج في أخلاق الملوك: 94، مع بعض الاختلافات، وكسرى هو: كسرى أبرويز بن هرمز الرابع، المعروف بكسرى الثاني، (590-628م) ولقبه: أبرويز يعني المظفر، كان أحد ملوك الدولة الساسانية في بلاد فارس، وكان أشد ملوك الدولة الساسانية بطشا، وأنفذهم رأياً، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «مزّق الله ملكه»، بعد أن طرد السفير: عبد الله بن حذافة السهمي الذي أرسله النبي ﷺ، ومزق الكتاب الذي حمله إليه؛ لأن الرسول ﷺ قد بدأ باسمه قبل اسم كسرى، انظر: الكامل: 373/1، والبداية والنهاية: 268/4.

(3) أي: اختباره.

(4) رواية التاج: [في دخوله عليه وخروجه من عنده].

(5) في كلتا النسختين: [لونه وبقائه]، وفي التاج: [الوجهه ولقائه].

(6) رواية التاج: [كأوّله في أحواله].

(7) للقصة في كتاب: التاج بعض التفصيل في ما لقيه هذا الشخص من عقوبة بحسب أحواله ومراتبه.

126 . ومن حيله :[1]

مما ذكره ابن المقفع في فضل الفرس: أنَّ كسرى أبرويز كان إذا حفَّ الرَّجل على قلبه وقرُب من نفسه، وأحبَّ أنْ يَمْتحنه بِمحْنة باطنة، فيأمر به أنْ يتحَول إلى منزله، وأن يُفرَّغ له حُجْرة، ولا يُحوَّل إليها امرأة ولا جارية، ويقول له: إني أحبُّ الأنس بك في ليلي ونهاري، ومتى كان معكَ حُرَمك شَغلك عني وقطعك، فاجعلْ مُنْصرفك إلى مَنْزلك في كل خمسة أيَّام يوماً واحداً. فإذا تحوَّل الرَّجُل وآنسه وخلا به كان [آخِرَ][2] مَنْ لا يَنْصرف من عنده، فيتركه على هذه الحالة شهراً.

فامتحن شخصاً من خاصَّته بهذه المحنة في الحُرَم، ثم دسَّ إليه جارية من خواصِّ جواريه ووجَّه معها إليه بألطاف وهدايا، وأمرها أنْ لا تقعد عنده في أول ما تأتيه، فلمَّا أتته بألطاف الملك، قامتْ. ولم تلبَثْ أن انصرفتْ. حتَّى إذا كان في المرَّة الثانية، أمرها أن [تجلس لحظة. وتُبْدي بعض وجهها حتى ينظر إليها][3]، ففعلتْ، ولاحظها الرَّجُل وتأمَّلها ثمَّ انصرفتْ. فإذا كانت المرة الثالثة، أمرها أنْ تطيل الجلوس عنده، وتحادثه، [وإن أرادها فوق العادة أجابته][4]، ففعلتْ. وجعل الرَّجُل يُحدُّ النظرَ إليها ويُسرُّ بحديثها. ومن شأن النفس أن تَطلُبَ بعد ذلك الغرضَ من هذه المطايبة، فلمَّا أبدى ما عنده، قالتْ: أخاف [أن يُنْظرَ لنا][5]، ولكن دعني حتى أُدَبِّرُ في هذا [الأمراً][6]. ثم انصرفتْ. فأخبرتِ الملك بكلٍّ ما كان بينهما، فأنفذ أخرى غيرها من خواصِّهنَ وثقاتهنَ بألطافه وهداياه، فلمَّا جاءته، [قال][7] لها: ما فعلت فلانة؟ قالتْ له: اعتلَّتْ. فارْبَدَّ لون

---

(1) الكتاب الذي ذكره المؤلف لابن المقفع من الكتب المفقودة، والقصة مع بعض الاختلافات في كتاب: التاج: 95 .

(2) سقطت من (ب).

(3) رواية التاج: [وأن تبدي بعض محاسنها، حتَّى يتأملها].

(4) رواية التاج: [وإن أرادها على الزيادة من المحادثة أجابته].

(5) رواية التاج: [أن يُعْثر علينا].

(6) في(ب): [في هذا أمر]، والصواب ما أثبتناه من (ت).

(7) في (ب): [قالت]، ولصواب ما أثبتناه من (ت).

الرَّجُل[1]، ثمَّ لم تُطِل القعود عنده كما صَنعتِ الأولى في المرة الأولى. ثمَّ عاودته بعد ذلك، وجلستْ عنده أكثر من المقدار الأوَّل، وأبدت له بعض محاسنها حتَّى يتأمَّلها ثم تنصرف. وعاودته في المرة الثالثة، وأطالتْ عنده القعود والمضاحكة معه، [فدعاها إلى ما في النفس من التركيب][2]، قالت: إنّا على خُطىً من الملك، ومعه في دار واحدة، لا نأمن أن يُعْثَرَ بنا، ولكنَّ الملك بعد ثلاثة أيام يَطلُع إلى الصَّيد، فإن أرادك أن تمشي معه، فاظهر أنَّك عليل، وتمارضْ، فإنْ خَيَّركَ بين الانصراف إلى دارك ونسائك، والمقام هاهنا إلى رجوعه، فاختر المقام هاهنا وأخبره أنَّ الحركة تصعُب عليكَ، فإذا أجابك إلى ذلك [كنتُ أنا عندك إلى حين عوده][3]. فسَكَنَ الرَّقيعُ[4] إلى قولها، وانصرفتِ الجارية إلى الملك فأعلمته بكلٍّ ما كان بينهما.

فلمَّا كان الوقت الذي وعدته فيه أنْ يَخرجَ الملك، دعاه الملك. فقال للرسول: إنِّي عَليلٌ، فأعاد الرسول الجواب، فتبسم الملك. وقال: هذا أوَّل الشرِّ، وأنفذ إليه بمِحَفَّة[5] يُحمل فيها، فأتاه وهو مُعَصَّب الرأس، فإذا بَصُر به من بعيد، يقول: والعصابة للشرِّ الثاني ويتبسم[6]. فلمَّا قرُبَ من الملك سجد له، فقال له كسرى[7]: متى حَدَثَ بك هذا المرض؟[8] قال: في هذه الليلة، قال: فأيُّ

(1) أي: تغير لون وجهه، والرُّبد: لون يختلط فيه السواد بكدرة وحمرة.

(2) في التاج: [فدعاها إلى ما فيه تركيب النفس من الشهوة].

(3) عبارة التاج: [جئتُ في أوَّل الليل، ولبثت عندك إلى آخره].

(4) الرَّقيع هو: الشخص الأحمق، قليل الحياء.

(5) المِحَفَّة: حامل له ذراعان من كلِّ ناحية؛ ليسهل حمله، يستلقي فوقه المريضُ العاجِز عن المشي، وقديما قد يُصنع من القماش أو الجلد.

(6) عبارة المؤلف مضطربة وركيكة، ورواية التاج، هكذا: [فحُمل فيها حتَّى أتاه، وهو مُعَصَّب الرأس، فلمّا بَصُرب به من بعيد. قال: والعصابة الشرُّ الثاني، وتبسَّم]، وتختلف في التاج بعض الألفاظ في القصة عمّا يذكره المؤلف.

(7) عبارة التاج: [أبرويز].

(8) عبارة التاج: [متى حدثت بك هذه العلَّة؟].

الأمرين أحبُّ إليك الانصرافُ إلى نسائك[1] تتمرّض عندهن، أو المقام هاهنا إلى وقت رجوعي؟ قال: ها هنا أيها الملك أرْفَقُ لي لقلة الحركة[2]، قال: وما سبب حركتك في منزلك؟ ثمَّ أمر به أنْ يوسم بوسم الزناة، ويُنفى من أرضه[3].

127. ومن حيلة أيضاً:

حُكي عنه أنَّه دخل في بعض الأيّام [فجأة][4] إلى بعض دوره، فرأى جارية وغلاماً متعانقين، فغضب لذلك غضباً شديداً، وهمّ بقتلهما، ثمَّ فكَّر في نفسه، وخاف الفضيحة، وفتحتْ له الفكرة أن يُنفذه إلى بلاد الرُّوم، فيُقتل هناك. واستدعاه في بعض الأيّام، وقال له: إنِّي باعثك إلى أرض الرُّوم بتجارة تبيعها هناك، وتعتاض لنا من معمول الرُّوم ما يصلح لمثلنا، فقال: سمعاً وطاعة، فأعطاه أشياء، وأنفذه، فمضى وعاد، ثمَّ أنفذه فمضى وعاد، ثمَّ أنفذه وأعطاه في جملة ما أعطاه حُساماً[5] قد صُنع لقتله، وذلك أنَّه نقش فيه صورته، وقال له: لا تبعْ هذا إلاّ على الملك، ثمَّ سار ذلك المملوك إلى بلاد الروم، وباع ما كان معه، وقدَّم الحسام إلى الملك، فلمَّا رأى الملك الحُسام أعجبه غاية العجب، ثمَّ نظر صورة كسّرى في دسته، وصورة الغُلام وهو قائم في جنبه يسارّه في أذنه، ففكَّر في ذلك، وجعل ينظر إلى الحُسام، وينظر إلى الغُلام، فرأى [صورته لا تُخْرم][6] دقة واحدة، [فقال كِسْرى][7]: ما بَعَث بهذا الغُلام إلا ليعرف طريق بلادي وأحوالها، فأخذ جميع ما كان من الصبي وصلبه.

---

(1) عبارة التاج: [إلى منزلك ونسائك ليُمرّضنك].

(2) عبارة التاج: أرفق بي لقلة الحركة، فتبسَّم أبرويز

(3) نهاية القصة في التاج فيها بعض التفصيل، وكيف أنَّه أخرج من المملكة، وكُتبت جريمته فقُرئت على النَّاس، فلمّا أحس الرّجل بالفضيحة، أخذ مدّية كانت مع بعض الجنود، وقطع بها عضوه وتمثل بحكمة، ثم مات.

(4) في (ت): [هجماً].

(5) في (ت): [جاماً]، والجام: إناء للشّراب والطعام، قد يصنع من الذهب أو الفضة.

(6) قد يكون المعنى أنَّ الصورة لا يمكن محوها بيسر.

(7) الذي قال هو الملك، وكثيراً ما تضطرب العبارة عند المؤلف.

128 . ومن حيله:[1]

أيضاً أنَّه أنفذ رجلاً من قواده اسمه شَهْرَبَرَاز[2] في خمسين ألف إلى بلاد الجزيرة والشام، وهي بيد قيصر ملك الروم، فجعل يفتح أرضاً أرضاً، حتَّى فتح الجزيرة كلَّها، وضيّق على قيصر، [وأخذ كنز الرِّيح الذي قد اجتمع في خزانة الملك ليرحل عن الجزيرة والشام، فلمَّا أُخذت الشام والجزيرة][3]، حمل المال في البحر إلى بلاد الرُّوم وكان مالاً عظيماً، فَقيل إنَّه حُمِل في خمسمائة سفينة، فعصفت به الرِّيح فردَّته إلى الشام، فأُخْبِر بها شهربراز، فقبض عليها، وبعث بالأموال إلى كسرى، وقال: هذا الكنز جاءت به الريح، فسُمِّي كنز الرِّيح، وعَظمتْ منزلته عند كسرى، حتَّى لم يكن يوازنه عنده أحدٌ، فحسده أقرانه [من

---

(1) القصة بروايات مختلفة وزيادات، في: التاج: 180، وفي تجارب الأمم: 162/1، وفي الكامل: 369/1، والقصة في كلتا النسختين فيها اضطراب، واستطرادات في عرض أحداثها.

(2) شهربراز: قائد فارسي في جيش كسرى أبرويز، وحدث بينهما خلاف، فلما مات أبرويز، قتل شهربزار الطفل أردشير الثالث ملك فارس، ونصب نفسه ملكاً، لكنه لم يستمر سوى بضعة أشهر، حيث ثار عليه جنوده، ونصبوا مكانه بوراندخت بنت كسرى أبرويز ملكة مكانه، انظر: الكامل في التاريخ: 386/1 .

(3) اضطررنا إلى تنسيق النص مستفيدين من كلتا النسختين، وعلى الرُّغم من ذلك، لم يرتفع الاضطراب، فالمقصود أنَّ الذي أخذ الكنز هو قيصر الروم، لَمّا حاصره شهر بزار، فأراد الهرب به إلى بلاد الروم، فحملته الريح إلى جهة الشام التي يعسكر فيها شهربزار، ويردُ هذا النص في كتاب التاج بسرد متماسك واضح، هكذا: [فكان شهر بزار قد ضيّق على ملك الروم داره وأخذ بمُخَنَّقه حتّى همّ بمهادنته، وملَّ محاربته، وطلب الكفَّ عنه، فأبى ذلك عليه شهربزار، واستعدّ له ملك الروم بأفضل عدّة، وأتمّ آلة وأحدّ شوكة، وتأهّب للقائه في البحر، فجاءه في جمع لا تُحصى عدّته، قد أعدّ في البحر كلَّ ما يحتاج إليه من مال وسلاح وكُراع وآلة وطعام وغير ذلك، والسُّفن مشحونةً موقرة، بينما هو كذلك، إذ عصفتْ ريحٌ في تلك الليالي فقَلعتْ أوتاد تلك السُّفن كلّها وحملتها إلى جانب شهربزار، فصارت في ملكه، وأصبح ملك الروم قد ذهب أكثر ما كان يملك من الأموال والخزائن والعُدد والسِّلاح، فوجّه شهر بزار بتلك الخزائن والأموال إلى أبرويز، فلمّا رأى أبرويز ما وجّه به شهربزار كَبُر في عينه، وعظم في قلبه] .وفي كتاب: المحاسن والمساوئ: 124: [أصاب خزائن الملك التي كانت تُسمّى» كنج باد أورد» أي الكنز الذي جاءت به الريح، وكانوا حملوها لحيرزوها، فضربتها الرِّيح في الجزيرة من خليج البحر، فأخذها وبعث بها إلى كسرى] .

قواد كسرى، وقالوا لكسرى: إنَّ شهربراز يقول: أنا أعظم من كسرى][1] وأجلّ منه، وأنَّك لو دعوته لما جاء إليك، وجعلوا يقولون مثل هذا الكلام وشبهه عند كسرى، حتَّى أقروا ذلك في قلب كسرى[2].

فكتب إلى شهربراز أن: قد وقعتْ حادثة أريدُ أن أشاورك فيها، فاستخلف على جيشك، وبادر إليّ، ثمَّ كتب كتاباً آخر على يدِ رسولٍ آخر، وبعثه خلف الأوَّل، فيه: إنِّي كنتُ قد كتبتُ إليك في ثورة وقعتْ، وقد كفاني الله أمرها، فأقِمْ مكانكَ حتَّى يأتيك أمري.

وقال للرَّسولِ الثاني: كُنْ على أثر الأول، فإذا قرأ شهربراز الكتاب الأوَّل ورأيته قد أجاب للإقبال نحوي، فلا تدفع إليه كتابك ودعه حتَّى يأتي، وإنْ رأيته قد كره الإقبال إلينا فادفع إليه هذا الكتاب[3].

فلمَّا دفع الرَّسول الأوَّل كتابه لشهربراز وقرأه، قال: ما أرى الملك كتب إليّ في هذا الكتاب إلا وهو سكران، فلمَّا رأى الرسول الثاني كراهيته دفع الكتاب إليه، وقال له: إنَّ الملك أردفني خلف هذا الرَّسول من الغد، ففرح شهربراز، وسألهما أنْ يكتما عليه ما قاله، وأحسن جائزتهما. وكتب إلى كسرى: إنِّي هاهنا في نحر العدو وقد حاصرتهم، وأرجو أن يفتح الله على يديّ، ولا يُمْكِنِّي استخلاف غيري على هذا الجيش، وقد وفق الله الملك بما كتب في الكتاب الثاني يأمرني به من الإقامة.

وكان لشهربراز خليفة بباب كسرى يكتبُ إليه، فأخبره وحذَّره، وأخبره أنَّ الناس قد حسدوك عند كسرى، وأوغروا صدره عليك، فإياك أنْ تأتيه، فإنَّك إنْ أتيته لم تسلم منه البتة، فلمَّا ورد الكتاب على شهربراز، وكان قد نزل على باب

---

(1) سقط من (ت).

(2) ذكر المؤلف سببين للخلاف بين أبرويز وقائده شهربزار، وهما يشبهان ما في كتاب التاج مع اختلاف يسير، وهو أن الذي أوغر صدر كسرى في السبب الأول: هو غلامه رُسْته، وفي كتاب الكامل اكتفى بذكر السبب الثاني للخلاف، وسيذكره المؤلف، ورواية التاج والكامل لهذه القصة أكثر تماسكاً ومتانة من إطالات المؤلف وزياداته الخيالية.

(3) تختلف طريقة عرض القصة، وبعض تفاصيلها عمَّا في كتاب التاج.

القسطنطينيّة محاصراً لقيصر، فتنحى بعسكره عنها.

وقال بعض الوزراء: بل كان سبب استدعاء كسرى شهربراز أنّه كان له أخ، يقال له: فرحان[1]، وكان من أشد الرِّجال وأشجعهم، فقال يوماً في سُكره: إنّي رأيتُ البارحة كأنّي جالسٌ على سرير كسرى، فكتبَ صاحب الخبر إلى كسرى بذلك، فغضب كسرى على فرحان، وكتب إلى شهربراز أن ابعث إليّ برأس فرحان. فكتب شهربراز إليه: أيها الملك إنَّ فرحان رجل ليس له نظير، وإذا قُتل فلا خَلف لكم عنه في عنايته وكفايته وشجاعته، فأعاد كسرى إليه الرَّسول أن تبعث برأس فرحان، فعاوده شهربراز بمثل قوله الأول، فأعاد كسرى إليه الرَّسول أن لابد من أن تبعث برأسه، فعاوده شهربراز فيما أمره كسرى من قتل فرحان.

فكتب كسرى إلى فرحان أنّي قد ولّيتك الجندَ مكان شهربراز، وكتب إلى العسكر: إنّي قد وليتُ عليكم فرحان، قال شهربراز: سمعاً وطاعة، [وقام نزل][2] عن موضعه، وأجلس أخاه فرحان موضعه، ثم كتب كسرى إلى فرحان: إنَّ شهربراز قد عصاني في أمور أمرته بها فانفذ إليّ برأسه، فلمّا ورد الكتاب على فرحان دعا بشهربراز وعرض [عليه][3] الكتاب، فقال شهربراز، وما أنت فاعل الآن؟ قال: لابدَّ من امتثال أمر الملك، قال شهربراز: دعني حتّى أوصي بوصيَّة، وأكتبها، قال: نعم، فافعل. فدعا شهربراز بسَفط[4] وفتحه، فأخرج منه [الثلاثة كتب التي كتبها كسرى][5] في قتل أخيه فرحان ودفعها إليه، وقال: أمرني الملك بما أمركَ به فيّ، وخالفته ثلاث مرات، فلذلك غضب عليّ، وأنت تريدُ تقتلني بكتاب واحد، فقام فرحان من مكانه، ورد شهربراز إلى موضعه، وقام بين يديه، وقال: أنت أحق بالرئاسة مني وأكرم وأعقل.

---

(1) في كلتا النسختين: [يتردد الاسم بين فرحان وفرجان، وفرخان، وهو في الكامل: فرخان].

(2) هكذا في كلتا النسختين.

(3) في (ب): [إليه].

(4) في الكامل: [أحضر درجاً، والسَّفط: وعاء من القصب توضع فيه الأدوات والأشياء].

(5) في(ب): [ثلاثة كتب الذي كتبها كسرى].

ثمَّ إنَّ شهربراز كتب إلى قيصر ملك الروم[1]: إنِّي أريدُ أُحدِّثك بسرٍّ لا تحمله الكتبُ، ولا تنقله الرُّسُل، ولا بدَّ من لقائك، فمتى تأذن لي؟ فتعجب قيصر، وخاف من ذلك أن يكون سبب مكر، فأعاد عليه الكتاب، وقال له: لا وجه للقائنا مع ما بيننا، فكتب إليه شهربراز بالعهود والمواثيق والإيمان المُعظَّمة، وقال: ألحقني في خمسين رجلاً، وأنا في مثلها حتَّى تعلم أنَّه لا غدر عندي بك، ففعل قيصر ذلك، ثمَّ تواعدا مكاناً ويوماً يلتقيان فيه، فخرج قيصر إلى ذلك المكان في نفر، وخرج شهربراز من عسكره إلى هناك، وضُرِبتْ لهما قُبَّة، فدخلاها وخلواً من الناس، ولم يكن عندهما إلاَّ ترجمان يُعبِّر لهما ما يقولان، فأخبر شهربراز قيصر ما كان من كفايته أمر كسرى وفتوحه لأجله، وذكر: أنَّه قد تغير عليَّ وأراد قتلي، وأنا الآن [فلا آمن][2] إليه ولا أثق به، وقد [سالمتك][3] وأنا اعتذر إليك فيما مضى، فاجمع جنودك، وسِرْ إلى أرض فارس، فإنَّ أساورة[4] فارس كلها معي، وإنَّما آمُركَ بالمسير؛ لأنِّي لا آمن أنَّ جُندي لا [ينتقمون][5] لي من كسرى، ثمَّ إنَّهما تعاهدا وتوافقا، فلمَّا أراد القيام، قال شهربراز: السرُّ لا يحمله إلا اثنان فاذًا ذاك[6]، فأشار قيصر إلى شهربراز، فسلَّ سيفه وقتل الترجمان، ورجع كلٌّ واحد إلى موضعه، وجمع قيصر جنوده، وخرج سحراً بلاد فارس، وغلب جميع ما كان غلب عليه شهربراز، وسار إلى العراق يهزم ويقتل.

فلمَّا قَدِم قيصر العراق كتب له شَيرُويَه بن كسرى أبرويز ابن أخت قيصر، وذلك بأنَّ كسرى تزوج بأخت قيصر فولد له شيرُويه، فعمد شيرُويه أن يقبض على أبيه كسرى وسلَّم الملك إلى خاله قيصر، ففطن كسرى بذلك، فأخذ شيرويه وسجنه.

---

(1) المقصود به: هرقل.

(2) في (ب): [فلا أسير إليه].

(3) في (ب): [وقد سألتك].

(4) الأُسوار: جمعها: أساورٌ، وأساورة، كلمة فارسية معناها الفارس، والقائد في الجيش.

(5) في (ب): [لا ينقذون].

(6) أي: اتفقا.

ثمَّ إنَّ كسرى احتال في دفع قيصر عنه بعد أنْ مَلك إلى باب المدائن، فدعا ببعض الرُّهبان الذين في مملكته، ووعده ومنّاه إنْ هو حمل كتابه إلى شهربراز، بأن يُكْرِمُه ويُكْرِم جميع الرهبان الذين في مملكته، ويبني له ديراً، وقال له: إنّما أبعثك لئلا يظن أنَّ معك كتابي، إذ أنت من جملتهم[1].

[وكتب إلى شهربزار][2]: أمّا بعد، فقد وفيتَ بما ضمِنْتَ لي من الكيْدِ على قيصر، حتَّى أخرجته من بلاده، وأوقفته في حدودي، فينبغي أنْ [تأتي من ورائه][3] بالعساكر الذين معك، وأطلع أنا من أمامه، فنستأصله وأوليك موضعه، وموعدنا يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا، ثمَّ إنَّه أقرأه الرَّاهب ليعلم ما فيه وسلَّمه إليه، فأخذه وسار حتَّى وصل إلى عسكر الروم، فلمَّا سمع صوت النواقيس جرت دموعه، وقال: بئس الرَّجل أنا إنْ أعنتُ على أهل ديني، فحمل الكتاب إلى قيصر وسلَّمه إليه، فقرأ قيصر الكتاب، فتحيَّر مّما فيه، واتهم شهربراز، ولم يَدْر ما يصنع إلاّ أنَّه أقام مكانه.

ثمَّ إنَّ كسرى كتبَ كتاباً آخر، وسلَّمه لرجُلٍ من أهل فارس، وقال له: امضِ على غير سَمْتِ عسكر الروم، وتعال إلى عسكر الروم، كأنَّك قد جئتَ من عند شهربراز وتعرض لهم حتَّى [يلزمونك][4]، ويأخذوا الكتاب منك، وفي الكتاب: من شهربراز عبد كسرى إلى الملك: أما بعد فقد أخرجتُ قيصر من بلاده بالمكر والحيل، وحصَّلتُه ببلادك، فاستقبله بمن عندك من العساكر، وأتي أنا خلفه فنستأصِلُ شأفته.

فأخذ الكتاب ومضى كما أمره كسرى، ودخل عسكر الروم، فلزموه وأخذوا الكتاب منه وسلَّموه إلى قيصر، فرآه بخط شهربراز وختمه، فلمَّا قرأ قيصر الكتاب الأوَّل والثاني، أمر بضرب الناقوس للرحيل إلى بلاده، وكتب إلى شهربراز يستخونه، وينسبه إلى الغدر، فذكر له شهربراز أنَّ كسرى قد احتال

---

(1) لأنَّ الروم على الدِّيانة المسيحية، بينما الفرس ليسوا كذلك.

(2) سقطت من (ب).

(3) في(ب): [تأتي من بعده].

(4) في (ت): [يرمونك].

عليك حتَّى رحلّك عن بلاده، وليس لي علم بشيء من هذا، فلم يُصَدِّقه قيصر، وتحير شهربراز في أمره.

ثم إنَّ كسرى كتب إلى شهر براز يُطيِّبُ نفسه ويخبره برضاه عنه، فأمره بالقدوم عليه، فأقبل شهربراز، إلاّ أنَّه لم يعتمد على كسرى، وكان ابن كسرى مسجوناً، فمازال به شهربراز حتَّى أخرجه من السجن، واتفق هو وشِيرُويَه على قبض أبيه، فما زالا حتَّى قبضا عليه وسجناه في موضع شِيرُويَه، وجلس شيرويه على سرير المملكة، وسلم الناس عليه بالملك، وبايعوه على ذلك.

ويقال: إنَّه لم يقتل أحدٌ بعده غير رجلين[1]، إلا كسرى أبرويز كان قد وقع في نفسه أنَّ ابنه يقتله بأمارات رآها منه، فعَمِد إلى حُقٍّ[2] من ذهب، ووضع فيه سماً وكتب عليه: دواء للجماع، من أخذ منه ثلاثة مثاقيل، وشَرِبَه بشراب، جامع كذا وكذا مرة، ولا يَضُرّه الجماع شيئاً، وختم عليه وجعلها في خزانته الخاصة.

ثمَّ إنَّ شِيرويه خشي من أبيه، وأنفذ إليه رجلاً من القوَّاد ليقتله، فلمَّا دخل الرَّجل على كسرى، قال له كسرى: ما وراك؟ قال: بُعِثْتُ لأقتلك، قال: إنَّك لم تقتلني؛ لأنَّ أباك كان من صنايعيّ وأنتَ رجلٌ حرٌّ، وجزاءُ الخير عند الأحرار ما يكون إلا خيراً، فاستحيا الرَّجل، وخرج، وأخبر شيرويه بقول كسرى، واستعفاه من قتله.

فبعث إلى شيرويه برجل قد قتل كسرى أباه، وقال له: ادخل عليه، وخذ منه بقصاص أبيك، فدخل الرَّجل عليه، فقال له كسرى: من أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان، قال: لَم جئتَ؟ قال: أُمِرتُ بقتلك، قال: أنتَ الذي تقتلني؛ لأنني قتلتُ أباك، وليس من صلب أبيه من ظفر بقاتل أبيه، ولم يقتله، فقتله الرَّجُل ثم خرج.

فقال له شيرويه: ما قال لك كسرى؟ فأخبره بقوله، قال شيرويه: هذا مثلي

---

(1) المعنى: لم يستطع أحدٌ أن يقتل رجلين بعد موته سوى كسرى، وكثيرا ما يؤدي اضطراب عبارات المؤلف إلى مثل هذا الغموض.

(2) الحُقُّ: وعاء صَغيرٌ ذو غطاء، يُصنع من عاج أو زجاج، أو غيرهما.

ومثلك، أنت قاتل أبي، وقد قدرتُ عليك، فإنْ لم أقتلك كنتُ لغيره، فأمر بقتل الرَّجل، هذا واحد بعد موته. وأمَّا الرَّجُل الآخر فهو ابنه شيرُويه، [فإنَّه][1] أخذ مفتاح الخزانة من وسط أبيه وفتحها، فرأى فيها ملكاً عظيماً، وظفر بالحُقِّ، ففرح به فرحاً عظيماً، وقال: بهذا كان يتقوى على شيرين[2]، فأخذ منه مثقالاً فوقعتْ مذاكيره[3]، ولم يتهنأ بشيءٍ من ملكه، وماتَ في أيامٍ قلائل، فهذه من جملة حِيَل كسرى بعد موته[4].

129. حيلة النُّعْمَان بن المُنذر[5]:

وذلك أنَّ كِسْرى [أنوشروان][6] كان قد ولَّى النُّعْمان ابن المنذر على العرب، وجعله ملكاً عليهم، وكان كِسْرى ملك الفرس، والنُّعْمان ملك العرب، فدخل

(1) سقطت من (ت).

(2) اختلفت الروايات في قصة هذه المرأة، ودخلتها الأساطير، فلا يُعرف، هل هي فارسية أم رومية أم أرمنية؟ وما يُقال: أنَّ كسرى أبرويز قد أحبها حين هرب من أبيه هرمز، ثمَّ لَمَّا حكم أتى بها إلى قصره.

(3) أي: أعضاؤه الذكرية.

(4) أطال المؤلف في القصة، وأتى باختراعات واستطرادات عجيبة، لم نعثر عليها فيما بين أيدينا من مصادر، بل إنَّ قصة موت شيرويه في تجارب الأمم تختلف جملة وتفصيلا عمّا ذكره المؤلف، ففي تجارب الأمم والكامل: أنه أصيب بمرض وحزن وكمد بعد قتله بعض إخوته.

(5) هو: أبو قابوس النُّعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) بن امرئ القيس اللخمي، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان صاحب دهاء وشجاعة، وهو ممدوح النابغة الذبياني، وحسّان بن ثابت، وصاحب يومي البؤس والنعيم، أقره كسرى أنوشروان على الحيرة إلى أن نقم عليه كسرى أبرويز، وسجنه وقتله. انظر: الكامل: 171/1، المنتظم: 108/1.

(6) في كلتا النسختين: بن شروان، والصواب ما أثبتناه، وهو: كسرى الأول (501- 579م) المعروف أنوشيروان العادل (بالفارسية: انوشيروان دادگر)، الروح الخالدة، واسمه: كسرى بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور،حكم الإمبراطورية الساسانية، وقد اعتلى العرش بعد أبيه قُباذ الأول. وضع الأسس لمدن وقصور، وبنى العديد من الجسور والسدود، وخلال عهده ازدهرت الفنون والعلوم في بلاد فارس، وكانت الإمبراطورية الساسانية في قمة مجدها. انظر: الكامل: 336/1، وتجارب الأمم: 127/1.

النُّعْمانُ على كِسْرى ذات يوم وبين يديه تمر [منزوع النوى][1]، وقد جعلوا موضعه لوزاً. وأراد كِسْرى [أن][2] يُمازِّح النُّعْمان، فاستدعى بشيءٍ منه ووضعه بين يديَ النُّعْمان، والنُّعْمان لا يعلم حديث التمر كيف هو، إلاَّ أنَّه رآهُ يأكلُ ولا يرمي نوىً، فأكلَ النُّعْمان وبلع النوى موافقة لكِسْرى، فضحك كِسْرى وجماعته، وأطعم النُّعْمان ما بين أيديهم، ففطِنَ لذلك، وطلع من عند كِسْرى، وكتب من ساعته إلى العَرب أنْ تنْهَب أطراف المدائن ونيسابور والحيرة إلى الكوفة، ففعلوا ذلك، وخبَّلوا النَّاس، وانقطعتْ السُّبُل، وكثرتْ الشكاوى إلى كِسْرى، فأحضر النعمان وذكر له ما جرى، فقال النعمان: إنَّ أمْري ليس بمطاع ولا بمَسْمُوع؛ لأنني كنتُ عند العَرب [ملكاً][3]، والآن صِرتُ عندهم [مَطْنَزة][4] فشغبوا عليَّ وعَصَوْا أمري، ففطِن كِسْرى لِما أراد، وقال له: إنَّما أردنا [المداعبة][5]، وخَلع عليه، وبَرَّه، فأنفذ إلى العرب، وردهم عمَّا كانوا عليه.

130. حيلة لبعض الملوك:

كان في بعض المصافات[6] فكسر عسكره وانهزم، فانهزم الملك أيضاً فطلبوه، فجعل ينثر في طريقهم فصوص الجوهر والزمرد والبَلْخَش[7] والياقوت والدنانير، فظنوا أنَّها كانتْ مَعَه ذخيرة وقد سقطتْ منه، فاشتغلوا بلقطها، ونجا الملك بنفسه، فلمّا أرادوا بيعها طلع الكلُّ زجاجاً مصبوغاً والدنانير مطلية.

---

(1) في (ب): [منزوع من النوى].

(2) في كلتا النسختين: [ملك].

(3) سقطت من كلتا النسختين، وأثبتناها؛ لأن السياق يقتضيها.

(4) في (ب): [مطرة]، والصواب ما أثبتناه من (ت)، أي: مَسخرة، وهنتُ عليهم.

(5) في (ب): [الملاعبة]، والصواب ما أثبتناه من (ت).

(6) نوع من الجواهر، يُجلب من بلخشان في بلاد الترك.

(7) أي: صفوف الجند في المعركة.

131. حيلة مُعزَ الدَّولة:[1]

وذلك أنَّه أراد أنْ يَعْبُر إلى الجانب الشرقي فمنعه [نيال كوشه][2]، وكان قد صنع زبازب في الصـراة[3] وأحـدرها إلى الدجلة في الليل مـوضع سـوق [الثـمـارين؛لأنَّه أضـيق مـوضع][4] في دجلة، وأوقف وزيره الصَّـمـيـري[5] واصفهدست[6] وخواص دولته على العبور، [ثمَّ إنه بعد ذلك أحضر ابنيه ومن يثق إليـهم وأمرهم العبور][7]، وأظهر هو أنَّه يَعْبُر من أعلى قطربُّل[8]، فمضى بالليل في وقت مواعدتهم، وضرب الطبول والبوقات وسار بالمشاعل، وحمل بعض تلك المعابر [بالأوهاق][9] على الظهر، فلمّا رأى أعداؤه ذلك، ساروا بإزائه لمانعته، فتمكّن الصَّمِيري ومن معه من العبور، وكان الصَّمِيري أوَّل من بذل

---

(1) القصة في الكامل: 227/7، وتجارب الأمم: 279/5، ومعز الدولة هو: هو السلطان البويهي، أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي، الملقب بمعز الدولة، أول من تملك من سلاطين الدولة البويهية، وهي دولة شيعية، أصلهم من الديالمة، وبلادهم في الجنوب الغربي لبحر قزوين، تسلطت هذه الدولة على الخلافة العباسية ابتداءً من عهد الخليفة المطيع لله سنة 334هـ، واشتغل معز الدولة بمحاربة الأمراء المتغلبين على أطراف العراق، مثل أمراء الدولة الحمدانية، خاصة ناصر الدَّولة، وأبي القاسم البريدي، كما انشغل بنشر مذهب التشيع، وأمر النَّاس بجميع الاحتفالات الشيعية، مات سنة 356هـ.

(2) الكلمة غير مقروءة في كلتا النسختين، والتصحيح من تجارب الأمم: 279/5، والكامل: 208/7، ونيال كوشه أحد القادة العسكريين عند معز الدَّولة، إلا أنَّه تمرد عليه، وهرب إلى ناصر الدَّولة الحمداني.

(3) الزبازب، أو الزبزب: نوع من السفن الحربية الصغيرة التي انتشرت في زمن الدولة البويهية في بغداد، ومثلها الشذاوات والطيارات، والصراة: أحد الأنهار القديمة في بغداد، ويقع قصر معز الدولة على هذا النهر.

(4) في كلتا النسختين: [التمّارين لأنَّه أطيب موضع]، والصواب ما اثبتناه من الكامل، وفي تجارب الأمم: [الثمانين]، وهو تصحيف.

(5) هو: أبو جعفر محمد بن أحمد الصميري، وزير معز الدَّولة، تُوفي سنة 339.

(6) هو: خال مُعز الدَّولة، وكبير القواد في جيش الديلم، ولكنه تمرد عليه، وحدث بينهما نزاع واقتتال.

(7) زيادة في (ب)، ولم تذكرها المصادر التي أوردت القصة.

(8) كلمة أعجمية، وهي اسم لقرية بين بغداد، و بلدة عُكبرا على ضفاف دجلة.

(9) في كلتا النسختين: [الدهوقة، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه من تجارب الأمم، والأوهاق هي الحبال التي يكون في أطرافها أنشوطة؛ أي [عقدة، أو ربطة] يستعان بها في الصعود والنزول.

[نفسه][1]؛ لأنَّ أصحابه كلهم [تهيَّبوا العبور][2]، فلمّا سبقهم [أنفوا][3] وتبعوه، ثمَّ عاد معز الدَّولة إلى موضعه، وقد عبروا أصحابه كلهم.

132. حيلة ملك الصين:[4]

يُحْكى عن الإسكندر أنَّه كان في بعض الليالي مختلياً بنفسه، وقد [ذهب][5] من الليل شطره، فدخل عليه حاجبه، وقال له: رسولُ ملكِ الصِّين بالباب- وكان الإسكندر مُحَاصراً للبلد- [ويستأذن][6] للدخول على المَلك، قال: أدخله. فأدخله، فأوقفه بين يديّ الإسكندر، فسلَّم، ثمَّ إنَّه قال: إنْ رأى الملكُ أنْ يستخليني فليفعل، فأمر الملكُ من في حضرته أنْ ينصرفوا كلهم، فانصرَفوا كلُّهم، وبقي خواصه وحاجبه.

فقال له: ما الذي جئت به؟ قال: لا ينبغي أنْ يسمعه أحدٌ إلاّ الملك، فقال الإسكندر: فتشوه، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً، فأخذ الإسكندر بيده سيفاً مسلولاً، وقال له: قفْ مكانكَ وقُلْ ما شئتَ، بعد أنْ أخرج كُلٌ من عنده، فقال له: أنا مَلكُ الصين لا رسولُه، جئتُ إليكَ أسألك عمَّا تريده، فإنْ كان ممَّا يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته، وأغنيتُك عن الحرب، فقال له الإسكندر: وما الذي آمَنَكَ مني؟ قال: علمي بأنَّك عاقل حليم، ولم يكن بيننا عداوة ولا مُطالبة، ولو قتلتني ما سلَّم أهل الصين إليك البلد، وأقاموا ملكاً غيري، ثمَّ تنسب إلى غير الجميل وضد الحزم. فأطرق الإسكندر ساعة، وعلم أنَّه رجلٌ عاقلٌ، وقال له: أريدُ منك ارتفاع ثلاث سنين عاجلاً، ونصف ارتفاع ملكك كل سنة، قال: غير هذا؟ قال: لا. قال قد أجَبْتك، ولكن اسألني كيف يكون حالي

---

(1) سقطت من (ت).

(2) في كلتا النسختين: [تهينو للعبور]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه من تجارب الأمم.

(3) من الأنفة والترّفع، وعدم احتقار النفس.

(4) القصة في الفرج بعد الشدة: 340/2، والمستجاد من فعلات الأجواد: 28، والمنتظم: 424/1.

(5) في(ب): [دخل].

(6) في(ب) [مستأذن].

بعد ذلك؟ قال: كيف يكون حالك؟ قال: أكون أوّل قتيل من محارب، وأوّل مُفتَرس[1]، قال: قنعتُ منك بارتفاع سنتين، قال: يكون أصلح قليلاً وأفسحَ مدّة، قال: فإنْ قنعتُ منك بسنة؟ قال فيكون في ذلك بقاءُ مُلكي وذهابُ جميع لذّاتي، قال: فإنْ قنعتُ منك [بالثُّلث][2] من الارتفاع؟ قال: يكون السدس للفقراء ومصالح البلاد، ويكون الباقي لجيشي ولسائر أسبابِ المُلك، قال له: قد اقتصرتُ منك على هذه، فشكره وانصرف.

فلمّا طلعتِ الشّمسُ، أقبلَ جيشُ الصّين حتّى طبّق الأرضَ، وأحاط بجيشِ الإسكندر حتّى خافوا الهَلاك، وتواثب أصحابُ الإسكندر إلى خيلهم فركبوها، واستعدّوا للحرب، فبيناهم كذلك، إذ طلع مَلك الصّين وعليه التّاج وهو راكبٌ، [فلمّا رآه][3] [الإسكندر][4] قال له: غدرتَ؟ فقال له بعد أن ترجّل: لا والله، قال: فادنُ منّي، فدَنا منه، فقال له: ما هذا الجيش العظيم؟ قال: أردتُ أنْ أُريَكَ أنّني لم [أُطلعكَ][5] عن قلّة وضعف، ولكنْ لمّا رأيتُ العالم العلوي[6] مقبلاً عليك، مُمَكّناً لك ممّن هو أقوى منك، فأردتُ طاعته [بطاعتك]. فقال الإسكندر: ليس مثلك مَنْ يُسامُ الذُّلّ، ولا يؤدّي الجِزيَة، وودّعه وانصرف عنه[7].

---

(1) في الفرج، والمستجاد: [أكله أوّل مفترس]، وفي التجارب: [اوّل أكيلة مفترس].

(2) في الفرج بعد الشدّة، والمستجاد: [بالسدس].

(3) سقطت من (ب).

(4) في كلتا النسختين: [كِسْرى]، وهو تصحيف من الناسخ، والصحيح ما أثبتناه من المصادر التي ذكر القصة.

(5) في (ت) اقطعك.

(6) قُدمتُ القصة للتوافق مع رؤية بعض المصادر العربية والفارسية التي رأت أنّ الإسكندر هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وقد ذكرنا في الصفحات السابقة بطلان هذا الرأي؛ فلا دليل عليه أو حجة.

(7) هناك زيادات في تتمة القصة في المصادر التي ذكرتها.

133 . حيلة لبعض الملوك:[1]

كان أحدُ ملوك الفرس قد أنفذ قائداً من قواده في جيش عظيم إلى محاربة ملك الروم، فأجلاه الفارسيُّ عن أكثر بلاده، حتَّى فتح أنطاكية، وجاوزها وأوغل في بلاد الروم، فجمع مَلكُ الروم رؤساءَ أهل مملكته، وشاورهم، فأشاروا عليه بأمور مختلفة، ولم يُوافق شيءٌ لرأيه. [فقال لهم][2]: إنَّ الفُرسَ قد طمعتْ في بلادنا، فلم يبقَ معهم [نَجْدٌ][3] ولا ذو رأي إلاّ [وجَّهوه إلينا][4]، وقد ضعُفنا عنهم، وقد حملوا ذراريَّهم إلى الشام والجزيرة[5]. والرأي عندي أنْ أُنفذ في البحر خمسة آلاف فارس من ذوي النَّجدة والبأس، [يحزن][6] مَنْ خَلفهم، ويَلزمون عليهم مضايق الطُّرق، وصعَاب العقاب، فإن بلغهم ذلك فتَّ في أعضادهم، وطلبوا ذراريَّهم وعيالهم وأموالهم متقطِّعين، [فلا يمرُّون بموضع إلاّ وفيه من رجالي، وأطلبهم أنا من أمامهم وأحصرهم، فاستصوبوا رأيه، وفعلوا ذلك.

فلمَّا سمعتْ الفرس بذلك، وأنَّ الروم قد خَلَفتهم في أموالهم وذراريهم، خرج أكثرُهم على وجوههم][7] متقطِّعين، لا يَلوُونَ على شيءٍ، ومرّوا بمضايق الطُّرق، فَقُتِل أكثرُهم، وخرج مَلكُ الرُّوم [إلى][8] من بقي منهم فاستأصلهم.

---

(1) القصة مع بعض الاختلافات، في: لطف التدبير: 43، وتجارب الأمم: 88/1.

(2) في لطف التدبير، وتجارب الأمم: [فنفرد له رجلٌ من أهل المملكة، ولم يكن من أبناء الملوك، فقال: إنّ عندي رأياً أشير به. فإن رزق الله الملك الظفر فمالي عنده؟ فقال: سل حاجتك. قال تجعلني الملك بعدك؟ قال: نعم، قال: فوثّق لي بذلك. قال فوثّق له به، قال الرومي للملك: إن الفرس...]

(3) في كلتا النسختين: [مجند]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير، وتجارب الأمم، ورجلٌ نجدٌ: قوي العزم مقدام، ماضٍ فيما لا يستطيعه سواه.

(4) في كلتا النسختين: [وجهّزوه]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير، وتجارب الأمم.

(5) إذا أطلقت الجزيرة في كتب التراث دون تقييد، فهي تشمل: ديار بكر والموصل، المجاورة لبلاد الشام، وسميت الجزيرة؛ لأنها بين دجلة والفرات. انظر: معجم البلدان: 134/2.

(6) لم نستطع قراءتها بوضوح، وما أثبتناه هو الأقرب للمعنى، من الفعل حاز، وفي تجارب الأمم: [أصير من خلفهم].

(7) سقط هذا النص من (ت).

(8) في كلتا النسخين: [على]، والتصحيح من المصادر التي ذكرت القصة.

134 . حيلة ملك الأرمن:[1]

من (تجـارب الأمم)، وذلك أنّ مَلك الأرمن كـان بينه وبين اللشكري[2] مصافات كثيرة وحروب، وعرف سرعة غضبه وحركاته، وأنّه لا يبالي بالأشياء، ولا يَنْظر في عاقبة أمْر، فكَمِن له كميناً على جبلين بالقرب من موضعه، الذي هو يُعَسْكِرُ فيه، وبينما مسلك ضيّق، ثم دسّ إلى المواشي التي مع اللشكري، جماعة من الأرمن، فقتلوا الرُّعَاة، [وقتلوا الماشية في ذلك المضيق][3]، [وأفلت][4] بعض الرعاة، فهرب إلى اللشكري، فصادفه خارجاً من باب الحمام بسوق [زَوْزَان][5]، فأخبره بالخبر، فسار في ستة نَفر من أصحابه، وأخذ الراعي معه ليَدُلّه على الطريق، فما هو إلاّ أن وصل إلى نصف الطريق، وكان قد أنفذ إلى عسكره أنْ يَلحَقوه، فوصل قبل أن يلحقه عسكره، فلمّا وصل طلع عليه الكَمِين وعلى من معه، فقتلوهم وأخذوا رؤوسهم وأسلابهم وتركوا جثثهم. وكان قد تخلّف عنهم شخص لعجز دابته، فلمّا وصل العسكر أخبرهم بالقصة، فعقدوا الرياسة لابنه شكرستان.

---

(1) القصة مع بعض الاختلافات، في تجارب الأمم: 223/5، وملك الأرمن هو: ابن الديراني، والذي قام بالحيلة قريب له، ووزير عنده هو: أطوم بن جرجين.

(2) هو: لشكري بن مردي الديلمي، كان أميراً على أعمال الجبل في أرمينيا.

(3) في التجارب: [واستاقوها فذ ذلك المضيق].

(4) في كلتا النسخين: [أفلتوا بعض الرعاة].

(5) في (ت): [دومان]، وفي (ب): [دوران]، والصواب ما أثبتناه من تجارب الأمم، وزوزان: بلدة بين جبال أرمينيا وأذربيجان، أهلها من الأرمن، وفيها طوائف من الأكراد. انظر: معجم البلدان: 158/3.

135 ـ حيلة قتيبة[1] بن مسلم الباهلي[2]:

وذلك أنَّه حاصر سَمَرْقَنْدَ[3] فلم يَقدر عليها، فلّما عَجز عن ذلك، أظهر أنَّه قد زوّج ابنه، ويريد أن يعمل دعوة عظيمة، فأنفذ مَنْ اشترى مِنْ سمرقند ألف حِمل خَمْر؛ لأجل الدعوة؛ حتَّى تشرب النَّاس، ودسّ قوماً مِنْ عنده إلى سمرقند يُعْلم أهلها أنَّه قد عمل قتيبة كذا وكذا في الليلة الفلانية، فإذا سكروا ونامون، خرجوا إليهم وأخذوهم قبضاً باليد، فطمِعُوا في ذلك، فلّما علم قتيبة طَمَعُهم عَمل وليمة عظيمة، وجمع أصحاب الملاهي من رُسْتاق[4] سَمَرقند فصحّ ذلك عندهم.

وخرج قتيبة في ألف فارس من عسكره، وهم أجلاد شجعان، فكَمَنَ على طريق العدو، فلمّا كان نصفُ الّليل، طلع من سمرقند ألف فارس في طلب قتيبة، فلمّا جاؤوا الكَمين خرج عليهم من خلفهم، وباقي العسكر من قدامهم، فلم يَفْلُت منهم أحدٌ، وأخذوا أثواب المقتولين وأعلامهم وسلاحهم، فلبسه عسكره، وطلب قتيبة سمرقند، فظنّوا أنّهم عسكرهم الذي خرج من عندهم قد رجع إليهم، ففتحوا لهم الباب، فدخل قتيبة البلد وتلاحقه عسكره، وملك البلد[5].

---

(1) هو: قتيبة بن مسلم بن عمر الباهلي، من قادة الإسلام في صدر الإسلام، تولى الرّي في زمن عبد الملك بن مروان، وخراسان زمن الوليد بن عبد الملك، وصل في فتوحاته إلى ماوراء النهرين، حتَّى وصل إلى أطراف الصين، وفي زمن سليمان بن عبد الملك اختلف معه قتيبة، فأوعز سليمان لبعض الجنود فقتله سنة 96هـ، انظر: تاريخ الطبري: 84/8 .

(2) القصة في: لطف التدبير: 46، بصياغة أكثر تماسكاً ومتانة، وفي الكامل، وتجارب الأمم، والمنتظم: تفصيل فتح سمرقند، ولم تذكر هذه المصادر قصة الخمر والحيلة.

(3) سمرقند: مدينة في آسيا الوسطى في بلاد ما وراء النهر. وأصل الاسم «شمرأبوكرب»، ثم حُرِّف الاسم إلى «شمركنت» ثم عُربت إلى «سمرقند»، ومعناها وجه الأرض، انظر: معجم البلدان: 246/3.

(4) الرُستاق، أو الرزتاق، جمع رساتيق، ورزاتيق، كلمة فارسية معرّبة، تعني: القرى والمزارع والتجمعات السكنية.

(5) القصة هنا مضطربة وناقصة، فقد منع قتيبة عن جيشه الشراب، لتكتمل له الحِيلة، وهذا ما لم يذكره المؤلف.

136 . حيلة ملك الروم:

وذلك لمّا تشاغل عبدالملك بن مروان[1] بمحاربة مُصعب بن الزبير[2] اجتمع وجوه الروم[3] إلى ملكهم، وقالوا له: قد أملكك الفرصة من العرب بتشاغلهم في بعضهم بعض، ووقع بأسهم بينهم، والرأي أنْ تغزوهم في بلادهم، فإنّك إنْ فعلتَ أذللتهم ونلتَ حاجتك، ولا يَنْبغي لكَ أنْ تدعهم حتّى تنقضي الحربُ بينهم فيجتمعوا عليك. فنَهَاهم عن ذلك وخطأهم، فأبوا عليه إلاّ أنْ يغزوا العرب في بلادهم.

فلمّا رأى ذلك منهم دعا بكلبين وحَرَّش بينهم، فاقتتلا قتالاً شديداً، ثمّ دعا بثعلب فسَيَّبه بينهما، فلمّا رأت الكلابُ الثعلبَ، تركا القتال وأقبلا على الثعلب حتّى قتلاه، فقال ملك الروم: هكذا العرب تقتتل بينهم، فإذا جاءهم الخَصْمُ تركوا ما بينهم واجتمعوا عليه.

137 . حيلة بعض الأكاسرة:

يُحكى أنّ بعض الأكاسرة كان يُحبّ عِمَارَة البلاد، فبالغ في ذلك، فأحبّ

(1) أبو الوليد: عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي (26-86هـ)، الخليفة الخامس من خلفاء بني أمية، والمؤسس الثاني للدولة الأموية، ولد في المدينة المنورة، وتفقّه فيها علوم الدين، وكان قبل توليه الخلافة عن أُشتهر بالعلم والفقه والعبادة، وكان أحد فقهاء المدينة الأربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان، تسلم الحكم بعد أبيه مروان بن الحكم 65هـ، وحكم دولة الخلافة الإسلامية واحدًا وعشرين عامًا. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 247/4، تاريخ الخلفاء: 171 .

(2) أبو عيسى وأبو عبد الله: مصعب بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (26- 71هـ) أمير العراقَيْن، هو ابن الصحابي الزبير بن العوام، وأخو الخليفة عبد الله بن الزبير، وقائد معركته ضد المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يسمى آنية النحل لكرمه وجوده، كان أميرًا على العراق في خلافة أخيه عبد الله بن الزبير، وقتل في معركة أمام جيش بقيادة عبد الملك بن مروان، وأمر الحجاج بقطع رأسه، وبعث به إلى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 141/4، الطبري: 151/5 .

(3) وجوه القوم: سادتهم وأكابرهم.

أن يَعْرف صدق ما يُرفعُ إليه من العمَارة، فتمارض، وقال: قد رأيتُ في منامي أنَّه لا دواء لي إلاَّ لَبنة منْ بيت خَراب، تُسْحقَ وتُحَلُّ بخمر، ويُطلى به جسدي ثلاثة أيَّام، فأمر بطلب اللَّبْنَة، فلَم يَقدر عليها لعمَارة البلاد، فقيل له: إنَّها لا توجد في جميع مملكتك، فقال: الآن طابتْ نفسي، وعلمتُ أنَّ العدل قد عمّ.

138. حيلة لقتيبة[1]:

وذلك أنَّه كان حاصر بخارى[2] بعد أخْذه سمرقند، فأرسل إليه صاحبها: لو أقمْتَ على مديتنا الدَّهرَ الأطول لم تظفر؛ لأنَّنا وجدنا في كتبنا أنَّ هذه المدينة لا يفتحها إلاَّ رجلٌ اسمه يالان، فقال قتيبة: الله أكبر أنا صاحبها وكان اسمه بالفارسيَّة يالان. فلمَّا أيسوا من فتحها صنع [صناديقَ][3]، وجعل أبوابها تنفتحُ من داخل، وجعل فيها رجالاً [شاكين السَّلاح][4]، وأرسل إليهم: إنِّي أرحلُ عنكم شريطة أنْ تجعلوا هذه الأموال والسَّلاح عندكم وديعة إلى حين عودي من موضع كذا وكذا، فواقعهم الطمعُ في أخذ الأموال، فقالوا: نعم، وعاهدهم على الوفاء بردها، وحمل الصناديق إلى البلد، وكان موعدهم نصف الليل، ففتحوا الصناديق وطلعوا، ووقف قتيبة على الباب، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، [وأتوا إلى الأبواب ففتحوها][5]، ودخل قتيبة وملك البلد[6].

---

(1) كان من حق هذه الحيلة أن تأتي بعد الحيلة رقم 128، ولكننا آثرنا تركها كما وردت في كلتا النسختين.

(2) بخارى: هي إحدى مدن بلاد ما وراء النهر، أو ما يعرف الآن باسم آسيا الوسطى، وبالتحديد في جمهورية أوزبكستان، فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 90هـ.

(3) في كلتا النسختين، هكذا: [صناديقاً]، والصواب ما أثبتناه؛ لأنها ممنوع من الصرف

(4) في كلتا النسختين، هكذا: [شاكين بالسلاح]، والصواب ما أثبتناه، فالفعل يتعدى دون حرف الجر. وشاكي السلاح: كامل الاستعداد.

(5) في (ب): [وفتحوا الأبواب].

(6) لم تذكر مصادر التاريخ كالكامل، والمنتظم، وتجارب الأمم، والطبري، هذه القصة في فتح بخارى، أو أنها فُتحت بالحيلة.

139. حيلة عَضُد الدَّولة:[1]

حُكي أنَّه حَفر أساساً لبَنيَّة يُرِيْد رفعها، فوجدَ فيها جِرَاراً فيها دراهم دقيانوسيّة وعليها صورة الملك والمسيح، فاخذها وختم عليها بالرصاص، وأخذ منها درهماً، واستحضر الجاثليق[2]، وقال له: اقرأ ما على الدرهم، فقرأه وقرأ تاريخه، فحسبوا زمانه، وإذا به من زمن المسيح -عليه السلام-، فأحضر عضد الدَّولة مُزَوِّقاً جيداً أوحداً، وأمره أن يُصوِّر صُوَرة الملك دقيانوس[3] قائماً بين يديّ المسيح وهو يُحدِّثه بحديث يأتي ذكره، فلمَّا فرغ من تصويره حبسه، ثمَّ استدعى بالجاثليق، وقال له: اكتب بالسرياني أو بالرومي، أنَّه يَظهر في سنة كذا وكذا، وذكر عصره وزمانه رَجلٌ صُوَرتهُ كذا وكذا، وهيئتهُ كذا وكذا، وسيرَتهُ كذا وكذا، ويَمْلِكُ كذا وكذا، مَنْ أطاعه حفظ دينه وماله، ونَفسَه ومُلكَه وأولاده، ومَنْ عصاه أو خالفه، أو سلَّ في وجهه سيفاً، أباده [وقطع][4] شأفته، واستأصل مُلكَهُ، فمَنْ أدركه من ملوك النصرانية فلا يخالفه فيما يَحْكم به عليه. والسَّلام. فلمَّا كتبَ ما أمره به، أمَرَ بحبسه ودسَّ عليه، وعلى المُصوِّر مَنْ قتلهما وأنسى ذكرهما، ثمَّ إنَّه بعد ذلك أحضر ابنيه ومن يثق إليهم، وأمرهم [بأخذ الجار][5] المكتوبة ويجتالون[6] حتى يدفنونها في قبور قسطنطينية، ولا يبرحون حتَّى تصل إلى الملك، فإذا وصلتْ إلى الملك يقصدون إليه[7].

---

(1) عضد الدَّولة أبو شجاع فنا خُسْرُو بن تمام بن كوهن بن الحسن ركن الدولة، ثاني ملوك بني بويه. حكم، برز عضد الدولة بعد وفاة عمه عماد الدولة، حيث خلفه في حكم أصفهان وشيراز وبلاد الكرج، وتطلعت طموحاته إلى الاستيلاء على العراق التي كانت تحت يد ابن عمه بختيار بن معز الدولة، ثم قام وحدَّ العراق وفارس تحت حكمه، وازداد نفوذه، مات سنة 372هـ، انظر ترجمته وأخباره في: سير أعلام النبلاء: 250/16، البداية والنهاية: 317/11.

(2) كبير الأساقفة.

(3) تذكر بعض المصادر أنه الملك الذي ظهر في زمنه أصحاب الكهف.

(4) في: (ب): [قلع].

(5) قد يكون المقصود: الآجار، وهي: ألواح طينية.

(6) أي: يتجولون في البلاد.

(7) المعنى: يعودون إليه إذا عرفوا أنها وصلت الملك.

قال: فرحلوا من وقتهم وساروا إلى القسطنطينية، وما برحوا حتّى دفنوها في مقابرهم، وبقوا سَنة، فلمّا كان بعض الأيّام، حفروا قبراً، فظهرتْ عليه الجرار، وكان عضد الدّولة قد أودع الدُّرْجَ[1] الذي فيه الصور في بعض الجار، فلمّا وصلتْ إلى الملك رحلوا ثقات عضد الدولية إليه، وأخبروه بخبر الجرار ووصلوها إلى الملك، فصبر على ذلك أشهرَ وجمع الجموعَ وجَيَّش الجيوش، وقصد القسطنطينية وكان ملكها حين فتح الجرار ورى الدراهم والدُّرْج قال: هذا طلسم هذه البلاد لا يطؤها عدو، فلمّا قرأ ما عليها فزع فزعاً شديداً، وأحضر أمناءه، وقرأ عليهم الكتاب، فقالوا: ما سمعنا بهذه الصفة وهذه الصورة إلا [عند][2] عضد الدّولة، وأنفذ عضد الدّولة إلى ملك الرّوم، يقول: ما أعاقني عنكم إلاّ ملاقاة الهند والصِّين، وها نحن واصلون إليكم إنْ لَم تنزلوا على حُكْمِنا، فأنفذ إليه ملك الرّوم: احكم ما تُرِيد، وسأل ما تشاء، فقطع عضد الدّولة ما أراد من الخراج والبِراة والحِمْل[3]، وقرره عليه، وكان سبب ذلك كله الحيلة[4].

140. حيلة أخرى لعضد الدّولة على بختيار:[5]

وذلك لما كسر الطلائع والأتراك، وهربوا منه إلى تكريت طالبين بلاد الشام

---

(1) لفافة من جلد أو نحوه، تشبه الملف، وتوضع فيه الأوراق.

(2) سقطت من كلتا النسختين، ووضعناها لتناسب السياق.

(3) الخراج والإبراة والحِمل بمعنى واحد: وهو المال، أو البضائع التي يدفعها من تفرض عليه، مثلها مثل: الإتاوة.

(4) سقط من (ب) جميع هذا النص، من قوله: [بأخذ الجرار إلى نهاية القصة]، وهذه القصة التي ذكرها المؤلف يظهر فيها أثر الصنعة والتكلف، وهي من خيال القُصّاص، فلم تذكر المصادر التاريخية أنْ عضد الدّولة ذهب إلى القسطنطينية، ولا إلى الهند ولا إلى الصين، وكل ما ذكرته أنّه كان بينه وبين الروم مراسلات ومفاوضات.

(5) القصة في تجارب الأمم: 412/5، والكامل: 378/7، والبداية والنهاية: 290/11، وبختيار، هو: عز الدّولة بختيار بن معز الدولة البويهي ثاني حكام البويهيين في العراق، (331-367هـ)، تولى الحكم بعد وفاة أبيه معز الدّولة في عهد الخليفة المطيع لله العباسي، وقتله ابن عمه عضد الدّولة: أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 276/1 .

والطلائع معهم، لم يشك أحدٌ أنَّ عضد الدَّولة يستولي على مملكة بغداد ويضيفها إلى ملكه، لضَعفِ بختيار عنها، واشتغاله بصنوف اللّذات، وتجاسُر الديلم والأتراك عليه. ففكر في حديث النَّاس، وعلم أنَّ أباه ركن الدَّولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله، فاتَّخذ عضد الدَّولة دعوة عظيمة، ودعا إليها بختيار وإخوته و [محمَّد][1] بن بقية، وسائر عسكر بغداد، وخلع عليهم الخُلْع على مقدار مراتبهم، وجعل ذلك كالوداع، وأظهر الرحيل إلى فارس، وأمر بإعادة الميرة[2] في المنازل، [ووافق بالسرِّ رؤساء الجند أن يثوروا][3] على بختيار، ويشغبوا عليه، ويطلبوا معايشهم، ويشكو تغيير أحوالهم، ففعلوا ذلك وبالغوا فيما أمرهم به، وبختيار صفرُ اليدين [لا يملك [حبة][4]. ثمَّ إنّ عضد الدَّولة راسل بختيار بالتشديد والغلظة][5] أن [يصدُق الحال][6]، ولا يعدهم بما لا يقدر عليه، [فلحَّوا][7] عليه، فاستعفى من الرئاسة، ووعده عضد الدَّولة أن يتوسط الحال بينهم، فأبت الجند [وكروا][8] على بختيار بالمطالبة، فلم يجد عدولاً عن الصِّدق، وأنَّه لا يقدر لهم على شيءٍ، فأعفاه عضد الدَّولة، وأغلق بابه، وصرف ديوانه، وقال: لستُ بأميركم اعقدوا لِمَن شئتم.

---

(1) في (ب) محرز، والصواب ما أثبتناه من (ت)، ومحمد بن بقية، هو: أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقيّة بن عليّ، الملقب بنصير الدَّولة (314- 367هـ) وزير عز الدَّولة بختيار، ولكنه بعد أن هُزم بختيار في الأهواز، قبض على ابن بقيه وعدَّه مسؤولا عن الهزيمة، وسمل عينيه، فلزم بيته، فلمَّا ملك عضد الدولة العراق، قتل ابن بقيه. وقد رثاه أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري بقصيدته المشهورة: علوّ في الحياة وفي المماتِ/ لحقٌ أنت إحدى المعجزات. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 118/5، وسير أعلام النبلاء: 221/16.

(2) ما يجمعه الإنسان، أو يتخذه من طعام ونحوه في المنازل أو في السفر.

(3) في كلتا النسختين: [وأوقف رؤساء الجند في السوق يثورون]، والصواب ما أثبتناه من تجارب الأمم.

(4) في تجارب الأمم: [لا يملك ذخيرة، ولا تصل يده مع خراب النواحي، واتصال الفتن إلى درهم واحد].

(5) سقط هذا النص من (ت).

(6) في (ب): [يصرف الحال]، والصواب ما أثبتناه من (ت) ومن تجارب الأمم.

(7) في (ب): [الجلوا]، والصواب ما أثبتناه من (ت).

(8) في (ت): [الزّوا].

ثم إنَّه أنفذ إلى عضد الدَّولة، فطلب منه ما وعده به، وأرسله عضد الدَّولة بما سكن إليه، وأمر الجُندَ بالتفرق، واستدعى بختيار إلى داره بسبب الشفقة عليه، وعلى إخوته وقد كان خائفاً، ثمَّ جمع الجندَ وأخبرهم أنَّ بختيار قد استعفى وعزل نفسه من الإمارة وأنَّه يخلطهم بعسكره ويشملهم بإحسانه، وأنَّ بختيار كان نائباً عنه وعن ركن الدَّولة، فسكتوا وتفرقوا بقول عضد الدَّولة، ثم قبض على بختيار وإخوته[1].

141. حيلة أخرى له:

مما حكاه أبو الفرج بن الجوزي في كتابه حيل الأذكياء[2] أنَّ رجلاً [خراسانياً][3] قدم للحجِّ من ببغداد، وكان معه [عقدُ حَبٍّ][4] قيمته ألف دينار، فاجتهد في بيعه، فلم يَتفق له بيعه، فجاءَ إلى رجل عَطَّار موصوف بالخير، فأودَعَهُ العقد ومضى، فحج وعاد معه هدية حسنة، فقال له العطار: مَن أنت؟ وما هذه الهدية؟ قال له: يا مولاي أنا صاحبُ العقدُ الحَبٌّ الذي أودعتُك إيَّاه قبْل الحجِّ، فما كلمه العطَّار حتى رفسه، وقلبه من على الدّكة، وقال له أيُّ عيَّار أيُّ نَصَّاب؟ واجتمعَ النَّاس وشهدُوا للعَطَّار بالخير، فتحيَّر الحاجُّ [وبادر إليه][5]، فما زاده إلَّا ضرباً وشتماً، فقيل له: لو ذهبتَ إلى عَضُد الدَّولة، فله في هذه الأشياء فِراسة، فكتب قصَّتهُ، وجعلها على قصَبة، ورفعها لعضُد الدَّولة، فصاح به، فأُحْضر بين يديه، فسأله عن حاله فأخبره بالقصَّة؛ فقال له: اذهب إلى العَطَّار واجلس على دَكَّته، فإنَّ منَعكَ، فاجلس مقابله من بُكرة إلى المغرب، ولا تكلِّمْهُ، وافعل ذلك ثلاثة أيَّام، فإني أمرُّ عليك في اليوم الرابع، وأقفُ أسلِّمُ

---

(1) القصة كما قدّمها المؤلف يداخلها الاضطراب، وهي في تجارب الأمم أكثر متانة وتماسكاً، وفيها المزيد من التفاصيل.

(2) الكتاب مطبوع عدة طبعات، بعنوان: كتاب الأذكياء، وأخبار الأذكياء.

(3) هكذا في: كتاب الأذكياء.

(4) في أخبار الأذكياء: [عقد من الحَب].

(5) في (ب): [وتردَّدَ إليه]، وهي موافقة لما فيه كتاب الأذكياء.

عليك، فلا تَقُم لي [ولا تَردُّ عليَّ رداً جيداً]، وإذا سألتك عن مجيئك، وعن حاجتك، فلا تخاطبني مخاطبة طويلة][1]، فإذا انصرفتُ عنك، فأعد على العَطَّار ذكر العقد، ثمَّ أعلمني بما يكون منكما[2]. فجاء الحاج إلى العَطَّار ليجلس فمنعه من الجلوس، فجلس مقابله ثلاثة أيَّام، فلمَّا كان اليوم الرابع جاء عَضُد الدَّولة في موكب عَظيم، فلمَّا رأى [الحاج][3] وقف عليه، وقال: سلامٌ عليكم، فقال له [الحاج][4] ولمْ يتحرك: وعليك السَّلام، فقال له: يا أخي تَقدُم إلى ها هنا، ولم تأت إلينا، ولا تَعرضُ حوائجكَ علينا؟ فقال له الحاج: كما اتفق؛ [ولم يتبعه حديثاً][5]، وعَضُد الدَّولة واقف يسأله، والعسكر واقف، والعطَّار قد أُغمي عليه من الخوف.

فلمَّا انصرف عَضُد الدَّولة التفتَ العطَّار إلى الحاج، وقال: متى أوْدعتَني هذا العقد؟ وفي أيِّ شيء هو ملفوف، ذكِّرني لعلِّي أذْكُر، فقال له: من صفته كذا وكذا، وهو ملفوف في كذا، فقام العَطَّار وفتَّش ثمَّ اطلع [بَرْنيَّةً][6] ونفضها، فوقع العقدُ، قال: كُنتُ قد نَسيتُ ولو لم تذكِّرْني ما ذكرْتُ، فأخذ الحاج العقد ومضى، وقال في نفسه: أيّ فائدة في إعْلام عَضُد الدَّولة، ثمَّ قال: ولعله يشتريُه، فمضى إلى عَضُد الدَّولة وأراه العقد، فبعث إلى العطَّار فصلبه، وكتبَ رقعة وعلقها في حلقه: هذا جزاءُ مَنْ خَاف مِنْ مخلوق مثله، ولم يخف مِن الخالق[7].

---

(1) في أخبار الأذكياء: [ولا تزدني على ردِّ السَّلام، وجواب ما أسألك عنه].

(2) هذه عبارة المؤلف، وفي أخبار الأذكياء: [ثم أعلمني ما يقول لك، فإن أعطاكه فجيء به إلي].

(3) في أخبار الأذكياء: [الخُرسانيّ].

(4) في أخبار الأذكياء: [الخُرسانيّ].

(5) في (ب): [ولم يشبعه كلاماً]، وفي: أخبار الأذكياء: ولم يشبعه الكلام.

(6) في أخبار الأذكياء: [جرّة]، والبَرْنيّة: إناءٌ واسع الفم، يُصنع من خزف أو زجاج.

(7) في أخبار الأذكياء: [فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطَّار، فعلق العقد في عنق العطَّار، وصلبه بباب الدُّكان، ونودي عليه: هذا جزاءُ من استودع فجحد؛ فلما ذهب النهار، أخذ الحاجب العقد فسلَّمه إلى الحاج، وقال: اذهب].

142. حيلة أخرى له:[1]

يُحكى أنّه كان له مملوك تُركيّ، وكان يقف مقابل رُوْزَنة[2] ينظُر إلى امرأة فيها، فشكت المرأة إلى زوجها، فدنا إليه وزجره، فلم يَنْزجر، ولا رجع عمَّا هو عليه، فقال الرَّجلُ لزوجته: اكتبي له في رقعةٍ: لا معنى لوقوفك تحت الرَّوْزَنة، بل تعالَ بعد العَتَمة فإنّي أنتظرُكَ خلف الباب.

ثمَّ إنَّ زوجها حَفر خلف الباب جُبّاً عميقاً عُمْقه عشرون ذراعاً، وضع عليه باريّة[3]، فلمَّا كَتبتْ إليه الرقعة، جاءها العَتمة ووقف له زوجها، فإذا به قد أقبل ففتحت البابَ، فوضع رِجْله على الباريّة فنزل إلى الجب، فطمَّ عليه التُّراب، ووطِي موضعه كما كان، وبقي أيّاماً لا يُدرى خبره كيف هو، فسأله عنه عَضُد الدَّولة، فقيل له من أيّام ما رأيناه، فسأل بيته، قالوا: له أسبوع لم نره، فأنفذ عَضُد الدَّولة إلى المؤذن الذي في المسجد في محله التُركي، [فأخذه أخذاً عنيفاً وبيلاً][4]، فلمَّا حضر بين يديه، قال له: لا تخف وهذه مائة دينار، وأريدُ إذا رجعتَ إلى بيتك [فأذن الليلة بوقت][5]، فأول من يدخل عليك، وسألك عن سبب إنفاذي خلفك عَرِّفني به، قال: نعم، ثمَّ إنَّه فعل ذلك، فكان أوَّل من دخل عليه الذي قتل المملوك، قال له: قلبي عليك أيُّ شيءٍ أراد منك عَضُد الدَّولة، قال: ما أراد إلا خيراً.

فلمَّا أصبح خَبَّر عَضُد الدَّولة بالرَّجلِ، فأنفذ خلفه وأحضره، ثمَّ قال له: ما فعل فلان؟ قال: أصدُقكَ؟ قال نعم. قال: لي امرأةٌ تعرض بها، فنهيناه مراراً، فلم ينته وفضحها بين أهلها، ففعلتُ به كذا وكذا، وأخبره بالجُبِّ، فقال له: اذهب لا بأس عليك.

---

(1) القصة في: أخبار الأذكياء: 83، مع بعض الاختلافات.

(2) كلمة فارسية معرَّبة، وتعني النور أو الضوء، وهي: الكوَّة في الجدار، غير النافذة.

(3) الباريَّة: الحصيرة.

(4) في أخبار الأذكياء: [فأخذ أخذاً عنيفاً في الظاهر].

(5) في أخبار الأذكياء: [فأذن اللَّيلة بليل، واقعد في المسجد].

143. حيلة أخرى له:(1)

ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني(2) في تاريخه(3) أنه بلغ عَضُد الدَّولة خَبَرَ قوم أكراد يَقطعُون الطريق ويقيمون في جبال شَاهقة، لا يُقدر عليهم، فاستدعى أحدُ التُّجار، ودفع إليه بَغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد [سُمِّمَتْ بالسمّ](4) وهي كثيرة الطيب، وأعطاه إيَّاها، وأمره أن يسير مع [القَفَل](5)، ويُظهر أنَّ هذه هديَّةً [لبعض أُمراء الأطراف](6).

ففعل التَّاجر ذلك، وسار أيَّاماً، فنَزَلتْ الأكراد عليه، وأخذوا القَفَل والأمْتعةَ والصَّناديق، وانْفَرد أحدُهم بالبغل، وصَعد به مع جماعتة إلى الجبل، وبقي أصحاب القَفَل عُراة، فلمَّا فتحوا الصناديق وجدوا الحلوى تضَوَّعُ(7) طيباً، فدهشوا وحضروا جميعهم عليها، فرأوا ما لم يرونه قط، فأمْعَنوا في الأكل، واتفق أنَّهم كانوا جِياعاً، فما هو إلاَّ أنْ حصل في أمعائهم حتَّى تصرَّعوا إلى الأرض جميعهم، فتبادر أهل القَفَل مع التَّاجر فصعدوا الجبل، وأخذوا جميع مالهم، وسلاح الأكراد، وثيابهم وقتلوهم جميعاً(8).

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 84 .

(2) هو: محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني(463-521هـ)، المعروف بالمقدسي، نشأ في بغداد، ومات بها، فقيه ومؤرخ، من شيوخ الحافظ ابن عساكر، له من التصانيف: ذيل على تاريخ الطبري، والتاريخ الصغير، المسمى: «عيون السير في محاسن البدو والحضر»، انظر ترجمته في: المنتظم: 248/9، والكامل: 245/9 .

(3) لم يذكر المؤلف أي تواريخ الهمذاني يقصد، أما: عيون السير في محاسن أهل البدو والحضر، فقد نُشر بعضه، ولم نعثر على القصة في الذيل على تاريخ الطبري.

(4) في أخبار الأذكياء: [شِيبتْ بالسُّم].

(5) في كلتا النسختين: [القفل]،وهم الذين يصعدون الجبل، وفي أخبار الأذكياء: القافلة .

(6) في أخبار الأذكياء: [لإحدى نساء أمراء الأطراف].

(7) أي: تفوح رائحتها.

(8) في أخبار الأذكياء: لم تنته القصة كما ذكر المؤلف، فقد قتلهم السُّم.

144. حيلة أخرى له:[(1)]

يُقال إنَّ بعض التُّجار[(2)] أراد أن يحج، وكان معه ذهب[(3)]، فأخذ منه ألفَ دينار، وأتى إلى أصل شجرة الخَرْوع، [وقيل: شجرة كركم بقرب بستان][(4)]، فحفر حيث لم يَره أحدٌ، وطمَّ الذهب، ومضى إلى الحج، وعاد يطلب الذهب، فلم يجده ولا أثر للشجرة، فجعل يبكي ويَلْطُم، وإذا سُئل عن حاله يقول: الأرضُ سرقتْ مالي! فلمَّا أكثر ذلك، رفع إلى عَضُد الدَّولة فقصَّ عليه قصته.

ففكَّر، ثمَّ أمرَ أنْ [تجمع الأطباء][(5)] بين يَدَيْه، [فلمَّا حضروا][(6)]، قال: مَنْ فيكم داوى أحداً بورق الخَرْوع؟[(7)] قال بعضهم: أنا داويتُ فلاناً، وهو من خَواص الملك، قال: عليَّ به، فلمَّا حضر، قال: هل تداويتَ السَّنة بعُروق الخَرْوع؟ قال: نعم، قال: من جاءك بها؟ قال [له][(8)]: فلان [السائس][(9)]، قال: عليَّ به، فأُحْضِر بين يَدَيْه، قال: من أين أخذتَ عُرُوق الخَرْوع؟ قال: من الموضع الفلاني، قال: اذهب بهذا وأرِه الموضع، [فذهب معه صاحب الذهب إلى الموضع بعينه][(10)]، فقال: من هاهنا أخذتُ، قال الرَّجلُ في نفسه: وها هنا دفنت المال، ثمَّ رجعا إلى عَضُد الدَّولة وقصَّا عليه القُصَّة، فلَزِم السائس بالذهب ووعده وتوعده، فأحضر الذهبَ بحاله لم يَنقص منه شيءٌ، فوهب له من ماله شيئاً، وأخذ الحاجُ ماله وانصرف[(11)].

---

(1) القصة في: أخبار الأذكياء: 84، مع بعض الاختلافات، وهي فيه أكثر متانة وتركيباً مما أورده المؤلف.

(1) في أخبار الأذكياء: [أنه قدِم من خراسان].

(2) في أخبار الأذكياء: [فتأهب للحج].

(3) لا وجود لهذه العبارة في أخبار الأذكياء.

(4) هكذا في كلتا النسختين، وفي أخبار الأذكياء: [فجمع الأطباء].

(5) سقطت من (ب).

(6) في أخبار الأذكياء: [هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟]

(7) سقطت من (ب).

(8) سقطت من (ت).

(10) في (ب): [فذهب بصاحب الذهب إلى الموضع بعينه].

(11) لا وجود لهذه العبارة في أخبار الأذكياء، ويبدو أنها إضافة من المؤلف.

145 . حيلة لبعض الملوك:

قال بعض التُّجار: دخلتُ إلى بابِ الأبواب[1] ومعي متاعٌ يَصْلُح للملوك، فأحضروني عند ملكها، فعرضتُ عليه ما كان معي، فاستحسن منه ثوباً، وكان الثوب مدنَّراً، فسَاومني فيه، فاستَمْتُ مالاً كثيراً، قال: ذهب ما عندنا ولا فضة، وإنَّما عندنا أمتعة، فخذ منها، قلت: لا يَصْلح لي شيءٌ، قال: فغَنَمٌ عندنا كثيرة، فخذ ما شئتَ، فقلتُ: أريدُ بعدَدِ كلِّ نقطة رأس غنم، قال: اشتريت. فأخذتُ أعدُّ النقط، فلم تنضبط لي، وجَهِد جميع من كان عنده، فتعذَّرعليهم عَدُّها، قال لي: كيف نَعْمل؟ قد بِعتَنا واشترينا، فطويتُ الثوب لأخرجَ، قال: ردوه، فردُّوني. قال: أبسط الثوبَ، كلُّ هذا يجري على لسان الرحمن، فبسطتُ الثوبَ، فقال الملك: [هاتم][2] حُمُّصاً، فلما حضر الحُمُّصُ، قال: دعوا كل نقطة حُمُّصة، ففعلوا ذلك، حتَّى لم يبق شيءٌ إلا وعليه حُمُّصَة، قال: اجمعوا الحُمُّص وسلِّموه إليه، وكلمَّا أعطيتموه راساً مِنْ الغَنَم خذوا منه حُمُّصَة، فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً، وانصرفتُ متعجباً من ذكائه.

146 . حيلة لملك الإسماعيلية:

كان إذا أراد أنْ يُنفذ شخصٌ ليقتل أحداً، يسقيه خمراً مُبنَّجاً، فإذا سكَر حمله إلى بُستان له قد أعدَّه لهذا الأمر، فيه كلُّ شيءٍ خلقه الله، وفيه من الجواري والمماليك الصغار الذي لا يمكن أن يكون أحسن منهم، والآلات التي لا يكون في الدنيا أحسن منها، [والمواكيل][3] التي لا يكون أطيب منها ولا ألَذ.

فإذا أفاق الرَّجُل من سَكْرته رأى روحه في ذلك الموضع، فيتعجب منه،

---

(1) هذه مدينة اسمها: دربند أو دير بينت، هي ثاني أكبر مدن داغستان في الاتحاد السوفيتي سابقاً، اسمها مشتق من كلمتين فارسيتين: دار وتعني البوابة، وبيند وتعني القفل أو العقدة؛ لأنه لا يوجد على طول جبال القوقاز موقع قريب من البحر سواها، فتحها المسلمون صلحاً عام 22هـ في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وأطلقوا عليها: باب الأبواب. انظر معجم البلدان: 303/1.

(2) قد تكون لغة في: هاتوا، وقد تكون عاميَّة.

(3) هكذا في كلتا النسختين، أي: المآكل والأطعمة.

ويقول: أين أنا؟ [فيقلن له الجواري]: أنت في الجنة، أنفذك الملكُ إلينا، ونحن الحور العين، وهؤلاء الولدان، ثمَّ إنَّهنَ يَخْدمْنَه غاية الخدمة، ويُكرِمْنَه غاية الكرامة، فيبقى في ذلك الموضع أسبوعاً كاملاً، ويشرب ويستمتع ويلتذ.

ثم إنَّهنَ يَسْقيْنَه خمراً مُبنِّجاً فينام، فيحملونه إلى منزله، فإذا أفاق رأى زوجته في منزله، فيقصدُ الملك فيسأله العَوْد إلى الجنة، فيقول له: اذهب اقتل فلاناً فإنْ قتلتَه مضيتَ إلى موضع رأيت، وإنْ سلمتَ حملتك أنا إليها، فيعتقدُ الجاهل ذلك حقاً، ويرمي نفسه في المهالك.

147. حيلة أخرى له:

كان يقول: إذا مات أحدٌ، أو قُتِلَ أنا أُحْييه، وكان له نطعٌ[1] مقوَّر على قدر رقبة الإنسان وطشت[2] لذلك، وكان قد حَفر بين يَدَيْه موضع مجلسه حَفيْرة بطول قامة الإنسان، فكان يأخذ الرَّجُلَ منهم ليذبحه، ويقيمه في تلك الحفرة، ويضع النطع والطشت على رقبته بهندام مَلِيح، فكلُّ من يراه يعتقد الرأس مقطوعاً في الطشت، ثمَّ إنَّه يصبّ في الطَشْت ماءً أحمر ويغطيه بمنديل، ثمَّ إنَّه يُحْضر مَنْ يُريدُ يـُمرُّه عليه[4]، ويقول له: هذا رأسُ فلان في الطشت، ثمَّ يَرفعُ المنديل ويُريْه رأسه والدم في الطشت، فلا يَشكُ أنَّه مقطوع، ثمَّ إنَّه يَرْفعُه إلى البستان الذي له، فيبقى أياماً، ثمّ يحمله بعد أنْ يُفيق إلى منزله، ويقول: الملك قد أحْيَاني ووهبني لكم، فيُحدِّث النَّاس بما رأى في الجنّة من الخيرات، ويُحدِّثون أولئك بما رأوه، فيحصل ذلك في قلوبهم، فيفعل بهم ما يريد[4].

---

(1) النِّطع: بساط من جلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالقتل.

(2) الطَشْتْ أو الطست، كلمة معرَّبة: وهي إناء كبير من نحاس ونحوه.

(3) أي: يمرر الخدعة عليه.

(4) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، وكذلك القصة التي سبقتها عن (ملك الإسماعيلية)، ونظن أنهما من خرافات الحشاشين وفرقة الإسماعيلية.

فصل في حيل السلاطين

148. حيلة أبْرَهَه:[1]

لما قـتل أرياط نائب ملك الحبشـة، وذلك أنَّ أرياط في جـملة عَسْكر ملك الحبشة، وكان ذو نُواس[2] قد أحرق أهل نجران، فهرب رجل من عظمائهم، يقال له: ثُعلبان[3]، على فرس له، وقصد ملك الروم، واستنصره بعدما خَبَّره أنَّ ذا نواس قد خَرَّب البيَع[4] وقتل [القسُوس][5] وحرق الإنجيل، واستأصل أهل دين عيسى.

فقال له ملك الروم: إنَّ أرضي تبعد عن ملك الناحية، لكنني أكتب معك كتاباً إلى ملك الحبشة، فهو على ديننا أيضاً وقريب منك، وكتب معه كتاباً إلى ملك الحبشة، وسأله الانتصار لدين المسيح، وخَبَّره بما فعل ذو نواس من هدم البيَع، وقتل النصارى، وتحريق الإنجيل، فأخذه الثعلبان، وأتى به إلى النجاشي، فلمَّا وقفَ عليه غضب غضباً شديداً، ثمَّ إنَّه اخْتارَ من عَسْكره سبعين ألفاً، فاستعملَ عليهم ابنَ عمٍّ له يقال له: أرياط، وتقدَّم إليه أنْ: اظْفر بذي نواس، ولا تدع أحداً على دين اليهود إلا تقتله.

فَركبَ أرياطُ البحرَ إلى أن وصل إلى مُلكِ ذي نواس، ووصل إليه الخَبر، فاسْتعد للحرب، وحاربه أرياط فظفر به، وقتل كلَّ أصحابه، وملك جميع أرض اليمن.

---

(1) القصة في: سيرة ابن هشام: 52/1، والكامل: 334/1، والبداية والنهاية: 169/2، وأبرهة، هو: أبرهة بن الصباح الحبشي، المعروف بأبرهة الأشرم، صاحب قصة الفيل التي ذكرها القرآن الكريم، حين جاء لهدم الكعبة الشريفة.

(2) حسب كتب التاريخ والإخباريين، هو: ذو نواس أو يوسف بن شراحبيل، وعند ابن هشام: زُرعة ذو نواس بن تُبّان أسعد، أحد الذين حكموا اليمن قديماً، وكان يهودياً، حكم اليمن بعد أن قتل الملك المتجبر خنيعة ينوف ذو شناتر، وقد قتل ذو نواس خلقاً من أهل نجران بسبب عدم تركهم دين النصرانية، وهو آخر ملوك حمير، وصاحب الأخدود.

(3) دَوْس ذو ثُعلبان.

(4) أماكن العبادة عند النصارى.

(5) هكذا في كلتا النسختين، وقد يكون هذا الجمع في لغة العامة، فلا نعرف أنَّ كلمة قسِّيس، تجمع هذا الجمع، فالمشهور جمعها على: قساوسة، وقَساقسة، قِسِّيسون.

ثم إنَّه أساء إلى أصحابه، فتركوه وطلبوا أبْرَهَه، ووقع بينه وبين أرياط حرب، فقتل أبْرَهَه أرياطاً وملك موضعه، فبلغ الخبر إلى النجاشي أنَّ أبْرَهَه قتل أرياط وملك موضعه، فغضبه عليه غاية ما يكون، وحلف ليطأن بلاده سهلها وجبلها، ويَجُزُّ ناصيته ويهرق دمه.

فبلغ ذلك أبْرَهة، فأفكَّر في أمره، فنتحتْ له الفكرة أنْ أخَذَ جُراباً وملأه من تُراب السَّهل والجبل، وجَزَّ ناصيته نفسه، [وفَصَدَ روحه في قارورة، ولفَّ النَّاصية في خِرْقةِ حرير، وختَم القارورة والجراب][1]، وأنفذ الجميع إلى النجاشي، وقال: هذا تراب أرضي سهلها وجبلها، وهذه ناصيتي يجزّها الملك بيده، وهذا دمي ليهرقه الملك ولا يحنث في يمينه، فأعَجَبَ الملك ذلك، وقال: من هذه فطنته جدير أن لا يُغيِّرَ عليه [شيء][2]، وأنفذ سلطانه، وأمَّره على موضعه[3].

149. حيلة زهير بن [جَذِيمة][4] العَبْسي:[5]

وذلك أنَّ ابنه شأس لَمَّا رجع من عند [النعمان بن المنذر، بعد دخوله بأخته المتجردة][6]، فما زال يسير حتى وصل إلى ماءٍ من مياه [غَنِيّ بن عمرو بن

---

(1) زيادة من المؤلف.

(2) في الأصل: [شيئاً].

(3) في القصة زيادات من المؤلف غير موجودة في سيرة ابن هشام.

(4) ورد الاسم في كلتا النسختين: [خذيمة] والصحيح ما أثبتناه، وهو: زهير بنجَذِيمة بن رواحة بن ربيعة بن عبس، سيد من سادات العرب، وأمير عبس، وكانت قبيلة هوازن تهابه، وتحمل له الإتاوة كل عام، وهو والد قيس بن زهير، صاحب حرب داحس والغبراء، وشأس هذا هو أصغر أولاده. انظر ترجمته في: جمهرة أنساب العرب: 251، والكامل: 440/1 .

(5) القصة في: الأغاني: 56/12، والكامل: 440/1، وجمهرة أنساب العرب: 251، وفي أنساب الأشراف: 114/13، وفي العقد الفريد: 6 /5، ولم نعثر على المصدر الذي نقله عنه المؤلف، فقد زاد في أحداثها، وأطلق لخياله العنان.

(6) في الكامل أنَّ القصة حدثت في زمن النعمان بن امريء القيس جد النعمان بن المنذر، وكانت ابنة زهير قد تزوجها النعمان بن المنذر، وليس كما أورد المؤلف، فالمتجردة هي أخت النعمان بن المنذر، وقصتها مشهورة مع النابغة الذبياني.

أعصرا][1]، وكان على الماء صياد قد نصب شباكه، يقال له [ثعلبة بن الأعرج الغنوي][2]، فنزل عليه شأس ونام، فلمّا رأى الصياد ما معه، حسنتْ له نفسه قتله، وهو لا يَعْرفهُ، وقيل في رواية أخرى إنَّ شأس خرج على الصيّاد بالكلام، فرماه بسهم فقتله وقتل الجواد، وأخفاه، وأخذ ما كان أعطاه النعمان بن المنذر، ونقل الكلَّ إلى بيته، وحدث زوجته وأستكتمها بسرِّه. وأبطأ خبره على أبيه، فأنفذ إلى النعمان بطلبه، فقال له النعمان: إنه فارقنا من يوم كذا وكذا، وأخباره معنا إلى ماء بني كلام، وانقطع خبره عنّا، فعلم زهير أنَّ بني غنيّ قتلوه فأنفذ إليهم يسألهم عنه، فقالوا: ما لنا منه علم، وحلفوا على ذلك، فسكت عنهم، ثم إنه عمد إلى عشر عجائز، وأعطى كلَّ واحدة ناقة مُحمَّلة شحماً وليّة وبُرًا، وأمَرهُنَ أنْ يَقصدْنَ حلل العرب، ووصى كلَّ واحدة أنْ تقول: أنا من قبيلة فلان غير بني عبس، وتنتسب إلى أعداء بني عبس، وأنَّ لي ابنة قد زوجتها، وأريد طيباً وبيعي بما قدرّت عليه، وعُدْنَ إليّ. واتفق أنَّ عجوزاً منهم جازتْ ببني غني، وعرضت الشحم والأليّة والبرّ، وباعتْ عليهم، حتّى انتهت إلى بيت [ثعلبة بن الأعرج][3] الصيّاد، فعرضتْ عليه الشحم والأليّة والبرّ، فقالتْ لها زوجته: مِنْ أيُّ الناس أنت؟ فقال [العجوز]: أنا من اليمن من بني محارب، وقد زَوَّجتُ ابنتي، وأنا أطلب لها عطْراً، فقالتْ لها: يا عجوز لقد لقيت حاجتك عندي، وأدركت بغيتك، وحق اللات والعزى عندي طيبُ ما اقتنته إلاّ الملوك، ففرحت العجوز وابتاعتْ منها، وأعطتها مسكاً وعنبراً، وأكثرتْ لها منه حتّى تكثر لها من الشّحم والأليّة والبرّ، وكان بعلها غائباً، فقالت العجوز: من أين هذا الطيب؟ قالت لها: إنَّ بعلي قتل بعض العرب، ومعه ناقة محمّلة طيباً وملبوساً وذهباً، ثمّ أخذته العجوز ورحلتْ عنها وقصدتْ زهير، وقالت له: يا ملك، اصنع ما أنتَ

---

(1) في كلتا النسختين: [يحيى بن عامر]، والصواب ما أثبتناه من الكامل.

(2) لا وجود لهذا الاسم في جميع المصادر التي ذكرت القصة، وقد ذكر هذا الاسم الهمداني في كتابه: صفة جزيرة العرب، وذكره إياه وهم منه، فالمشهور أنَّ الذي قتل شأس بن زهير هو: رياح بن الأشل الغنوي، وفي رواية جمهرة أنساب العرب: رياح بن الأسك، وفي العقد: الأسل.

(3) المشهور، بأنَّ الذي قتل: شأس بن زهير، هو: رياح بن الأشل الغنوي.

صانع، قال لها: ومن له؟ قالت: [ثعلبة بن الأعرج الغنوي][1] قتل ولدك، وأخبرته بالقصَّة وأعطته الطيب، فركبَ من وقته وساعته، وسار إلى غَنِيّ وكلاب بحدّه وحديده، فوصل إليهم واجتمع به المقدَّم، وكان يومئذ خالد بن جعفر وأخوه الأخوص [وفارسهم ملاعب الأسنة، والربيع بن عقيل، وجندب بن البكار والطفيل بن مالك][2]. فقال لهم زهير: إنَّ ولدي شأس قتله [ثعلبة بن الأعرج الغنوي][3] الصياد، وعرَّفهم ما صنع من الحيلة حتَّى عرف قاتل ولده، فطلبوا [ثعلبة]، فقالوا لهم إنَّه هرب، فتحقّقوا ذلك، فقال: أريد زوجته، فجاؤوا بها فتهدّدها بالضرب والقتل، فأقرّت بالأمر على وجهه، قال زهير: علمتم ذلك حقاً، قالوا: نعم. قال أنا مطالبكم بدمه، قالوا اختر ما تُريدُ، قال: أريد أحد ثلاث خصال، قالوا: وما هي؟ قال تعيدون شاساً حيّاً، أو تملأون حجري من كواكب السماء، أو تعطوني غَنِي حتَّى أقتلها[4].

قالوا: أيُّها الملك تروم منّا ما لا نقدر عليه، ولكن نحن نُسلِّمُ إليك القاتل، ونحمل إليك عشر ديات، ونطلب بذلك رضاك، فرضي بذلك بعد المُساءلة[5].

---

(1) هذا وهم من المؤلف، أو من المصدر الذي نقل عنه، فالمشهور في معظم المصادر التاريخية أنَّ الذي قتل شأس بن زهير هو: رياح بن الأشل الغنوي.

(2) هذه الأسماء التي أوردها المؤلف فيها اضطراب ووهم، فالمصادر التي أوردت القصة تذكر الأسماء هكذا: [خالد بن جعفر بن كلاب، والأحوص بن جعفر، وعامر بن مالك بن جعفر، وحُنْدُج بن البَكّاء، ومعاوية بن عبادة بن عُقَيْل المشهور بفارس الهرار، والطفيل بن مالك بن جعفر، وربيعة بن عقيل بن كعب].

(3) المشهور أنَّ الذي قتل: شأس بن زهير، هو: رياح بن الأشل الغنوي.

(4) هذا من إضافات المؤلف، وفي الكامل: [إما تحيون ولدي، وإمّا تسلمون إليّ غنياً حتى أقتلهم بولدي، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم].

(5) أورد المؤلف القصة بطريقته الخاصة، وأضفى عليها من خياله بعض الأساطير والخرافات، فلم تقدم المصادر التاريخية القصة بهذا الشكل، فقد قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة، وهذه القصة من أيام العرب، يُقال له يوم (منعج، ويوم الرِّدْهة)، ثمَّ قُتل الحارث بن ظلم خالد بن جعفر في قصة أخرى بعد مدة من الزمن.

150. حيلة أخرى له:[1]

وذلك لمّا حاصر لقيط بن زرارة [زهيرا][2] وقومه في جبل الروم[3]، وطبّق عليهم الأرض، فطال ذلك عليهم، ونالهم من الحصار أمرٌ عَظيمٌ، فأفكر [زهيرٌ][4] في نفسه، ففتحتْ له الفكرة أنْ يُفرّق بين الفُصْلان[5] وأمهاتهم ويُعطِّش الإبل خمسة أيام، وما فيهم من يَعْلم مُراده ما هو، ثمّ إنَّه أمر العبيد، فأُخْرِجَتْ الفصْلان كلُّها عن بكرة أبيها، فخرجتْ مثل السَّيل الذي لا يُدْفع، ولم يشعر العساكرالذين مع لقيط إلاّ والفصْلان بينهم، فأخذوها كلَّها ونحروها وأكلوها! فالتفتَ لقيطٌ إلى [سنان بن حارثة][6] وقال له: أنتَ داهية العرب، وقد بلوتَ الحروبَ، وما يَخْفى عليك شيءٌ، أتدري لِمَ أخرج [زهيرٌ][7] الفصْلان دون النوق؟ قال: نعم أيُّها الملك، وأتبين في هذا مّا تسألني عنه، الماء عندهم قليلٌ، وهم خلق كثير، وقد أخرجوا الفصلان حتّى يتساوون بالماء، فاصبر عليهم فإنّك تأخذهم قبضاً باليد، فقال له لقيط: لِم لا أدخل الشِّعْبَ فأُجريه من دمائهم ولا أُبْقي منهم أحداً، قال له سنان: ما أُشِيُر عليك بهذا، ولكن خذهم بالمطاولة. فلم

---

(1) أورد المؤلف هذه القصة بطريقة قصصية، وقد شابها الاضطراب، وتداخلت فيها الحقيقة بالخيال، وهذه الوقعة، يُقال لها: يوم جبلة، أو شعب جبلة، ولم يحضرها زهير بن قيس؛ لأنَّه قد مات قبلها بمدّة، وقد ذُكر خبر مقتله في القصة السابقة، وإنّما صاحب هذه الحيلة هو ابنه قيس بن زهير صاحب داحس والغبراء، والقصة في: الكامل: 463/1 والعقد الفريد: 9/6 والأغاني: 92/12.

(2) المقصود قيس بن زهير؛ لأنَّ زهيراً قد مات في يوم: مَنْعج أو الرُّدهة، وقد ذُكر في القصة السابقة التي قُتل فيها شأس بن زهير ابن جذيمة العبسي، وقد عُرف قيس بن زهير بالدهاء.

(3) لم تذكر المصادر التي أوردت القصة اسم الجبل بهذا الاسم، وقد ذكر ياقوت الحموي أنَّه هضبة في نجد، وجبل طويل عظيم لا يُرقى من من قبل الشِّعب. انظر: معجم البلدان: 104/2.

(4) الصواب: قيس بن زهير.

(5) الفَصِيلُ: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه، وتجمع على: فُصْلان، وفِصْلان، وفِصال.

(6) الصواب: سنان بن أبي حارثة، بن مُرَّة بن نشبة بن ذبيان، وابنه هرم بن سنان من أجود العرب، ممدوح زهير بن أبي سُلمى، وقد عُمِّر سنان طويلاً، وأصبح خرفاً، وقيل بل عاتبه قومه لكرمه، فركب ناقته وهام في الصحراء، لذلك أطلق عليه: ضالة غطفان، وقد رثاه زهير بن أبي سلمى، انظر: الأغاني: 234/10.

(7) الصواب: قيس بن زهير.

يلتفتُ إلى قول سنان، وكان عنده تَجَبُّرٌ وتَمرُّد، فلمّا رأى سنان منه الجِّد تركه ومضى إلى أهله، وقال: إنْ دخل لقيطُ الشِّعْبَ فكونوا آخر من يدخل، فإنْ كانتْ لنا فيما يَضُرّنا، وإنْ كانتْ علينا كنّا إلى النجاة أقرب. هذا ما جرى. وأمّا زهيرٌ فإنّه أقام على شِعْبتي الجبل عبدين ومعهما غُلمان، وقال: إذا دخلت العساكر إلى الشِّعْبِ ولم يبقَ منهم أحدٌ، واكتملوا كلُّهم في الشِّعْب ارفعوا الأعلام.

فلمّا دخلتْ عساكر لقيط جميعها، وسنان وقومه في آخر العساكر مُتيقظين لأنفسهم رفع العبيد الأعلام، فعلم زهيرٌ أنَّه لم يبقَ من العساكر أحدٌ خارج الشِّعْب، ونظر إلى الشِّعْب فرآه مملوءاً خيلاً ورماحاً وهم في مَضْيقة، فأمر العبيد أنْ يحلّوا النوق والجمال، فَحُلّتْ عنها، وصاحتْ في وجوهها، فما ظنّك في إبلِ عِطاشِ خمسة أيام، وقد فقدتْ فِصْلانها وزجرتها العبيد [بلهازم][1] الأسنة.

فخَرجتْ على العساكر مثل السحاب المتكاثف يتلو بعضها بعضاً والرجال في أعقابها تَحثُّها، فصدمت الإبلُ الفرسان، وطحطحت الخيل، وكَرْدست الفرسان ومَزَّقتهم شذر مذر. وكان أشدّ النّاس قتالاً في ذلك اليوم [عنترة][2]، ووقع السيف في عسكر لقيط، فحصدوهم حصداً، وامتلأ الشِّعْب منهم قتلاً، وعَلِم سنان بالحيلة، [فنجا هو وقومُه]، وهو يقول: كيف رأيتهم رأي المجربِ! وأمّا لقيط بن زرارة فالتقاه الرَّبيعُ بن زياد وقال له: يا لقيط هذا يوم العناء لكم لا لنا، وحمل عليه ضربة بالسيف ففلق رأسه وخر صريعاً[3]. وأمّا سنان، فتبعه عنترة وأخذه أسيراً، فأتى به إلى زهير فقتله ومن معه[4]، وهذه أعظم وقعة للعرب وهي عديلة يوم جفر [الهَبَاءة][5].

---

(1) الهازم: عظمٌ ناتئٌ في اللَّحْي تحت الحَنَك، ولهزهم: لكزهم، والمعنى: لكز الإبل بأطراف الرماح.

(2) انفرد الكامل بذكر مشاركة عنترة في هذا اليوم، ولا نظنه قد شارك؛ لأنه قد أصبح شيخاً كبيراً، ولم تذكره بقية المصادر.

(3) الثابت في المصادر أن الذي قتل لقيط بن زراره، أحد ثلاثة: شُرَيح بن الأحوص وهو أكدهم، وجزءُ بن خالد بن جعفر، وجَعْدة بن مرداس، ذكره ياقوت في معجم البلدان.

(4) لم تشر المصادر إلى أسر سنان أو قتله، وقد ذكرنا أنه عُمِّر طويلاً، حتّى أصبح خرفاً.

(5) في كلتا النسختين: [الهباءة]، والصواب: [النُّتاءة]، وهو يوم انتصرت فيه عبس على بني عامر.

151 . حيلة السُّلطان جلال الدَّولة:[1]

ذكرها الصَّابئ في تاريخه[2] يقول: حدثني بعضُ التُّجار، قال: كنتُ في مُعَسْكر جلال الدَّولة، واتَّفق أنَّه ركِبَ يوماً إلى الصَّيد على عادته، فلقيه سواديٌّ[3] يبكي، فقال له: ما بالك تبكي؟ قال: لقيني ثلاثةُ غلمان أخذُوا مني حمل بطيخ كان معي، وهو بضاعتي كلها؛ قال له: امض إلى العَسْكر، هناك قبّةٌ حمراءُ، اجلس عندها، ولا تبرح حتَّى أجيء وأُعْطيك ما يُغْنيك، فمضى السَّوَاديُّ كما أمره.

فلمّا عاد السلطان، قال لمرافقته: قد اشتهيتُ بطيخاً، ففتشوا العَسْكر والخيَم والسُّوق على بطيخة، ففعلوا ذلك فأحضروا بطيخاً، قال: هذا من أين؟ قيل له: من خيمة فلان الحاجب، قال: أحضروه، فلمّا حضر، قال له: من أين لك هذا البطيخ؟ قال: الغلمان جاؤوا به، قال: أريدهم الساعة، فمضى وقد فطن لما يُريدُ السلطان، فهرَّبَ الغلمان خوفاً أنْ يقتلهم السلطان، وعاد، فقال: هربوا لَمّا عَلموا بطلب السلطان لهم، قال: أحضروا السَّوَاديَّ، فأُحْضر، فقال له: هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال: نعم، قال السلطان: وهذا الحاجب مملوكيٌّ، قد وهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا بطخيك، والله لئن خلَّيتُه لأصلبنك، وإلاّ فبِعْه وخُذْ ثمنه.

فأخذ السَّوَاديُّ بيد الحاجب، وخرج، فاشترى الحاجبُ نفسه منه بثلثمائة دينار، وعاد السَّوَاديُّ إلى السلطان، وقال: يا مولاي قد اشترى نفسه بثلثمائة دينار، قال: ورضيت؟ قال: نعم، قال: اقبضها، قال: قبضتها، قال خذها وانصرف.

---

(1) جلال الدولة، هو: أبو طاهر فيروزجرد بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي، حكم العراق بعد والده بهاء الدين، مات سنة 435هـ.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية: 51/12 .

(2) هو: أبو الحسن بن هلال بن المحسِّن الصَّابئ، وقد تقدَّمت ترجمته، وتاريخه، هو: «كتاب التاريخ»،إلا أنَّه مفقود، لم يصل منه سوى قطعة من الجزء الثامن، والقصة في: أخبار الأذكياء: 85، ويظهر أن المؤلف ينقل عن أخبار الأذكياء.

(3) السواديُّ يطلق على المزارع أو القروي في سواد العراق، وسمي سواداً؛ لشدة خضرته فيه .

152. حيلة أخرى له: [(1)]

مّما حكاه الصّابئ أيضاً، قال: حكى لي هذه الحكاية من كان حاضرها بأصفهان، قال: جاء رجلٌ تُركُمَانيٌّ ومعه رجلٌ آخر، وهو متعلق به إلى جلال الدَّولة، وقال: هذا ابتنى بابنتي، وأريدُ أقتله بعد إعلامك. قال له السلطان: ما يجب عليه القتل، وإنّما تُزوِّجه بها، وأُعْطِيك المَهْر من عندي، قال: لا أقنعُ إلاًّ بقتله! قال جلال الدَّولة: [هاتوا][(2)] سيفاً، فجاؤوا بسيف، وقال لأبي الصَّبية: تعالَ، فلمّا دنا منه أعطاه السَّيفَ، ولزم الغِمْدَ، وأمره أنْ يُعيْده للغِمْد، فلمّا رامَ الرَّجلُ ذلك صار السلطان يَقلِبُ الغِمْدَ يميناً وشمالاً، ولم يمكّنه من إدخال السَّيف.

فلمّا ضَجِرَ الرَّجلُ، قال: يا سلطان ما تُمكِّني، قال له السلطان: كذلك ابنتك، لو لم تُرِدْ الفعل ما مكنته من نفسها، فإنْ كنتَ تُريدُ قتله [كيف][(3)] فعل، فابنتك [هَمْ][(4)] فعلتْ، يقتلان كلاهما، قال: قد سلمتُ الأمر إليك، فأحضر القاضي، وزوَّج الرَّجلَ بالصَّبية، ووزن المَهْر من عنده.

153. حيلة لبعض السلاطين: [(5)]

جاء في بعض الأخبار أنَّ [سلطاناً] قَدِم [جيش][(6)] على محاصرته، فأخذ شعيراً وطبخه بالماء، وقضبان الدُّفلة[(7)]، ثمَّ جفّفه وخرج بعسكره ناحية، ثمَّ

---

(1) القصة في: أخبار الأذكياء: 86 .

(2) في (ب): [هاتم]، وقلنا: إنهًا قد تكون لهجة لبعض القبائل، أو من نطق العامة، وقد تقدم رأي أبي القاسم الزّجاج فيها.

(3) عبارة المؤلف مضطربة، و في أخبار الأذكياء: [الأجل فعله فاقتلهما جميعاً].

(4) زيادة في (ت)، و [هَمْ]: بمعنى: هي أيضاً، ويظهر أنّها من نطق العامة.

(5) القصة في أخبار الأذكياء: 228.

(6) سقطت من كلتا النسختين، وقد أثبتناها؛ لأن السياق يتطلبها.

(7) الدُّفلة أو الدُّفْلى: نبات يعيش في المناطق الإستوائية، أوراقها رمحية الشكل، وهي من النباتات السامة.

جعل الشعير في المخالي[1]، فلمّا أتتْ طلائع ذلك العسكرانهزم[2]، وترك المَخالي [بحالها، فلمّا نزل العسكر الآخر موضعه، وجدوا المَخالي][3] مملوءة شعيراً، فعلّقوها على خيلهم، فما هو إلاّ أن استوفتها، فوقعتْ كلها موتى، فخرج السلطان من البلد إليهم فأخذهم قبضاً باليد.

154. حيلة لبعض السلاطين:

يُحكى عن بعض السلاطين، أنّه اتَّخذ سبائك نُحاس فطلاها بالذهب، وتركها في خزانته، فلمّا تشغَّب عليه جُنْده ليأخذوا أرزاقهم، أظهر السبائك، وقال: أمْهِلونا حتّى نضرب هذا الذَّهب، ونُعْطِيكم أرزاقكم، فصبروا عليه، فجاء خراج الرَّجل وأوفاهم.

155. حيلة نوح على عمّه إبراهيم حتّى تمكن منه: [4]

وذلك لمّا زحف نوح على عمّه إبراهيم، وكان مُدَّبراً من [داود البلخي][5]، فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بأنْ أعَلمَهم أنَّ مَدَداً كبيراً قد أقبل إليهم، وهم يلحقون بهم في الليل، وكانت الحربُ قد وقعتْ في ذلك اليوم عليه[6]. فلمّا كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مواليه وأمرهم بالإبعاد، فإذا كان الثلث

---

(1) المِخْلاة: كيس يعلَّق على رقبة الدَّابّة يُوضع فيه عَلَفُها.

(2) بمعنى انسحب، أو ما يسمى بالمصطلح العسكري: انسحاب تكتيكي.

(3) سقطت هذه العبارات من (ت).

(4) القصة في تجارب الأمم: 286/5، والكامل: 214/7، ونوح هو: أبو محمد نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني (ت: 343هـ) أحد سلاطين الدولة السامانية في بخارى. وعمه الذي نازعه في الملك هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الساماني (ت: 334هـ). انظر ترجمته في: تاريخ بخارى: 136.

(5) في تجارب الأمم: ابن أبي داوود البلخي.

(6) أي: على نوح.

الأخير [من الليل][1] ، ضربوا طبولهم وبوقاتهم[2]، ودخلوا العسكر على هيئة النَّجْدَة، فلمّا أصبحوا وقعت الحربُ، وقد قويَتْ قلوب عسكره بالنَّجْدة، فانهزم عمّه، فاستأسره وسلّمه إلى جماعة من أصحابه[3].

156 . حيلة ابن سنبر: [4]

وكان ابن سنبر معادياً أبي حفص الشريك[5]، فاحتال في حياة أبي طاهر[6] بأنْ أحضر رجلاً من أصفهان، وكشف له أسراراً كان أبو سعيد الجنَّابي[7] كشفها له، ولم يعلم بها [غيره][8]، ولم يعلم أبو طاهر أنْ أباه كشفها لابن سنبر، فقال ابن سنبر لهذا الأصفهاني: امضِ إلى أبي طاهر، وعرّفه أنَّكَ الرَّجل [الذي كان أبوهُ يدعو إليه][9]، فإنْ سألك عن العلامات والدلائل أظهر له

---

(1) سقطت من (ب).

(2) جمع بوق، وهو أداة مجوَّفة يُنْفخ فيها، وتجمع على: بوقات، أبواق، بيقان.

(3) في تجارب الأمم والكامل: أنه سمل عيني عمه، وسمل جماعة من أهل بيته.

(4) القصة في تجاب الأمم: 263/5، والكامل: 142/7 .

(5) ابن سبرين، وأبو حفص الشريك من وزراء القرامطة.

(6) أبو طاهر: سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، أبو طاهر القُرْمطي، (ت: 332) نسبته إلى «جنابة» من بلاد فارس.ملك البحرين، وزعيم القرامطة، اشتهر بغارة شنها على مكة يوم التروية سنة 317 هـ والناس محرمون، ونهب أموال الحجاج، وقتل منهم الكثير، واقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر، ومكث فيها ما يقرب من عشرين سنة حتى أعيد إلى موضعه، بعدما بعث إليه أمير الدولة الفاطمية يأمره بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه، وقد هلك القرمطي في هجر كهلا بالجدري. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 321/15، وفوات الوفيات: 12/8.

(7) أبو سعيد الجنَّابي: الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، نتدبه حمدان قرمط، وبعثه إلى البحرين لبث دعوته فيها. استقر في القطيف تحت ستار العمل بالتجارة، وانصرف خلال ذلك لنشر دعوته سراً سنين عديدة، ولم يقم بإعلانها حتى سنة 286 هـ، مات سنة 301، وخلفه من بعد ابنه أبو طاهر المذكور في الترجمة السابقة. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 141/1، الوافي بالوفيات: 373/11 .

(8) في كلتا النسختين: [عنده]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(9) في تجارب الأمم: [الذي كان أبوهُ وهو يدعوان إليه]، وفي الكامل: [صاحبهم الذي يدعون إليه].

هذه الأسرار، وشرط عليه ابن سنبر أنّه إذا تمكّنَ من الأمر قتل أبا حفص الشريك. فضمن الأصفهاني له ذلك، ومضى إلى أبي طاهر وأعطاه العلامات، وحَدَّثه بالأسرار، فلم يَشُكَّ في صحة قوله، فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلَّم الأمرَ إليه، وقال لأصحابه: هذا الذي كنت أدعوكم إليه والأمر له. فتمكن الرَّجلُ من الأمر وثبت ووفى بما ضمنه لابن سنبر، وقتل أبا حفص الشريك. ثمَّ كان يأمر أبا طاهر وإخوته بقتل مَنْ يُريد، فقتل رؤساء القرامطة جميعهم، وأكثرَ أمرائهم وذلك بما أراد ابن سنبر[1].

157. حيلة للمرزبان:[2]

كيف تخلص من قلعة سُمَيْرَم[3]، وذلك لما حُصِّل المرزبان في قلعة سُمَيْرَم. امتنع من الطعام والشراب، خاصَّة اللحوم وما أشبهها، واقتصر على القُوْت اليسير من الحنطة، فبلغ ذلك إلى ركن الدَّولة، فأنفذ إليه طبَّاخه الذي يثق به ليتولى ما كان يتولاه من المآكل والمشارب، فحُصِّل الطبّاخ عنده في القلعة، وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده، وكان الطبّاخ خفيفاً أحمق، وظهر منه ما في نفسه، وعرف صاحب[4] القلعة فقتله، وضيّق على المرزبان.

وكانت والدة[5] المرزبان تحتال في خلاصه، وكان شخص يعرف بابن الضابي[6] وكان شاطراً جلداً، فضمن لأم المرزبان خلاصه، فأطلقت له مالاً

---

(1) في تجارب الأمم: زيادة تفصيل في أمر هذا الرَّجل الذي قتل أكثر القرامطة، وكيف أنه قتلوه حين اكتشفوا كذبه.

(2) القصة في تجارب الأمم: 310/5، والكامل: 245/7، والمرزبان هو: من حكام بني سلاّر الذين حكموا أذربيجان، وهو المرزبان بن محمد بن مسافر، ويقال له المرزبان الأول توفي سنة346هـ.. انظر: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي: 275.

(3) سُمَيْرَمُ: بلدة بين أصبهان وشيراز. انظر معجم البلدان: 3/ 257.

(4) أي: المسؤول عن القلعة، وفي تجارب الأمم، اسمه: شيراسفار، وفي الكامل: بشيرأسفار.

(5) في تجارب الأمم، اسمها: خراسويه بنت جستان بن وهسوذان الملك، وفي الكامل: ذُكر اسم أبيها فقط.

(6) في تجارب الأمم: إبراهيم المعروف بابن الضابي.

كثيراً، وكان معه شخص آخر يعرف [بتوبان][1] وكان أيضاً جلداً شاطراً، فضمن أيضاً لها خلاص ولدها، فجمعت بينهما وأعطتهما مالاً عظيماً، فلبسا زي التجّار، وأظهرا الورع والدين، ولزما فناء القلعة، وراسلا أميرها، وعرّفاه أنهما تاجران، وأنّهما كانا فيما مضى يُعاملان المرزبان، وأنّه أخذ بضاعتهما ومتاعهما، وسألاه أنْ يجمع بينهما وبين المرزبان لينجزا كتبه، وعلاماته بإزاحة [الغلبة][2] عن أموالهما، وما يستحقه التُّجار عليه، وواصلا الدعاء له والدعاء على المرزبان، وأكثرا لعنته وشتمه، وقالا: الحمد لله الذي كفى الناس شرّه، وأنّه لا يعرف الله ولا رسوله.

وما زالا بمثل هذا وشبهه حتّى رقّ لهما صاحبُ القلعة، وأوصل واحداً واحداً إليه من غير اجتماع، فقال المرزبان: لا أعرفهما، [فأعطاه زوراً أنّه بالتصحيح][3]، وخوفاه الله ورسوله وسوء العاقبة، فقال: إني لا أعرف حسابهما، ولكنني أكتب بأن يُحاسبا.

وكثر تردّدهما إليه، وضمّت أمه إليهما وصيفاً الديلمي [للتنقيب][4] وأبا الحسن بن الجني وجماعة غيرهم، وحملوا ألطافاً[5] إلى صاحب القلعة، [وكانوا يشترون الحوائج][6]، ويشكون من ظلم المرزبان وعدوانه، وكانوا يُوصِلون إلى المرزبان الكتبَ، ويأخذون الجواب، [ويدسُّون][7] إليه الذهب الكثير، فيصرفه في

---

(1) في كلتا النسختين: [بيونان]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(2) في تجارب الأمم: [علتهما].

(3) في تجارب الأمم: [فأغلظا له وواجهاه بالقبيح]، وفي الكامل: [فغمزه أحدهم، ففطن لهم واعترف لهما].

(4) في كلتا النسختين: [المسطب]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(5) أي: الهدايا والتحف.

(6) عبارة المؤلف كما هي عادته مضطربة، وغير مترابطة، ومبتورة، وفي تجارب الأمم: [وكانوا يشترون منهم الحوائج، ويعدونهم إلى أن يصلوا إلى أموالهم وبضائعهم أنهم يبذلون لهم أموراً جليلة، وفي خلال ذلك يبكون ويشكون ظلم المرزبان...]

(7) في (ب): [يدينون]، وما أثبتناه من (ت) وهي موافقة لرواية تجارب الأمم.

مصالحه وفيما يحتاج إليه. وكان لصاحب القلعة غلامٌ أمْرد حَسَن الوجه مَليحَ الشمائل، وكان يَحْمل [تُرساً وطَبْراً][1]، فأظهر المرزبان عشقه ومحبته [بهذا][2]، ويعطيه [ويصله][3] حتَّى أعطاه شيئاً كثيراً، وعلم أنَّه لا يخرج ولا تتم الحيلة إلا بذلك، وصار يعطيه أشياء كثيرة لها خطر، ويقول له: إذا خرجتُ من هاهنا وليتك الولايات الكبار وتصير، وتصير، حتَّى [تهوَّن][4] الصَّبيُّ، وأطاعه في كل ما أراده، وطلبه منه. فطلب منه درعاً، فجاءه به في زنبيل، وغطّاه بتراب وعدة سكاكين، وأوصل إليه مبارد في شمع، واجتمع معه على الحِيل، حتَّى توافق المرزبان والصَبيُّ والتُّجار على يوم معلوم يقتلون صاحب القلعة.

وصار التُّجار يجوزون واحداً واحداً، والبوَّاب يُوصِلهم إلى المرزبان بموافقة الغُلام، فدخلَ صاحبُ القلعةِ على المرزبان على عادته ليتفقده وينظر أحواله، وكان المرزبان بموافقة الغُلام وقد بَرَد قيوده وتركها في رجليه زوراً، ولبس الدرع والتفّ فوقه بكسائه، فما هو إلا أنْ حَصَل صاحبُ القلعة عنده قريباً منهُ وثب عليه المرزبان، فوضعه تحته وأخرج سكيناً وجأه[5] بها وضربه الغلام بالطَّبْر فقتله، ووثبت التُّجار على البوابين والذين معه فقتلوهم، وطلع المرزبان مُلْكَ القلعة والصَّبيُّ والتُّجار، ووصل إليه عَسْكرُه، عن وَعْدٍ بينهم، وخرج من القلعة، [وكَمَن][6] مأمنه.

---

(1) في (ب): [طيراً]، وما أثبتناه من (ت)، والطبري، وطَبْرا: نوع قديم من السلاح يشبه الفأس، وفي تجارب الأمم: [يحمل ترسه على مذهب الديلم].

(2) زيادة في (ت).

(3) في (ب): [يصب له].

(4) في (ب): [تهوُّن]، وفي تجارب الأمم: [طمع].

(5) وجأه: طعنه وضربه بالسكين.

(6) في (ب): [ولحق].

158. حيلة [للجنَّابي][1]:

كان يوهم أصحابه أنَّه يعلم [الغيب][2]، ويعلم أسرار أصحابه وباطن أمرهم، وأنَّه مُطَّلعٌ على ما في ضمائرهم، وكان قد غزا قوماً وغنم مالاً عظيماً، فوقع بِيَد أصحابه منه طرف كثير وحبسوه عنه، فأخذ عُقود حَبٍّ وجواهر نفيسة من جملة تلك الغنائم، ودفنها في موضع غايص من الصحراء، واستدعى بأخوين من أصحابه بمحضرٍ من جميع جنده، وقال: ما جزاء من خان مولاه في ماله ونفسه وارتدّ عن دينه، وقال الواحد من الأخوين: يجب عليه القتل، فقال لأخيه: اقتله، فإنَّه قد نافق وخان وارتدّ، وهو حق لله تعالى علي لا أقدر على تركه وقد طهرته بالقتل، فامض أنتَ مع جماعة إلى الموضع الفلاني، فاحفره وهات ما أخبأه أخوك، ودلّهم على الموضع بعينه، فمضوا واستخرجوا ما كان مدفوناً، فأخذه بمحضر من أصحابه، وقال: إنما استحق القتل بشكّه فيّ وظنّه أنّي لا أعلم سرّه، وأنّي لا أعرف موضع دفنه، وهذه سنتي فيمن شكّ فيّ منكم، وكل من ارتاب بإمامه فهذا جزاؤه، فأمّا من تاب وأظهر التوبة وردَّ ما معه، فهو مغفور له إذا استغفر، وإذا أتى بما حبس، فأتت الأموال تنهال عليه من كل جانب مع إنابة واستغفار، وتم له ما أراد.

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، والجنّابي: هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنّابي القرمطي، الذي كان يصيح على عتبات الكعبة: «أنا بالله، وبالله أنا، يخلق الخلق، وأفنيهم أنا» وقد قتل الحجيج، ونهب أموالهم، واقتلع الحجر الأسود من بيت الله الحرام سنة 317هـ، وقد مات سنة 332هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 321/15.

(2) سقطت من (ب).

159. حيلة لأمير الزِّنْج:[1]

وذلك أنه صعد إلى سرّ من رأى[2]، فأظهر الصَّلاح، ومشى في زي النساك، وذلك في زمان الموفق[3]، وأظهر أنَّه ينصح المسلمين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويُرْشد إلى الخير، فرفع رقعة إلى المعتمد[4]، يقول فيها: إنني اجتزتُ بالبصرة فرأيت العبيد بما يُسَامون الخدمة والكدّ نهاراً، فإذا كان الليل قُيِّدوا، وما بهذا أُمرنا، وقد أوصى رسول الله- ﷺ -، فقال: الصَّلاة وما ملكتْ أيمانكم، وأمَرَ بِحُسْن العشرة معهم، وطلب كتّاباً إلى البصرة يُوصُونَهم بالعبيد، وكانتْ البصرة لِقُرْبها من البحر يُقَيْدون ماليكهم بالليل حذراً أنْ يَهْربوا إلى المراكب، فلا يكون لساداتهم عليهم سبيل، [وينهيهم][5] عن الإساءة إليهم، ويمنعهم من تقييدهم، فكتب له السلطان: هذا رغبة في الخير وظَنّ خيراً، فلمّا ورد البصرة وأحضر النَّاس، وألزمهم العلْم بما في الكتاب، فأجابوا إليه واستحسنوه ورضِيُوا وقبلوا، وشاع ذلك الخبر في الزِّنْج، وسألوا عمّن كان السب فيه، فَقيل: رجلٌ

---

(1) ثورة الزِّنْج من أخطر الثورات التي حدثت في الخلافة العباسية، وهي مشهورة في التاريخ الإسلامي، وصاحبها يزعم أنَّه: علي بن محمد، ويعود نسبه إلى علي بن علي بن أبي طالب، إلا أن بعض المؤرخين يشكون في نسبه، وقد ظهر سنة 255هـ في البصرة، وهذه القصة التي سردها المؤلف لم نجد لها ذكراً بنصها في مصادر التاريخ المشهورة، وقد أشيع عنه بعض الأخبار الغريبة، وما زعمه من قدرات خارقة، انظر خبره في الطبري: 410/9، والكامل: 208/6، وتجارب الأمم: 223/4، والبداية والنهاية: 18/11.

(2) مدينة عراقية قديمة، بناها الخليفة العباسي المعتصم سنة 211هـ لتكون عاصمة دولته، تقع على نهر دجلة شمال بغداد واسمها الحديث سامراء.

(3) هو: ولي العهد الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد (242-278 هـ) وكان قائد جيش المعتمد على الله، كان عالماً بالأدب والأنساب والقضاء، كريماً، حازماً، وله حنكة سياسية ممتازة، حتّى لقّب بالمنصور الثاني.كان وليا للعهد في خلافته أخيه المعتمد، ومات في خلافته. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 127/2، وسير أعلام النبلاء: 196/13.

(4) هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن المتوكّل على الله جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (256- 279هـ)، سعى في نقل الخلافة إلى مصر، ولكن ولي عهده الموفق علم بالأمر فمنعه. انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء: 289، وتاريخ بغداد: 98/5.

(5) هكذا في كلتا النسختين.

صالحٌ يَلْبس الصُّوْف، ويأكلُ الحلال ويعمل الخوص، ويأكل من كسبه، ويرفع الشَّوْك من الطرقات، ويأكلُ الشَّعير مع الرماد، وينام على المزابل مع الكلاب، لكنَّه لله، فرغبوا فيه أشدَّ الرَّغبة، ونظروا إليه بِعْين التعظيم، ودعوا له واجتمعوا عليه، فكلمهم بالزنجيَّة، وباح إليهم بما في نفسه، فبلغ كَيْده في الإسلام كلَّ مبلغ وهتك الحرم، وقتل الأطفال، وسبي العَلويَّات، وبلغ من هذا ما لا تبلغهُ الرّوم ولا تفعله التُّرك.

الباب السابع
في حِيَل الوزراءِ والعُمَّال والمتَصرفِين

من كتاب فَرَج المُهَج:[1] [يُحكى أنَّه كان بعض السلاطين، وكان له وزير، وكان كثير الأعداء][2] لكونه يصدع بالحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فما يزالون يسعون به إلى السُّلطان ويكذبون عليه حتى أمر السلطان بقتله، وكان للسُّلطان كلاب ضوار إذا أراد هلاك أحد كتَّفه وألقاه إليها فتُمَزِّقه كل ممزق، فأمر السُّلطان أنْ يُطرح الوزير بين أيدي الكلاب، فقال للسُّلطان: أريدُ منكَ أنْ تُؤخِّرني عشرة أيَّام حتَّى أوفي ما عليَّ من الديون، وأستوفي مالي، وأعطي النَّاس ودائعَهم، وأقسم مالي بين أهلي وأولادي، وأوصي عليهم أحداً، فأخَّره عشرة أيَّام بعد أنْ ضمنه أرباب الدَّولة. فأتى إلى منزله فأخذ مائة دينار، فطلب بيتَ الكلاب بزي الَّذي يُربِّي الكلاب العشرة، وقال له: [خَلِّني][3] أخْدم الكلابَ عشرة أيَّام، فأخذها منه، وصار يَخْدمُ الكلاب أوفى خدمة ويُحْسِنُ إليها، ويُطعمُها منْ يده حتَّى ألفته الكلاب، وأنِسَتْ به أوفى شيء يكون.

فلمَّا كان اليوم الحادي عشر ذكَّروا السُّلطان به أعداؤه، فأحضره بين يديه وأُمر به فكُتِّف وألقاه بين يديّ الكلاب، فلمَّا رأته الكلاب دارت حوله، وحرّكت أذنابها وبصبصت بأعينها، وقرصتْ كتافَه وصارتْ تلعبُ معه، فلمَّا نظر السُّلطان إلى ذلك بقيَ حائراً متعجباً، فأحضره بين يديه، وقال له: أَصْدُقني حديثكَ كيف هو؟ قال: خَدمتُ هذه الكلابَ عشرة أيَّام، فكان منها ما رأى السُّلطان،

---

(1) الكتاب: لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي الوشاء (ت: 325هـ)، وقد تقدمت ترجمته.

(2) هكذا في كلتا النسختين، ويتضح اضطراب العبارة وركاكتها.

(3) في (ت): [خليني].

وخَدَمتُكَ ثلاثين سنة، وكان آخرها هلاكي بقول الأعداء، فاستحى السُّلطان وخلع عليه، وطيّب قلبه وسلّم إليه الذين سعوا فيه، فأحسنَ إليهم وصرفهم.

160. حيلة أخرى له من تجارب الأمم:[1]

حكى أبو القاسم بن [زنجي] عن[2] [توصُّل][3] الحسين بن القاسم[4] إلى الوزارة خبراً لطيفاً، [قال][5]: كان أبو علي الحسين بن القاسم يُعرف [بأبي][6] الجمال، وكان لي صديق يسكن إليّ، ويستدعيني إلى المواضع التي يستتر فيها، ويشاورني [فألزمني][7] بذلك حقاً وحُرمة، فاجتهدتُ في السعي له، والتوصُّل بكلِّ سبب وحيلة أنْ يتقلّد الوزارة. فكان مِنْ أحسن ما عَملتُهُ أنَّ رجلاً بمدينة السَّلام يُعرف بالدانيالي، كان يُلازمني ويَبيتُ عندي، ويُخرج إليَّ بسرِّه، ويُحدِّثني أنَّه يُظهر كُتباً ينسبها إلى دانيال بخط قديم، ويُودِعُ تلك [الكُتُب][8] أسماءَ قوم مِنْ أربابِ الدَّولة على حُروف مُقطَّعة فإذا جُمِعَتْ فُهِمتْ.

واستَوى لـه بذلك جاهٌ، وقام له به سوقٌ، ووصلتْ إليه بذلك جُملة

---

(1) القصة في تجارب الأمم: 122/5، وفي الكامل: 67/7، مع بعض الزيادات من المؤلف.

(2) في (ت): [الزنجي]، وفي (ب): [بزنجي]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(3) في (ت): [نوفل]، والتصحيح من (ب)، وتجارب الأمم.

(4) هو: الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، أبوه القاسم كان وزيراً للمعتضد والمكتفي، وجده عبيد الله وزيرا للمعتضد، وأبو جده سليمان بن وهب كان وزيرا للمهتدي، وهو من أصل يهودي، ولم يكن الحسين بن القاسم حاذقاً في وزارته، فلما ظهر عجزه، قبض عليه المقتدر بالله وعزله، وفي خلافة الراضي أُبعد عن العراق، ثم قتله علي بن مقلة لما ولي الوزارة سنة 322هـ تقريباً. انظر ترجمته في الفخري في الآداب السلطانية: 268، والكامل: 67/7، وستأتي قصته في ص363.

(5) سقطت من (ب).

(6) في كلتا النسختين: [يُعرف بابن الجمال]، والصواب ما أثبتناه من: تجارب الأمم، والفخري.

(7) في (ب) أكرمني، والصواب ما أثبتناه من (ت) وتجارب الأمم.

(8) سقطت من (ب).

هدايا من القاضي أبي عُمـر وابنه أبي الحسين[1] ووجوه الدَّولة، وغلب على مفلح[2] واختص به؛ لأنَّه [عرَّفَهُ][3] أنَّه وجد في الكتب القديمة أنَّه من ولد جعفر بن أبي طالب، فجاز ذلك عليه ووصل إليه منه بِرٌّ كثير. فانفتح لي أن سألتُهُ [أن يثبتَ][4] فصلاً في كتاب يكتبه، ويشرح فيه ما أسألُهُ، فأجابني إلى ذلك، فوصفتُ له الحسين بن القاسم، فاختصرتُ مِنْ وصفه على ذكْر قامته، وآثار الجدري في وجهه، والعلامة التي في شفته العليا وخفَّةَ الشعر هُناك، وأنَّه إنْ وزِّر [للثَّاني][5] عشرة من الخلفاء العبَّاسيين استقامتْ أمورہ كلُّها، وعلا على أعدائه، [وانفتحت][6] البلاد على يديه، وعَمَرتْ الدنيا في أيَّامه. ودفعت النسخة إلى الدانيالي [فأتقن] في عَمَل دَفتر يَذْكُر فيه أشياءَ، ويجعل هذا الباب في تضاعيفه، وسألتُهُ تقديم ذلك ولَمْ أزلْ أُطالبُه حتَّى أعلمني أنَّه لا يستوي [حتَّى لا يشك فيه أقل من عشرين يوماً]، وأنه يحتاج أنْ يجعلُه في التبن أيَّاماً، ثمَّ يجعلُه في الخُفِّ ويمشي عليه أيَّاماً، فإنَّه يصفر ويعتق. فلمَّا [بلغ المبلغ][7] صار إليَّ وهو معه فأرَانيه، فوقفتُ على الفصل ورأيتُ دفتراً لولا علمي به لحلفتُ يميناً أنَّه قديم لا شك فيه. ومضى به إلى مفلح يَقرأه عليه في جملة أشياء، فقال له مفلح: أعدْ عليَّ هذا الفصل، فأعاد، ومضى مفلح إلى المقتدر بالله فذكر له ذلك، فطلبَ الدفترَ، فأحضره بين يديه، فقال له: من تعرف بهذه الصِّفة؟ وأقبل المقتدر يكررها، فذكر مفلح أنَّه لا يعرف أحداً بهذه [الصِّفة][8]، وحرص

---

(1) هو: أبو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي بالولاء، تُوفي سنة 320هـ، وهو من قضى بقتل الحلاج، كان محمود السيرة، من أئمة القضاة.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 556/14، تاريخ بغداد: 635/4، البداية والنهاية: 172/11 .

(2) مولى المقتدر بالله.

(3) في كلتا النسختين: [زعم]، وما أثبتناه أنسب للسياق، والتصحيح من تجارب الأمم.

(4) سقطت من (ب).

(5) في كلتا النسختين: [على الثاني]، والتصحيح من تجارب الأمم.

(6) في كلتا النسختين: [فُتحتْ]، وما أثبتناه من تجارب الأمم، وهو أنسب للسياق.

(7) في تجارب الأمم: [فلمّا بلغ المبلغ الذي قدَّر صار إليّ...]

(8) سقطت من (ب).

المقتدربالله على أنَّه يعرف أحداً يوافق هذه الصِّفة. فقال مفلح: لستُ أعرفُ إنساناً يوافق هذه الصفة إلاّ الحسين بن القاسم الذي يقال له [أبو الجمال][1]. فقال له المقتدر: إنْ جاءك صاحبٌ له برقعة فخذها منه، وإنْ [جاءتك][2] رسالة فَعرِّفنيها، وقِف عليّ ما يجري في أمره، ولا يَعْلم أحدٌ به. وخَرَج مفلح إلى الدانيالي، فقال له: هل تعرفُ أحداً بهذه الصِّفة؟ فأنكر ذلك، وقال له: إنما قرأتُ عليكم كتب دانيال، ولا علم لي بغير ذلك. فانصرف إليَّ فحدَّثني بهذا الحديث، فقمتُ من وقتي إلى الحسين بن القاسم فأعدتُ عليه الحديث، فسُرَّه ذلك غاية السرور، وابتهج غاية الابتهاج، وظهر في وجهه استبشارٌ عظيمٌ، وقال: سوف ترى ما أصنع معكما، فما كان إلا أيَّاماً قليلة حتَّى استوزره المقتدر.

161. حيلة لوزير سابور: [3]

من كتاب: سُلوان المطاع حكى فيه، يقول: إنَّ سابور ذا الأكتاف، (وإنَّما سمي ذا الأكتاف؛ لأنَّه كان من جنى جناية خَلع أكتافَه)[4] عَزَم على الدُّخول إلى بلاد الروم مُتنكراً مُتجسِّساً، فنهاه نُصَحاؤُه [وأودّاه][5] عن ذلك، وحذَّروه التغريرَ بنفسه فيما يُمكن الاستنابة فيه، فعصاهم، وأمرهم بكتمان أمره ومضى لوجهه، واستصحب وزيراً كان له ولأبيه من قبله، وكان شيخاً ذا دهاء وحزم وسداد رأي [وحيلة[6]، وبَصيرًا] بالدِّيانات واللغات، وتَبَحُّر في العلوم وخبره

(1) في كلتا النسختين: [يقال له ابن الجمال]، والصواب ما أثبتناه من: تجارب الأمم، والفخري.

(2) في تجارب الأمم: [فإن حمَّلك رسالة].

(3) القصة في كتاب سلوان المطاع: 53، وغرر الملوك: 521، ونقلها من السلوان ابن حجة في: ثمرات الأوراق: 143، وسابور، هو: شابور الثاني أو سابور بن هُرمز بن نَرسى بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، المشهور بذي الأكتاف (379 – 309هـ)، أحد ملوك الفرس، وهو الملك الوحيد في تاريخ الساسانيين الذي تم تُوج وهو في رحم أمه، وقد وُضع تاج الملك على بطن أمه. انظر ترجمته في تجارب الأمم: 109/1.

(4) في غرر الملوك: 520، أنَّه نكَّل بالعرب، وأكثر القتل فيهم بنزع الأكتاف، حتَّى لُقب بذي الأكتاف.

(5) غير موجودة في سلوان المطاع، وهي زيادة من المؤلف.

(6) في بعض نسخ مخطوط السلوان: [وحنكة]، وفي (ب) بصيرة.

بالمكايد، فسلَّم إليه جميع [ما يحتاج إليه][1]، وأمره أن يتجاوز عنه، ويكون قريباً منه، ويرعاه في جميع أحواله في ليله ونهاره،

وتوجها قِبَلَ الروم. [فتظاهر الوزير بالرهبانية][2] وتكلم بلسان [الجلالقة][3] [وانتمى إليهم][4]، وتحرَّف بصناعة الطِّب [الجراحي][5]، وكان معه الدهن الصِّيني الذي إذا اندهنتْ به الجِراح بَرئتْ لوقتها، وكان ذلك الوزير في مسيره يُعَالج الجِراح بالأدوية، يضيف إليها قليلاً من الدهن فتهدأ الجِراح بسرعة، ولا يأخذ على مداواتها أُجرة، فانتشرَ له ذكرٌ بالعلم والزُّهد، وانطلق سابور منفرداً، ووزيره يراعيه في سائر أحواله.

ولم يزالا على ذلك، حتىً دخلا قسطنطينية، فقصد الوزير البطريك[6]، فلمَّا دخل عليه أخبره أنَّه قصده من أرض [الجلالقة][7] ليتشرف بخدمته، وأهدى إليه هدية حسنة نفيسة، فقبل هديته وقرَّبَه واختبره بالنصيحة، فوجده لبيباً، فأعجب به عجباً عظيماً، وجعل الوزير يتأمل أخلاق البطريك، ويمتحنها ليصحبه بما يتفق عليه ويُحسِّن موضعه، فوجده مائلاً إلى الفاكهات، معجباً بالأخبار، فجعل يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة، فلم تَطُلْ المدة حتى حلا بعينه وقلبه [وصار ألصق به من أنفه][8]، وجعل الوزير يعالج الجرحى، ولا يأخذ أجرة فحسُن أثره، وعَظُم قدره وأحبته القلوب، ومع هذا كله يفتقد أحوال سابور في كلِّ وقت إلى أنْ صَنع قيصرُ وليمة، وجمع فيها النَّاس [وأحضر][9]

---

(1) عبارة السلوان: [ما يظن أن به إليه حاجة أو تدعو إليه داعية].

(2) عبارة السلوان: [فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان].

(3) في (ت) الجالقة، وفي(ب) الحمالقة، والصواب ما أثبتناه من السلوان. والجلالقة كلمة أطلقها العرب على نصارى الأندلس، ولكن المقصود هنا الروم؛ لأنهم ملوك الشام، ودمشق يُطلق عليها جلِّق.

(4) زيادة من المؤلف.

(5) في كلتا النسختين: [الطب ومعالجة الجرائح]، والصواب ما أثبتناه من السلوان.

(6) البطريك مرتبة، دينية عند النصارى فوق الأسقُف، والمِطران.

(7) في كلتا النسختين: [أرض الخلافة]، والصواب ما أثبتناه من السلوان.

(8) في السلوان: [صار ألصق به من شعرات صدغه].

(9) في (ب): [وجمع فيها].

فيها الناسَ كافة على طبقاتهم وتهدد المتخلفين عنها. فهمّ سابور بحضورها، فنهاه الوزير عن ذلك، فخالفه، وتزيًّا بزيٍّ ظن أنه ساتر لأمره، وحضر مجلسَ قيصر ليفتقد هيئته وهمته وطريقته في قصره، وما استأثر من الذخيرة، وكان قيصر لمّا بلغه ما ظهر على سابور من لطف الفطنة، وعِظَم الهمة وشِدَّة البأس في حال صباه حَذِره حذراً عظيماً، فبعثَ إلى حضرته مصوراً ماهراً، فحكى صورته حالَ جُلوسه وركُوبه ومَنَامه وغير ذلك من صُروفِ أحواله، وقدِمَ بتلك الصورة إلى قيصر، فأمر قيصرُ بتصويرها على فرْشِه وسُتورِه ودوره وقصوره وآنية مأكوله ومشروبه، فصُنِع ذلك عليها.

فلمّا استقرّ سابور في مجلسِ قيصر، وأكل مع من حضر ذلك. أتوا بالشّراب في كؤوس البِلَّور والفِضَّة والذهب والزُّجَاج، وكان في المجلسِ رَجُلٌ من حُكماء الرُّوم ودُهَاتهم ذو فراسة صادقة وفطنة ثاقبة، [فأنكر سابور حين شاهده][1] [واستوحى][2] من صورته ونظره وإشارته مخايل الرئاسة، وجعل يستشفه، ولا يصرف طرفه عنه، وإلى جانب ذلك الحكيم الرومي كأسٌ عليه صورة سابور، فتأمله فرآه مشاكلاً لشكل سابور، فغلب على ظنه أنَّه سابور، فأمسك القدح بيده طويلاً، ثمَّ نادى رافعاً صوته، إنَّ هذه الصُّورة تُخبرني خبراً عجيباً. فقيل له: ما الذي تخبرك؟ قال: [تُخبرني][3] أنَّ الذي هي على مثاله في مجلسنا هذا، ونظر إلى سابور وتفطَّنَ لتغيُّره، [وتحقق باطنه][4] وأعاد القولَ: فبلغ ذلك قيصرَ فأحضرهُ وسَألهُ، فأخبره أنَّ سابور معه في مجلسه وأشار إليه، فقبَضَ على سابور وأدناه إلى قيْصَر، فسَألهُ عن نَفسِه، فتعلَّل بِضُروبٍ من العِلَل، فقال لهم المتفرس: لا تقبلوا مِنْه، فهو سابور لا مَحَالةَ، فأمر قيْصَرُ بقتله إنْ لم يُقرُّ، فاعترف أنَّه سابور. فأمر به قيْصَر فحُبِسَ، وحَشَدَ قيْصَرُ جنوده وأعدَّ عُدَّته مُجْمِعاً على غزو الفرس وتعفِّية آثار ملكهم، ثمَّ إنَّه أمر فعُملتْ له صورة بقرة من جُلود البقر

(1) في السلوان: [فلمّا وقعت عينه على سابور أنكره...]

(2) في كلتا النسختين: [استلوح]، وهي خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبتناه

(3) سقطت من (ت).

(4) في السلوان: [فحققُ ظنه وأعاد القول... وفي نسخة أخرى فحقق ما ظنه وأعاد القول...]

عظيمة، وطُبِّق عليها الجُلودُ سَبْع طبقات، وصنع لها باباً في أعلاها ورُوزَنة[1] في أسفلها، وأمر بسابور فأُدخلَ فيها، بعد أنْ جُمعَتْ يداه إلى عنقه بسلسلة من ذهب طويلة؛ ليكون يأكل بيديه ويشرب، ووَكَّلَ بتلك الصُّورة مائة رَجُل من ذوّي البأس يحفظونه، وسار بها بينهم، وجعل على كلِّ خَمْسة رجال رئيساً يَضْبط أمورهم، وجعل أمر جَميعهم إلى المِطْرَان وهو متولي البلد ولاَية دينيةً، وهو خليفة البطريك، وكانت تلك الصُّورة تُحْمل بين تلك الجيوش وصحبتها المطْران، فإذا نزلت الجنود أُنْزلتْ تلك الصورة في وسطهم، وضُربتْ عليها قبَّة تسترها، وتُضْرب إلى جانبها قُبَّة للمطْران، وتُضْرب حولها عَشْر قباب مستديرة بها، في كلِّ قُبَّة خَمْسةُ نَفَرٍ من الحَرَس، وتُضرب خارج ذلك كُلِّه قُبَّةٌ كبيرة يُصنع فيها الطَّعَام للمِطْرَان ولجَميع حرس سابور، وسار قَيْصَرُ مُحْتفلاً مُجْمعاً على خَراب بلاد فارس؛ لعلمه أنَّه لا مانع له عنها ومعه سابور على الهيئة المذكورة.

[فبلغ وزير سابور ذلك، فجدّ فيه، وجَعَل يُدبِّر الحَيْلة في خلاص سابور، فانقدح له من الحيلة ما نحن ذاكروه، وأنَّ الوزير لَمَّا تحقق القبض على سابور، قام ودخل على البطريك وسَجد له، وقال له: أيها الأب المعظم][2] [إنَّما اقتبسته شكر الرَّعية][3] في صالح العمل، وأنَّه لا عمل أفضلَ من تنفيس كُرْبَةٍ عن مجهود، [وخير يقع إلى مُضطهد][4]، وقد علمتَ أيُّها الأبّ اشتغالي بمُعَاناة الجراح، وأنَّ نفسي تنازعني إلى صُحْبة المَلك قيْصَر في سفره هذا، فعسى الله أنْ يستنقذ بي نفساً صالحة يُترحَّم عليَّ من أجلها، ويُقدِّس قلبي بخدمتها ويحفظني. فكره البَطريكُ ذلك كراهية شديدة ضناً به وحِرْصاً عليه، فلم يَزلْ يتضرع إليه ويَتملَّقه، ويُقرِّب إليه العَوْد إلى أنْ سَمح له بالسفر، وزَوَّده وكتب له كتاباً إلى المِطْرَان يُخْبره به، وأنَّه قد أنفذ بسَوْداء[5] قَلْبه، وسَوَاد عينه، فليَجْعَله

(1) الكوّة أو الفتحة الصغيرة.

(2) هذه زيادة من المؤلف، لا وجود لها في نسخ السلوان.

(3) في السلوان: [إنما استفدت بخدمتك والقرب منك الرغبة في صالح الأعمال...]

(4) في السلوان: [وجرٌ نفع إلى مضطر...]

(5) في السلوان: [بسُويداء قلبه]، يعبر بها عن مُهجة القلب وعُمقه.

من نفسه بأعلى المراتب، وتسْتعين برأيه فيما أشْكَل عليه.

فقَدِمَ وزير سابور على المطْرَان فعرف له حقه، وأنزَله مَعَه في قُبَّته، وجَعَل زمامَ أمْرِه بيدِه، ثمَّ إنَّ الوزير [جعل][1] يُنْفق [على][2] المطْرَان بما يعجبه واستماله بالملاطفة، وجعل كلَّ ليلة يُسَامره بالأسمار الحسنة، رافعاً بها صَوَته، ليُسَلِّي سابور بذلك ويؤنسه، ويرمي له بالأحاديث والمعنى بما يُرِيد أنْ يُطْلِع عليه سابور من الأمور، فكان سابور يَجِدُ بذلك راحة، وكان الوزير قد أعدَّ مِنْ المكايد لتخليص سابور أنواعاً، وبيَّنها وزيّنها وأسَّسَها عندما قدمَ على المطْران.

وكان مما أعده الوزير من حيلة ومكيدة، أنَّه امتنع من مؤاكلة المطْرَان، وزعم أنَّ البطريك أعطاه طعاماً وأمره ألاَّ يأكل سواه، فكان إذا حَضَر الطَّعَامُ أخرج هو من ذلك الزاد، فأكل وأطعم المطْرَان منه، ولم يَزلْ قيْصَّر يَسير في جنوده حتَّى بلغ أرض فارس، فأكثر فيها القتل والسبي والخراب، فسَاءَ أثرُه في البلاد وأهلها، وهو مع ذلك يُواصل المسير ليستولي على دار ملك سابور، ويقبض على رؤساء [الفرس قبل أن تضطرهم مخافتهم إلى أن يُمَلِّكوا][3] عليهم رجلاً يَجْمع كلمتهم [ويذب عنهم][4]، ولم يكن للفرس هَمٌّ إلا الاعتصام والفرار إلى المعاقل، وسار قيْصَّر حتَّى بلغ [جُنْدَ يسَابُور][5] وهي إذ ذاك دار مملكته نيسابور،

---

(1) أضفناها من السلوان؛ لأن السياق يتطلبها.

(2) في كلتا النسختين: [عند]، والتصحيح من السلوان.

(3) في كلتا النسختين العبارة مضطربة، هكذا: [رؤساء القرى قبل أن تضطرهم مخافة إلى أن يملكوا]، وفي السلوان: [رؤساء الفرس قبل أن يملِّكوا عليهم...]، فحاولنا جعلها مناسبة للسياق.

(4) هذه زيادة من المؤلف، لا وجود لها في نسخ السلوان.

(5) في كلتا النسختين، هكذا: [جدى سابور]، ويبدو أنها تصحيف من الناسخ، وفي السلوان: [حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه، وهي المسماه جُنْدى سابور]، وفي هذه المدينة مدرسة قديمة للطب والحكمة في بلاد فارس، أنشئت قبل الإسلام، واستمرت حتى العصر العباسي، وكانت لغة العلم في جنديسابور اليونانية مع اللغات الفارسية والسريانية والعربية. وكان لمدرسة جنديسابور مستشفى يعد من أكبر المشافي قبل ظهور الإسلام، ثم انتقل العلم والطب إلى دار الحكمة في بغداد، وقد أسس هذه المدينة سابور بن أردشير سكنا للأسرى والجند، ثم لمَّا تهدمت المدينة جدد بناءها سابور بن هرمز، المشهور بذي الأكتاف.

وأحاط بها هو وجنوده ونصب عليها المنجنيقات[1]، ولم يكن للفرس قوة أكثر من ضبط سور المدينة والقتال عليها.

وكل ذلك قد عرفه سابور من أمور وزيره بمسامرة المطْرَان كل ليلة، وكان سابور فيما ذُكِرَ عنه أنَّه لم ينطق بكلمة مُنذ سَجَنه قَيْصَر في تلك الصُّورة، فلمّا عَلم أنْ قيْصر قد ثقُلتْ وطأتُه على دار مملكته، [وثلم][2] أسوارها واستضعف حُمَاتها، عِيْل صَبْره[3]، وساء ظنه بوزيره، وداخله اليأس من النجاة، فلمّا جاءه الموكلون بطعامه وشرابه، قال: إنَّ هذه السلسلة التي في عُنُقي قد أضرّت بي ضرراً شديداً، فقل لمولاك: يقول لك سابور لعلك أنْ تُحْسن إلى تُوسّعُها عليَّ، أو يَحول بينها وبين عنقي بِحرقٍ من الحرير فإنَّ ذلك يُعيْنكم على سلامةِ نَفسي إن كنتم تريدون بقاءها.

وكان وزير سابور حاضراً، فعَلم أنَّه قد عِيْل صَبْره، وساء ظنه فيه، وكان قصده بهذا القول اطلاع الوزير على ذلك،[4] فلمّا سمع الوزير ذلك، دَخلَ المطبخ الَّذي يُصْنَعُ فيه طَعامُ المطْرَان وأصحابه وجميع المُوكَلِين بسابور خاصتهم وعامتهم، فألقى في جميع الأطعمة مُرْقداً قَويّ[5] الفعل، ولمَّا حضر طعام المطْرَان [وأصحابه وجميع المُوكَلِين بسابور][6] تفرّد الوزير، فأكل طَعَامه كعادته التي رتَّبها من الأوَّل، فما أنْ اسْتقرَّ الطَعَام في أجوافهم، حتَّى اسْتولى عليهم النَّوم، فناموا

(1) المنجنيق: تجمع على: مجانق، ومجانيق، ومنجنيقات، وهي: آلةٌ قديمةٌ من آلات الحصار، كانت تُرْمى بها حجارةٌ ثقيلة على الأسوار فتهدمها.

(2) في (ت): [علم]، والصواب ما أثبتناه من (ب)، والسلوان.

(3) أي: نفد صبره.

(4) اختصر المؤلف من هذه القصة حكايات طويلة ومسامرات عجيبة، حكاها وزير سابور على المطران في ليلة كاملة قبل أن يصنع حيلة الطعام في الليلة القابلة ويضع فيه المنوِّم، والحكايات والمسامرات في سلوان المطاع.

(5) أي: مادة مُخدرة تجعلهم ينامون.

(6) سقطت من (ت).

كلُّهم [على أماكنهم وموضع كانوا][1]، فلمَّا عَلِم الوزير ذلك، قام وفتح باب الصُّورة عن سابور، وأخرجه منها وأزال القيد عنه، [وأخذا من السِّلاح واللباس كفايتهما، وتنقلا بزيِّ العَسَس من جهة إلى جهة][2] حتَّى خرجا من العَسْكر وتوجها نحو المدينة حتَّى أتيا سورها، فصاح بهم الحرس، فتقدم إليهم الوزير وزجرهم عن رفع الأصوات، وأسرَّ إلى بعضهم سَلامَة الملك، وأرسله إلى زعماء الفرس بما يُريدُ، فأقبلوا وكشفوا ما أُرْسِل به إليهم، فعَلِموا صِحَّته، ففتحوا البَاب، ودخل سابور والوزير واجتمع إليهم أهل المملكة، فبذل سابور الرغائب للمقاتلة، وأمَرهم بأخذ الأُهْبة، وإصلاح العُدَّة والخروج من المدينة أوَّل ما يَضْربُ الرُّوم [النَّاقوس][3] في آخر الليل، ففعلوا ثمَّ خرج في جماعته وخَوَاصِّه ورتَّبهم ودبَّرهم، وأوصى بأمرائهم بالاقتراب من عسكر الروم. فما أنْ قُرِع النَّاقوس منْ ضَرْبة، حتَّى حَمَل عليه الفُرْس وعظماء الأساورة، وقام هو معهم وأعلمهم أنَّه يقصدُ خيمة قَيْصَر، ونهى عن قتله إنْ ظفر به، والرُّوم، غير متأهبين ولا حذرين؛ لأنهم على يقين من ضَعْف عدوهم وكَسْر شوكتهم، وأنَّهم بلا سلطان [وقد سدّوا الأبوابَ بالصخر خوفاً من هجمة الرُّوم عليهم][4]. فما شَعَرتْ الرُّوم حتَّى هجم عليهم سابور بجنوده، وتحَكَّموا في نُفوسِهم، وكَسِبوا أشدّ كَسْب يكون، فأسر سابورُ القيْصر، وأكثر خاصته واحتوى على خزائنه، ولم ينج من الرُّوم إلا الأفراد، وغَنِم الفُرْس الغنيمة العظيمة الكبرى. وعاد سابور إلى دَسْت[5] مُلْكه وأحضر خواص مملكته، وفوّض أمرهم إلى الوزير، ثمَّ إنَّ سابور أحضر قَيْصَر ولاطفه، وقال له: إنِّي مُسْتبقيكَ كما أبقيتَ عليّ وغير

---

(1) عبارة المؤلف في كلتا النسختين مضطربة، وفي السلوان: [حتىَّ استحوذ المرقد عليهم، وانجدلوا صرعى في مراقدهم ومحارستهم].

(2) هذه زيادة من المؤلف.لا وجود لها في نسخ السلوان.

(3) في (ت) ناقوسها.

(4) هذه العبارة مضطربة، فالمقصود بها: أنَّ الفُرس قد حصَّنوا مدينتهم تحسباً لهجوم الرُّوم عليهم، وهذا قبل أن يؤسر ملكهم سابور، وهي عبارة من زيادات المؤلف، وإنما الذي ورد في سلوان المطاع، هكذا: [وقد بنوا أبواب مدينتهم].

(5) الدَّست: كلمة معرَّبة، تجمع على دُسُوتٌ، وتعني: صدر المجلس، ومنصب الوزارة، وكرسي الحُكْم.

[مُؤاخذُكَ][1] بما ضَيَّقتَ عليَّ في حَبْسي وقَيْدي، ولكن آخذُكَ بإصلاح ما أفسدْتَ مِنْ جميع مُلْكي، وتبني ما هَدَمتَ، وتَغْرسُ موضع كلِّ نَخْلة قطعتَها [وشجرة][2]، وتُطلق من في بِلادكَ من الأسارى الَّذين أخذتَ مِنْ بلادي، فَضَمِن قيْصَر له ذلك كُلَّهُ ووفى به، وقال له: [أريدُ تبني سور مدينتي من تراب بلدك][3]، فأمر قيْصَر رعيَّتَه بحمل التُّرَابِ من بلادهم إلى بلاد سابور، وعَمَّرَ به ما هَدَّمه مِنْ السُّور، وأحسن سابور إلى قيْصَر وأطلقه، وقال له: خُذْ أُهبَتكَ وأَعِدَّ عُدَّتكَ، وأَكْثِر جُيوشكَ، فإنِّي قاصِدُكَ ومُحَاصِر لك[4].

162. حيلة: [هوذارج الفارسي][5]

حُكِي عن [هوذارج][6] الفارسي أنَّه كان له وزير يقال له غوجهر. وكان ديناً عاقلاً يعرف الله، وكان الملك جَبَّاراً عَاتياً مُتكبراً، حَدَث السِّن، شديد البأس، مُسْتحكم العزَّة، وكان إذا ركِبَ لا يَرْفع أحدٌ صوته، لا مَظلومٌ ولا ظالمٌ ولا بِدعاء، وكان الوزير كثيراً ما يدعو الملك إلى الله تعالى وكان قد أدرك الحواريين[7].

فرَكِبَ الملكُ ذات يوم، فسمع شيخاً رافعاً صوته، فقال السلطانُ للشُّرْطية: خذوه، فلمّا أُخِذَ الشيخ، قال: ربيَّ الله، قال الوزير: خَلُّوه [فَخَلَّوه][8]، فاشتدَّ غضب السلطانِ على وزيره، ولم يُمْكنه الإنكار عليه في ذلك الوقت، فسكتَ

---

(1) في (ب) [مضايقك]، وما أثبتناه من (ت) ومن السلوان.

(2) في سلوان المطاع: [وتغرس مكان كل نخلة قطعتها زيتونة]

(3) في سلوان المطاع،: [ولمّا انتهى في الإصلاح إلى إتمام ما انثلم من سور المدينة، قال له: إنما تبنيه من تراب بلادك]

(4) اختصر المؤلف من هذه القصة بعض الحكايات التي أوردها صاحب سلوان المطاع، وهي المسامرات التي قصّها وزير سابور على البطريك، وقد حافظ المؤلف في المجمل على النقل الحرفي، ولكنه أحياناً يضيف بعض الكلمات من عنده، أو يستبدلها بغيرها، فلا يُحسِن صوغها، فتضطرب العبارة.

(5) القصة في سلوان المطاع، ولكن لا ذكر لهذه الأسماء التي أوردها المؤلف، وإنما تفتتح القصة هكذا: [بلغني أن ملكاً من ملوك اللان...]، والآن تطلق على الشعوب الرعوية القديمة للهنود الإيرانيين.

(6) في (ب): [نوادارج].

(7) في سلوان المطاع: [وكان له وزير نصرانيٌّ يكتم إيمانه].

(8) زيادة في (ب)، وهي موافقة لرواية: السلوان.

ليوهم الناس أنَّه أطلقه بأمْر المَلِك، فلمّا عاد المَلِكُ إلى مُسْتقرّه أحضر الوزير، وقال له: ما دعاك إلى مناقضة أمري بِمَشهد مِنْ رعيتي؟ قال الوزير: إنْ لم يَعْجل الملكُ عليَّ أرَيْتُه وجه نُصْحي وشفقتي وحوطتي عليه فيما أتيتُه، قال الملكُ: أرني ذلك، فإنِّي لا أعْجَلُ عليك، قال الوزير: أسْألُ الملكَ أن يَحْتجِبَ في مجلسه هذا بحيثُ يرى ويسمع. ففعَلَ المَلكُ ذلك، ثمَّ إنَّ الوزير أحضر قَوْساً [جَيِّدة الصَّنْعة مُحْكَمة المُؤنة]، صنعها للملك بعض صُنَّاعه، وعليها اسم صانعها، فأعطى القوس غلاماً له، وقال له: إذا حَضَر فلانٌ صانعُ هذا القَوْس، وحادثته فاقرأ اسمه حتّى أسمعك، ثمَّ اكْسِرها، ثمَّ أحضر القَوس، وفعل الغلام ما أمر به الوزير، فلمّا كَسَرَ القَوْس لم يتمالك صانِعُها دون أنْ وثب [على][1] الغلام وضربه، فشجَّ وجْهَه وكاد أنْ يأتي عليه.

فقال له الوزير: أتضرب غلامي بحضرتي؟ قال: لِمَ كَسَرَهذه وهي صَنْعتي، وهي في غاية الجودة والكمال، ولأيِّ أمر كَسرها وهو يَعْلَم أنها صَنْعتي؟! قال الوزير: لعلَّه ما علم أنَّها صَنْعتُكَ، قال: قد أخْبَرته القوسُ أنَّها صنعتي، قال الوزير: كيف تُخْبِرُ القوسُ أنَّها صَنْعَتك؟ قال: اسمي عليها، وقرَأ وأنا اسْمَعُ، فصَرَف الوزيرُ القَوّاس، ثمَّ، قال للملك: قد أوضَحْتُ لكَ بنصحي واشفاقي وحياطتي عليك، وذلك لمَّا أردتَ البَطشَ بالشَّيْخ أخْبَرَكَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ ربّه، فخفتُ عليكَ من ربّه أنْ يَغضبَ عليكَ كما غَضِبَ القَوّاس لقوسه. فقال الملك: وهل للشَّيْخ ربٌّ غيري؟ قال الوزير: نعم. قال: منْ هو؟ قال: الله [الَّذي][2] لا إله إلا هو خَالق السَّموات والأرضَ وما بينهما والليلَ والنهار، فرجع الملك إلى [مقالته وعبد الله حق][3] عبادة الله، وزال عمّا كان عليه، ورجع إلى الله عزَّ وجلَّ[4].

---

(1) في كلتا النسختين: [وثب إلى] وكثيراً ما يستعمل المؤلف حرف الجرّ إلى في مكان على، وعلى الرغم من أن بعض حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض، إلا أن الفعل وثب ألصق به حرف الجرّ إلى.

(2) زيادة في (ب)..

(3) في (ب): [فرجع الملك إلى عبادة الله].

(4) للقصة تتمة طويلة في سلوان المطاع، وملخصها: أن الملك طلب من وزيره دعوة النَّاس وكبار القوم إلى عبادة الله، فثاروا عليه وقتلوه، ثمَّ هجر الملك مملكته وتنسك.

163. حيلة:

حَكَى ابن المقفّع في كتاب تاريخ الملوك[1] أنَّ الإسكندر لمّا نزل على الجزيرة الفراتيَّة[2]، أعطي خَبَرٌ بمَلكتها أنَّ ما في الأرض أحسنَ منها صورة، ولا في الجنّ ولا في الإنْس أظرفَ منها، فوقع في قلب الإسكندر منها موقعاً عظيماً، وقال للخَضِرُ: إنّني قد عَزمتُ على المسير إلى هذه المَلكة بنفسي في زيٍّ رَسُول، قال له الخَضِرُ: لا تفعل أيُّها الملك، ولا تُخَاطر بنفسك، فإنْ هلكت- والعياذ بالله- هَلَك العالم بأسْرِه، لكنْ أرسلني أنا إليها، فإذا هكلتُ أنا كنتَ بالمقيم بالعالم[3]، قال الإسكندر: لابدّ لي من ذلك، فكفَّ عنه الخَضِر، فقام الإسكندر، وتنكّر ونزل في زورق صغير، وأخَذَ معه من التحف والهدايا ما يَصْلح للملوك، ثمَّ سار حتَّى وصل الجزيرة، وكانت المَلكة في طارمة[4] لها تُشْرف على البَحْر، فلمّا رأته، قالتْ لغلمانها: عليَّ بهذا القاصد إلينا، فأسرعوا إليه وأحضروه بين يديها، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا رَسُول الإسكندر إليك، فتأملته ساعة زمانية، ثمَّ نهضتْ وأخذتْ بيده، وكان لها عَشْر مقاصير لمنامها خاصة، وقد صَوَّرتْ في كلِّ مقصورة صُورة الإسكندر، وكلّما دخلتْ به إلى مقصورة، تقول له: انظر إلى هذه الصُّورة، وتأمّلها وهي صُورَته، وكلُّ صورة لون وحال من أحواله، فلمّا أرته جميع أحواله، رجعتْ به إلى القَصْر وخلعت جميع ما كان عليه من الملبوس، وقيدَّت رجْليْه، وألقته تحت سَريرها، وأهانته غاية الإهانة، وتقول له:

---

(1) من مؤلفات ابن المقفع المفقودة.

(2) إقليم يمتد عبر شمال شرق سوريا، وغرب العراق، وشرق تركيا، وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين.

(3) ذكرنا أنَّ شخصية الأسكندر التاريخية اختلطت ببعض الخرافات والأساطير في الشرق والغرب، وهناك من قال: إنّه ذو القرنين المذكور في سورة الكهف في القرآن الكريم، والخَضِر المذكور في القصة، هو الرجل الصالح الذي تبعه النبي موسى عليه السّلام، وقيل: إنه نبي، وكل هذه الأخبار التي توردها كتب التاريخ والسير، ما هي سوى تخرصات ومزاعم لا يدعمها سند ولا برهان، وما ذكره المؤلف في كلمة: «المقيم بالعالم» هي من التفسيرات اليونانية والفارسية القديمة، لشرح معنى ذي القرنين، وأنه وصل من قرن إلى قرن، وتسمى بزوايا العالم، مكان شروق الشمس وغروبها.

(4) الطامرة: كلمة فارسيَّة معرَّبة، وتعني: بيت من الخشب كالقبَّة.

كيف وقعتَ وأنتَ أخبث الأطيار؟! فأبشر بما يَسوءك من شدّة الانتقام لمن انتقمتَ منه.

ثمَّ إنَّ الإسكندر أبطأ خبره على الخَضِر، فعلم أنَّه قد دُهِيَ، فنهض الخَضِر فقدمَّ عشرة مراكب، وحطَّ فيها من الأمتعة والتحف ما يَصْلح للملوك، ثمَّ طَلى وجهه بالزَّيت وجلسَ مُقابل الشَّمس كلَّ يوم، حتَّى اسمرَّ وجهه، وسار في المراكب حتَّى وصل إلى الجزيرة، فأُخْبِرت الملكةُ بخبره، فأمرتْ به، فأُحْضِر بين يديها، وقالت له: بأيِّ شيءٍ أتحفتنا؟ قال لها: بما يَصْلُح لمثلك، قالت: علي بإحضاره، فنهض إلى المراكب وأحْضَر من أجود المتاع، ثمَّ جعل يصف لها [البلاد][1] الأمتعة التي تُجْلَب منها، فأعجبها كلامه، وقالتْ: ائتني بكلِّ ما معك. قال لها: اعلمي أيتُّها الملكة أنَّ المتاع كثيرٌ وهو في عشرة مَرَاكب، ولا أعلمُ ما يَصْلح للمملكة، فإنْ ترددتُ طال الأمر، فإنْ رأتْ الملكة أنْ تُنْعم وتتفضل وتأتي المراكب لتنظر ما يصلح لها تأخذه وتحمله الغلمان، فاسْتصوبتْ رأيَه، ونهضتْ معه، وأخذتْ معها بعض خَواصِّها مِّمن تثق بجلادته ونجابته.

ثمَّ إنَّ الخَضِر التفتَ فرأى الإسكندر مكبّلاً بالحديد ملقى، فقال الخَضِر: أيتُّها الملكة أَسْأَلك في حال هذا العَبْد؛ لأنِّي ضَيْفٌ والضَيْفُ له حقٌّ، قالت: ما هو عَبْدٌ، وإنَّما هو الإسكندر الذي أخذ الملوكَ الجبابرة. قال لها: وكيف يكون هذا الإسكندر والإسكندر سمعنا عنه أنَّ معه ألف ألف ألف وستمائة ألف مقاتل؟! وأنا أرى هذا وحده، فأين جنده؟! قالتْ له: اعلم أنَّ صورته عندي في كلِّ حَالة يكونُ فيها، وهذا هو بلا مَحَالة، قال لها الخَضِر: وكيف قدرتِ عليه من بين مَمَاليكه وخواصِّه وجنده؟ قالت: إنَّه جاء في زِيِّ رسول حِيْلة منه فعرفته أنا. قال: يا ملكة، معي في المراكب مائة وعشرون تاجراً، فيهم خمسون كأنَّهم هو لا يزيدون ولا ينقصون، فكلُّهُم الإسكندر، قالتْ: لا، ولكنَّه هو بعينه لا مَحَالة، فقال الخَضِر: فإنْ كان كما تزعمين فمعي في هذه المراكب [نيف][2] [وخمسون

---

(1) زيادة في (ت).

(2) في (ب): [تسعين]، وفي كلتا النسختين: [وخمسين وستين وسبعين]، وما أثبتناه هو الوجه الإعرابي؛ لأن نيف مبتدأ مؤخر، وما بعد معطوف عليه.

وستون وسبعون] يعرفون الإسكندر، وحضروا بين يديه مراراً عدّة، وقد بايعوه وشاروه فاحمليه معنا إليهم، فإنْ عرفوه اقتليه وارْميه في البحر، وأريحي النّاس منه، وإنْ لم يكن الإسكندر فأطلقيه، قالت: هذا هو الرأي. وكان الخَضِر قد أوصى الملاحين والغلمان بأنْ إذا دخلت الملكة [ونحن في] المراكب أقلعوا الأناجد[1] وابْسُطوا الشراعات[2]، وشوِّرُوا المقاذيف[3].

وإنَّ الملكة أخذتْ الإسكندر معها، وسلّمته إلى اثنين من خواصّها، وسارتْ إلى أن أتتْ المراكب، ونظرتْ ما فيها من الأمتعة والقماش فأبهرها وأنساها روحها، ونزلتْ ونزل معها الخَضِر والإسكندر، ثمَّ إنَّ الخَضِر صار يُقلِّبُ عليها ألوان الأمتعة وأصناف الأقمشة وهي مُشْتغلة بالقماش عن نفسها، ولم تزل تُقلِّبُ والمراكب سائرة إلى العصر.

فلمّا علمتْ بسير المراكب التفتَتْ إلى الخَضِر، وقالت: كنتُ أظنّ في نفسي أنّه ليس أحدٌ أحْيَلَ منّي، وقد عَبَرت حيْلتُك عليَّ، فقال: أنا الخَضِر، وهذا الإسكندر، فلم تُحر جواباً. ثمَّ إنَّ الإسكندر والخَضِر وصلوا إلى عَسْكرهما، وجلس الإسكندر على سريره وأحضر الملكة بين يديه، وقال لها: أيّما أحبّ إليك الإيمان بالله وأتزوج بك، أو الكفر والقتل؟ قالت: الإيمان. فآمنت بالله وتزوَّجها، وأضافتْ مُلكها إلى مُلكه.

164. حيلة [للمنصور] من كتاب نسب البرامكة:[4]

ممّا حكاه الحسن بن عيسى الكاتب[5]. قال: لمّا أراد المنصور أن يَخلع عيسى

---

(1) الأناجد، لعلها من أنجد، وهي المراسي التي تمسك المراكب حينما ترسو.

(2) شُراع، يجمع على: أشرعة، وشُرُع، وما ذكره المؤلف جمع غريب لشراع.

(3) المقذاف، والمجداف: خشبة طويلة في رأسها لوح عريض، تُدفع به المراكب والزوارق.

(4) القصة في تجارب الأمم: 114/3، وفي تاريخ الطبري: 9/8، لم يذكر المؤلف هذا الكتاب في قائمة المصادر التي أوردها في مفتتح كتابه، ولم نعثر له على ذكر في كثير من المصادر التي اطلعنا عليها.

(5) قد يُفهم من سياق الكلام أنّه صاحب هذا الكتاب، ولم نعثر له على ترجمة.

بن موسى[1] من ولاية العهد ويُقدِّم المهدي عليه، فأبى عيسى أنْ يُجيبهُ إلى ذلك، فأعياه الأمر، فبعث إلى خالد بن برمك، وقال له: يا خالد عندك حيلة في هذا الرجل؟ فقد عيْل فيه أمري[2]، قال: نعم يا أمير المؤمنين، ضم إليّ ثلاثين رجلاً من الشيعة، وأكفيك هذا الأمر، ففعل. فركب خالد إلى عيسى وركب معه الشِّيعة العبَّاسيَّة، فلمّا صاروا إليه أبلغوه رسالة أمير المؤمنين، [فقال عيسى: ما كنتُ لأخلع نفسي وقد جعل الله الأمر إليّ، فخرج خالد من عنده ومعه الشيعة. فقال لهم خالد: ما عندكم في أمره؟ قالوا: نُبْلغ أمير المؤمنين][3] رسالته، ونَذكر امتناعه، فقال خالد: لا، ولكنْ نُبْلغ أمير المؤمنين أنَّه قد أجاب، ونشهد عليه إنْ أنكر، ونستغفر الله منْ هذه الكذبة، ففعلوا ذلك، فجعل أبو جعفر المنصور ولاية العهد إلى المهدي، وكتبوا بذلك كتاباً، فأتى به عيسى بن موسى فأنكر ذلك، فدعا المنصور خالداً والشِّيْعَة فسألهم، فقالوا: نشهد عليه بأنَّه أجابَ وليس له أنْ يَرْجع، فأمضى المنصور الأمرَ، وشكر لخالد على ذلك، وقال: لقد كفيتني أمراً مهماً، وكان المهدي يَعْرف لخالد، ويجعلها من أياديه الجسام[4].

---

(1) هو: أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي، جعله عمه أبو العباس السفاح وليا للعهد بعد المنصور، وولاه الكوفة، وكان يلقب بشيخ الدَّولة، كان ثقة، وفارساً شجاعاً، ومهيباً سديد الرأي، محباً للأدب، بفضله استتب الأمن في الكوفة، وقد احتال عليه المنصور، وجعله يتنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي، تُوفي سنة186هـ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 435/7، جمهرة أنساب العرب: 20 .

(2) أي: نفدت فيه كل طرقي وحيلي، وعجزت في أمره.

(3) سقطت هذه العبارات من (ت).

(4) ما أورده المؤلف هو أحد الأقوال التي ذكرها المؤرخون في قضية خلع عيسى بن موسى وجعل البيعة للمهدى، وهناك قول آخر، في تجارب الأمم، وعند الطبري، خلاصته أن المنصور تهدد عيسى بقتل ابنه موسى إن هو لم يتنازل للمهدي بالخلافة، في حيلة عملها بالاتفاق مع وزيره أبو الفضل الربيع بن يونس.

165. حيلة [أخرى له]:[1]

حَدَّث علي بن محمد المارداني قال: شكا المنصورُ[2] إلى خالد[3] اغتمامه لهيبة الجُنْد لأبي مسلم[4] وهيبته في صدورهم، وفي صدور أهل خُراسَان[5]، ومحبتهم له، وأعلمه أنَّه أعْيَته الحيلة في إزالة ذلك من صدورهم. فقال خالد: يا أمير المؤمنين دواءُ ذلك عندي، قال: وما ذلك؟ قال: تأمر أبا مسلم يَعْرض الجُنْدَ وأثبات أهل خراسان، وتركُهُم على أسمائهم، وإسقاط الدخلاء منهم، فكتب المنصور إليه بذلك، فجلس أبو مسلم للجُنْد جلوساً عاماً، وعرضهم فأسقط منهم، ثمَّ فعل ذلك في اليوم الثاني، فلمَّا كان في اليوم الثالث نادى منادياً، فلم يجبه أحدٌ، فقام إليه رَجُلٌ من القوم، فقال: أصلح الله الأمير إنَّ أولى الناس بالإنصاف مَنْ نفسه من جلس مجلسك هذا، نصحاً له ولسلطانه.

قال: لعَمْري إنَّ ذلك مَوْجُود عندي، فما تقول؟ قال: لِمَ أسقطتَ مَنْ لم

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل منه المؤلف هذه القصة.

(2) هو: أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي، وقد تقدَّمت ترجمته.

(3) هو: الوزير العباسي، خالد بن بَرْمَك، تعريب (برامخ)، كان جدُّه الكاهن الأعظم للمعبد البوذي بوبهار في بلخ، وقد نشأ خالد مسلماً مع إخوته في البصرة، ثمَّ انضم إلى الدعوة العباسية، وكان من الدُّعاة لها في بلاده بلخ، وقد اصطفاه الخليفة العباسي أبو العباس السفاح ليكون وزيراً، ثمَّ لأبي جعفر المنصور، مات سنة 165هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 229/7، ووفيات الأعيان: 106/1.

(4) أبو مسلم الخُراساني، هو: عبد الرحمن بن مسلم بن سَنْفيرُون بن إسفنديار الخراساني، أصله فارسي، قيل أنه من أحفاد يزدجرد الثالث، الأمير القائد، صاحب الدعوة العباسية، وقائد جيوشها، ضد الدولة الأموية، في معركة الزاب، ولد قريبا من أصفهان سنة 100هـ، وقد كانت حياته قصيرة، وإنجازاته كثيرة، احتال عليه أبو جعفر المنصور، وقتله وهو في السابعة والثلاثين من عمره، سنة 137هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 465/11، سير أعلام النبلاء: 48/6.

(5) خراسان: منطقة جغرافية واسعة، تشمل إقليم «خراسان الإسلامي» شمال غرب أفغانستان، مثل: مدينة حيرات، وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الحالية في إيران، من مدن هذا الإقليم التاريخية: حيرات ونيسابور وطوس التي تعرف باسم مشهد اليوم، وبلخ ومرو وهراة، وكان إقليم خراسان الساساني أصغر حجماً من خراسان الإسلامية. انظر: معجم البلدان: 350/2.

يَكنْ من أبناء خراسان؟ قال: طاعةٌ منّي للسُّلطان، قال فقد [كان][1] يَنْبغي أنْ تُسْقط نَفسَكَ إذ كنتَ في عدَاد أهل خراسان، وأنتَ رَجُلٌ من أصفهان، ففطِنَ أبو مُسلم، ووثبَ من مَجْلسِه، وقال: هذا تدبيرٌ دبّروهُ عليٌّ، وعلم أنَّهم أرادوا بذلك إزالة هيبَته، فبلغ ذلكَ أمير المؤمنين ما كان من أمر أبي مُسلم، فحَسُن بهذا الرأي موقع خالد عنده.

166 . حيلة [مؤمن آل فرعون] :[2]

يُحكى أنَّ فرعون كان له وزيرٌ يُقال له عاصم بن مالك بن الرَّيان[3]، وكان قد آمَنَ على يد موسى بن عمران -عليه السلام- سراً، وكَتم إيمانه، وتَعبَّد مُدَّة، وعَلِم به شخصٌ من حَاشية فرعون وخَواصِّه، وكان يَحْسدُه على قربه من فرعون، فقال يوماً لفرعون: إنَّ عاصماً يَعْبُد إله السَّماء، إله موسى وهارون، ويكفر نعمتك ويَعْبُد غيرك.

وكان فرعون مع كفره وعتوِّه، لا يَقبَلُ قولَ أحد في أحد، حتَّى يَشهَد له أربعون شخصاً ثقات أتقياء فيَصِلَ قولَهم[4]، فقال فرعون للرَّجُل الذي سعى بالوزير: ألَكَ شاهد؟ قال نعم. وأحضر أربعين رجلاً، فشهدوا كلُّهم أنَّ عاصماً يَعْبُد إله السَّماء، ويكفر بفرعون، فأحضره فرعون، وقال له: ما تقولُ فيما ذكره هؤلاء عنك؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنَّك تعْبُد إله موسى وهارون، وتكفر بي، وتجحد نعمتي.

---

(1) سقطت من كلتا النسختين، ووضعناها؛ لأنَّ السياق يتطلبها.

(2) هذه قصة مستوحاة من قصة مؤمن آل فرعون التي ذكرها الله- تبارك وتعالى-، في سورة: غافر، الآية: 28، بقوله تعالى: ﴿وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتُم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربِّي الله﴾، إلا أن الإخباريين والقصاص تزيدوا فيها، ونسجوا من خيالهم ومن مرويات الإسرائيليات أشياء لا تثبت.

(3) هذا اسم اخترعه بعض المفسرين، ورواة القصص من الإسرائيليات، وذكروا أسماء كثيرة، منها ما ذكره المؤلف، ومنها: شمعان، حزقيل وحزبيل، جزئيل، إلا أن اسم مؤمن آل فرعون من غيبيات القرآن الكريم، ولو كان هناك أدنى فائدة لما أغفله القرآن الكريم.

(4) أي: يربط بين أقوالهم، ويوازن بينها، ويقطع بها.

فقال له عاصم: سَلْهُم مَنْ خلقهُم ورزقهم وأحياهمُ ويُميْتهم؟ فقال لهم فرعون، فقالوا: أنت أيُّها الملك، فقال الوزير: اشهدوا عليَّ، وأشهد أيُّها الملك أنَّ الَّذي خَلقهم خَلقني، والَّذي رزقهم رزقني، والَّذي أحياهم أحياني، والَّذي يُميْتهم يُميتني، فالتفتَ فرعون إلى الَّذي سعى به، فقال: ما تقول؟ قال: الإقالة والعفو، قال عاصم: أسعى أيُّها الملك لأجلي [أنْ][1] تعفو عنه، وكَثرتْ منزلته عند فرعون.

167. حيلة [يحيى البرمكي] : [2]

[حكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي][3]، قال: حدثني أبي قال: أتيتُ يحيى بن خالد بن بَرْمك فشكوتُ إليه ضِيْقة اليد، قال وَيْحَك! ما أصنعُ بكَ؟ [ليس عندي][4] في هذا الوقت شيء، ولكنْ أحتالُ لك في أمرٍ فكنْ فيه رَجُلاً، فقد جاءني رسُول صَاحب [مصْرَ][5] يسألُني أنْ أسْتهدي صَاحبَهُ شيئاً، وقد ألَّح عليَّ، وأنا أكره وهو [يُصِرُّ][6] على ذلك، وقد بلغني أنَّك أُعْطيتَ في جاريتك ثلاثة ألف دينار [وما بعتها لمحبتك لها][7]، فأنا أطلبها [منه][8] وأُخْبِرُه أنَّها قد

(1) سقطت من كلتا النسختين، ووضعناها؛ لأنَّ السياق يتطلبها.

(2) القصة في أخبار الأذكياء: 77، ووفيات الأعيان في ترجمة يحيى بن خالد البرمكي: 222/6، وفي كتاب الوزراء للجهشياري: 181، وفي الحوار الذي جرى بين إبراهيم الموصلي وخالد بن يحيى، مع بعض الزيادات.

(3) في كلتا النسختين: [حكي إبراهيم بن إسحاق الموصلي]، وهو خطأ، فالذي عاصر يحيى البرمكي هو إبراهيم، وإسحاق يروي عن والده، وهذا موافق لما في وفيات الأعيان، وفي أخبار الأذكياء: قال: [ابن الموصلي] وابن الموصلي هو إسحاق.

(4) في (ب): [ما عندي].

(5) سقطت من (ت).

(6) في (ب): [وهو مصمم على ذلك].

(7) زيادة من المؤلف.

(8) في كلتا النسختين: [منه]، والأنسب: [له]، وفي المصادر التي أوردت القصة، هكذا: [فهو ذا أستهديه إيَّاها].

أعْجَبَتني، فإيَّاك أنْ يَنْقصَها من ثلاثين ألف دينار، وانظر كيف يكون. [فإذا اشتراها وجاء بها رددتها إليك][1].

قال: فمَضيتُ إلى داري، فما كان إلاّ العصر، وإذا بالرَّجُل قد أقبل وساوَمني في الجارية، فقلتُ له: ما أبيعها إلا بثلاثين ألف دينار، فلم يزل يُساومُني حتَّى بَذَلَ عشرين ألف دينار، فلمَّا سمعتُ ضَعُف قلْبي عن تركها[2]، فبعتها وقبضتُ المالَ، ثم صِرْتُ إلى [يحيى][3]، فقال: كيف صَنعتَ في بيعكَ الجارية؟ فأخبرته، وقلت: والله ما ملكتُ نفسي أنْ أَرُدَّ المالَ حين سَمِعْتُ ذكره، فقال: [يا خَسيْس][4] اذهب وخُذْ الجارية، وهذا رسُولُ صَاحبِ فارس قد جاءَني في مثل ذلك، فإذا سَاوَمَك فيها لا تُنقصْها من خمسين ألف دينار فإنَّه لا بُدَّ له من شرائها بذلك. فتركتُه وانصرفتُ إلى منزلي، فجاءَني الرَّجُل فاسْتَمْتُ عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يُرَاوِدُني حتَّى أعطاني ثلاثين ألف دينار، فضَعُفَ قلبي [عن][5] ردِّها، ولم أُصَدِّقْ بها، فأوجَبْتُها له، ثمَّ صِرْتُ إلى [يحيى][6]، فقال لي: بكم [بعتَ][7] الجارية؟ فأخبرتُه، فقال: وَيْحَكَ! ألم تُؤدِّبْك الأُولى عن الثانية؟ قلتُ ضَعُفَ قلبي والله عن رَدِّها، فقال: خُذْ جاريَتُكَ إليكَ،[8] قلتُ جاريتي حُرَّةٌ لوجه الله تعالى، وإنِّي قد تزوَّجْتُها، فخلع عليَّ.

---

(1) هذه زيادة من المؤلف، وعبارته مضطربة، ولا وجود لها في المصادر التي ذكرت القصة.

(2) الضمير يعود على العشرين ألف دينار، وفي المصادر الأخرى: [ضعف قلبي عن ردِّها].

(3) في كلتا النسختين: [خالد]، وهو خطأ من الناسخ.

(4) في المصادر التي أوردت القصة: [إنَّك لخسيس].

(5) في كلتا النسختين: [من]، ويكثر عند المؤلف استعمال حروف الجرِّ في غير مكانها، وفي المصادر التي ذكرت القصة ما أثبتناه.

(6) في كلتا النسختين: [خالد] وهو خطأ من الناسخ.

(7) سقطت من كلتا النسختين.

(8) في أخبار الأذكياء، ووفيات الأعيان: [فقلتُ جارية أفدتُ منها خمسين ألف دينار. ثم أملكها، أشهدك أنها حرَّة وأني قد تزوجتها، وفي كتاب الوزراء: أنه عُرض عليه مائة ألف، وباعها بخمسين ألف دينار].

168 . حيلة لحامد بن العبَّاس:[1]

قال: لَمَّا حبسني الوزير [إسماعيل بن بلبل][2] جَعَلني في يَدِ بَوَّاب كان يَخدمُه، فأحسنتُ إليه وبَرَرْتُهُ، وكان البواب يَدْخل على الوزير بغير إذن لِطُول خدمَته له، فجاءَني بعض الليالي، وقال لي: إنَّ الوزير قد حَرِدَ[3] على ابن الفرات، وقال له: ما يكسر المالَ على حامد غيْرُك، ولا بد من الجدِّ في مطالبته بباقي مصادراته، وسَيَدْعُوك الوزيرُ غداً إلى حَضْرته، [ويُهدِّدُك][4] فانظر في أمرك.

قال: ففتحتْ لي فكرتي أنْ أكتب رقعةً إلى بعض أصدقائي، أقترض منه ألف درهم لعيالي حتَّى أبْصُر ما يكون من أمري، فكتبَ في ظهرها معتذراً: أنِّي قد سَبَقَ منِّي يمينٌ أنِّي لا أُخْرِج درهماً إلا برهن، فأخذتُ الورقة وجعلتها في رأسي، فلمَّا كان من الغد أنفذ خلفي الوزير وطالَبني، فأخرجتُ الرقعة فقرأها واستحيا، ووهبني كلما كان عليَّ من البقية[5].

---

(1) القصة في نشوار المحاضرة: 63/8، والفرج بعد الشدَّة: 114/2، وأخبار الأذكياء: 194، وحامد بن العباس، من أهل خراسان، وزير المقتدر، تولى أعمال العراق، كان كريماً، عزيزاً في نفسه، كثير المال والحشم، ولكنه صاحب طيش وحدة في الطباع، فلما أحس المقتدر بضعفه في الوزارة، ضمَّ إليه علي بن عيسى يعاونه، ثم عزله المقتدر، وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة، وسلَّمه حامد بن العباس فسجنه، ثمَّ دسَّ من قتله بالسّم سنة 311هـ، انظر أخباره في الفخري في الآداب السلطانية: 268، وسير أعلام النبلاء: 357/14.

(2) في كلتا النسختين: [علي بن الجهم]، وهو وهم من المؤلف، فلا يُعرف وزير بهذا الاسم، وإنَّما الذي سجنه هو الوزير: أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني، وزير الخلفاء: الموفق، والمعتمد، وكان من كبار الوزراء، وأحد الشعراء البلغاء، ومدحه الشعراء، وكان في رتبة الملوك، قتله الخليفة المعتضد لما تولى الخلافة، وصادر أمواله، سنة 278هـ. انظر أخباره وترجمته في نشوار المحاضرة: 76/1، والفخري في الآداب السلطانية: 252، وسير أعلام النبلاء: 200/13.

(3) أي: غَضِب عليه.

(4) في (ب): [وذلك يذكر]، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه من (ت) ومن المصادر التي ذكرت القصة.

(5) في المصادر التي ذكرت القصة أن هذه الفكرة كانت من اقتراح البواب.

169 . حيلة المهلبي الوزير: [1]

شكا إليه أصحابه من سِهَام [نيسابُور][2]، وقالوا لا طاقة لنا بِسِهام مَسْمومة ترمينا بها الخوارج[3]، فقال: هل تعلمون مَنْ يَصْنَعُها؟ قالوا: رجُلٌ عنده يقال له: أيوب، قال: كُفِيتم ذلك إنْ شاء الله، ثمَّ كتب إليه: مِنْ المهلب بن أبي صفرة[4] قد وَجَّهتَ إلينا كِتابَك وحَسُنَ عندنا موقعه، وما ذكرتَه من عقلك عن [سابور][5]، فقد شَكرناك على ذلك، وعلينا فيه مهلة إلى حيث ما نأمرك به، وقد أعددنا لك أشياء كثيرة برسم الخدمة. وأعطى الكتاب لرجُل، وقال له: تعرض لعسكر نيسابور، فأخذه ومضى إلى عسكر نيسابور [فاستبرؤه][6] وأخذوا منه الكتاب وسلموه إلى [نيسابور][7]، فلمَّا قرأه أمر بقتل أيوب، وقال: ما أصفح عمَّن يُصَانع المهلب على دَمِي، وكان هذا سبب هلاك عسكر [سابور][8].

(1) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التاريخية، والقصة كما أوردها المؤلف فيها اضطراب، فالمهلب بن أبي صفرة كان يقاتل الخوارج في نيسابور، ولا علاقة لشخصية سابور الفارسية بهذه القصة، وإنما هو وهم من المؤلف، أو من تصحيفات الناسخ.

(2) في كلتا النسختين: سابور، وهو خطأ، وإنما هي مدينة نيسابور في خراسان شمال شرق إيران، بناها سابور الثاني المعروف(بذي الأكتاف) وكان تسمى دمشق الصغيرة؛ لكثرة فواكهها وبساتينها، فتحها المسلمون صلحاً عام 30 هـ في خلافة عثمان بن عفان، ثم تعرضت المدينة للتدمير حين غزاها التتار عام 618هـ، انظر: معجم البلدان: 331/5 .

(3) بعث عبد الله بن الزبير المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج، وخاصة فرقة الأزارقة التي تنتسب إلى نافع بن الأزرق، ثم قاتلهم بعد ذلك في زمن عبد الملك بن مروان، واستمر في قتالهم تسعة عشر عاماً إلى أن قضى عليهم.

(4) هو: أبو سعيد المهلب بن أبي صُفرة ظالم بن سراق الأزدي، من ولاة الأمويين على خراسان، كان قائداً شجاعاً، صاحب دهاء وحيلة، شارك في حروب كثيرة منذ عام 42هـ في جيش عبد الرحمن سمرة والي سجستان، تُوفي سنة 82هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 350/5، والإصابة: 216/6.

(5) الصواب: نيسابور.

(6) أي: تأكدوا منه.

(7) الصواب: نيسابور.

(8) الصواب: نيسابور.

170 . حيلة مادويه الوزير:[1]

كان من شياطين الإنس وأخبثهم، دخل على ملك الزّنج وقال: السّلام عليك أيُّها الإمام، جئتك من أهل القيْدَم، وهم قومٌ ما دانوا لله بدين قطُّ، ولا تمسّكوا بشَريعة، ويستحقون خرابَ بُيوتهم وسَفكَ دمائهم، وسبي أطفالهم ونسائهم، وإنَّما احْتلتُ في الخلاص منهم، فوقع كلامه في قلبه موضعاً عظيماً.

فبينما هو مُفكرٌ فيمَنْ يُنْفذ إليهم، قال: أيُّها الإمام إلا إنَّني أقول شيئاً، قال: وما هو؟ قال: هذه قريَة كثيرة الغلاّتِ وأهلها كالأنعام، فإذا جنحوا للسّلم كان سبيلهم سبيلاً أكرم لك من ضَيْعتك، فاستعمل عليهم من يُطالبهم بالعمارة، ويشاطرهم الغلّة، ويحملونها إليك على بقرهم وحميرهم، فقال: إنِّي أستعملك عليهم، فأخذ منه كتاباً بالتولية عليهم فجبى منهم عشرين ألف دينار، وأخذها وانصرف إلى الأهواز فأقام بها إلى أنْ مات.

171. حيلة نعيم بن الفرج وزير مسرور صاحب جيش المعتمد:[2]

قال أبو عيسى الديناري الكاتب: لمَّا عَجز مسرور[3] عن قتال تكين البخاري[4]، وكان سبب قتاله أنَّه تغير عن الطاعة، وتواترت الأخبار أنَّه عزم على السَّير إلى صاحب الزّنج، فاستدعى مسرور نعيماً، وقال له: اعلم إنَّ الأخبار تواتر إليَّ بأنَّ تكين البخاري قد عزم على المسير إلى صاحب الزّنج، ومتَّى فعل ذلك، فُتَّ في عَضُد السلطان، وليس إلى صَرْفه سبيل، وهو بهذه الصورة، وأريد أن تعرف أمره بالحقيقة، وتقف لي على نِيَته. فقال: نعم، هذا يُمكنني على أنْ تفعل بي ما

---

(1) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التاريخية، ولم نجد ذكراً لوزير اسمه [مادويه]، وقد تكون هذه القصة من اختراع القصاص والإخباريين.

(2) بعض أحداث القصة في: الكامل: 281/6

(3) هو: مسرور البلخي، أحد قادة الجيش في عهد المهتدي بالله، والمعتمد، عُين والياً على لخراسان والبصرة، وقاد عدة حملات ضد الخوارج، وضد ثورة الزنج. انظر أخباره في الكامل: 281/6، وتجارب الأمم: 298/4 .

(4) أحد القادة الذين أرسلهم مسرور البلخي إلى الأهواز لقتال الزّنج، ولكنه أظهر ميلا إلى الزّنج وراسلهم، فقاتله مسرور البلخي حتى أسره وحبسه حتى مات. انظر أخباره في الكامل: 282/6 .

أذكره، قال: وما هو؟ قال تُجَرِّدني ثيابي، وتضربني بالسِّياط، وتحبِسُني في موضع يُمكنني الهرب منه، واتركني والرَّجل وسوف آتيك من قِبَله بما يُمكنني مما تحتاج إليه، فقال مسرور: وكيف يطيب قلبي بضربكَ، ومَحَلُّك مني ما تعرفه؟! فقال: لا يُمكنني الوصول إلى مُرَادكَ إلا بما قلتُ لكَ، وإنْ أردتَ شيئاً فعجّله، قبل أنْ يتم ما تتخوفه، فيقع ذلك عند سُلطانك أقبح موقع.

فأظهر مسرورُ السُّخْط على نعيم، وأمر به، فضُرب أربعين سوطاً مؤلمة، وحبسه في إصطبله، فهرب منه ليلاً وجعل مَسيره شارداً إلى تكين البخاري ليستتر عنده، فلمّا دخل عليه نعيم ورآه بتلك الحالة، قال له: وَيْحُكَ ما خبرك؟ قال له: تُخلي لنا المجلس، فأخلاه، فقال له مسرور: لم يَرعَ حقي، ولا حفظ مودَّتي، وانتهك حُرْمتي، وذلك أنَّه عَتِب علي في شيء لا ذنبَ لي فيه، فضربني بالسِّياط كما ترى (وأراه الضرب)، وقبض مالي، وشتتَ شملي، وحبسني في إصطبله، فلم أزل أعمل الحِيْلة حتَّى هربتُ وجئتك، وأشهد في [تَلاف][1] مسرور.

فخلع عليه تكين، وأنزله في داره وأجاره، وكان لا يفارقه، ثمَّ أبدى له ما في نفسه من العصيان، والتقرب إلى صاحب الزِّنْج، فقال له: أمَّا مسرور فلا تراه، ولا يراك؛ لأنَّه مشغول بنفسه، وقد تقلد مدن خراسان والجبل، والصواب أنْ تغلب على هذه البلاد، فإنَّ الزِّنْج لا يقدرون على أن تسير إلى أن تنظر الغلبة لمن تكون، فقبل رأيه، وهمّ بأن يخلع الطَّاعة. ثمَّ إنَّ نعيماً قال له: أنعمتَ علي وتفضلْتَ، ولي أولاد وأطفال، فإنْ أذنتَ لي في الخروج متخبئاً حتَّى أحملهم وأكون معك وتحت ركابك، ففعل تكين ذلك وكتب إلى صاحبه بالحضرة أنْ يكتب لعياله ما يحتاجون إليه، وصار إلى مسرور، فقال له: ما وراءك؟

قال: اِلحَقْ الرَّجلَ قبل أنْ يشتدَّ أمره وتقوى شوكته، فإنَّه قد تعرَّض للأكراد ويستجيش ويستعين بهم، فرحل مسرور من تحت الليل، وطوى المنازل، فلم يشعر تكين إلاّ ومسرور قد وافى السُّوس[2]، وكان يصف تكين ويمدحه ويحمد أمره،

---

(1) أي: تلف جسده بعد الحبس والضرب.

(2) السُّوس: بلدة بخوزستان، وهي الآن إحدى محافظات إيران، تعريبها: الشوش، فتحها المسلمون عام17 هـ هي وتُسْتر بقيادة أبي موسى الأشعري، وأُسر فيها الهرمزان، انظر معجم البلدان: 2/30 .

فكتب إليه صاحب له عنده [بما يسمع منه، فخرج يتلقاه قبل أنْ يُتمَ تدبيره، وسار إليه إلى وادي تُسْتَر[1] ويخصه ويُسلم عليه][2]، فلمَّا توسط مجلسه، رأى نعيماً قائماً على رأسه، فعَلِم أنَّه قد وقع أخبث موقع، فقال له مسرور: يا تكين أردتَ أنْ تعصي مولاك، وتشق العصا وتلحق بالعدو، وأُمر به فأُخذ سيفه ومَنْطقته[3]، فوقعت الصَّيْحة في عسكره، فلَحِق بعضهم بالمُهَلَّبي[4]، ونادى فيه مسرور بالأمان، وحوى مسرور كلَّ أمواله وودائعه، ثُمَّ قتله في وادي تستر، ورجع إلى موضعه[5].

172. حيلة لذي الرئاستين:[6]

عملها حتَّى اختار مُحمَّداً[7] لحربه علي بن عيسى[8] دون غيره، وكانت

(1) تُسْتر: بلدة أيضاً بخوزستان، تعريب: شوشتر، مدينة إيرانية شمال مدينة الأحواز. انظر معجم البلدان: 28/3.

(2) سقط من (ت).

(3) المَنْطقة، ما يشدُّ به الرَّجل وسطة، كالحزام.

(4) هو: علي بن أبان المُهَلَّبي، من سلالة المهلب بن أبي صفره، زوَّجه صاحب الزَّنج ابنته، فصار معه. ثم قتل وصُلب معه. انظر: جمهرة أنساب العرب: 57.

(5) في الكامل: أسره، ودفعه إلى إبراهيم بن جعلان، فأقام في سجنه، حتى مات. سنة 266هـ.

(6) القصة في تجارب الأمم: 26/4، وعند الطبري: 399/8، والكامل: 238/6، وذو الرئاستين هو: أبو العباس الفضل بن سهل بن زاذا السرخسي (154- 202هـ) من أصل فارسي، مجوسي، أسلم على يدي المأمون ولازمه وتدرج في المناصب، حتى لقبه ذو الرئاستين لتوليه الجيش والوزارة (السيف والقلم)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 298/14، والكتاب والوزراء: 305.

(7) هو: أبو عبد الله محمد الأمين بن هارون الرشيد، سادس الخلفاء العباسيين، دامت مدة حكم خمس سنوات من (193- 198هـ)، تنازع الحكم بينه وبين أخيه المأمون، وكان الحزب العربي مع الأمين، ووزيره الفضل بن الربيع، والحزب الفارسي يناصر المأمون، ووزيره الفضل بن سهل، وقد انتهى هذا الصراع والتنازل بمقتل الأمين سنة 198هـ. انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء: 236، وتاريخ بغداد: 541/4.

(8) هو: علي بن عيسى بن ماهان (ت: 195هـ) أحد كبار الولاة والقادة في أيام هارون الرشيد، ثمَّ الأمين من بعده، عينه هارون الرشيد والياً على خراسان، وقاد الجيوش لمحاربة الخوارج، إلا أنَّه حين انهزم أمام جيش رافع بن الليث في سمرقند، غضب عليه الرشيد حين سمع بأنَّه يقسو على أعيان خراسان، وأنَّ ثروته تجاوزت كل حدّ، فعزله وسجنه، وصادر أمواله، ثمَّ أطلقه الأمين في خلافته، ورد =

كُتب ذي الرئاستين ترد إلى دسيسه الذي كان الفضل بين الربيع يشاوره في أمره: إن أبى القوم الإ عَزْمة الخلاف، [وأنا أقول][1] علي بن عيسى، وإنما خصّ علياً بذلك [لسوء أثره][2] [في][3] أهل خراسان واجتماع رأيهم [على كرهه][4]، وإنَّ العامة ترى حربه، وكان قصد ذي الرئاستين قتل علي بن عيسى، فلمَّا شاور الفضل [الدسيس][5] في ذلك الذي كان يشاوره، قال: علي بن عيسى، إنْ فعل لم ترمهم بمثله، في بعد [صوته][6] وسخائه ومكانه في بلاد خراسان في طول ولايته عليهم، وكثرة صنائعه فيهم، ثُمَّ هو شيخ الدعوة، فاجتمعوا على توجيهه، وكان من أمره ما أراد ذو الرئاستين.

173. حيلة لأبي [الحسن][7] بن الفرات:[8]

وذلك أنَّه لمَّا [راسل][9] المقتدر بالله يوماً على يد زيدان

= عليه أمواله، وولاه الرّي وأصفهان، ثمَّ أخذ هو والوزير الفضل بن الربيع يحرضان الأمين على خلع ولاية عهد أخيه المأمون، فوقع الأمين في هذه الدسيسة، ثمَّ إنَّ الفضل بن سهل احتال ليجعل الأمين يبعث علي بن عيسى على الجيش، فجُهز جيشا بقيادة علي بن عيسى لمحاربة المأمون، ولكن الجيس مني بهزيمة، وقتل علي بن عيسى، وكان جيس المأمون بقيادة طاهر بن الحسين. انظر أخباره في الكامل: 6/201-238،

(1) في تجارب الأمم، وعند الطبري: [فألطف لأن يجعلوا أمره لعلي بن عيسى].

(2) في كلتا النسختين: [التواتره]، والتصحيح من تجارب الأمم، والطبري.

(3) في (ت) على أهل.

(4) عند الطبري، وفي تجارب الأمم: [على ما كرهه].

(5) سقطت من كلتا النسختين، والسياق يتطلبها، والتصحيح من الطبري.

(6) عند الطبري: [صوبه].

(7) في كلتا النسختين: [لأبي الحسين]، والصواب: لأبي الحسن، وهو: علي بن محمد بن موسى ابن الفرات (241- 312هـ)، كان من الدهاة الفصحاء الأدباء، وهو من مهِّد للمقتدر العباسي الخلافة، اتصل بالمعتضد، ثم تدرج في المراتب حتى بلغ رتبة الوزارة في عهد المقتدر بالله، وقد وليها ثلاث مرات، ثمَّ قبض عليه وسجنه، ثم أعاده إلى الوزارة، وفي المرة الثالثة قبض عليه وقتله. انظر ترجمته وأخباره في: كتاب الوزراء للصابئ: 28، ووفيات الأعيان: 1/372 .

(8) القصة في تجارب الأمم: 5 /50، وفي كتاب: الوزراء للصابئ، مع بعض الاختلافات: 97 .

(9) في كلتا النسختين: [أرسل]، والصواب ما أثبتناه

القهرمانة[1] يلتمس منه اثني عشر ألف دينارعيناً لشيء من أمره، فحملها إليه، ثُمَّ سأله أنْ يَدْخُل إليه إذا اجتاز بموضعه ليُلقِي إليه شيئاً لا تَحْتمله المكاتبة ولا المراسلة، ففعل، وكان المقتدر كثيراً ما يدخل على ابن الفرات[2] [ويجاريه ويحادثه][3] ويشاوره في [أموره][4]، فاجتاز به يوماً فلمّا دخل وجلس ابن الفرات بين يديه، قام وأخذ كيساً فيه [اثنا][5] عشر ألف دينار، ففتحته وفرّغه بين يديه، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد عَرَّفتك أنَّ أموالك تُنْتهب وتُضيَّع، وتُقضى بها الحقوق والذمامات، ما تقول في رَجُل واحد يصله في كلّ شهر من [شهور الأهلّة][6] هذا المقدار من المال، [وهو اثنا][7] عشر ألف دينار، فاستعظم المقتدر ذلك واسْتَهوله. وقال: وَيْحُك من هذا؟ قال له: عليّ بن محمّد الحواري[8]، (وكان قصد ابن الفرات خلعه وخراب بيته)[9]، وهذا سوى ما يصل إليه من المنافع والهدايا والتحف، وارتفاع ضِيَاعه، والمرافق التي تصل إليه من الأعمال التي يتولاها وسوى أشياء كثيرة. فقام المقتدر في وقته، وقد كَمَن في نفسه لابن الحواري ما يكره، وردَّ ابن الفرات المال إلى بيت المال، وكان قصده بذلك أنْ يُشاهد المقتدر المال؛ لأنَّ ليس الخبر كالعيان، فما مضى عشرة أيام إلاّ وقد قبَض على ابن الحواري واسْتوزر ابن الفرات.

(1) زيدان اسم امرأة، والقهرمانة هي مدبِّرة البيت والمسؤولة عن شؤونه، وقد سيطر على أمور الدّولة في زمن الخليفة المقتدر ثلاث نساء، هنَّ: أم موسى القهرمانة، وأم الخليفة المقتدر، السيدة شغب، وخالته، وقد قبض الخليفة القاهر عليها وأختها بعد مقتل ولدها المقتدر، وعذّبها، وأخذ أموالها،كما تمكنت أم موسى القهرمانة من الدّولة، وأثرت ثراءً فاحشاً، حتّى سخط عليها الخليفة المقتدر سنة 310هـ، وقبض عليها وعلى أعوانها وصادرها. انظر: المنتظم: 166/6، 253 وتجارب الأمم: 83/1 .

(2) حين كان مسجوناً في قصر الخليفة.

(3) زيادة من المؤلف.

(4) زيادة من المؤلف.

(5) في(ت): [اثني عشر]، وفي (ب): [أحد عشر].

(6) في كلتا النسختين: [من الشهور الهلالية]، وما أثبتناه من تجارب الأمم.

(7) في كلتا النسختين: [وهي اثني عشر]

(8) هو: أبو القاسم: علي بن محمد الحواري من أصحاب الدواوين في وزارة ابن الفرات.

(9) زيادة توضيح من المؤلف.

174. حيلة قُثَم بن العبَّاس:[1]

وذلك أنَّ المنصور شَغَب عليه جُنْده وحاربوه على باب الذَّهب[2]، فدخل عليه قُثَم بن العبَّاس بن [عبيد الله][3] بن العباس، وهو يومئذ شيخهم والمقدم عنده وله الحرمة، فقال له المنصور: أما ترى ما نحن فيه من اِلتِيَاث[4] الجند علينا؟! وقد خفتُ أنْ تَجتمع كلِمتهم، فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟

قال: يا أمير المؤمنين عندي رأي إنْ أظهرته لك فسدَ جنودك، وإنْ تركتني أمضيته، وصَلُحتْ خلافتك وهابَكَ جُنْدُك، قال له: أفتُمْضِني في خلافتي شيئاً لا أعلمه؟ [فقال له: إنْ كنتُ عندك متهماً في دولتك فلا تشاورني، وإنْ كنتُ مأموناً عليها فدعني أُمْضِي رأيي][5]، قال له المنصور: فامضه.

فانصرف إلى منزله، ودعا بغلام له، وقال له: إذا كان غداً فتقدمني واجلس في دار أمير المؤمنين، فإذا رأيتني قد دخلتُ وتوسَّطتُ أصحاب المراتب، فخُذ بِعنان بغلتي واستحلفني بحق رسول الله ﷺ، وبحق العبَّاس، وبحق أمير المؤمنين المنصور ألاَّ أخبرتني عمَّا أسألك عنه، فإنِّي أنْهَرُك وأغلظ عليك، فلا تخَفْ، وعاود المسألة، فإنِّي سأضْرِبُك فعاود المسألة، وقل لي: أيُّ الحَيَّين أشرف اليمن أم مُضر؟ فإذا أخبرتك، فاترك البغلة وامض وأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى.

---

(1) القصة في تجارب الأمم: 126/3، والكامل: 198/5، وفي لطف التدبير: 65 أن الذي دخل على المنصورهو: محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس، وهو ابن عم قُثَم المذكور، وقُثَم بن العبَّاس بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، كان والياً لمكة، واليمامة، انظر ترجمته في جمهرة أنساب العرب: 19، ونسب قريش: 33/1.

(2) باب الذهب، أحد أبواب بغداد قديما، وقعت هذه الحادثة بعد أن بنى المنصور مدينة الرُّصافة لابنه المهديّ بعد عودته من خراسان سنة151هـ، وقد شغب عليه الراوندية، وهي فرقة من فرق الخُرَّمية الإباحية الداعية إلى الإشتراك في المال والنساء، يعود أصلهم إلى قرية راوند من قرى أصفهان، وقد أحدثوا ثورة في زمن أبي جعفر المنصور. انظر: الفرق بين الفرق: 266، ومعجم البلدان: 19/3.

(3) في كلتا النسختين، وكذلك في تجارب الأمم: [عبد الله]، والصواب ما أثبتناه من جمهرة أنساب العرب، ونسب قريش؛ لأن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لم يعقب ابنا اسمه: قُثَم، بل الذي عقب ابنا بهذا الاسم هو أخوه عبيد الله.

(4) من الفعل: اِلتَاث، أي: اختلط الشيء والتف، والمعنى: جمع بعضهم على بعض.

(5) هذا النص سقط من كلتا النسختين، والسياق يتطلبه، وقد أثبتناه من المصادر التي أوردت القصة.

ففعل الغلام ما أمره به، وفعل قُثَم ما قاله، [ثمَّ قال قُثَم][1]: مُضرٌ أشرف؛ لأنَّ رسول الله ﷺ منها، وكتابُ الله- عزّ وجلّ- أُنزل فيها، وبيتُ الله لها، وخليفة الله منها، فامتعضتْ لذلك اليمن إذا لم يَذْكُر [لها][2] شيئاً، وقال بعضُ قوّادهم: ليس الأمر كما ذكر [مطلقاً][3] بغير فضيلة لليمن، ثُمَّ قال للغلام له: قُم إلى بغلة الشيخ [فاحبكها][4]، ففعل ذلك[5] فَغضبت مضر، وقالوا: يفعل هذا بشيخنا؟! [فأمر بعضهم غلاماً آخر][6]، فضرب يد الغلام فقطعها.

[فتفرَّق][7] الحيَّان، ووقعت الحرب بينهم، [وافترقت][8] الجند، فصارتْ مضر فرقة، واليمن فرقة، والخراسانية فرقة، فدخل قُثَم على المنصور، وأخبره بما جرى، وقال: قد فرَّقتُ بين جندك وجعلتهم أحزاباً، كلُّ حِزْبٍ منهم يخاف أنْ [يحدث به أمراً][9]، وقويتْ شوكة المنصور، وتثبتت عليه الخلافة[10].

---

(1) سقط من (ت).

(2) سقط من (ت).

(3) في الكامل: [لهم].

(4) في كلتا النسختين: [فابعجها]، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه من المصادر التي ذكر القصة.

(5) في الكامل زيادة [حتّى كاد يُعيقها]، وفي تجارب الأمم [حبكاً عنيفاً يُطامن منه].

(6) في (ت): [فأمر بعضهم غلامه، فضرب يد الغلام فقطعها].

(7) في الكامل، وتجارب الأمم: فنفر الحيّان.

(8) في الكامل، وتجارب الأمم: فافترق الجند.

(9) في الكامل، وتجارب الأمم: [يخاف أن يحدث عليه حدثاً فتضربه بالحزب الأخر].

(10) في الكامل وتجارب الأمم للقصة تتمة، هكذا: [وقد بقي عليك في التدبير بقية، وهي أن تعبُر بابنك فتُنزله في ذلك الجانب، وتحوّل معه قطعة من جيشك، فصير ذلك بلداً وهذا بلداً، فإن فسدَ عليك أولئك ضربتهم بهولاء، وإن فسد عليك هولاء ضربتهم بأولئك، وإن فسدَ عليك بعض القبائل ضربتهم بالقبيلة الأخرى، فقبل رأيه، واستقام مُلكه، وبنى الرُّصافة].

175. حيلة وزير ملك الصِّين:[1]

وذلك أنَّ شَــمَّــر أبو كــرب بن إفــريقــيس بن أبرهة[2] ملك في في زمـان يُستـاسف[3] وقهـر العبـاد، وخرب البـلاد، وسـار إلى العـراق، فأعطاه يستـاسف الطاعة، وسار نحو الصين حتَّى نزل بلاد [الصغد][4]، فاجتمع أهل تلك الأرض بمدينة سمرقند وأحاط بها شَمَّر، فلحقها بغير أمان، فأسرف، وخرب المدينة سمركند أي خرَّبها شَمَّر، ثم عُمرتْ فسميت سمرقند[5].

وسار إلى الصِّين، فأيقن مَلِكُها بالبوار والهلاك، فأحضر وزيره واستشاره، فقال له: احتلْ في هلاكه وهلاك جنده، قال له: أَمْرُكَ، فجدع أنفه، وشجَّ وجهه، وأتى إلى شَمَّر وهو في مفازه[6] بينها وبين الماء عشرة أيَّام، وعرَّفه أنَّ ملك الصِّين فَعَل به هذا الفعَال لمخالفته رأيه في محاربته، فسأله شَمَّر عَنْ الطريق والمَاء، فقال له: بينك وبين ثلاثُ مراحِل، فتزودوا المَاء لثلاث مراحِل، فلمَّا قطعها أعوزه المَاء[7]،

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقله عنه المؤلف هذه القصة، إلا أن ما يشبه هذه القصة مع بعض الاختلافات موجود في كتاب: التيجان في ملوك اليمن: 237، كما أن أخبار هذا الملك وحروبه متفرقة في كتب التاريخ، وقد اختلطت فيها الحقائق بالخرافات والأساطير.

(2) هو: شَمَّر يُرعِش بن ياسر بن يَنعم بن عمرو ذي الأذعار بن إفريقيس بن أبرهة ذي المنار، ملك قديم من ملوك تُبع الحميريين، واختلطت أخباره بالأساطير، وتضاربت أسباب تلقيبه بيرعش، وفي نسبه واسمه اختلافات كثيرة، وما قيل عن غزوه للصِّين، وأن سمرقند إنما سميت باسمه؛ لأنه خرَّبها، فقيل شمر كند، أي شمر خرب، فهي أقوال وادعاءات لا يسندها دليل ولا برهان. انظر أخباره في جمهرة أنساب العرب: 439، وخلاصة السير الجامعة: 93، التيجان في ملوك اليمن: 232، ومفاتيح العلوم: 129.

(3) ملك قديم من ملوك فارس، وفي تجارب الأمم واسمه: كي بشَاسِف بن كي لهراسِف.

(4) الصغد أو السغد، كانت تطلق على ما يعرف الآن بتقسيمات طاجيكستان، وقد افتتح المسلمون منطقة الصغد على يد قتيبة بن مسلم في زمن الوليد بن عبد الملك سنة 90هـ.

(5) هذا قول يتردد في بعض كتب التاريخ، وفي مجمله ادعاءات، لا تؤكدها براهين ولا دلائل.

(6) المفازة: جمع مفازات، ومفاوز، وتطلق على الصحراء، وسميت بذلك تفاؤلاً بالفوز والنجاة منها.

(7) أي: نقص عليهم الماء.

وطلب الرَّجلَ فلم يجده، فعلم أنَّها كانت حيلة عليه، ومات هو وأصحابه عطشاً[1].

176. حيلة هَرْثَمَة: (٢)

لما حاصر الكوفة، ولم يُطبق عليها، عَدَل إلى قرية يقال لها: [الحارثة][3] على فرسخين من الكوفة، وصار يترك من تحت السَّد ماءً قليلاً، فأمر العسكر ألا يُحدث أحدٌ إلاّ تحت السَّد، ففعلوا ذلك فصار لجُة واحدة غائطاً، فامتنع أهل الكوفة من شربه، ثُمَّ جَعل يَرْكب [في][4] كلِّ يوم ويُشارف الكوفة، فإذا لبسوا السَّلاح وطلعوا تركهم، ومشى حتى أنسوا منه بهذا، فلمَّا عَلِم أنَّه إذا أشرف عليهم لم يَحْفَلوا به، خرج [في يوم][5] في أفضل [عُدده وعَدده][6] وأوقع بهم. وتنادوا بالسَّلاح فلم يُحْفل به لكثرةً ما اعتادوا، فملك البلد، وقتل أكثرهم.

---

(1) النهاية التي ذكرها المؤلف تختلف عن النهاية التي ذُكرت في كتاب التيجان [249]، فإن الملك شمر قد عاد إلى اليمن، وخاض حروبا عديدة، ومات بعد أن عاش ألف سنة، وهذا يدل على أن أخباره قد اختلطت بالأساطير والخرافات، وتحولت إلى ما يشبه السيرة الشعبية العجائبية.

(2) القصة كما أوردها المؤلف فيها اضطراب كثير، وهي في لطف التدبير: 24، أكثر متانة وتماسكاً، وهرثمة، هو: هَرْثمة بن أعْيُن، مولى بني ضبة (ت: 200هـ)، من كبار القادة الشجعان الذين خدموا الدولة العباسية، قاد عدّ حملات في إفريقية وبلاد الروم، وحقق انتصارات كثيرة، وقد عينه هارون الرشيد واليا على مصر، وحين وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون، وقف هرثمة في صف المأمون، وقاد حملات ضد الخارجين عليه، ولكن الحساد أوقعوا بينه وبين المأمون خاصة الوزير الفضل بن سهل الذي كان يبغضه، فحبسه المأمون في مدينة مرو، ثم قُتل في حبسه، انظر ترجمته في: الولاة والقضاة: 178، الوزراء والكتاب: 316، والكامل: 424/5.

(3) في لطف التدبير: [الجارية].

(4) سقطت من (ب).

(5) في لطف التدبير: [خرج يوما]

(6) في لطف التدبير: [عَدده وعُدّته]

177 . حيلة جعفر بن محمد الأشعث:[1]

وذلك أنَّ أهل إفريقية[2] عَصَوْا في أيام الرشيد، فدعا بجعفر وجماعة من قواده فشاورهم، فأشار أكثرهم بالإمساك عن أهل أفريقية لبعد الشُّقة وعظم المؤونة، وجعفر ساكتٌ لا يتكلم. فقال الرشيد لجعفر: ما عندك فيما أشاروا به؟ قال: يا أمير المؤمنين[3]، الرأي عندي أن تُنفذ إليها جيشاً كثيفاً، ولا تستكثر شيئاً تنفقه عليه. فقال الرشيد: فكن أنت الخارج إليها. قال جعفر: نعم، على أن تُزاح علَّتي فيما أحتاج إليه. قال الرشيد: وما تحتاج إليه؟ قال: أحتاج إلى عشرة آلاف رجل من أهل خُراسان يُعْطون [أرزاقهم][4] سنة كاملة. [فأمر][5] الرشيد بذلك. وخرج جعفر حتَّى وافى تخوم إفريقية. وكان بين المدينة وبين الماء بريَّة عشرة فراسخ لا ماء فيها ولا منزل، ودونها جبل فيه عين كثيرة الماء، وكان أهل إفريقية كلمَّا جاءهم جيشٌ أخلوا له الطريق حتَّى إذا قطع هذه المَسَافة، خرجوا وهم مستريحون، والجيشُ [تعبان][6] ظَمْآن فتَعْلق، بهم ويهزمونهم، ويهلكون في البريَّة عطشاً.

فلمَّا وافى جعفر طرف هذه البريَّة، أقام على العين، وخَنْدق على عسكره،

---

(1) القصة في لطف التدبير: 25، وجعفر: هو جعفر بن محمد الأشعث الخزاعي من القادة المقربين إلى هارون الرشيد، وقد أشرف على تربية ابنه الأمين، وكان والياً على خراسان، كما كان أبوه محمد الأشعث من كبار القادة في خلافة أبي جعفر المنصور، انظر ترجمته في أعيان الشيعة: 153/4، مناقب آل أبي طالب: 4 /239.

(2) كان العرب يطلقون على المغرب الأدنى إفريقية، وهو القسم المحصور بين مصر والجزائر ويشمل تونس، وإذا قيل: مدينة إفريقية أصبح المقصود مدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع.

(3) في لطف التدبير زيادة هكذا: [يا أمير المؤمنين إن طبتَ نفساً فراشك الذي تحتك، فطب نفساً بإفريقية، فإن أهلها إن أُهملوا، تتابع أهل الأمصار على المعصية، حتَّى ينتهي ذلك عصيان من في دارك. قال الرشيد: فما ترى؟ قال: أرى أن توجه إليها جيشاً...].

(4) في كلتا النسختين: [أخبارهم]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(5) هذه رواية (ت)، وهي موافقة لما في لطف التدبير، ورواية: (ب): [أقرّ].

(6) في لطف التدبير: [تَعِبٌ].

وأدخل العين في وسط العسكر،[1] وأمر أصحابه [بإراحة][2] دوابهم [وإدرار][3] أرزاقهم، وشنّ بهم الغارات في النواحي، وانتظر أهل إفريقية أنْ [يَضْجر ويقطع][4] المفازة فتقع به المكيدة، حتّى إذا [اجتمع][5] أصحابُه جمع [مَنْ في عسكره][6] من تجار إفريقية وأهل القرى، وقسمهم ثلاثة أقسام. ثُمَّ رحل متوجهاً نحو إفريقية، [وأرسل الثلث الأوّل من أهلها إليها أوّل النهار، فوافوا المدينة ليلاً، وأعلموا أهل المدينة أنّه قد رحل إليهم، فساروا جميعاً بالسّلاح من غد ذلك اليوم، ثمَّ أرسل الثلث الثاني ضحوة نهار، وقد استبعدوا أهل المدينة عنها نحو ثلاثة فراسخ، فأعلموهم أنّه قد أقبل إليهم فتقدموا قليلاً، ثُمَّ أطلق الثلث الثالث مع الليل فوافوا أهل إفريقية نصف النهار، فأعلموهم أنَّ جعفراً خلفهم في جيشه وهو ريّان مستريح، وهم [تعابا عطاشا][7] ولا ماء خلفهم ولا معقل لهم، فطرح عليهم جعفر، فقتل أكثرهم وأسر الباقين ووصل إلى المدينة وما بها أحدٌ فملكها لوقتها][8].

---

(1) في لطف التدبير: [وجعل الميرة فيه].

(2) في كلتا النسختين: [بإزاحة]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(3) في كلتا النسختين: [در عليهم أرزاقهم]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(4) هذه رواية (ب)، وهي موافقة لما في لطف التدبير، ورواية: (ت): [يضجروا ويقطعوا].

(5) في لطف التدبير: [جمّ] ؛ أي استراح.

(6) سقطت من كلتا النسختين، والسياق يتطلبها، وما أثبتناه من لطف التدبير.

(7) هكذا في الأصل، وإذا صح في اللغة جمع [عطاشى]، فإن جمع [تعابا] نظنها عاميّة، وعبارة لطف التدبير هكذا: [ظِماء متعبون].

(8) هذا النص كان في غاية الاضطراب والتداخل، فأعدنا توضيحه من لطف التدبير، وقد حافظنا على ألفاظ المؤلف قدر المستطاع.

178. حيلة محمد بن يوسف المعروف بأبي سعيد ذي العلمين: [1]

يُحْكَى عنه أنَّ بقيَّة المحمِّرة[2] لَمَّا انهزمتْ من [الجبل][3] مرَّتْ بأرمينيا، ثُمَّ [انحازت][4] إلى ملك الروم، فأكرمهم واصطنعهم، فغلُظ ذلك على أهل الثغور، [وكانوا][5] المحمِّرة الذين وصلوا إلى ملك الروم نحواً من عشرة آلاف رجلٍ أكثرهم فرسان. وكان على الثغور محمَّد بن يوسف المعروف بأبي سعيد ذي [العَلمَين][6]، فدسّ رجلاً من قِبَله من أهل الجبل بكتابٍ على لسان المحمِّرة إلى أبي سعيد يسألونه الأمان، على أنْ يَثِبوا على ملك الروم في وقت الحرب من خلفه، [وكان غرضه][7] أنْ يقع في يد ملك الروم، فلمَّا وقع الكتاب بيده، حَذِر المحمِّرة وتنكَّر لهم، فحَذِروه، وكتب إليهم أبو سعيد كتاباً بالأمان، فوقع [أيضاً الكتاب][8] في

(1) القصة في لطف التدبير: 56، ومحمد بن يوسف، هو: أبو سعيد المعروف بذي العلمين، كما يُعرف بالثَّغري الطائيّ؛ لأنه قضى معظم حياته في الثغور محاربا، وكان في جيش حميد الطوسي، فلمّا قُتل حميد تولى قيادة الجيوش، وكانت أول هزيمة تلحق ببابك الخُرمي على يديه، لأبي تمام والبحتري مدائح كثيرة فيه، تُوفي في خلافة المتوكل، وكان والياً على أرمينيا وأذربيجان، ثم تولى ابنه يوسف من بعده. انظر: أخبار أبي تمام للصولي: 33.

(2) المحمِّرة، سميت بذلك نسبة إلى لباسهم الأحمر، وهم جماعة ظهروا في أذربيجان وجرجان في بلاد فارس، وقد خرجوا عن كل الطوائف الإسلامية، ودعوا إلى الإباحية والمشاركة في الأموال والنساء، وهي تنقسم إلى قسمين: أتباع بابك الخُرَّميّ، ويطلق عليها: الخُرَّميَّة، والثانية أتباع مازِيَار، ويُطلق عليها: المازِيَارية، وقد أفسدوا وسفكوا الدماء، واستباحوا المحرمات، وقاوموا جميع الحملات والجيوش التي جهَّزتها الدولة العباسية في زمن المأمون، وقد دام صمودهم عشرين عاماً، إلى أن قضى عليهم الخليفة المعتصم بقيادة الأفشين، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وصلب بابك وبعض أتابعه. انظر: الفرق بين الفرق: 266.

(3) في كلتا النسختين: [الخيل]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(4) في كلتا النسختين: [اجتازت]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(5) في لطف التدبير: [كانت].

(6) في كلتا النسختين: [القلمين]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير، ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر سبب تلقيبه بذي العلمين.

(7) في لطف التدبير: [وعرَّضه لأن يقع في يد ملك الروم].

(8) في لطف التدبير: [الكتاب أيضاً].

يد ملك الروم، [فزادت وحشته][1] منهم، ولم يُبدِ لهم ما في نفسه، تخوفاً من أنْ يحسبوا أنَّه قد خافهم، ثمَّ طلب عليهم [عثرةً][2]، وتجنَّى عليهم، [وحاربهم وقتلهم جميعاً][3].

179. حيلة محمَّد بن موسى العباسي: [4]

وذلك أنَّه لمَّا ولي اليمامة والبحرين [وطريق مكة][5]، نزل [بجنده][6] في ظهر البَصْرة، وفرَّق الخيل في جباية الصَّدَقات وبَذْرَقة السَّابِلة[7] وبقي على ثلاث آلاف رَجُل من غوغاء بغداد[8]، ومن الأنبار رجَّالة معهم رماح طوال وتِراس حصينة، [وسيوف قواطع][9]، [فشغبوا وطمعوا][10] في الغارة عليه وعلى من بقي معه من جنده. فلمَّا انتهى إليه [ما يصنعون][11]، وعلم أن لا طاقة [له][12] بهم أمر محمَّد بن موسى بعض ثقاته، فأخرج من البصرة باعة

---

(1) في لطف التدبير: [فزاده وحشة].

(2) في كلتا النسختين: [ثم طلب عليهم غرة]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(3) في لطف التدبير: [فحاربهم فقتلهم جميعاً]، وفي كلتا النسختين: [وحاربهم فقاتلهم وقتلهم جميعاً]، وقد أسقطنا: [قاتلهم] ؛ لعدم تكرار معنى حاربهم.

(4) القصة في لطف التدبير: 68، ومحمد بن موسى، هو: أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، من علماء بني العباس في الحديث، ولي مكة سنة، 268، رحل إلى مصر وحدَّث بها، كان ثقة مأموناً، تُوفي بمصر سنة 342هـ، انظر ترجمته في البداية والنهاية: 117/11، والمنتظم: 93/14، وتاريخ الإسلام: 271/25 .

(5) في كلتا النسختين: [طرق محمد]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(6) في كلتا النسختين: [عنده]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(7) البذرقة، هم الحرَّاس، والسالفة: الطريق، فالمعنى حُرَّاس الطريق، وفي لطف التدبير، زيادة: [إلا أقل خيله].

(8) في لطف التدبير: [بقي على بابه ألف رجل].

(9) ليست في لطف التدبير.

(10) في(ب): [فطفوا وتشعبوا]، وفي(ت): [قطعوا وتشعبوا]، وما أثبتناه من لطف التدبير.

(11) في لطف التدبير: [ما يُفيضون فيه].

(12) في كلتا النسختين: [لهم]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

[معهم][1] الأطعمة وغيرها. وأسلفهم مالاً، وأمرهم ألا يعطوا لأحدٍ من الرجَّالة ما يُريد إلاّ بِرَهن سلاحه، وأنْ يُرخِّصُوا عليهم، ويحملوا [ما يسترهنونه يوماً يوماً إلى خزانته التي له، فلمَّا طلعت الباعة، أقبل أولئك على الباعة][2] فجعلوا يرهنون أسلحتهم، وهم في أكلٍ وشربٍ، حتَّى ارتهن كلَّ أسلحتهم إلاّ اليسير منها.

وأمر الباعة فدخلوا البصرة، فانتبهوا من سكرهم ولا سلاح معهم، فهاجوا في الشغب طمعاً في النهب، فأخرج إليهم من بقي من جنده في غايةِ العُدَّة والسِّلاح، وهم لا سلاح لهم إلاَّ الحجارة فشرَّدهم كلَّ مُشرَّد، [وقتل أكثرهم، ولم يجتمع منهم اثنان في موضع واحد][3].

180 . حيلة محمد بن إبراهيم الطَّاهِريّ: [4]

وذلـك أنَّ الأفشين[5] لـمَّا انصرف الـمعتصم بعد غزوة عمورية إلى (سُرَّ مـن رَأى)[6]، تقـدَّمـتْ حـال الأفـشـين عند الـمعـتـصم وأكرمـه غـايـة

---

(1) في(ت): [منهم].

(2) في لطف التدبير: [ما يرهنون يوماً إلى البصرة، فأقبل الرجَّالة على أولئك الباعة للإمكان].

(3) ليست في لطف التدبير.

(4) القصة في لطف التدبير: 90، ومحمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق الطَّاهري، كان من القادة الكبار في أيام المعتصم والواثق والمتوكل، ولي فارس، وقُتل في خلافة المتوكل سنة 236هـ. انظر ترجمته وخبر مقتله في: الطبريّ: 183/9.

(5) الأفشين، هو: حيدر بن كاوس، تركي الأصل، وقيل إنَّه أسلم تقية، وظل مجوسياً بالخفاء، والأفشين لقب يُطلق على ملوكهم، نال ثقة المعتصم حين ولي الخلافة، فجعله أفضل القادة، ووثق به، إلى درجة أنَّه جعله يقتل ابن أخيه العباس بن المأمون، حينما أرد الخروج على الخلافة، ثمَّ وجهه إلى حرب بابك الخُرَّميّ، وقد أحرز انتصالات كثيرة، ولا سيما في فتح عمورية، ولما تقدمت منزلته، أراد الخروج والثورة على الدولة العباسية، وراسل بعض الرؤساء، فقبض عليه المعتصم مع المازيار، وبعض الثائرين، وسجنه حتىَّ مات، ثمَّ صلبه، سنة 226هـ. انظر خبره في الطبري: 114/9، وتجارب الأمم: 82/4، وتاريخ الإسلام: 17/16.

(6) مدينة عراقية تاريخية، بناها الخليفة المعتصم سنة 221هـ، وهذا اسمها القديم، ويُقال لها الآن: سامراء.

[الإكرام][1]؛ لحمده وما كان من بلائه، وحسن أثره في بابك[2] وفي ملك الروم، فاستخفَّ بأحمد بن أبي داؤد[3]، ومحمد بن عبدالملك[4]. فأعملا الفِكَر في أمره، فلم يريَا شيئاً أبلغ في كيده من إيحاشه من المعتصم، وكان محمد بن الطَّاهريّ صديقاً [ونديماً][5] للأفشين، وكان بينه وبين محمد بن عبدالملك أنسة، فاستمال محمَّد بن عبد الملك محمداً بن إبراهيم، ووعَدَه أنْ يوليه فارس والأهواز، ويَرْفع عند السلطان قدره، على أن يُلِّطف [لإيحاش الأفشين من المعتصم][6]، وقال له: أوحش الأفشين من المعتصم، ونحن نوحش المعتصم من الأفشين[7].

فدخل محمَّد بن إبراهيم يوماً على الأفشين فرآه كئيباً متغيراً، فسأله عن حاله، فكتمه، فعزم عليه الأفشين، فقال محمد بن إبراهيم: أنا في حال ضيقة، إنْ أبحتُ بها خنْتُ السُّلطان، وإنْ أمسكتُ خنْتُ صديقي، فلم يزل الأفشين

---

(1) في كلتا النسختين: [كرامة]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير، فكرامة مصدر كرُم، ومصدر أكرم: إكراماً.

(2) بابك الخُرَّمي الثائر ضد الدولة العباسية، وقد تقدَّمت ترجمته.

(3) هو: أبو عبد الله أحمد بن أبي داؤد بن جريرأو حريز بن مالك الإيادي، (160 - 232هـ) أحد القضاة المشهورين، ومن رؤساء المعتزلة، وهو الذي تزعم فتنة خلق القرآن الكريم في عهد المأمون، وهو الذي امتحن الإمام أحمد بن حنبل، عُرف بقوة الحجة والدهاء، قرَّبه المأمون، واتخذه مستشارا له، ثم أوصى به قبل وفاته إلى أخيه المعتصم، فقرَّبه، وجعله قاضي القضاة، ومستشاره الخاص، مات في خلافة المتوكل. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 233/5، وفيات الأعيان: 81/1 .

(4) هو: أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات (173- 233هـ)، نشأ في بغداد، ونال حظاً وافراً من العلم والأدب، وعمل كاتبا في دواوين الدولة العباسية، ثمَّ استوزره المعتصم، وكان شديداً في محاسبة العمال، ثمَّ استوزره من بعده ابنه الواثق، ثمَّ لما ولي المتوكل الخلافة نقم عليه؛ لأنه سعى في تولية الواثق قبله، ثمَّ سجنه وعذبه، ويُقال: إنه أحرقه في التنور الحديدي الذي كان ابن الزيات يتخذه لتعذيب المطلوبين في الأموال. انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 178/4، وسير أعلام النبلاء: 172/11 .

(5) في كلتا النسختين: [ومديراً]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(6) في كلتا النسختين: [الإيحاش بين المعتصم وبين الأفشين]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(7) في لطف التدبير: [وقال له: أوحش الأفشين من صاحبه، فإنا نوحش صاحبه منه]

[يقول][1] لمحمَّد حتَّى قال له محمَّد: [احلف][2] إنَّك لا تبدي شيئاً مما ألقيه إليك، فحلف له بأوكد الأيمان، قال له محمد ابن إبراهيم: إن أمير المؤمنين قد [تغيَّـــر لك][3] وأخذ في التدبير عليك، قال له الأفشين: هذا باطل لأنِّي [عظيم][4] البركة عليه، قد فتحتُ له الفتوح الجليلة، ولم يظهر له شيءٌ منِّي، قال له محمَّد: قد بُحْتُ لك بما في نفسي، وستعلمُ ذلك عن [قريب][5]، وحلف [عمَّا][6] قال. فاغتمَّ الأفشين، وكثر فكره، وساء ظنّه، فدخل بعد ذلك على المعتصم، فوافق أنَّه رأى من المعتصم ضجراً ببعض أموره، وغيظاً على أحد خدمه، ورآه مُتغيِّر [البِشْر عابس الوجه][7]، فظنّ الأفشين أنَّ الذي رآه من المعتصم هو ما قاله محمد ابن إبراهيم، وتحقق قوله عنده. فحذر على نفسه، وتحرَّز في منزله واحتفظ بأبوابه، فبلغ المعتصم [فعله][8] فأنكره، فقال له ابن أبي داؤد: يا أمير المؤمنين، أنت منّا بمنزلة الرُّوح من الجَسَد، وهذه الأعاجم يدخلون عليك وأنت [بثوبٍ لا سلاح][9]، وفي أيديهم العُمدُ [والسِّلاح][10] والسُّيُوف والخناجر، فقال المعتصم: [لا تخف، فأنا أهيب للخلافة مما تظن][11]، فلا تُعد في هذا شيئاً.

---

(1) في لطف التدبير: [يُنفِّر محمداً حتىٰ قال له].

(2) هكذا في (ت)، ولطف التدبير، وفي (ب): [تحلف].

(3) هكذا في (ت)، ولطف التدبير، وفي (ب): [تغيَّر عليك].

(4) سقطت من (ب).

(5) في الأصل: [قليل].

(6) في لطف التدبير: [على ما قال].

(7) في كلتا النسختين: [متغيِّر البشرة، عابس النظرة]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير، فالبشرة بخلاف البِشْر، والعبوس غالباً يكون في الوجه، وليس في النظر.

(8) سقطت من كلتا النسختين، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

(9) في لطف التدبير: [وأنت مُتفضل في ثوب]، وتفضل: لبس الفضال، وهو ما يُلبس في البيت.

(10) زيادة في (ت).

(11) في كلتا النسختين: [لا تخف، فأما أصحاب الخلافة عما تظن]، والصواب ما أثبتناه من لطف التدبير.

ونفر قلب المعتصم من الأفشين، [لم تزل الوحشة تنشأ بينهما حتَّى تفاقمت. فكتب الأفشين إلى منكجور[1] خليفه على أذربيجان كُتباً في التدبير على [السُّلطان][2]. فوقعتْ في يد [المعتصم][3] فقتل [المعتصم][4] الأفشين، وقيل: إنَّه وُجِد غير مختون، ولم يكن على دين الإسلام.

181. حيلة من نشوار المحاضرة للتنوخي [لحامد بن العبَّاس][5]:

يقول التنوخي: حدثنا القاضي أبو الحسن محمَّد بن عبدالواحد الهاشمي، قال: كان حامد بن العبَّاس[6] قد اتّخذ حجرة وجعل فيها [مرتفقاً][7]، وكان يتقدَّم إلى وكيله أنْ يبتاع لـه الدنانير [الغَمْر ويوهمه أنَّها للصَّدقة][8]، ويجمعها أكياساً، فكلمَّا حصَّل كيساً فيه ألف دينار عدداً، أخذَهُ تحت ثيابه، وقام كأنَّه يدخل إلى الطهارة، فيطرح الكيسَ في المستراح، ويخرج من غير قضاء حاجة، فإذا خرج أُقفل على المستراح، ولم يدخله غيره،

على رسم [المحتشمين][9]، فإذا أراد الدخول فتحه الخادم بحضوره، وذلك الخادم لا يشعر، ولا يزال كذلك حتَّى تمتلئ قصبة المستراح، ويطمه ويفتح غيره، ولا يعمل بذلك أحد سواه[10].

---

(1) هو: منكجور الفرغاني، خليفة الأفشين وخال أولاده.

(2) هكذا في (ت) ولطف التدبير، وفي (ب): [المعتصم].

(3) هكذا في (ت) ولطف التدبير، وفي (ب): [السُّلطان].

(4) سقطت من كلتا النسختين، وما أثبتناه من لطف التدبير.

(5) القصة في مشوار المحاضرة: 14/1 من طريق القاضي أبو الحسن عبد الله بن أحمد الهاشمي، وليس كما ذكر المؤلف، وإنما القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، يروى حادثة أخرى عن الوزير حامد بن العباس، وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ترجمة حامد، وطرفاً من القصة: 357/14.

(6) وزير المقتدر سنة 306هـ، وقد تقدمت ترجمته.

(7) في نشوار المحاضرة: [مستراحاً].

(8) ليست في نشوار المحاضرة، والغمر، أي: الكثيرة.

(9) في نشوار المحاضرة: [على رسم مستراحات السراة التي يختصُّونها].

(10) وقد صودرت هذه الأموال، بعد أن عزل المقتدر حامد بن العباس، وأسند الوزارة لابن الفرات، فقام بتعذيب حامد بن العباس، ودسّ عليه من قتله بالسّم.

182. حيلة أخرى [لمحمد بن يزداد]:[1]

يقول التّنوخي: حدَّثني أبو العباس [هبة الله][2] بن محمَّد بن المنجم، عن أسلافه: أنَّ المأمون [نَكَبَ][3] [عاملاً][4] يقال له: عمرو بن [نهيوي][5]، صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحَّاك، من أهل السَّواد، موسراً، فأمر محمَّداً بن يزداد[6] أنْ يتسلَّمه، ويعاقبه ويُعذِّبه، حتَّى يأخذ منه خطَّه بعشرة آلاف ألف ويستخرجها منه.

فَسُلِّمَ عمروٌ إلى محمد، فأكرمه، وأمر بخدمته وترفيهه، وأفرده في حجرة من داره وأخدمه فيها من الفَرْشِ والغُلمان ما يليق بمثله، ولم يُكلِّمه ثلاثة أيّام، والمأمون يسأله عن الخَبَر، فبلغه ترفيههُ، فيغتاظ، ويسأله، فيقول: هو مُطَالِبٌ له.

فلمَّا كان في اليوم الرابع، استدعى عمروٌ محمَّدَ، فدخل عليه، فقال له: يا هذا قد عرفتُ ما قد تقدَّم به إليك الخليفةُ في أمري، والله ما رأيت هذا المال، ولا نِصْفهُ ولا ثُلثهُ قط، ولا يَحْويه مُلكي، ولعل الخليفة يريد دمي، وقد جعل هذا إليه طريقاً، وقد تفضَّلتَ عليّ بما لا يسعني معه أن أدّخر جهداً في تَجْمِيلك عند صَاحبكَ، وقد كتبتُ تذكرة بجميع ما تحويه يدي، باطناً وظاهراً، وهي هذه، وسلّمها إلى محمَّد، وهي تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعليّ، واحلف بالطلاق والعتاق، والأيمان المغلظة، أن ما تركتُ لنفسي بعد هذا إلا ما عليّ من كسوة تستر عورتي، وهذا وُسْعي وجَهْدي، فإن [رأيتَ][7] أنْ تأخذه، وتسأل

(1) القصة في نشوار المحاضرة: 132/1 .

(2) رواية (ب): [عبد الله]، وما أثبتناه من (ت)، وهي موافقة لما في نشوار المحاضرة.

(3) في كلتا النسختين: [نكث]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(4) في كلتا النسختين: [غلاماً]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(5) في كلتا النسختين: [بهيري]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(6) هو: أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد، من عائلة مجوسية، من خراسان، أسلمت، واتصل أفرادها بالخلفاء، وكان محمد شاعراً وأديباً، اتصل بالمأمون فاستوزره، وتوفي المأمون وهو وزيره. انظر ترجمته في الفخري في الآداب السلطانية: 227.

(7) في (ب): [أردت]، والأنسب للسياق ما أثبتناه من (ت)، ونشوار المحاضرة.

الخليفة [الرضا به][1]، فإن فعل، فقد خلَّصني الله بك، [ونجّاني][2] من القتل على يديك، وإنْ [أباه][3]، فإنّه يسلمني إلى عدوّي الفضل بن مروان وهو [القَتْل][4]، ووالله، لا أعطيتُ على هذا الوجه درهماً واحداً، ولا كنتُ ممن يجيء على الهوان، دون الإكرام، [وسأتلفه، ولا يصل إلى الخليفة منه حبّة واحدة][5] ولكن المنّة لك [عليَّ][6] حاصلة، [فإنْ عشتُ شكرتها، وإن متُّ فالله مُجازَيك عني][7]. قال محمد: فأخذتُ التذكِرَة، ورحتُ إلى المأمون، فقال: ما عملت في أمر عمرو؟ قلتُ له: إنّه قد بذل ألفي ألف درهم، [وليس عنده أكثر من ذلك. فاستشاط، وقال: لا، ولا كرامة له، ولا أربعة آلاف ألف، ولا ثمانية آلف ألف][8]، وقال لي الفضل: ما دمتَ ترفّهه، وتكرمه، وتجلسه على الدسوت، وتخدمه بنفسك، وغلمانك، كيف لا يتقاعد؟ فقلت له: فتسلّمه أنت إن شئتَ. وقال له المأمون: خذه إليك، فأخذه، وطالبه بالعشرة آلاف ألف، وأرهقه، وضربه، وهو لا ينحلُّ بشيء، فنزل معه إلى خمسة آلاف ألف، فلم يَسْتجب له، وقنع منه بثلاثة آلاف ألف، فلم يُجِب.

فلمّا زاد عليه المكروه، وخاف الفضل أنْ يتلف في العذاب، فيجب المال عليه، رفق به، وداراه، وخلع عليه، ورفّهه أيّاماً.

وقال له: إنَّ محمَّدَ بن يزداد بذل عنك ألفي ألف درهم، وقد قَنعتُ بها منك، فقال له: ما ملكتها قط، ولا بذلتها لمحمَّد، فجاء الفضل إلى المأمون فقصَّ عليه قصتهُ في كلٍّ ما فعله من إهانته، وإكرامه، ورفقه به بعد ذلك، وقنوعه منه

---

(1) في كلتا النسختين: [الرياضة]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(2) في كلتا النسختين: [خلّصني]، والأنسب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(3) في نشوار المحاضرة: [فإن أبى].

(4) في (ت): [العقل]، وفي(ب): الفضل، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(5) في نشوار المحاضرة: [وسأتلف، ولا يصل الخليفة إلى منه حبّة من مالي].

(6) سقطت من كلتا النسختين، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(7) في كلتا النسختين: [فإن عشت شكرتها لله ولك وهو مجازيك عني]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(8) سقط من كلتا النسختين، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

بألفي ألف درهم، وأنَّه جَحَد، وقال: إنَّه لا يقدر على درهم واحد. [فانقطع الحَبْلُ في يد المأمون][1]، وكاد المأمون يهمُّ بقتل الفضل، فقلتُ: يا أمير المؤمنين الرجال [لا تُكال بالقُفْزان][2]، وليس كلُّ أحد يجيء على الهوان، وإنَّ الفضل [استجهل رأيـي فيـما عاملتُ به عَمْراً][3]، ثُمَّ صار إليه وعامله بـمثله حيث لم ينفع [ذلك][4]، بعد أن أهانه، ولو تركني في الأوَّل معه استخرجتُ منه ثلاثة آلاف ألف عفواً، [وهذه تَذْكرةٌ بخطِّه وهي تحتوي على ثلاثة آلاف][5]. وأخرجتُ تذكرته وطرحتها بين يدي المأمون، وقلت: لو كنتُ أعلم أنَّ أمير المؤمنين يجيبني في ذلك الوقت، إلى ثلاثة آلاف ألف لوزنتها عنه، فبذلتُ ألفي ألف، حتَّى إن لم يقنع، زدته ألف ألف [حتَّى يرضى بثلاثة آلاف ألف][6]، والآن فقد فسد هذا، والله، لا أعطي عَمْراً [للفضل درهماً واحداً على هذه الحالة][7]، فإن استحلّ أمير المؤمنين دمه، فذلك إليه، وإلا فلا سبيل إلى استخراج شيء منه.

فاستحيا المأمون، وأطرق مفكِّراً ملياً، ثُمَّ رفع رأسه، وقال: والله لا كانَ كاتباً من كُتَّابي، ولا نبطيٌّ من عمَّالي، أكرَم، وأوفى، وأصحَّ تدبيراً منِّي، [وقد وهبتُ عَمْراً لكَ يا محمَّد وما عليه][8]، فاصنع به ما تشاء، فتسلَّمته من الفضل، وأطلقته وأخرجته مكرَّماً إلى بيته.

---

(1) في كلتا النسختين: [وانقطعتْ الحيل في يد المأمون]، وما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(2) في نشوار المحاضرة: [لايكالون]، والقفزان: مكيال قديم، يختلف مقداره حسب البلدان، ويعادل تقريباً ستة عشر كيلو جراماً، والقفيز من الأرض: قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً.

(3) في نشوار المحاضرة: [استخطأ رأيي فيما عاملتُ عمرواً به]

(4) سقطت من كلتا النسختين، والسياق يتطلبها، وما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(5) سقط من (ت)، وما أثبتناه من (ب)، ونشوار المحاضرة.

(6) ليست في نشوار المحاضرة.

(7) في نشوار المحاضرة: [لا أعطي عمرو، مع ما جرى عليه حبَّةً]

(8) عبارة نشوار المحاضرة: [قد وهبتُ لك يا محمَّد، عمراً وما عليه]

183. حيلة أبي القاسم الجهني[1] على القاضي وكيع: [2]

من نشوار المحاضرة، قال التنوخي: حدَّثني أبو القاسم الجُهنيّ [رحمه الله][3]، قال: جرتْ بيني وبين محمد بن خلف القاضي [ملاحاة][4] في شيء، بحضرة أبي الحسن بن الفرات، فولّدت بيننا عداوة، فَبَحْثتُ عن [أمره][5] إلى أنْ بلغني أنَّ له أباً ساقطاً في أصحاب الصناديق بباب الطاق[6]، فركِبتُ حتَّى جئته، ورأيته يعمل الصناديق بيده، وفاتشته[7]، فإذا هو أسقط رجل، وأجهله.

وانصرفتُ، وكاتبتُ جماعة من وجوه الشهود، [وأشرافهم في الجانبين][8] وأكابر التجَّار والعُمَّال [والتنَّاء][9] وواعدتهم [يحضرون محشداً هناك][10]، فحضر خلق كثير، وركبتُ إليهم، فلمَّا صرتُ عندهم، قلت: عليّ بخلف الصناديقي، فجاءوا بالشيخ كما أُقيم من العمل، وعُدَّتُه معه، ويده مُلوَّثة [وثوبه بالشراس][11]، فالتفتُ إلى الجماعة، وقلتُ لهم: أعزكم الله إنِّي سألتكم الحضور

---

(1) أبو القاسم الجهني القاضي، تقلد الحِسْبة في البصرة، وأجاد في عمله، واتصل بالوزير الحسن المُهلّبي، نال ببعض الآداب، إلا أنه عُرف بالكذب، ورواية الأخبار والحكايات التي لا تُعقل، انظر: معجم الأدباء: 1718/4.

(2) وكيع، لقبه، وهو محمد بن خلف بن حيان الضبّي، وقد تقدمت ترجمته.

(3) زيادة من المؤلف.

(4) في كلتا النسختين: [مناجاة]، وما أثبتناه من نشوار المحاضرة، والملاحاة هي المخاصمة، أو الجدل الشديد.

(5) في نشوار المحاضرة: [عيوبه]

(6) باب الطاق: محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد.

(7) أي: تعرفت إلى شؤونه.

(8) في نشوار المحاضرة: [من وجوه الشهود بالجنبين، وأشرفهم من البطنين] ؛ يعني جانبي بغداد، وأشرف بطنين: العلويين والعباسيين.

(9) لم نعثر على معنى لهذه المفردة، لعلها: [البناء].

(10) في نشوار المحاضرة: [بحضور مسجدٍ كبير هناك].

(11) أي: متّسخ وخشن.

لأخاطب هذا الشيخ بحضرتكم بشيءٍ آخذ خطوطكم به، فاحفظوه.

ثم قلت: يا شيخ، من أنت؟ قال: أناً خلف بن محمَّد، فقلتُ: وكيع القاضي ما هو منك؟ فقال: ولدي، فقلتُ لمن حضر من شيوخ المَحلَّة: هو كما قال. قالوا: نعم، فقلتُ له: يا شيخ تحفظ القرآن؟ قال: احفظ منه ما أصلي به، فقلتُ: فتحفظ شيئاً من القراءات؟ قال: لا. قلتُ: من كُتب الحديث؟ قال: لا، فقلتُ: تُحْسِنُ النحو والعروض؟ قال: لا، قلتُ: فتروي شيئاً من الأشعار والملح والمنادمة والآداب؟ فقال: لا، والله، ولم أزل أعدد عليه العلوم وأصنافها، وهو يقول: لا.

فقلت: أعزكم الله إنَّ وكيعاً رجُلٌ كذاب، مُتعاط للعلم والأدب، ولم آمنه في الكَذب على رسول الله ﷺ، وأن يجعل ذلك طريقاً متى مات هذا الشيخ، فيقول: حدَّثني أبي، ويَضَعُ على لسانه كلَّ كذب، فأردتُ أنْ تحفظوا على هذا الشيخ ما ذكره، من أنَّه ليس من هذا ولا إليه، بحيث لا يمكنه ادِّعاء ذلك عليه بعد موته، وأنْ تعرفوا أيضاً فسقه بعقوقه لوالده وسقوط مروته بتركه إياه على هذه الحالة. ثُمَّ إنِّي ما فارقتهم حتى أخذتُ خطوطهم بما جرى على أشْنع شَرْحٍ قدرتُ عليه وأجابوا إليه.

وحضرتُ مجلس الوزير والمَحْضر في خفي، وأجريتُ الحديث مع وكيع إلى مشاغبته في الكلام، وقلت له: يا بن الصناديقي الجَاهل، فأنكر ذلك، فأخرجتُ المَحْضر وعرضته على الوزير، وسألته أن يُنْفذ خلف أبيه ويشاهده، فضحك الوزير، وسقط وكيع من عين الوزير، [وبعد أيَّام قلائل عزله من القضاء][1].

---

(1) زيادة من المؤلف، ليست في نشوار المحاضرة، وهذه القصة لا يُستبعد أنها مختلقة، وقد أشتهر أبو القاسم الجهني بالكذب، وعُرف به، ثمَّ إنهَّا قصة تدل على خساسة طبع، ولا تليق بالرَّجل الكريم، وقد سقط أبو القاسم الجهني في بئر النسيان، وأصبح في عداد المجهولين، بينما رفع الله قدر القاضي وكيع، وأصبح علماً في القضاء.

184 . حيلة أبي العبّاس أحمد بن محمد بن الحسن بن بسطام العامل:[1]

وذلك أنَّ المكتفي لمَّا فتح آمد وملكها، قلدها لوصيف[2]، قال أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب[3]: وكنتُ كاتباً معه، فورد أبو العبَّاس أحمد بن محمد عاملاً على آمِدْ[4] وأَرْزن[5] ومَيَّافارِقين[6]، وتلك الأعمال في زي الوزراء بأمر عظيم هائل.

فلمَّا كان ذات يوم استدعاني إليه، وقال: لي إلى صاحبك حاجة، ولستُ أريدُها بلاش ولكنِّي أعطِّيه عليها عشرة ألف دينار، ولك ثلاثة ألف دينار، فقلت: وما هي؟ قال: وردتْ عليَّ ضائقة، وأنتَ تعرفُ أنَّ اتِّسَاع المُتصرِّف في مال السُّلطان، وها هنا غَلاَّت لا تُحْصى، ولا يؤثر فيها ما نأخذه، وقدعزمتُ على بيع شيءٍ منها، وآخذه لنفسي، وأنسبُ ذلك إلى نَهْب العرب حين طلعنا إليهم، ويشهدُ في هذا عند السُّلطان، فإنَّ الوزير لا بد أنْ يسأله في ذلك، فيقول: العرب فعلتْ ذلك، ويأخذ عشرة ألف دينار. فقلتُ: يا سيِّدي أنا أُعَرِّفه ذلك، وهو يُخالف ولا يُجيب

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، وأبو العباس، هو: أحمد بن محمد بن الحسن بن بسطام، صهر الوزير حامد بن العباس وزير المقتدر، ولي ولايات كثيرة، وولاه الوزير القاسم بن عبيد الله على آمد، وفي سنة 293هـ أصبح عاملاً على الشام، وكان عظيم الرئاسة، وفي سنة 296هـ قلده الوزير ابن الفرات مصر، ثم صادر أمواله ابنه المحسِّن بن الفرات، وزالت نعمته، وتُوفي بمصر، سنة 297، انظر أخباره في: القضاة للكندي: 524، وكتاب الوزراء للصابئ: 69، وتجارب الأمم: 400/5، والوافي بالوفيات: 371/7 .

(2) وصيف البكتمري، أحد القادة الأتراك، قلده المكتفي على آمد بعد أن أصبح خليفة، ثمَّ تقلد أعمال الحرب في مصر في خلافة المقتدر، فلم يقدر على ضبطها، فعُزل، وكان أحد القادة الذين أرسلهم المقتدر مع يوسف بن أبي السَّاج حين قلده قزوين وأذربيجان سنة 310هـ، انظر: الكامل: 497/6، وتجارب الأمم: 91/5 .

(3) نظن أنَّ المؤلف أخطأ في اسمه..

(4) آمد: مدينة من أعمال ديار بكر، فتحها المسلمون سنة 20هـ. انظر: معجم البلدان: 56/1.

(5) أَرْزَن: من أعمال أرمينيا، فتحها المسلمون سنة 20هـ. انظر: معجم البلدان: 150/1 .

(1460) ميَّافارقين: كانت من أشهر مدن الجزيرة الفراتيَّة بين دجلة والفرات، في شمال شرق ديار بكر، وهي اليوم مدينة صغيرة، اسمها: سلوان، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد والأشتر النخعي. انظر: معجم البلدان: 235/5.

بطريق إنَّه السُّلطان، فقال: أذكر له الوجه، فإنْ أطاع، وإلا فعلتُ ذلك بغير أمره.

فقمتُ من عنده، وجئتُ إليه وذكرتُ له القصة، فغَضبَ وأنكرَ غاية الإنكار، فلم أزل معه بكلِّ وجه وحيلة، وهو لا يُجيب إلى ذلك، فعدتُ إلى أبي العبَّاس فأخبرته بما جرى لي مع وصيف، وانصرفتُ.

فلمَّا باع أبو العبَّاس، حِنْطة وشعيراً وتبناً وغيره بأربعين ألف دينار، وكتب إلى الوزير يَذْكر أنَّ العربَ خربوا ونهبوا غلة وتبناً، قيمته كذا وكذا وأنَّ وصيفاً قَصَّر في الخِدْمة والحِمَاية، وضَعُف عن المدافعة، وفشل عن القوم، وأطبق عليه الدُّنيا.

فورد كتاب المكتفي بالإنكار على وصيف، وتهدَّده بأغلظ تهديد، فجمع وصيفٌ أهل البلد والتُّنَّاء[1] والشيوخ والمزارعين، وكتب محضراً ليأخذ خطوطهم بما فعل أبو العبَّاس، فما وضع أحدٌ خطة؛ حفظاً لقلب أبي العبَّاس، ولأجل انتفاعهم منه، وأخذ أبو العبَّاس خطوطهم بأنَّ العَرَب نَهبتْ الحنطةَ والشَّعير والتِّبن، وأحرقوا إلى أن أدركهم العاملُ وأصحابه، ومن معه من الجند، وأنفذه إلى المكتفي، فأقام عذره، وأجراه على عمله، وطيّب نفسه، فقامتْ على وصيف القيامة للزوم الحجة عليه، وكيف ألزم [بدفع][2] المال، فما بَرِح يَرْفق بأبي العبَّاس حتَّى خرج الذَّهب عنه في وجوه، وفاتته العشرة ألف دينار، وندم على ذلك، وأعطاني ثلاثة ألف دينار، وتمت له الحيلة.

185. حيلة أبي الحسين بن أبي البغل:[٣]

وذلك أنَّه كان متولياً أصفهان، فبلغه الخبر أنَّه قد انعزل، فأخرج قماشه من

---

(1) التُّناء: المقيمين في البلد، وليسوا من أهله، من التنائي عن المكان: الابتعاد.

(2) وضعناها؛ لأن السياق يتطلبها.

(3) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، وابن أبي البغل، هو: أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل، من رجال الدولة العباسية، ومن أعيان كُتَّاب الدواوين، كان عاملاً على الجَبل بأصفهان، وكان يطمع في الوزارة، وتوسطت له القهرمانة أم موسى، فعلم الوزير الخاقاني بذلك، فقبض عليه، ثم توسطت له أم موسى مرة أخرى، وأعيد إلى عمله، ثم قبض عليه بعد ذلك لما قبض على أم موسى، توفي سنة313هـ. انظر أخباره في كتاب الوزراء للصابئ: 295، والوافي بالوفيات: 48/2.

داره، وأودعه في منازل إخوانه وثقاته، وكان شيئاً لم يُسمع بمثله كثرة، وكان فيه سبعة آلاف وثمانمائة قطعة من الصيني والعُهد، ومن كلّ شيءٍ ظريف [وطريف][(1)] وفاخر وحسن، وكان من جملة ذلك [مِتردة] مشمشية، قيمتها مائة دينار.

وورد الكرخي[(2)] بعد أيَّام فتسلم منه العملَ تسليماً جميلاً، ووصل إليه كتاب الوزارة بتقليده قُمْ[(3)]، وكان غرضهم أنْ يَخْرج بِرَحْلة وثقله، ثُمَّ يقبضون عليه في بعض الطريق، ويأخذون كلَّ ماله، وكان ذلك حيلة، فعمل هو هذه الحيلة، وكأنَّه قد فَطِنَ لما يُراد منه، وأَمْره أنْ يَسير إلى قُمْ، قال أبو الخير خادم السُّلطان[(4)]: كان يختاط بخياط ثوباً بمائة دينار وثوباً بدينار، وأنا أسير إلى قُمْ فامتثل أمر الوزير، فلمَّا كان بعد أيَّام قلائل خرج ببغال عليها صناديق ورخت وآلات ليسير إلى قُمْ، فلمَّا صار بظاهر البلد أخرج القاسم[(5)] كتاباً إلى بدر [الحَمَامي][(6)]، وكان أمير الناحية، وفيه: القبض على ابن أبي البغل، وأخذ رَحْله، وتسليمه إلى القاسم ليرى رأيه فيه، فأخذه بدر الحَمَامي ورَحْله، وسلَّمه

---

(1) زيادة في (ب).

(2) هو: أبو أحمد بن علي بن محمد الكرخي، كان من وجوه الدولة العباسية، تقلد بعض الدواوين في خلافة المعتضد، ثم تقلد مصر، والموصل في وزارة ابن الفرات، انظر أخباره في كتاب الوزراء للصابيء: 188، 335، وفي نشوار المحاضرة بحث خاص عن آل الكرخي: 124/4.

(3) قم: مدينة في إيران، تأسست منذ الحكم الفارسي، وفتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب- ﷺ - سنة 21هـ، وهي، الآن مقدَّسة عند الشيعة.

(4) هو: بدر الحُرَمي، أحد الخدم في قصور الخليفة المقتدر، يُكنى بأبي الخير، انظر: الوزراء للصابئ: 120 .

(5) هو: الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، كان من الدهاة، فاضلاً كريماً مهيباً، وكان يُطعن في دينه، وقيل إنه قتل الشاعر ابن الرومي بالسّم، ولما مات المعتضد وزيره، أقره المكتفي بالوزارة، وعظم شأنه في خلافة المكتفي، ومات وهو في وزارة المكتفي. انظر أخباره في الفخري في الآداب السلطانية: 257.

(6) في كلتا النسختين: [الحامي]، وهو بدر بن عبد الله الحمامي، كان قائداً لابن طولون في مصر، ثمَّ لما حارب الخليفة المكتفي هارون بن خمارويه، انضمَّ بدر إلى قائد جيش الخليفة، وأظهر الولاء له، وفي خلافة المقتدر تقلد أعمال أصبهان وأعمال فارس وكرمان. انظر أخباره في الكامل: 424/6، تجارب الأمم: 17/5.

وسلَّم ما معه إلى القاسم كما أمر، ففتش الرَّحْل والصناديق وإذا بأكثرها فارغاً، والباقي فيه خُبزٌ وحَطبٌ وخزفٌ وفرشٌ، ومخاد وستور وزلالي، وشيءٌ لا قدر له، وكانتْ ستين صندوقاً، فجمع العدول وأحصى كل ما كان معه، فبلغ قيمته ستة آلاف درهم، فلم يظفروا إلاّ بالدواب، وكان أكثرها عارياً، فكاتبوا الوزير بذلك فأطلقه، وأمر بتقليده قُمْ.

186. [حيلة الفتح بن خاقان]: [1]

رأى في [كريمة][2] المتوكل شيئاً، فلم يمسُّه بيده، ولا قال له شيئاً، لكنَّه طلب المرآة فجيء بها، فقابل بها وجهه، فأخذ ذلك بيده، واستحسن فعله.

187. [حيلة محمَّد بن ضَمْرة الخُزاعي العامل]: [3]

وذلك أنَّه كان جالساً عند خالد بن عبدالله القَسْري وهما على شاطئ

---

(1) سقط هذا العنوان من (ب)، والقصة في أخبار الأذكياء، وفي وفيات الأعيان: 477/1. والفتح بن خاقان، هو: أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج (ت: 247هـ) وزير الخليفة المتوكل، ونديمه الخاص، يرجع إلى أصول فارسية، تمتع بالذكاء وسرعة البديهة، كان أديبا وشاعرا، أتيحت له فرصة اللقاء بالأدباء والعلماء في عصره، وذاعت شهرته، ومدح الشعراء، وكان مقصدا لكثير منهم، لكرمه وسخائه، وكان محباً للكتب، وقد جمع خزانة عظيمة، وقيل: إنه ألف بعض الكتب، ولكنها لم تصلنا، استأثر الفتح بمنزلة خاصة جدا عند الخليفة المتوكل، وكان يقدمه على سائر أهله وولده، وقد كان له اليد الطولى في تدبير شؤون الخلافة وتسيير أمورها، وجعل له إمارة الشام، وقتل مع الخليفة المتوكل. انظر أخباره وترجمته في فهرست ابن النديم: 120، ومعجم الشعراء للمرزباني: 232، وتاريخ دمشق: 222/48، وفوات الوفيات: 246/2.

(2) في أخبار الأذكياء، ووفيات الأعيان: [لحيته] مكان: [كريمته]، وقد تكون كلمة كريمته كناية عن اللحية.

(3) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، ولم نجد لها أثراً فيما رجعنا إليه من مصادر، وخالد القسري، هو: الأمير أبو الهثيم، وقيل أبو يزيد خالد بن عبد الله بن يزيد البَجَليُّ القسريُّ، ولي مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك، ثمَّ كان أمير العراقين في خلافة هشام بن عبد الملك، أمه نصرانية، وجده يزيد له صحبة مع الرسول ﷺ، اختلف المؤرخون في سيرته، وقيل فيه نصب ويميل إلى معاوية، ويشنع على علي بن أبي طالب، وأكثر الأصفهاني في الأغاني من اتهامه =

دجلة، وفي يدِ محمَّد خاتمٌ، فخلعه ورمى به إلى دجلة، فقال له خالد: ما صنعت؟ قال: وما أصنع بالخاتم، إنما يتخذه ذو مال يَخْتم به عليه، أو ذو عَمل يَخْتم به حساب عمله، ولستُ واحداً منهما، فقال له خالد، وقد فَهِم ما أراده محمَّد: والله لأجعلنَّك أحدهما. لا بل كلاهما، ثمَّ ولاّه عملاً استغنى فيه.

188. حيلة [لمستخرج]:

قال القاضي التنوخي:[1] حدثني أبو الحسين عبدالعزيز بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن حاجب النعمان[2] بحديث: إنَّ بعض المستخرجين[3] عاقب رجلاً مصادراً، فقال له: ما تتشهي؟ فقال: تدخلني الحمام وتحلق رأسي، وتلبسني قميصاً ليناً وتطعمني جدياً حارّاً وسكْبَاجاً حاراً[4]، وقالوا: دجاجاً حارّاً، ففعل كلٌ ما أمره به، وجابه إلى داره، وأحضر ما طلب وجعله قباله، وأمر بنزع القميص عنه، وكسر رغيفاً وأصلح لقمة وأهوى بها نحو فمه، ففتح فاه فأكلها العامل، وجعل يفعل ذلك مراراً إلى أن اكتفى العامل، حتّى كادتْ روح الرَّجل

= بالزندقة، بينما تثني عليه كتب السنة، وعلى رأسهم ابن تيمية؛ لأنه قتل الجعد بن درهم حينما أنكر أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، كما قتل الرافضي أبا المغيرة وأصحابه، واجتهد في مطاردة الزنادقة، وقد كان شجاعاً كريماً جواداً، من نبلاء الرجال، وهو من خطباء العرب الفصحاء، وقد سماه ابن تيمية أمير المشرق، وقد عزله هشام لوشايات وأقوال لحقته ذكرها الطبري، وقلد مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وأوكله إليه، فعذب خالداً حتى مات سنة 125هـ.

انظر ترجمته وأخباره في سير أعلام النبلاء: 426/5، ووفيات الأعيان: 226/2، وتاريخ الطبري: 142/7، بيان تلبيس الجهميّة: 604/4، وفي تاريخ دمشق جملة من أخباره جوده ونبله: 135/16.

(1) لم يذكر المؤلف من أي مؤلفات التنوخي أخذ هذه القصة، ولم نعثر عليها في مؤلفات القاضي التنوخي التي وصلتنا.

(2) هو: أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم، كان أبوه حاجباً لابي المنذر النعمان بن عبد الله الكاتب، في زمن الخليفة المقتدر، وكان أبو الحسين على ديوان السواد في خلافة معز الدولة، وقد تقدَّمت ترجمته.

(3) هم أناس تخصصوا في استخراج الأموال وتحصيلها لصالح الدَّولة.

(4) السِّكْبَاج كلمة فارسية، وتعني: طعام يُصنع من المرق واللحم والخل ومواد أخرى، انظر: كتاب الطبيخ للبغدادي: 15.

تخرج، وفعل به ذلك مراراً حتَّى كاد الرَّجل يموت، فأعطاه خطه بكلٍّ ما أراد، فأحضره وأطعمه معه.

189. حيلة محمد بن أحمد النعيمي الوزير على ديسم:[1]

وذلك بعد حُصول ديسم بأَرْدَبيل[2] وهربه من تَبْريز[3] وتَحصُّن فيها[4]، [فركب محمَّد المرزبان][5] وسار بجيشه ومعظم العسكر إلى أردبيل، وأخذ في محاصرة ديسم، فطال عليه الأمر، فراسل محمَّد بن أحمد النعيمي المرزبان، وتلَّطف له، ووعده أنْ يستوزره، فاستجاب له المرزبان، وقال له: يُنفذ إلى ديسم ووجوه البلد وشيوخها، وتُخوِّفه وتوعده الخير وتتوعَّده من طول الحصار، وأنَّ أهل البلد إذا طال عليهم الحصار، وانقطعتْ عنهم المؤونة، سلَّموا البلد وسلَّموك، ونحن نستوثق لك ونعاهد لك ما تريده في الصُّلح، وطيبة النفس، وتدخل في

(1) القصة في تجارب الأمم: 252/5، والكامل: 244/7، والنعيمي، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد، كان وزيراً عند أبي سالم ديسم بن إبراهيم الكردي سنة342هـ، وكان ديسم قد تعرض لخديعة من وزيره هذا، وهرب إلى أردبيل وتحصَّنها بها، فتعقبه المرزبان محمد بن المسافر، وحاصره، فانهزم ديسم هارباً إلى أرمينيا، وتنقل بين الموصل وبغداد والشام في قصة طويلة إلى أن ظفر به المرزبان، وسمل عينيه، فلما مات المرزبان، قتل بعض أصحاب المرزبان ديسما سنة 344هـ. انظر تفاصيل القصة في تجارب الأمم: 252/5، والكامل: 245/7.

(2) مدينة إيرانية تقع شمال غرب العاصمة على مسافة سبعين كيلو متراً من بحر قزوين قرب الحدود مع أذربيجان، وقد شُدت هذه المدينة على يد عبد العزيز الباهلي زمن عبد الملك بن مروان سنة 85هـ. انظر: معجم البلدان: 145/1.

(3) ثالث أكبر المدن الإيرانية، وهي عاصمة محافظة أذربيجان الشرقية، تشتهر بتاريخها العريق، وقد خرج منها جماعة من العلماء. انظر: معجم البلدان: 2/ 13.

(4) عبارة المؤلف مضطربة، والمقصود: هروبه من تبريز وتحصُّنه في أردبيل، ثم إن الذي حاصر أردبيل هو المرزبان محمد بن المسافر.

(5) في كلتا النسختين: [فركب محمَّد الوزير]، وهذا وهم وخطأ، فالذي حاصر أردبيل هو المرزبان محمد بن المسافر، وبعد أن حاصر أردبيل، راسل وزير ديسم محمد بن أحمد النعيمي المرزبان، وأطمعه الأخير بالوزراة، وما أثبتناه من تجارب الأمم، والكامل.

الطاعة، وأعلمه أنَّك قد سمعتَ بذلك، وسيظهر لك [أمر][1] إنْ لم تُبادر بالصُّلح، فنظر ديسم فوجد الأمر قريباً مما خُوِّف منه، وذلك أنّ الحصار كان قد أشتد، وانقطعت الطرق والمِيْرة[2] عنه وعن جنده، وعن أهل البلد [والجميع] في شدَّة، والأراجيف كثيرة، والنَّاس مستوحشون، وهم على يأس من الصُّلح، وخوف من زيادة المكروه، فأنفذ إليه ديسم [وجوه البلد وأعيانهم][3]، ففعل القوم، وتوثَّقوا له نهاية التوثق، وكان قد أنفذ محمَّد بن أحمد إلى المرزبان بأن يحبس القوم عنده، ولا يردهم إلى البلد إلا بعد أنْ يطلع إليهم ديسم؛ لأنَّ أهل البلد إذا لم يرجعوا إليهم ساءت ظنونهم، فحبسهم، فطلع ديسم إليه، وسلَّم البلد، واصطلحا على ما أراد الوزير[4].

190. حيلة عبدالله [بن الأهتم][5] حتى قلد يزيد بن المهلب خراسان:[6]

وذلك أنَّه لَّما نزل يزيد بن المهلب واسطاً، جاء إليه صالح وضايقه[7]، وبلغ

(1) يتطلبها السياق، وعبارة تجارب الأمم: [وأعلمه أنه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له إن لم تبادر بالصلح].

(2) الميرة: ما يتزود به المقيم والمسافر من الطعام وغيره.

(3) يتطلبها السياق، وهي في تجارب الأمم.

(4) اختصر المؤلف هذه القصة كثيراً، فلحق كلامه بعض الاضطراب، وقد حاولنا قدر المستطاع جعل القصة واضحة، دون أن نتدخل في عباراته.

(5) في (ت) ابن إبراهيم، والصواب ما أثبتناه من(ب) ومن الطبري، ومن وفيات الأعيان، وابن الأثير.

(6) يزيد بن المهلب، هو: أبو خالد يزيد بن سراق بي أبي صفرة المهلب الأزدي (35-102هـ) أمير العراقين، فارس شجاع، صاحب كرام وسخاء، ولي خراسان بعد وفاة أبيه، ثم عزله عبد الملك بن مروان بكيد من زوج أخته الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم سجنه الحجاج وعذبه، فهرب من سجنه مع أخويه عبد الملك والمفضل إلى سليمان بن عبد الملك، وولاه البصرة والكوفة، ثم ولاه بعد ذلك خراسان بهذه الحيلة التي ذكرها المؤلف، انظر أخباره وترجمته عند الطبري: 393/6- 525، وابن الأثير: 301/4، وفي ووفيات الأعيان: 278/6.

(7) هو: أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم، كان كاتباً عند الحجاج، وتتلمذ على يديه كثير من كُتَّاب العراق في الدواوين، ثم قلده يزيد بن المهلب خراج البصرة، ولكنه أخذ في التضييق على يزيد في الأموال والنفقات. انظر: الطبري: 506/6، 523، والوزراء والكُتَّاب: 49.

من يزيد كلَّ جَهد، فَضَجِر يزيد من ذلك، فدعا بعبدالله بن الأهثم[1]، وقال له: إنِّي أريدك لأمر قد أهَمَّني، وأُحبُّ أنْ تكْفينه [ولك مائة ألف درهم][2]، قال: مُرْني بما شئت. قال: أنا فيما ترى من الضَّايقة، وقد أضْجَرني ذلك، وبلغني أنَّ أمير المؤمنين ذكر خُراسان لعبدالملك أخي، فاخرجْ واحْتَلْ حتَّى يُسلِّمها إليّ، فقال: اصبر حتَّى أحضر عند أمير المؤمنين في بعض الأمور، فإنِّي أرجو أن آتيك بها، فكتب معه يزيد كِتابين، يذكر في أحدهما أمر العراق، وأثنى فيه على ابن الأهثم وعِلْمه بها، ثُمَّ وجهه على البريد، فسار حتَّى قدم على سليمان[3] وحادثه. وقال له: إنَّ يزيد بن المهلب كتب إليّ يذكر عِلْمُك بخراسان والعراق، فكيف علمك بها؟ قال: يا أمير المؤمنين بها ولدت، وفيها نشأت، ولي بها خبرة وعلم، قال: ما أحوج أمير المؤمنين، إلى مثلك، فأخبرني عن خراسان ومن أولى بها. قال: أمير المؤمنين أدرى بمن يريد أنْ يولي، فإن ذكر أحداً أخبرته برأيي فيه يصلح أم لا، فسمّى رجلاً من قريش، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس هو من رجال خراسان، فقال: فعبدالملك بن المهلب، قال لا، وعدّد له رجالاً، كان في آخرهم وكيع بن الأسود، فقلت: يا أمير المؤمنين ما أحدٌ أوجب شكراً ولا أعظم عندي براً من وكيع، لقد أدرك ثأري وشفاني من عدويّ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقاً عليّ، فإن النصيحة تلزمني له، إنَّ وكيعاً لم يجتمع له قَطُّ ثلثمائة عَنَان إلا

---

(1) عند ابن الأثير: عبد الله بن الأهيم، والصواب ما أثبتناه، وهو: عبد الله بن عمرو بن الأهتم بن سمي بن سنان المنقري، من أسرة عريقة في النسب، تعود إلى بني سعد من تميم، وقد عُرفت هذه الأسرة بالخطابة، فعبد الله، هو من سلالة عمرو بن الأهتم خطيب الجاهلية والإسلام، الذي قدم على الرسول ﷺ، ومن أحفاده: خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، الشهير بفصيح مُضر، وشبيب بن شبية، في العصر العباسي. انظر: البيان والتبيين: 355/1، وجمهرة أنساب العرب: 217.

(2) عند الطبري وابن كثير: أعطاه ثلاثين ألف درهم.

(3) هو: أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (54-99هـ)، سابع خلفاء بني أمية، ويعد من الخلفاء الأقوياء، أشاع العدل بين النَّاس،كان فصيحاً، وتقيّاً في دينه، واستمر في اتساع الدَّولة، وتنظيم الفتوحات، مات في دابق وهو يتابع الجيش الذي حاصر القسطنطينية .انظر ترجمته عند: ابن الأثير: 14/5، والطبري: 126/8، وفي سير أعلام النبلاء: 112/5.

حدّث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة، تائه في الفتنة. قال: صَدقتَ وَيْحُكَ! فمن لها؟ قال: رجلٌ أعلَمه لم يُسَمِّه أمير المؤمنين، قال: من هو؟ قال: لا أبوح باسمه إلاّ أن يَضْمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك عليّ، وأن يُجيرَني منه إنْ عَلِم؛ قال: نعم، سَمِّه لي من هو؟ قال: يزيدُ ابنُ المهلب؛ قال: وَيْحُكَ ذلك بالعراق، والمقام له بها أحبّ إليه من المقام بخُراسان، قال: قد علمتُ يا أمير المؤمنين، ولذلك استجرتُ بك، ولكن تكرهُهُ على ذلك، واستخلف على العراق أخاه[1] ويسير هو. قال: أصبتَ. فكتبَ عهده إلى خراسان، وأنفذ إليه على يد ابن الأهتم، فقدم به عليه، فأخذه وسار لوقته.

191. حيلة مستخرج:[2]

قال القاضي: حدثني ابن تميم المستخرج من أهل [مَهْرُوبان][3] قال: عاقبتُ رجلاً بعقوبة ما عاقب بها أحداً، فقلنا له: أخبرنا بها، قال: سلم إليَّ أبو محمَّد المافروخي[4] وهو إذ ذاك عاملٌ بالبصرة أول ما تقلدها، أبا عبدالله السَّمري الكاتب[5]، وأمرني باستخراج ما له منه، وكنتُ أعرفه صابراً على سائر العقوبات، متقاعداً بالمستخرجين، فحملته إلى داري، وجربتُ معه ألف لون، فلم يَسْمح بفلس واحد، وعلمتُ أنّي لو ضربته وعاقبته، بأيٍّ شيءٍ كانَ من

(1) في جميع المصادر التي ذكرت القصة: [فيستخلف على العراق رجلاً ويسير].

(2) لا ندري من يقصد المؤلف «بالقاضي»، فإذا كان المقصود القاضي التنوخي، فإننا لم نعثر على القصة في مؤلفاته التي وصلتنا، والمستخرج: هو شخص تخصص في استخراج الأموال وتحصيلها لصالح الدّولة.

(3) في (ب) مرو، والصواب ما أثبتناه من (ت)، ومهربان: بلد صغيرة على الساحل في بلاد فارس على طريق شيراز. انظر: معجم البلدان: 233/5.

(4) هو: أبو محمد عبد العزيز بن أحمد المافرُوخي، نسبة إلى: ماه فروخ» اسم لبعض موالي العجم، كان عامل البصرة، في وزارة أبي محمد المهلبي، وقد كان على قدر كبير من العلم والهيبة، انظر ترجمته في: معجم الأدباء: 184/1، وانظر ما قاله الآمدي في مديحه في معجم الأدباء: 853/2.

(5) هو: أبو عبد الله الحسين بن محمد السّمري، كاتب الديوان بالبصرة، في وزارة أبي محمد المهلبي، زمن معز الدولة في حدود سنة 422هـ.

العقوبات لا يعمل معه شيء. فأفكرتُ في أمري وعلمتُ أنَّه لا يجيءُ منه شيءٌ بالضرب والشقص[1] والعقوبة، فأقمته من مكانه، وقيدتُّه وألبسته جبة صوف وحبسته في بيت، وخرجتُ إلى كُتّاب[2] كان بقرب داري، فانتقيت منه عشرة صبيان لا يمكن أن يكون أوحش منهم، وأعطيت كلَّ واحد منهم درهماً وقلت: تعالوا وكل واحد يمخط في يده، ويلطخ بها وجه السّمري وشفته، ويصفعه. [فجاءت][3] الصِّبيان، وداروا به، ففطن لما يُرَاد به، وقال لي: اصبر وارفق، واضربني بالسياط واستطلعني، وأيُّ شيء أردتَ افعل بي، وكفَّ عني هؤلاء الصبيان. فقلتُ: لا والله، أو تعطي خَطّاً بما أريده من المال، فلمَّا عاين عينها، أعطاني خَطَّه بما أريده، فأطلقته.

192. حيلة مُشْرِف:

وذلك أنَّ بعض السلاطين كان يَنْظر إلى بعض إصْطَبل دَوابِّه من خَوْخة له[4]، والسَّاسة[5] يضربون الدَّوابَّ، ويقولون: أيّ مال كذا وكذا، ويشتمون شتماً مؤلماً، فغضب السُّلطان، وأمر بإحضار المُشرف، وقال له: أما سمعتَ ما تقول السَّاسة؟ فقال: ما قالوا أدام الله أيَّام السُّلطان؟ فقال: قالوا: كذا وكذا، فاذهب، واضرب كلَّ واحد منهم مائة عصاً، واحبسه سنة. فقال: يا مولانا كأن هذه الدَّواب والخَيْل لأحدٍ فيها شيءٌ تهابهم نحو مؤنها، إنَّما الدَّواب لأنفسهم، والدليل عليه ما ينظره السُّلطانُ السَّاعة، يعود السُّلطان إلى موضعه وينظر ما يجري.

فعاد السُّلطان إلى موضعه، وأتى المُشْرف إلى الإصْطَبل، وحَلَّ جميع الدَّواب وشَمَّرها[6] في الإصْطَبل، وأخذ الرَّجل يخلط بعضها ببعض، ثم قال:

---

(1) الشقص الضرب مع التقطيع.

(2) جمع كتاتيب: وهي بحسب النظام، القديم مكان لتعليم الصبية.

(3) الخوخة: تشبه النافذة الصغيرة، يدخل منها الضوء، وقد تقدم التعريف بها.

(4) يستعمل المؤلف أحياناً تاء التأنيث للمذكر، ولعله يقصد المجموعة.

(5) جمع: سائس، وهو من يعتني بالخيل، ويدبّرُ أمورها.

(6) التشمير: التهيئة، وأنزل عنها السروج، وأصله من شمَّر عن ساقيه؛ أي رفع ثوبه عنهما.

ليأخذ كلٌّ منكم ما يختصه، فصار كلّ واحد يقول: هذا فَرَسي، هذا بَغْلي، هذا رَحْلي، هذا مِقْودي، ويتخاصمون عليه، حتّى كادوا يقتتلون، فضحك السّلطان، وزال عنه الغضب.

193. حيلة السُّلطان محمود سُبُكْتكين صاحب غَزْنَة: [1]

خرج يوماً مُتصيِّداً، وكان وزيره الكوفي[2] ذا رأيٍ وبصيرة وهو معه في نَفر، فقابله أعداءٌ له في جمع، وكان قد أخذ منهم بلاداً، فعرفوا الوزير ولم يعرفوا السُّلطان، فأحاطوا به وبمن معه، وقالوا للوزير: أنت في قبضتنا، وتوعدوه بالقتل، فقال لهم: ما ينفعكم قتلي، إنَّما يَنفعُكم عود بلادكم عليكم، فإنْ قتلتموني اسْتوزروا غيري، وصَمَد لكم واستأصلكم، فأصغوا إلى قوله، وقال: أنا أُرْسِل إليه. وأومأ إلى بعض من كان معه، فقال له: امضِ إلى الملك، وقل له: ما رأيتَ وسمعتَ، وأعطاه علامة، فلمَّا بَعُد عنه، أنفذ خلفه آخر، وقال له: ما أنت بمن لك معرفة! ثمَّ أومأ إلى الملك، وقال له: أنت رجلٌ عاقلٌ امضِ أنت، وقل للملك: كذا وكذا، وأكَّد عليه، وانفصل عنهم. فلمَّا علم أنَّ الملك صار في مأمنة، عرَّفهم حينئذ حاله، وأنَّ الَّذي أنفذه هو الملك، وقد خلَّصه من أيديهم فسقط [هو][3] في أيديهم، وتوصَّل الوزير إلى أن خَلُص منهم، وسلم الملك والوزير.

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، وسبكتكين، هو: السُّلطان أبو القاسم محمود بن سُبُكتكين، بن ناصر الدولة أبي منصور، الملقب يمين الدّولة (360-421هـ)، كان ملكا عادلاً ديِّناً له علم ومعرفة، وصُنفت له كثير من الكتب، وقصده العلماء وأكرمهم، كان كثير الغزوات، واتسعت مملكته، حتَّى إلى وصل حدود الهند، تتبع الرافضة والقرامطة في كل مكان. وغزنه، هي مقر حكمه، وهي من أفغانستان. انظر: ترجمته وأخباره في كتب كثيرة منها: الوافي بالوفيات: 196/25، والكامل: 8/ 188، والنجوم الزاهرة: 273/4، وتاريخ الإسلام: 68/29.

(2) لم نقف على ذكر له في معظم المصادر التي ترجمت للسلطان محمود.

(3) سقطت من (ب).

194. حيلة عُمر بن هُبَيْرة[1]:

وذلك لمَّا هرب من سجن خالد[2]، وأتى هشاماً فأمَّنه[3]، وقال له: أمَّا المال فلابد منه، قال: ليس عندي، ولكن أسأل قومي إذا خرج عطاؤهم، ثمَّ قال لقومه: إنَّ أمير المؤمنين قد حبسني على كذا وكذا، فأدُّوا عني. فجعل الرَّجل يجيءُ بعطائه فيضعه بين يديه، فيقول: ليس هذا أردنا، دون هذا [حتَّى][4] يكفينا، وإنَّما أردنا بذلك أنْ يسمع هشام، فيسمع أنَّه ليس عندي [مال][5]. قال: وجعل كلمَّا أخذ من أحد شيئاً كتب اسمه عليه، فلمَّا كان في الليل رده عليهم، وأصبح فأدّى لهشام من ماله.

195. حيلة عامل يقال له: جبر بن حبيب: [٦]

وذلك أنَّ الحجَّاج [أرسل إليه: ائتني بفلان][7]، رجلٌ أراد أنْ يعاقبه [ولم

---

(1) قصة هرب ابن هبيرة في: الكامل: 364/4، وسير أعلام النبلاء: 562/4، في الفرج بعد الشدة: 164/2، تاريخ الإسلام: 206/7، وابن هبيرة، هو: أبو المثنى عمر بن هبيرة بن معاوية الفزاري أمير العراقين في خلافة يزيد بن عبد الملك، وعزله هشام بن عبد الملك لما ولي الخلافة، نشأ في البادية، وشارك في غزوات على الروم مع عمرو بن معاوية العقيلي، ثم وفد على الحجَّاج، وقرَّبه من يزيد بن عبد الملك إلى أن بزغ نجمه، ثم غزا الروم في عهد سليمان بن عبد الملك، وحقق انتصارات كبيرة، وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة الفراتية عام 102هـ، وقيل: إنه أميّ لا يُحسن القراءة، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ، وسيذكر المؤلف حيلة أخرى له. انظر أخباره وترجمته في: الكامل: 364/4، وسير أعلام النبلاء: 562/4، والوافي بالوفيات: 171/23، وتاريخ دمشق: 373/45 .

(2) هو خالد بن عبد الله القسري، قلده هشام بن عبد الملك خراسان، بعد أن عزل ابن هبيرة، وقد تقدمت ترجمته في حيلة سابقة ذكرها المؤلف.

(3) جيء بابن هبيرة مقيَّداً لخالد القسري، فأمر بحبسه، ثم هرب من سجنه بحيلة من بعض مواليه، فقد استأجروا داراً نقبوا منها سرباً إلى السجن، ثم التجأ إلى مسلمة بن عبد الملك، فأجاره، واستوهبه من هشام، فوهبه له، فلما قدم خالد القسري إلى الشام، وجد ابن هبيرة عند هشام، فقال له: أبقتَ إباق العبد، فأجابه: حين نمتَ نوم الأمة. انظر: العقد الفريد: 58/2.

(4) سقطت من (ب).

(5) سقطت من (ب).

(6) القصة في عيون الأخبار: 206/2.

(7) عبارة عيون الأخبار: [سأل الحجاج جبر بن حبيب عن رجل].

يُؤثر جبر ذلك][1]، فقال: أصلح الله الأمير، تركته جَسداً يُحَرِّكُ رأسُه ويُصبُّ في حلقه الماء، وإنْ حُمِل على السَّرير ليكونَنَّ عليه عورةً، فأبعده الله، فأمر بتركه، [وذلك أنَّ كلَّ جَسدٍ يُحرِّك رأسُه، وإذا صار على السَّرير صارتْ عورة الرجل عليه][2].

196. حيلة لوزير: [3]

حُكِيَ أنَّ بعض الملوك كان له وزيرٌ صالح، فحَسَده خواص الملك، وقالوا إنَّه يُكاتب عليك الملوك، ويسعى في زوال ملكك، حتَّى [تحشَّوا قلبه]. فأراد أنْ يُهلك الوزير، فاسْتدعاه ذاتَ يوم، وكان الوزيرُ قد بلغه ما سعوا به إلى الملك، وقال: إنَّني أريد أن أخلع نفسي مِّن المُلك، وألبس المُسُوح[4]، وأسيح في الدُّنيا، فما أنتَ صانعٌ بعدي؟! قال: ما يراه الملك غداً إنْ شاء الله، ثُمَّ إن الوزير أتى إلى بيته، فحلق رأسه وليس مِسْحاً وجمجماً[5] وأخذ بيده عُكّازاً وركوة[6]، وجاء من غلس[7] إلى باب دار المَلك، فأُخْبر به الملك، فأحضره وهو على حالته. فلمَّا رآه قال له: ما هذه الحالة؟ قال: هذه موافقة للحالة التي ذكرتَ بالأمس من عزل نفسكَ، وأنَّك تسيح في الدُّنيا، قلتُ في نفسي: إنَّما أنا مع الملك في الدُّنيا، وفي أيِّ شيءٍ كان فيه، فأخبره الملك بما قِيل فيه وأعاده إلى مكانه[8].

(1) عبارة عيون عيون الأخبار: [وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه].

(2) هذه زيادة شرح من المؤلف.

(3) القصة في لطف التدبير: 147، وهي فيه أحسن صياغة، تبدأ هكذا: [حكي أن ملكاً كان له وزيراً صالحا لا يأمر إلاَّ بالخير، ولا يحضُّ إلا عليه، وكان الملك يبغض النُّسَّاك، وكان الوزير يُقبل عليهم، فحسده...].

(4) المِسْحُ: ثوب الرَّاهب، ولبس المسُوح: أصبح راهبا، وتزهَّد، وقد يكون من الصوف.

(5) لباس على الرأس، والجماجم تطلق على الرؤوس بمعناها الحسي، أو ما يوضع فوقها، كما يُقال استجمرت المرأة، أي رفعت شعرها، كما تطلق أيضاً بمعناه الكنائي على رؤوس القوم وسادتهم.

(6) رِكوة، ورَكوة، والجمع ركاءٌ، والرَّكْوةُ: إناءٌ صغير من جلد يُشرب فيه الماءُ.

(7) أي: ظلمة آخر الليل.

(8) القصة في لطف التدبير بعض الزياة والاختلاف، ذلك أنَّ الوزير انصرف عن الملك حين أخبره برغبته في ترك المُلك، ثمَّ وجد رجلاً فقيراً، هو الذي اقترح على الوزير هذه الحيلة.

197. حيلة بعض العُمَّال: (1)

حُكي عن عُمر بن هُبَيْرة(1) أنَّه كان أُميًّا، وكان إذا أتاه كِتابٌ فتحهُ ونظر فيه يُوهم أنَّه يقرأهُ. فإذا نهض [من مجلسه](3) له في داره جارية تكتب وتقرأ، فيأمرها تكتب بما يُملي عليها، ويخرج إلى الديوان، فاستراب بعضُ الكتَّاب، فكتب له كتاباً وطواه مقلوباً، وناوله إياه، ففتحه ونظر فيه [ولم يُنكر عليه](4)، فعلموا أنَّه أمّيٌّ.

198. حيلة عبدالله بن عامر الهمداني: (٥)

يرويها ابن عبَّاس: قال: كنا عند عبدالملك بن مروان حين قَدِم عليه سَبْيٌ عُمَان، فقام إليه عبدالله بن عامر الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، يعجبني هذا السبي. قال: وأنّى لك بالمال؟ قال: أنا أكثر العرب مالاً، قال: ومني؟ قال: ومنك، قال: كم عليك، قال: خمسين مائة ألف قال: لا أبيع، قال: ألف ألف. قال: لا أبيع، قال: والله أزيدك الحبة، قال: بعتك. قال: اشهدوا عليه بالبيع، واشهدوا عليّ أنَّهم أحرار. فقال له بعد الملك: المال. قال: خذه من عَطيَّة قومهم، قال له: خدعتني، قال: كان ذلك، فأجراه على خاصته.

199. حيلة لبعض الوزراء:

يُحكى أنَّ ملكاً من ملوك الهند زَهِدَ في الدُّنيا وفي المُلْك، وخرج هو زوجته،

(1) القصة في البصائر والذخائر: 113/5.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) يتطلبها السياق، وعبار البصائر، هكذا: [فإذا نهض من مجلسه حُمِلتِ الكتبُ معه، فيدعو جارية كاتبة...].

(4) في البصائر: [ولم ينكر تنكيسَهُ].

(5) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، والهمداني، هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عامر الهمداني الأوزاعي الأزدي، تولى الشرطة في خلافة يزيد بن معاوية، وقام بغزوات إلى الروم سنة خمسين للهجرة، واتصل بعبد الملك بن مروان، وله معه قصة شفاعة في رجل من قومه، أوردها ابن عساكر، انظر ترجمته في تاريخ دمشق: 282/29، وميزان الاعتدال: 449/2.

وكانتْ أعزَّ الخلق عليه، وخرج معه جماعة من أصحابه يُشيِّعونه، فالتفتَ إليه أحدُ وزرائه، وقال: أيُّها المَلك، إنْ كان قد تخلَّيتَ عن الدُّنيا، فأنتَ رجلٌ شيخٌ كبيرٌ، وأنا غلامٌ شاب، وأنا إلى زوجتك أحوج منك إليها، فأخذ القوم يكفُّونه، فقال المَلك: خَلُّوه، صدقتَ، ونزل عن زوجته. فلمَّا رآه الوزير قد صدق في ترك زوجته وزَهِدَ فيها، قال: أيُّها الملك ليس لي في زوجتك حاجة، وإنَّما امتحنتك لأنظرَ هل بقي في قلبكَ شيءٌ من الدُّنيا أم لا، وما زال في صحبته إلى أن مات.

200. حيلة وزير:

يُحْكى أنَّ بعض السلاطين حاصر سلطاناً آخر، وضيّق عليه، فاستدعى وزيره، وقال: هل من حيلة تَدْفع بها العدو؟ قال: نعم، أيُّها السُّلطان، فقال: دونك ورأيك.

فمضى الوزيرُ وأخذ مائة عِدْل[1] وملأها دقيقاً، وخلط فيها مَحْمُودة[2]، وحَمَلها على الجمال وأخرجها من البلد سرّاً، وقال لهم: سيروا عن البلد يومين، وعَرِّجوا عن العسكر كأنَّكم قد جلبتموه مِيْرة[3]. ففعلوا ما أمرهم، فوقع بهم العسكر، فأخذوا الأحْمَال والجِمَال، وتقاسموا الدقيق وخبزوه وأكلوه، فأصابهم انحلال عظيم، حتَّى هلك أكثرهم، وضَعُف الباقون عن الحركة. فخرج إليهم السُّلطان، فأخذ جميع ما معهم، ولم يَفْلتْ منهم إلاَّ من لم يأخذ من الدقيق، وانتصر عليهم.

(1) نباتٌ يُستخرج منه مادة لزجة، تستعمل مسهلا قوياً للأمعاء، ويقال لها أيضا: السقمونيا.

(2) العِدلُ: حمل كبير يُصنع من الجلد أو الخيش، تحمل به البضائع والمواد، ويُجعل على جنبي البعير، وجمعها أعدال.

(3) الميرة: ما يتزود به المقيم والمسافر من الطعام وغيره.

الباب الثامن
في حيَل القضاة والعُدول والوكلاء

201 - حيلة شُرَيْح القاضي:

[حكى][1] [مُجَالد بن سعيد][2]، قال: قلتُ للشعبي[3]: يقال في المثل شُريحٌ أحْيَل من الثعلب، فما هذا؟ قال: إنَّ شُرَيْحاً خرج أيَّامَ الطّاعون إلى النَّجَف، وكان إذا [قام][4] يُصلِّي يَجيءُ [ثعلبٌ فيلعب بسجَّادته، وربما بال عليها، فلا يقدر شُرَيحٌ أنْ يُصلِّي][5]. وبقي على ذلك مدَّة، فطال ذلك على شُرَيح، فنزع قميصَهُ فجعله على قَصَبة، وأسْبَل كُمَّيْه، وجعل قَلَنْسُوتَه على رأسه، يُشبِّهها به، كأنَّه قائمٌ يُصلِّي، واختفى مَوْضعاً يُمكنه منه صَيْد الثعلب. فبينما هو كذلك إذ أتى الثعلبُ [متمرغاً على السُّجَّادة والتف فيها][6]، فوثب عليه شُرَيْحٌ فقبضه، فلذلك يقال: شريح أحْيَل من الثعلب.

---

(1) سقطت من كلتا النسختين، وأضفناه هذه لتوافق طريقة المؤلف في مفتتح كل حيلة يذكرها.

(2) في كلتا النسختين: [خالد بن سعيد]، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه من: أخبار الأذكياء: 95، وتاريخ دمشق: 48/23، ومجالد، هو: أبو عمرو مجالد بن سعيد الكوفي الهمداني، أحد المحدِّثين من صغار التابعين، ضعَّفه كثير من رجال الحديث، كالدار قطني، والبخاري، وقال أحمد: «أحاديثه كلها حُلم»، وقال: ابن معين لا يُحتَّج به، وكثيرا ما يروي عن الشعبي، حتى عرف به، مات سنة 144هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 285/6، والتاريخ الصغير: 163/1 .

(3) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، قيل من أقيال اليمن، الهمداني، (21-100هـ)، تابعي جليل، سمع من جمع من الصحابة، وحدَّث عنهم، كان إماماً وفقيهاً، وعلاَّمة عصره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 295/4، التاريخ الكبير: 6 /450، وفيات الأعيان: 15/3 .

(4) في (ب): خرج.

(5) قد تكون هذه العبارة من المؤلف، فهي لم ترد في المصادر التي ذكرت القصة، فهي في المصادر هكذا: [يجيء ثعلبٌ تجاهه فيحاكيه، ويُخيلُ بين يديه، فيشغله عن صلاته].

(6) زيادة من المؤلف.

202 . حيلة أخرى له :[1]

عرض ناقة للبيع، فقال له المشتري: يا أبا أُميَّة، كيف لبنها؟ قال: احلب في أيِّ إناء شئت. قال: كيف الوطّاء؟ قال: افرش ونَمْ. قال: كيف [مشيها][2]؟ قال: إذا رأيتَها بين الإبل عرفت مكانها، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. قال: كم سنها؟ قال: أربع، فاشتراها الرَّجل، فلم يجد فيها شيئاً مما قاله شُرَيْحٌ. فعاد بها إليه وقال: ما أرى فيها شيئاً مما ذكرته، فقال شريح: والله ما كذبْتُك، والله ما كذبتُك، [والله ما كذبتُك][3]، فأخذها الأعرابي وانصرف.

203 . [حيلة روح بن أبي الحسن القيسيِّ] :[4]

قال: استودع رجلٌ رجلاً مالاً، وكان من أمناء القاضي، ومضى صاحب المال إلى مكة، فلمَّا رجع طلب ماله، فجحده المُسْتَودَع، فأتى إلى القاضي فأخبره، فقال له القاضي: أعَلِم أنَّك أتيتَ إليّ؟ قال: لا. قال: أفنازعتَهُ عند أحد؟ [قال: لا، لم يعلم بهذا أحدٌ][5]. قال: فانصرف وأكتم أمْركَ، ثُمَّ عُد إليَّ غداً وهو عندي فطالبه بمالك. فمضى الرَّجل وأنفذ القاضي خلف أمينه، فلمَّا حضر، قال له: اعلم أنْ قد حضر مالٌ كثيرٌ نحو من عشرة ألف دينار، وأثاثٌ وقماش بمثلها، نريد أنْ تتسلمه فدارك حصينة، قال: نعم، قال له القاضي أعِدَّ موضعاً للقماش، وجِيء معكَ بقوم تعْرفهم يَحْمِلونَه، فقال: حباً وكرامة، فبينما هو في هذا الحديث، إذ دخل صاحب الوديعة وطالبه، قال: إي والله تعالى إلى

---

(1) القصة في: أخبار الأذكياء: 96، وتاريخ دمشق: 47/23، ومع بعض الاختلاف في أخبار القضاة: 224/2.

(2) في أخبار الأذكياء، وتاريخ دمشق، وأخبار القضاة: [كيف نجاؤها؟]، وناقة نجَاة: سريعة.

(3) زيادة في (ب)، والقسم لم يرد في المصادر التي ذكرت القصة.

(4) نسب المؤلف هذه الحيلة إلى روح القيسيِّ، والصواب أنّها للقاضي الذي صنعها، وإنما روح القيسيّ راوية لها، والقصة مع بعض الاختلاف في كتاب: المحاسن والمساوئ للبيهقي: 130، منسوبة إلى القاضي إياس بن معاوية، وكذلك في كتاب الأذكياء: 97، برواية روح بن أبي الحسن القيسيّ عن أبي بكر بن طاهر، وكذلك في أخبار القضاة: 371/1 منسوبة إلى القاضي إياس بن معاوية.

(5) رواية كتاب الأذكياء، وأخبار القضاة: [قال: لا، لم يعلم أحدٌ بهذا].

الدَّار خذها، فمضى الرَّجل معه، وأخذ ماله، وكان ألف دينار، فرجع الرَّجل إلى القاضي وعرَّفه أنَّه قبض ماله وانصرف، وجاء الأمين إلى القاضي، قال: قد فعلتُ ما أمرتني به، وقد جئتُ بالحمَّالين، فقال له القاضي: يا فلان، ألف خلَّصناها بعشرين ألف، والعشرون ألف دينار بكم نُخلِّصها، وعزله.

204. [حيلة لأبي يوسف القاضي][1]:

وذلك أنَّ رجلاً أودع عند رجلٍ مالاً، ثُمَّ طلبه؛ فجحده، فخاصمه إلى أبي يوسف القاضي، فادَّعى عليه، قال القاضي: ومن حضركم؟ قال: لم يحضرنا أحد، غير أنَّني دفعته إليه في موضع كذا وكذا تحت شجرة هناك، ولا ثالث معنا. فقال له القاضي: فأتني بورقة من الشَّجرة حتَّى أستشهدُها، فمضى الرَّجل، وقال: [القاضي][2] لخصمه: اجلس أنت ها هنا حتَّى يَجيء خصمك، فجلس واشتغل القاضي ساعة، ثم التفتَ إلى الخصم، وقال له يا هذا: وصل خصمك إلى الشجرة؟ قال: لا، ولا إلى نصف الطَّريق، فقال له: أعطه ماله، والله ماله معك، إما الحبس، أو تزن ما عليك، فوزنه إياه.

205. حيلة لبعض القضاة:[3]

سألته زوجته أنْ يشتري لها جاريةً، فتقدم إلى بعض النخَّاسين[4] بذلك،

---

(1) القصة في كتاب: المحاسن والمساوئ: 129، وكتاب الأذكياء: 99، وأخبار القضاة: 342/1، وهي كالقصة التي قبلها منسوبة إلى القاضي إياس بن معاوية، وما ذكره المؤلف أنَّها لأبي يوسف القاضي، وهم وخطأ، وإياس بن معاوية المُزَني، من رواة الحديث، وُلد سن46هـ، وقدم الشام وهو غلام في خلافة عبد الملك بن مروان، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وولي قضاء البصرة، كان أحد الفقهاء والأعلام في عصره، يضرب به المثل في الذكاء وسعة الحيلة، وسداد الرأي، توفي سنة121هـ، انظر أخباره زيادة على ما ذكرنا في تاريخ دمشق: 28/10، والوافي بالوفيات: 465/9.

(2) أثبتناها؛ لأن السياق يتطلبها، ورواية المصادر التي ذكرت القصة، هكذا: [وقال إياس للمطلوب].

(3) القصة في كتاب الأذكياء: 102.

(4) النَّخاسة: مهنة بائع الرقيق والجواري والدوابّ.

فحملوا إليه عدَّة جوار، فاستحسنَ منْهنَّ واحدة، فأشار على زوجته بشرائها، وقال: أبْتَاعُها لكِ من مالي؟ قالت: ما لي حاجة إلى مالك، ولكن خُذ هذه الدنانير اشترِ بها الجارية، فأخذها وعزلها ناحية، واشترى الجارية من ماله لنفسه، وكتب عهدتَها باسمه، وأعلَمَ الجارية بذلك، وكانتْ زوجتُه تستخدمها طمعاً[1] أنَّها لها، فإذا أصاب القاضي خلوة من زوجته وطئ الجارية، فعثرتْ به في بعض الأيَّام، فقالت له: ما هذا يا شيخَ النَّار يا شيخَ السَّوء؟ يا زانِ أما تستحي مِن الله؟ أما أنتَ قاضي المسلمين؟!

قال: أمَّا شيخ فنعم، وأمَّا زانِ فلا، والله معاذ الله، قالتْ: فما هذه جاريتي، كيف يَحلُّ وطؤها؟! قال: ما هي إلاَّ جاريتي، وأحضر عهدتَها، [وذهبها][2] بختمه فعرفته، فاستحتْ منه، واعتذرتْ إليه[3]، وما زالتْ تتلطف به حتَّى باعها[4].

206 . حيلة أبي [دُؤاد القاضي]:[5]

قال أبو بكر الصوليّ:[6] حدثني أبو

---

(1) أي: تظن أنه اشتراها من مالها الخاص.

(2) صياغة المؤلف مضطربة، والمراد: أحضر عُهدة الجارية، والمال الذي أعطته إياه زوجته ليبتاع لها الجارية.

(3) أي: زوجته.

(4) أي: الجارية.

(5) القصة في كتاب الأذكياء: 103، وفي نشوار المحاضرة: 66/2، وفي المستجاد من فعلات الأجواد: 74، ووفيات الأعيان: 82/1، وفي نثر الدُّر: 246/3 وقد ذكره المؤلف باسم: ابن أبي داؤد، وهو خطأ، فهو: أبو عبد الله أحمد بن أبي دُؤاد بن فرج الإيادي، ولد سنة 160هـ في قنسرين، قدم العراق مع أبيه، وطلب العلم، خاصة الفقه وعلم الكلام، واعتقد مذهب الاعتزال، نشأ في الشام، ثم رحل إلى العراق، واتصل بالمأمون والمعتصم والواثق، وأقنع الخلفاء بفكرة خلق القرآن، فُتن بها خلقٌ من المسلمين، فلما ولي المتوكل الخلافة، انقلب على المعتزلة، ولم يقتنع بفكرة خلق القرآن، فتراجعت منزلته بين الناس، وقد كان جواداً سخياً، و قصده الأدباء والشعراء، كأبي العيناء، وأبي تمام، توفي في بغداد سنة 240هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 233/5، ووفيات الأعيان: 81/1 .

(6) أبو بكر الصولي، هو: محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده» صول تكين«، وكان أجداده ملوكاً بجرجان، وقد كان أحد العلماء والأدباء، حسن المعرفة بأخبار الملوك، وطبقات الشعراء، أخذ عن ثعلب، والمبرِّد، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس: الراضي والمكتفي والمقتدر، كما اشتهر =

العيناء[1] قال: كان الأفشين[2] يحسُدُ أبا دُلَف[3] ويبغضه للعربية والشجاعة والكرم، فما زال يَحْتال عليه حتى أشهد عليه أنّه قتل وخان، فأحضره وأحضر السيَّافَ، فبلغ القاضي ذلك، فركب [بمن][4] حَضَر من عُدُوله، ودخل على الأفشين، وقال: إنِّي رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمركَ ألاَّ تُحدث في أبي دُلَف أمراً حتَّى تحمله إليه مُسَلَّماً، ثُمَّ التفتَ إلى عُدُوله، فقال: [اشهدوا] أنِّي أدّيتُ رسالة أمير المؤمنين، فلم يُقْدِمْ الأفشين عليه، [وبلغ المعتصم[5] ذلك، فصوب رأيه، وأنفذ طلب أبا دُلَف وأخلع عليه].

= بالعب الشطرنج، حتى عرف بالشطرنجي، له مصنفات كثيرة، منها: أدب الكتّاب، وشرح ديوان أبي تمام، وأخبار ابن هرمة، والأوراق في أخبار آل العباس وأخبارهم وغيرها، تُوفي في البصرة سنة 335هـ. انظر أخباره وترجمته في الفهرست: 153، ومعجم الأدباء: 2677/6، وتاريخ بغداد: 675/4 .

(1) أبو العيناء، هو: أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاّد الهاشمي بالولاء لبني العباس(191-283هـ)، شاعر مُقِل في العصر العباسي، عُرف بالفصاحة والظُرف والنوادر والأخبار، أخذ عن علماء البصرة، كالأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، فقد بصره في الأربعين من عمره، وظل يتردد بين بغداد والبصرة، واتصل بالخليفة المتوكل، وأصبح من ندمائه .انظر ترجمته في الفهرست: 130، ومعجم الأدباء: 2602/6، وتاريخ بغداد: 177/3 .

(2) الأفشين، هو حيدر بن كاوس، قائد جيش المعتصم، وقد تقدمت ترجمته .

(3) أبودُلَف، هو: القاسم بن عيسى بن إدريس يعود نسبه إلى سعد بن عجل بن لجيم من بكر بن وائل، قائد عباسي عند الخليفتين المأمون والمعتصم، شاعر وأديب، كان أمير الكرخ وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد،والفرسان الشجعان، وقد قلده الخليفة هارون الرشيد أعمال الجبل، ومدحه بعض الشعراء، كبكر بن النطاح، وأبي تمام، توفي في بغداد سنة 226هـ. انظر ترجمته في الفهرست: 116، ومعجم المرزباني: 216، وسير أعلام النبلاء: 564/10، ووفيات الأعيان: 73/4، وتاريخ بغداد: 407/14.

(4) في المصادر التي ذكرت القصة: [مع من حضر].

(5) هنا سقط في كلتا النسختين، أدى إلى بعض الاضطراب، فرواية كتاب الأذكياء، ووفيات الأعيان: [فلم يُقدم الأفشين عليه، وسار أبي دُوَّاد إلى المعتصم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أدَّيتُ عنك رسالةً لم تَقُلها لي، ما أعتدُّ بعمل خير منها، وإني لأرجو لك الجنَّة بها؛ ثمَّ أخبره الخبرَ، فصوَّب رأيه، ووجه من أحضر القاسم، فأطلقه، ووهب له، وعنَّف الأفشين فيما عزم عليه].

207 . حيلة لبعض قضاة الطريق:[1]

اختصم رجلان في شاة، كلٌّ واحد يدّعي أنَّها له، فجاء رجلٌ فقالوا: قد رضينا بهذا حَكماً بيننا، قال: إنْ رضيتما بحكمي، احلفا بالطلاق ألاَّ تخالفاني فيما أفعله، فحلفا له، قال: خلّيا عنها؛ فلمَّا خلَّيا عنها، لزم بأذنها، وقال: هذه لي، وأخذها ومضى.

208 . حيلة القاضي أبي الحسين بن عقبة:[2]

قال: كانت لي ابنة عمٍّ موسِرَةٌ، ولم تكن حسنة، إلاّ أنّني كنت أستعين بمالها، وأتزوَّجُ سرّاً منها، فإذا فَطِنت لذلك هجرتني وضيَّقت عليَّ، ونكَّدتْ عيشتي حتَّى أطلق الزوجة وتعود إلى إحسانها. فتزوَّجتُ بعض المرات صَبيَّةً كما في نفسي، موافقةً لطباعي، مساعدةً على اختياري، فبقيتُ معها مدة يسيرةً، فَسُعِي بها إلى ابنة عمي، فأخذتْ في النكدِ والمناقرة والتضييق عليَّ، ولم يسهل علي فراقها[3] . فقلتُ لها يوماً: البسي أفخرَ ثيابك وأملحها، وتبخَّري بعود وادخلي على زوجتي، وابكي بين يديها، وتضرَّعي حتى تُضْجِريها، فإذا سألَتْكِ عن حالك، فقولي لها: لي ابن عمٍّ كلَّ وقت يتزوج عليَّ بمالي [واحدة واحدة][4] ويُضيِّع مالي عليها، وأُريدُ أنْ تسألي القاضي معونتي عليه وإنصافي منه، فإنّني أُريدُ إحضاره، فإنَّها سترفعُك إليَّ؛ ففعلتْ ما أمرتُها به، فلمَّا دخلتْ [عليها وأعادتْ عليها ما علّمتها إياه][5]، قالت لها: وسيدنا القاضي شرٌّ من زوجكِ وأدهى، ثُمَّ إنَّها دخلتْ عليَّ وهي غضبانة ويدُ الصَّبية في يَدِها، وقالت: هذه المرأة حالها مثل حالي، فاسمع كلامها وأنصفها من زوجها. فقلتُ: ما شأنُها؟ فذكرتْ ما علمتها إياه، فقلتُ لها: هل شاهدتْ زوجته؟ قالت: لا والله،

---

(1) القصة في كتاب الأذكياء: 103 .

(2) القصة في كتاب الأذكياء: 160 .

(3) أي: الصبية، وعبارة كتاب الأذكياء هكذا: [ولم يسهل عليَّ فراق تلك الصبية].

(4) هكذا في الأصل

(5) عبارة كتاب الأذكياء هكذا: [فلما دخلتْ عليها، واتصل بكاؤها رحمتها]

فقلتُ: يا هذه، اتقي الله، فإنَّ النَّاس يكذبون، بحيث يفسدون أحوال الناس، فلا تقبلي شيئاً سمعته، فإن الحسَّاد كثير، وهذه زوجتي قد نُقِل لها أنني تزوجت. فقالتْ لي بنت عمي: إي والله تزوَّجتَ، فقلتُ لها: توجد كلُّ امرأة لي في غير هذه الدَّار طالقة ثلاثاً بتاتاً، أيش تقولين؟ قالتْ: صدقتَ والَّذي بلَّغني كَذَب، ومضت الأخرى إلى بيتها، وصفا عيشي معها كما أختار[1].

209. حيلة يُونان القاضي:

كان لبني إسرائيل سوق يجتمعون فيه كلَّ سَنة يبيعون ويشترون، فدخلَ السُّوق رجلٌ على حِجْرَة[2] له وخلفها مُهْرٌ، فسرقه رجلٌ منهم، وربَّاه على بَقَرة له، فلمَّا كان الموسم، عادَ صاحب المُهْر إلى السُّوق، فنظر المُهْر فعرفه، وقال: هذا مُهْري ولد هذه الحِجْرة، فأنكر السَّارق ذلك، وترافعا إلى يُونان القاضي، والمُهْر يتبعُ البقرة، والنَّاس يتعجبون منه. فقصّا عليه القصة، فقال لهما: تعالا غداً حتَّى أحكم بينكما، فإنِّي اليوم حائضٌ، فقال صاحبُ البقرة: والرِّجال تحيض؟ قال: نعم، مدينة تلدُ فيها بقرة مُهْراً فليس عجيباً أنْ يَحْيض فيها الرِّجال الذكور، ورد المُهْر إلى صاحبه، فأخذه ومضى.

210. حيلة أبي يوسف العدل: [3]

يحكيها ابن [عيَّاش][4] القاضي قال: رأيتُ أبا يوسف العدل على بعض زواريق الجسر، وقد عبر يده في حلقة من سلسلة الجسر وهو يكتب رقعة، فقلت

---

(1) عبارة كتاب الأذكياء هكذا: [فقامت ابنة عمي فقبّلت رأسي، وقالت: علمت أنه مكذوب عليك أيّها القاضي، ولم يلزمني حنْثٌ لاجتماعهما بحضرتي].

(2) الحِجرة: الفرس، أنثى الحصان، والمُهْر: ولد الفرس.

(3) القصة في كتاب الأذكياء: 140، وفي نشوار المحاضرة: 63/1، وليس فيها ذكر لأبي يوسف العدل، وفيها بعض الاختلاف.

(4) في كلتا النسختين: [عبّاس]، والصواب ما أثبتناه من كتاب الأذكياء، والنشوار، وهو: أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش الجوهري البغدادي، كان شيخ الفتيا بسوق الأهواز، ذكره التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدّة، ونقل عنه قصصاً متنوعة.

له: يا هذا، هذا عجبٌ! كيف تجعل يدك في حلقة الجسر، وكيف تكتب؟ قال: أريد أزوِّر على خَطِّ فلان (وكان الذي سمَّاه يده ترعش إذا كتب)، فجعلتُ يدي كما ترى، لترعش ارتعاشاً طبيعياً، فأحكي خَطَّه، فعجبتُ منه ومن حيلته، وانصرفتُ[1].

211. حيلة لبعض الوكلاء:[2]

حُكِيَ أنَّ رجلاً من خُراسان باع جِمالاً بثلاثين ألف درهم للمرزبان [المجوسِّي][3] وكيل أمِّ جعفر[4]، فماطله بثمنها، وحَبَسهُ عن السَّفر، فطال ذلك على الرَّجل، فأتى بعضَ أصحابِ حفص بن غياث القاضي[5]، فشاوره في ذلك، فقال: اذهب إليه، وقل له: أَعْطني ألفَ درهم حتَّى أتحوَّج بها، واخرجُ إلى خُراسان، وأُحيْل عليك بالباقي إلى أن أعود، وليكن بمحضر من النَّاس، فإذا فعلتَ، فالقني حتَّى أُشير عليك.

فأتى الرَّجل إلى المرزبان، وذكر له حاله، وما علَّمه الوكيل، فأعطاه ألفَ درهم [بمحضر من جماعة مذكورين معروفين بالصِّدق [والأمانة][6] [والصَّلاح][7]،

---

(1) رواية نشوار المحاضرة، وكتاب الأذكياء، هكذا: [رأيتُ صديقا على بعض زواريق الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح، وهو يكتب رقعة، فقلتُ: ويْحُكَ! في هذا الموضع، وهذا الوقت! قال: أريد أن أزوِّر علىّ رجلٍ مرتعش ويدي لا تساعدني، فعمدت الجلوس ها هنا؛ ليتحرَّك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خطِّي مُرتعشاً، فيشبه خَطَّه].

(2) القصة في كتاب الأذكياء: 100 بإسنادها، وفيها زيادات، وهي فيه أجود صياغة، وأمتن تركيباً من رواية المؤلف.

(3) في (ب): [اليهودي]، والصواب ما أثبتناه من (ت)، وكتاب الأذكياء.

(4) هي: عتَّابة أمّ جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وقد أرضعت هارون الرشيد.

(5) هو: أبو عمر حفص بن غياث النخعي الكوفي، الإمام الحافظ، (117- 195هـ) ولي قضاء الكوفة وبغداد، كان تقياً عدلاً زاهداً، وثّقه رجال الحديث. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 22/9، ووفيات الأعيان: 201/2.

(6) سقطت من (ت)..

(7) زيادة من المؤلف، ليست في كتاب الأذكياء.

فرجع إلى الوكيل فأعلمه، فقال له: عُد إليه، وقل له: إذا ركبتَ غداً فاجعل طريقك على دار القاضي، حتَّى أُوكِّلُ رجلاً يقبض منك المال، وأَخْرُج أنا إلى خراسان،[1] ففعل الرَّجل ذلك، فلمَّا حضر بين يديّ القاضي ادعى عليه، وأحضر الشهود أنَّه قبضه أمس ألفَ درهم، فحبسه القاضي، وما خرج حتَّى وزن ما عليه.

212. حيلة محمَّد بن عيسى الوكيل:

وهي مما حكاه الراغب في المحاضرات، قال: تزوج رجل بامرأة وكتب لها كتاباً بمائتي دينار، ثم إنَّه بعد ذلك ندم ولم يعلم ما يصنع.

فأتى إلى محمَّد بن عيسى فشرح له قصته فقال له أعطني ديناراً فأعطاه، فقال له: تمضي إلى بيت احماك وقل لهم: والله إن أهلي استجهلوني وسفهوا رأيي، وقالوا: كتبتَ عليك مائتي دينار وهذا جهل عظيم، وأنا لم أفعل ذلك إلا رغبةً فيكم، ومحبة لكم فأريدُ منكم تعطوني نصف القدر ليطيب قلبي وقلب أهلي. فإذا قالوا: لا نريد، فقل لهم: اكتبوا خلف الكتاب أنْ قبضتم مني مائة دينار، ويبقى الباقي كما هو وقد علم النَّاس كلهم أنَّه بمائتي دينار، فمضى الرَّجل وأعاد عليهم ما علمه الوكيل، فأجابوه إلى ذلك، وكتبوا خلف الكتاب أنْ قد قبضوا منه مائة دينار، وأتى الرَّجل إلى الوكيل وأعلمه بما صنع، فقال: من الآن أعطيهم براءة؛ لأنَّهم أشهدوا عليهم أنَّهم قد قبضوا نصف الكتاب ولم يدخل، ففعل الرَّجل ذلك، وتخلص من المائتي دينار.

---

(1) رواية كتاب الأذكياء، هكذا: [فإذا جلس إلى القاضي فادّع عليه بما بقي لك من المال، ففعل ذلك، فحبسه القاضي، فأخرجتُه أم جعفر، وقالت: لهارون [الرشيد]: قاضيك حبس وكيلي، فمره لا ينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصاً الخبرُ، فقال للرّجل: أحضر شهوداً حتى أُسجل لك على المجوسيّ قبل ورود كتاب أمير المؤمنين؛ فورد كتاب أمير المؤمنين، فقال للرّسول: مكانك، فلمَّا فرغ من السّجل، أخذ الكتاب فقرأه، وقال للخادم: اقرأ على أمير المؤمنين السّلام، وأخبره أنّ كتابَهُ ورد، وقد أنفذتُ الحكم.

213. حيلة الحسين[1] وكيل أبي عمر القاضي: [2]

من نشوار المحاضرة، قال القاضي التنوخي: حدثني [أبو الحسن][3] علي بن محمَّد بن أحمد بن إسحاق البهلول القاضي[4] قال: كان قد ارتكب الحسين بن القاسم بن [عبيد الله][5] دينٌ عظيم، مٌا قدره ألف ألف دينار، فدعاه غرماؤه إلى القاضي، فخافهم، واستتر عنهم.

وجاء إلى [جدّي][6] [الوكيل][7] يشاوره في أمره. وقال: إنْ بِعْتُ مُلكي، كان بإزاء ديني، وبقيتُ فقيراً [مكدياً][8]، وقد رضيتُ أن أجوع، وأعطي غَلّتي بأسرها للغرماء وليس يقنعون، فكيف التدبير؟ [فأريد تحتال في أمري][9].

وكان منزل الحسين في الجانب الشّرقي، والحكم فيه إلى أبي عمر. فقال له:

---

(1) القصة في نشوار المحاضرة: 260/1، والحسين، هو: الوزير الحسين بن القاسم بين عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المقتدر، لم يكن محمود السيرة، وحين ظهر للمقتدر عجزه في الوزاره، قبض عليه وصادره، ولما ولي ابن مقلة الوزارة، أرسل إليه من قتله، وقطع رأسه، وحمل إلى دار الخلافة، واحتفظ به خزانة على عادة لهم بمثل ذلك، ثمّ لما حدث وقعت الفتنة ببغداد في أيام الخليفة المتقي، أخرج رأسه من الخزانة، ومعه يد مقطوعة، وعلى اليد مكتوب: هذه يد أبي علي بن مقلة، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم، وهذه اليد هي التي وقّعت بقطع هذا الرأس. انظر: الفخري: 274، وتجارب الأمم:

(2) أبو عمر القاضي، هو: محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي (243- 320هـ) وُلد بالبصرة، وكان ثقة فاضلاً غزير العقل، والحلم والذكاء، تولى القضاء في مدينة المنصور، وتقلد منصف قاضي القضاة سنة317هـ.انظر: المنتظم: 246/6.

(3) في كلتا النسختين: [أبو الحسين] والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(4) هو: أبو الحسن: علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي (301- 354هـ) تقلد القضاء في الأنبار وهيت مرتين، وقضاء الكوفة .انظر أخباره في المنتظم: 30/7 .

(5) في كلتا النسختين: [عبد الله] والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة، ومن الفخري، وتجارب الأمم.

(6) في كلتا النسختين: [عندي] والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة، وجده هو: أبو جعفر بن البهلول: أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري(231- 318هـ) ولي القضاء في مدينة المنصور عشرين سنة، كان عظيم القدر، واسع الأدب، يروى الأخبار والسير والتفسير، وكان شاعراً وخطيباً. انظر ترجمته وأخباره في معجم الأدباء: 188/1، والمنتظم: 231/6، وسير أعلام النبلاء: 497/14 .

(7) ليست في نشوار المحاضرة.

(8) ليست في نشوار المحاضرة.

(9) عبارة النشوار: [فكيف أعمل؟ يحتال لي القاضي ذلك!].

في مذهب مالك، الحجر على الرِّجال إذا بان سفههم في الأموال، وإنْ عُنيَ بك أبو عمر جعل استدانتك عن غير حاجة كانت بك إليها، وإنَّما بذَّرتَ المال [تبذيراً][1]، وهذا دليل على سفهك، ونحتاج في ذلك إلى شهادة من يُعرِّف حالك، فيثبُت عنده السَفهُ، فيحتجز عليك، ويمنعك من التصرُّف في مالك، ويدخل فيه أيدي أمنائه، ويحول بينك وبينه. وإذا أثبت عنده ما للغرماء من الدَّين، أمر أمناءه أنْ يصرفوا الغلاَّت إليهم، قضاءً للدين وتبقى عليك الأصول. فطرح نفسَه على أبي عمر، ففعل ذلك معه، وظهر وحسنتْ حاله، وجرى من أمره مع الغرماء كما يجب.

214. حيلة محمَّد بن منصور قاضي الأهواز:[2]

وذلك أنَّه كان بينه وبين [فرج الرُخَّجيّ][3] عداوة، وكان القاضي يسترها والرُخَّجيّ يظهرها، وكلٌّ واحد يطلب هلاك صاحبه، فورد كتاب المتوكل على الرُخَّجيّ، يأمره بأمرٍ في معنى الخراج، وأنْ يحضر هو والقاضي ولا يتفرد عنه. وكان القاضي عند المتوكل أعلى منزلة، وورد الكتاب مع خادم كبير، فأنفذ الرُخَّجيّ إلى القاضي، فأعلمه الخبر، وقال: تصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال كتاب أمير المؤمنين، قال القاضي: بل تصير أنتَ إلى الجامع لنجتمع فيه، وتردَّد بينهما الكلام، فقال الرُخَّجيّ للخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين، أخبره

---

(1) ليست في النشوار، وعبارة النشوار: [وتخرَّقتْ في النفقة].

(2) القصة في نشوار المحاضرة: 12/2، ونقلها عنه أبو الحسن الصابئ في الهفوات النادرة: 151، وكذلك فعل ابن الجوزي في المنتظم: 192/11 .

(3) هذا وهم من المؤلف، فهذه القصة إنَّما وقعت لعمر بن فرج الرُخَّجي وليست لأبيه، فالأب إنَّما تولى الأعمال في زمن الرشيد والمأمون، وكان عمر بن فرج الرُخَّجي وأبوه من شرار الخلق الذين لم تحمد لهم سيرة، وقد تكفلوا بمطاردة آل طالب وقتلهم وحبسهم وتعذيبهم، وخانوا في الأموال، وضيَّقوا على النَّاس، وأخبارهم في هذا مشهورة، ونسبتهم إلى رُخَّجُ، مدينة في نواحي كابل (معجم البلدان: 38/3)، وكان هو وأبوه من كبار العمال في الدولة العباسية، وقد اعتقله المتوكل، وصادر أمواله، وحبسه وعذبه،كما فُعل بأبيه من قبل، ومات في بغداد. انظر أخباره في الطبري: 182/9، وابن الأثير: 126/7، والمنتظم: 191/11، ومروج الذهب: 3/ 403، ومقاتل الطالبيين: 599.

أنَّ القاضي تأخر عن الأمر، ويُريد إذهاب المال، فبلغ الخبر القاضي، فَرَكِبَ إلى الديوان ومعه شهود، فدخله والرُخَّجيّ فيه في دَست،[1] وكُتَّابه بين يديه، فلمَّا بَصُروا به، قاموا إلا الرُخَّجيّ، فعدل إلى موضع في الديوان، فجلس في آخر البساط، بعد أنْ طواه وجلس على البارية[2] وأحَفَّ به شهوده، وجاء الخادم، فجلس عند القاضي، وأوقفه على الكتاب، ولم يزالا يتخاطبان وبينهما مسافة حتَّى فرغوا من الأمر.

فلمَّا فرغوا، قال الرُخَّجيّ للقاضي: يا أبا جعفر، ما هذه [الجبريَّة؟][3] لا تزال تتولَّع أو تتحكَّك بمنافرتي ومضاهاتي، وتقدر أنَّك عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه- مثلي ومحلَّك مساوٍ محلي. وأسرف في هذا الجنس من القول، وحَمِي في الخطاب، والقاضي ساكتٌ. إلى أن قال في جملة كلامه: والخليفة - أعز الله أنصاره- لا يَضرب على يدي في أمواله التي فيها قيام دولته، وقد أخَذْتُ من ماله، ألف ألف دينار، وألف ألف دينار، وألف ألف دينار، وما سألني عنها، وإنَّما إليك أوْكَل أمر من تُحلِّف مُنْكِراً على حق، ويفرض لامرأة على زوجها، أو تحبس ممتنعاً من أداء حقٍّ، وأخذ يُعدّد هذا وشبهه.

ولمَّا قال الرُخَّجيّ ألف ألف، وكرر العدد، جعل القاضي يَعدُّ بأصابعه، وقد كشفها ليراها الناس.

فلمَّا سكت الرُخَّجيّ عن القول، نادى القاضي: يا فلان الوكيل.

قال: لبيك أيُّها القاضي.

قال: سَمِعْتَ ما جرى؟

قال: نعم.

قال وأشار بيده: إلى الرُخَّجيّ في المطالبة بهذا المال.

فقال الوكيل: إن رأي القاضي أنْ يحكم بالمال للمسلمين.

والرُخَّجيّ مُمْسِكٌ، والناس حضور وعلى طبقاتهم لا يدرون ما يريد يفعل.

---

(1) جمع دُسُوت، كلمة معرَّبة، تطلق على صدر المجلس، ومنصب الوزارة، وكرسي الحكم.

(2) البارية: الحصيرة المصنوعة من القصب.

(3) في كلتا النسختين: [الحيرة]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة، والجبريَّة: أي الكبرياء.

وأخذ القاضي دواة وورقة، وكتب بخطّه في الورقة ذلك المال، ورمي بها إلى الشهود، وقال: اشهدوا عليّ بإنفاذ الحكم بما في هذا الكتاب، وإلزامي هذا فلان ابن فلان، وأومأ إلى الرُخَّجيّ بما أقرّ به من المال المذكور، ومبلغه في هذا الكتاب للمسلمين. وكتبوا خطوطهم بذلك وختموها، وأخذها القاضي، وجعلها في كمّه ونهض، فأخذ الرُخَّجيّ يهزأ بالقاضي، ويظهر التهاون بفعله ذلك.

وقال له: يا أبا جعفر بالغتَ في عقوبتي، وقتلتني، فقال له القاضي: أي والله[1]. فما سُمع منه كلمة غيرها، [ومضى إلى المتوكل، وسلّم الشهادة إليه، فأنفذ في ساعته][2]، ووكِل بالرُخَّجيّ لأجل المال، وكان هذا سببُ هلاكه[3].

215. حيلة أبي عمر القاضي:[4]

حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عبدالواحد الهاشمي، قال: ركبتُ مع القاضي أبي عمر في يوم الموكب في طيّارة[5] إلى دار المقتدر.

فصعد هو وابنه[6]، وجلست أنا والجماعة في الطيّارة ننتظر رجوعه. فرأيتُ جماعة من الخدم، وقد وقفوا يشتمونه بأقبح لفظ، ويقولون: يا ظالم، يا مرتشي، وهو مُطْرِقٌ إلى الأرض يمشي إلى أنْ دخل الدار. فهالني إقدامهم عليه، فلمّا عاد خاطبه الخدم بما قالوه في الأول، فعلمتُ أنه ما شكاهم ولا قال في حقهم شيئاً،

---

(1) عبارة النشوار: [وقال له لما أرد القيام، طانزاً: يا أباجعفر، بالغت في عقوبتي،...].

(2) سقطت من (ت).

(3) القصة في نشوار المحاضرة تتمة، وزيادة تفصيل في عقوبة الرُخَّجيّ، وما جرى له.

(4) القصة في نشوار المحاضرة: 83/2، وأبو عمر القاضي نقدمت ترجمته، وأبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي، أحد الأشخاص الذين ينقل عنهم القاضي التنوخي كثيراً من الأخبار والقصص في كتابيه: نشوار المحاضرة، والفرج بعد الشدّة، وكان الهاشمي قاضياً بالبصرة، ثم عُزل سنة 356هـ.

(5) نوع من القوارب السريعة، وقد انتشرت في بغداد في ذلك العصر.

(6) ابنه، هو: أبو الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي القاضي(291- 328هـ) ناب عن أبيه في القضاء وهو ابن عشرين سنة، وتوفي أبوه وهو على القضاء، وكان حافظاً وفقيهاً، مع جودة القريحة، وقوة الفهم، وبرز في القضاء، وأصبح في آخر حياته قاضي القضاة. انظر ترجمته في المنتظم: 307/6.

ثم نزل إلى الطيَّارة ومشى إلى بيته ولم نجسر أن نقول له شيئاً.

فدخلتُ عليه بالعشاء، وبين يديه تخوت ثياب، [وطبلات كافور، وقرم عُود، وهميان[1] فيه خمسماية دينار، وتحف وهدايا مثلها، فجمع الجميع ونفذه إلى الخادم المقدم على أولئك الخدم][2].

فلمَّا كان من الغد، ركِبَ على عادته، ودخل إلى المقتدر، وإذا بأولئك الخدم ومعهم أمثالهم، قد وقفوا سماطين يقولون: يا عفيف، يا نظيف، يا أمين، يا مأمون، يا ثقة يا جمال الإسلام، يا تأريخ القضاء، وخدموه بأحسن خدمة، وهو ساكت على رسمه، وكذلك عند خروجه إلى أن نزل الطيَّارة، فتحيَّرتُ، مِمَّا رأيتُ وبقيتُ حائراً. فقال القاضي: كأنك تقول: القاضي يُبَرطل[3] ويهدي، ويعطي مصانعه على موضعه؟ فقلت: هو ذلك بعينه.

فقال: هذا الخادم له خلواتٌ مع الخليفة لا يقدر أحدٌ من العالم عليها، وصاحب سرّه، وهو رأس هؤلاء الخدم، وسألني أنْ أحكم لشخص بما لا يجوز، ولم أفعل، ولا شك أنَّه قد أخذ منه شيئاً، أو وعده، فلمَّا لم أحكم له [أساء][4] على فوات ما وعده الرَّجل، فلمَّا فعل، نفذتُ له أكثر مِمَّا كان قد ضمنه له، فطاب قلبه، وكان ما رأيت[5].

216. حيلة أخرى له:[6]

وذلك لمَّا جرى له مع الخادم ما جرى، [أحضر رجلاً غريباً كان يخدمه][7]، وقال له: امْضِ وتوصَّل إلى فلان الخادم، وابكِ بين يديه بكاءً شديداً، وقل له:

---

(1) الهميان: حزام من جلد أو نحوه، يُشدُّ على وسط الجسد، تحفظ فيه النقود.

(2) يتصرف المؤلف في سرد القصة، وقد يزيد في بعض الأوصاف والعبارات، التي ليست في نشوار المحاضرة.

(3) أي: يقدم رشوة، ويخالف النظام.

(4) سقطت من (ت).

(5) اختصر المؤلف كثيراً من تفصيلات القصة وحواراتها.

(6) القصة في نشوار المحاضرة: 87/2 .

(7) في نشوار المحاضرة: [أحضر حضرياً كان يخدمه]..

إنَّ أخي قد مات، وخلَّف مالاً وطفلاً، [ولم يوصِ][1]. وإنَّ القاضي قد ردَّ ذلك إلى بعض [أسبابه][2]، وفي هذا ذهاب جاهي، وإنْ كان قد فعل الحق في ذلك، فالله، الله [فيَّ][3] تسأله أنْ يرد إليَّ المال والطفل، واحرص على ذلك، [وأعطه هذه المائة دينار- وناوله مائة دينار من ماله- وقل له: إذا فعلتَ ذلك، أعطيتك مائة أخرى، ولا تقنع منه بدون أنْ يركب إليَّ ويسألني][4].

ففعل الرَّجل ذلك، فقال له: ويْلك قد عاملتَ القاضي بكلٍّ قبيح، فكيف أسأله حاجة؟ فلم يزل الرَّجل يرفق به إلى أن ركِبَ، وجاء معه إلى أبي عمر القاضي، فسأله في أمر الرَّجل، وهو لا يشك أنَّها حاجة، فَرَفق به القاضي أبو عمر [وداراه، فزال كلُّ ما في نفسه، وقضى له الحاجة، ووقَّع له بما أراد، وسلَّم إلى الرَّجل التوقيع بحضرة الخادم، فشكره، وشكر للخادم وانصرف][5]، وأخذ أبو عمر التوقيع ومزَّقه، ودفع مائة دينار، وقال: تمضي بها إلى الخادم، فصار الخادم [يعيد القاضي عيادة ثانية][6]، واستقامت الحال بينهما.

217. حيلة وكيل القاضي:[7]

حدَّثني أبو طالب الحسن بن محمد بن الحسين الجوهري، قال: حدثني الحُصري الوكيل، قال: كنت يوماً جالساً في بيتي، وأريد آكل مع جماعة في دعوتي، فقال لي غلام: بالباب امرأة تطلبك. فخرجتُ إليها، فقالتْ: أنا فلانة بنت فلان، وأريد التزويج برجلٍ قد اخترته لنفسي، وإخوتي يمنعوني، فقلت لها: ومن الرجل؟ فقالتْ: هذا، وأشارت إلى نجَّار في جوارهم فقير، إلا أنه حسن

---

(1) زيادة في نشوار المحاضرة.

(2) في كلتا النسختين: [أمنائه]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(3) زيادة في نشوار المحاضرة.

(4) عبارة المؤلف هنا مضطربة، فاستعنا بنشوار المحاضرة لتنسيقها.

(5) سقطت من (ب).

(6) هكذا في كلتا النسختين، وعبارة نشوار المحاضرة، هكذا: [وصار الخادم صديقاً له، وأخذ مرفق أبي عمر، وهو لا يدري بذلك، واستقامت الحال].

(7) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة.

الوجه، ولا شك أنها قد هويته. فقلت لها: ماتريدين؟ قالتْ: أريد تزويجي به، فقلتُ لها: غيِّري حاله، وألبسيه ثياباً فاخرة على زي التجَّار وأحضريه، ففعلتْ ذلك به. وأخرج الوكيل من عنده ذهباً وجوهراً وفُصُوصاً وحَبّاً، وشدَّ الكلَّ في منديل، وجعل الكلَّ في كمِّه، وقال له: إذا حضرتَ بحضرة القاضي وذكرَ فَقرك، فقل له أنت: كيف يكون فقيراً من هذا ماله، وأخرجه بين يدي القاضي وابسطه ليراه. ثمَّ إنَّه أخذه والمرأة، ومضى معهما، وكان القاضي أبو خازم[1]، وكان أولياء المرأة قد وكلُّوا وكيلاً في منعها من الزواج. فلمَّا تقدم ابن صالح والرَّجل معه والمرأة تقدم وكيل إخوتها، وقال: ليس بكفو، وهو فقير ما له شيء، فأخرج الدنانير والجوهر فصبَّه بحضرة القاضي، قال له القاضي: هذا لك؟ قال: نعم، وأضعافه. فأمر بتزويجها، فما برحوا من المجلس حتَّى عقدوا نكاحها وكتبتْ كتابها، وارتجع الوكيل ماله، وأخذ منهم خمسة دنانير، وأخذ الرَّجل المرأة وذهبا.

218. حيلة لأبي شبل الوكيل، يحكيها أيضاً القاضي التَّنوخي:[2]

أنَّه رأى عند أبي الحسن أحمد بن عمر الطالقاني،كاتب الوزير بواسط[3] رجلاً كهلاً، يُكنَّى بأبي الحسين، ويُعرف بابن أبي شبل، أخبرني أبو الحسين أنَّه من أشد النَّاس حيلة، وتزويراً على الخطوط، وتدقيقاً في الحِيل في غير ذلك.

وسألته أنْ يُخبرني بشيءٍ من حِيَله، فامتنع طويلاً، وحاد عن ذلك حتَّى

(1) القاضي أبو خازم، هو: عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد المجيد السكوني القاضي، ولي قضاء الشام، ثم أصبح قاضي القضاة في الكوفة وبغداد، اشتهر بالورع والعدل، شديد التأني في الأحكام، وكان إليه ترشيح القضاة في أيام المعتضد، تُوفي سنة292هـ، انظر أخباره في تاريخ بغداد: 338/12، وتاريخ دمشق: 78/34، وشذرات الذهب: 387/3، وتهذيب الكامل59/11، ولم نعثر لأدنى ذكر لهذه القصة، في أكثر المصادر التي أوردت ترجمته.

(2) لم نعثر على هذه القصة في أيٍّ من كتب القاضي التنوخي التي وصلتنا.

(3) واسط مدينة قديمة في العراق، بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، وسُميت واسط؛ لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. انظر: معجم البلدان: 5 /347.

أقسمتُ عليه، فأخبرني أنَّه يَكتب بمداد يعمله من أدوية يرفعها، فيَعْلق الخط، فإذا أخذ خطوطاً بمداد صحيح، أو حبر قلع ذلك المداد الأول بدواء يَعْرفه، فينقلع كلُّه حتَّى لا يبقى له أثر البتَّة، ثُمَّ يكتب صدر ما يريده من المُحالات وتبقى شهادات العدول بعينها، وأخذ بهذه الحيلة مالاً عظيماً.

فقلتُ له: أخبرني بشيء مما تمَّ لك من الحِيل، فأبى. فقال له أبو الحسن الطالقاني: أخبره بحديثك مع امرأة تكين[1]، فامتنع طويلاً، فحلَّفه. فقال: كنت أنزل ببغداد في حجرتين متلاصقتين بأجرة، وكان يسكن جواري رجلٌ كنتُ أعرفه قديماً بنعمة وحال حسن، فما زال يُتلف ماله حتَّى افتقر، وصار يبيع الكتب بأجر، فكنتُ أرقّ له وأعاونه بما يُمكنني، فأجمع الجيران على تحويله، فأخذته إلى إحدى الحجرتين.

فلمَّا كان بعد أيَّام، قلتُ له: إذا ورد إليك كتاب فأقرئنيه، فإنِّي أفيدك بذلك فوائد كثيرة، فكان يُقرئني الكُتب، فأعرف منها الأخبار والفوائد. فورد يوماً كتاب من رجلٌ بالموصل إلى أهله في بغداد، فقرأته، فإذا فيه علامات بينه وبين زوجته، وذكر مالاً له عندهم وحُليّاً وجواهر وسلاحاً وأثاثاً، ورجلٌ عظيم، يقول لهم: سلموا الكلَّ إلى فلان ابن فلان التَّاجر، وسماه بالموصل، فهو يتسلم ذلك منكم، ويحمله إليّ، وإنِّي محتاج إليه، فإذا جاءكم بالكتاب، فسلموا الكلَّ إليه، ومع الكتاب كتاب إلى التاجر.

فأخذتُ الكتابين، وقلتُ للمكتبي: إذا أعطيتك مائة دينار تخرج من بغداد إلى حيث شئتُ، وموضع لا تعرف؟ قال: نعم. قلتُ: أعطني هذين الكتابين، فأخذتهما منه. وقلت: هل تعرف الرَّجل؟ فقال: هذا كتاب تكين أحد القواد المقدمين عند مُعز الدَّولة[2] وناصر الدَّولة[3]، وكتبه دائماً تجيئني فأوصلها إلى

(1) هو: تكين الشيرزادي، أحد القواد المشهورين في الدَّولة البويهية، حارب ضد ناصر الدَّولة، الذي هزمه، وقبض عليه وسمل عينيه، وسجنه في إحدى القلاع، ثم أطلقه معز الدَّولة سنة335هـ. انظر تجارب الأمم: 288/5.

(2) معز الدَّولة هو: أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي، مؤسس الدولة البويهية، وقد تقدمت ترجمته.

(3) ناصر الدَّولة هو: أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء، أحد حكام الدولة الحمدانية، حكم الموصل، وكان بينه وبين البويهيين معارك، تُوفي سنة 358هـ.

عياله، وإنما أخفي اسمه احتياطاً، لئلا يَعْرف خبره بعض من يسعى به إلى عز الدَّولة[1]، فيلحق عياله مكروه.

فغيَّرتُ الكتاب الأول بخط يشبه الخط، وجعلتُ بدل اسم التاجر الَّذي بالموصل اسم رجلٍ كان بها صديق لي. وقلتُ: احمله إلى بيته، وخذ جوابه، فمضى فأوصله إليهم، وجاء بالجواب، يقولون فيه: إذا وصل الرَّجل إليهم سلموا إليه كلَّ ما ذكرتُ. فخلَّيتهم أيَّاماً، ثُمَّ مضيتُ إليهم، وسلَّمتُ إليهم الكتاب الثاني، وقد غَيَّرتُه أيضاً، وجعلته باسمه، فلمَّا قرأوه أذعنوا له بالسمع والطاعة، وأخرجوا إليه كلَّ ما ذكره في الكتاب، ولم يمكنهم وزنه في الصيارف خوفاً على أنفسهم وأنَّهم على سبيل الاستتار، فوزنا بميزان الخبز تسعة عشر رطلاً ذهباً، وسلموا إليَّ من المراكب الذَّهب والفضَّة شيئاً قيمته كثير خمسة آلاف دينار، وأما الجواهر والقماش والسلاح، قلت لهم: آخذها بالليل حتَّى لا يُعرف عليها، فأخذتُ الذَّهب والمراكب والجوهر، ومضيتُ وأنا أعيش فيه إلى الآن، ولا أعلم ما حدث بعدي.

219. حيلة بعض القضاة:

حضرتْ امرأةٌ إلى بعض القضاة، ومعها غلامٌ حسن الثياب إلا أنَّ عليه أطماراً رَثَّة وبَزة خَلِقة، والنعمة تلوح من وجهه، وهو فصيحٌ أديب، والمرأة في غاية الحُسْن والجمال، وعليها أثوابٌ فاخرة، وهي تطلب طلاقه، وألقتْ بين يدي القاضي كتابها[2]. فأخذه القاضي وقرأه، وفيه مبلغ من المال، فقال القاضي للغلام: هذا الكتاب عليك، قال: نعم يا مولاي، وهذه بنت عمي كلحمي ودمي، ولَّما تزوجتها كنتُ أُخرج زكاة مالي في مقدار كتابها، فلمَّا افتقرتُ كرهتني، وطلبتْ طلاقي، وما معي شيءٌ أعطيها. فقال لها: تسمعي قوله. فقالت: أنا أُخيِّره في ثلاثة أسباب: يطلقني وأبريه من كلِّ ما أستحقه عليه، أو

---

(1) عز الدَّولة هو: أبو منصور بختيار بن معز الدَّولة، أحد سلاطين الدولة البويهية (331-367هـ) قُتل على يد ابن عمه عضد الدولة.

(2) أي: عقد النكاح.

يؤدي لي ما في كتابي، أو يحدد الحبس. قال الغلام: أما الطلاق فما أسمح به، وأما ذَهَبٌ فما معي أعطيتها؛ لأنَّ لو كان معي شيء ما طلبت الطلاق، فقالت: يا مولاي، أسلك الواجب. فقال القاضي لبعض الغلمان: خذ بيده إلى الحبس، فلمَّا أخذ الغلام بيد الشاب بدرت دموعه وتجيَّش.

فلمَّا نظره القاضي علم ما وراء ذلك، فرحمه ورقّ له، وقال يا غلام ما لك أحدٌ من القرابة أبداً؟ وكان القاضي غمزه، يقول: لا والله، قال: لا والله. قال: فما يجوز حبسُك، وتبقى هي مستمرة، وهي كارهة لك، أتسأل عدالتها حتى تحتال لها في كتابها؟ قال: نعم. فقال لها القاضي: أعلمي كما طلبت حقك، هو قد طلب حقه وتكونين في دار العدالة محبوسة إلى أن يتحمل مالك. فقالت: من أين يعطيني؟! ذا فلساً واحداً ما له مال ولا دار ولا سقف ولا عقار ولا، قطّ إلا الثياب التي عليه، ولي أسبوع أطعمه من عندي. فقال لها القاضي: أنت خصمه وقد شهدت عليه بالفقر، حبسه حرام. ثُمَّ كتب معه رقعة إلى كل قاهر بين يديه: إنَّ خصمه قد فلّسه، فلا يجوز حبسه، فأخذ الورقة ومضى، فقال أهل المجلس: القاضي لا يظلم، ولكن إذا غيّر نفع، فضربت مثلاً بين الناس.

220. حيلة إياس بن معاوية القاضي من كتاب المدائني(1)

قال: أتى وكيع(2) يشهد عند إياس بن معاوية القاضي بشهادة، فقال له: ما لك والشهادة! إنما يَشْهد الموالي والتجار والسُّوقة. قال: صدقت، فانصرف. فقيل لوكيع خدَعَك؛ لأنَّه لا يقبل شهادتك، وردَّك بحيلة، قال: لو علمتُ [لضربته بقضيبي هذا](3).

---

(1) تقدَّمت ترجمة أبي الحسن المدائني، والكتاب المقصود: المكائد والحيل، وهو من الكُتب المفقودة، والقصة في: أخبار القضاة: 343/1، وفي نثر الدر: 311/2، وفي العقد الفريد: 82/1 .

(2) هو: أبو مطرِّف وكيع بن حسَّان بن قيس بن أبي سُود، التميمي، كان سيد تميم في خراسان، وقد خرج على قتيبة بن مسلم وقتله، ثم وليها لأشهر، فعزله سليمان بن عبد الملك، وقلدها يزيد بن المهلب. انظر أخباره في الكامل: 298/4، والطبري: 6/ 512. وإياس بن معاوية أحد قضاة البصرة المشهورين، بالدهاء والحيلة، وقد تقدمت ترجمته.

(3) رواية المصادر التي ذكرت القصة هكذا: [لو علمت لعلوته بالقضيب].

221. حيلة لقاض:[1]

وذلك أنَّ شخصاً عشق جارية لجار له، فجُنَّتْ به وجُنَّ بها، وشكا إليها ما يلقاه، وقال: أشكو حالي إلى الله، لا حيلة لي، قالت: بل اذهب إلى ابن بُرْدة القاضي[2] فعنده حيلة. فأتى إليه، وكان القاضي يحكم بأنْ لو أنَّ رجلاً أعتق مملوك غيره، أو أَمَته صح العتق وأُلزم بالثمن. فأتى إليه، وأحضر الجارية معه، وقال: هذه جارية فلان وأُحبها وتُحبني، ولم أحبّ الفاحشة، فانظر في أمرنا، فليس لنا حيلة.

فقال القاضي: أُشْهد الجماعة أنَّك قد أعتقها، فقال: أشهدوا عليّ أنّي اعتقتُ فلانة جارية فلان، وهي حُرَّة، فألقت الجارية ملحفتها عن رأسها، وجلستْ إلى جانبه، فأتى مواليها ونازعوه فيها، فحكم القاضي بعتقها، وألزمه بثمنها، فقال: ما أملك حبَّة[3]. فقالوا: احبسه. فقال: إذا حبسته أخاف أنْ يعتق كل مملوك وجارية في المدينة، فأيسوا منه، وذهبت الجارية معه.

222. حيلة يحيى بن أكثم:[4]

حُكى عن يحيى بن أكثم، أنَّه كان في موكبه صبي مليح، فاشتهى أنْ يتشبع من النظر إليه، وخاف من أصحابه أن يُنكروا عليه، فنزل عن بِرْذَونه[5]،

---

(2) القصة مع بعض الاختلاف، في: نثر الدّر للأبي: 312/2

(3) ابن بردة القاضي، هو: أبو بُرْدة بن أبي موسى: عامر بن عبد الله بن قيس، ولاه الحجاج القضاء في البصرة، تُوفي سنة 104هـ، ترجمته في أخبار القضاة: 406/2.

(4) الحبَّة: جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من الدرهم.

(5) هو: أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد التميمي، من أولاد أكثم بن صيفي حكيم العرب، أحد الأعلام المشهورين بالحكمة والسياسة، وكان فقيهاً عالماً بالأحكام، من أصحاب الشافعي، متفنن بالأدب، أخذ منزلة عظيمة عند المأمون، وأعجب به وبعلمه، قدم يحيى بن أكثم إلى البصرة سنة 202هـ، وقلده المأمون القضاء فيها وهو في العشرين من عمره، وامتد به العمر إلى زمن المتوكل، تُوفي سنة243هـ.

(6) البرذون، جمع: بَرَاذين: حيوان أكبر من الحمار ودون الخيل، من الفصيلة الخيلية، يُطلق على غير العربي من الخيل والبغال، ويُقال: إنها الخيل التركية.

وقال لغلامه: قبَّحك شُدَّ الحزام شدّاً وثيقاً، فقد كِدْتُ أنْ أقع، ووقف، فنظر إلى الغلام حتّى شبع منه[1].

223 . حيلة لإياس بن معاوية: [2]

اختصم إليه رجلان في مُطْرَف خزٍّ، وكِسَاء رُوميٍّ، فادَّعى كلٌّ واحد منهما أنَّ المُطْرف له، والكساء الروميَّ لصاحبه، فاستدعى إياسٌ بماءٍ ومشط، فبلَّ رأسَ كلٍّ واحد وسرَّحه، فخرج من رأس أحدهما عَفنُ المُطْرف، ومن رأس الآخر عَفنُ الكِساء، فأعطى كلَّ واحد منهما ماله.

224 . حيلة لأبي خازم القاضي: [3]

جاء إليه [رجلٌ][4]، وقال له: إنَّ الشيطان، يقول: طلقتَ زوجتك، فيشككني، فقال له أبو خازم: يا سبحان الله ما طلقتها عندي أمس؟ قال

---

(1) هذه القصة التي أوردها المؤلف من الشائعات التي ألحقها النّاس بالقاضي يحيى بن أكثم، ولا سيما شيعة أهل البصرة حين ضيَّق عليهم في قبول الشهادة؛ ولأنه كثير المزاح والطرائف في مجلسه، وحين ذُكرتْ عند الإمام أحمد بن حنبل مثل هذه الشائعات، أنكرها إنكاراً شديداً، انظر أخباره، ونفي هذه الشائعات عنه في كتاب أخبار القضاة: 160/2، وفي: تاريخ بغداد: 282/16، ووفيات الأعيان: 147/6.

(2) القصة في أخبار القضاة،: 338/1 برواية مختلفة، إسنادها، هكذا: [أخبرني عبد الله بن الحسن عن النُّميري، عن محمد بن حاتم عن إبراهيم بن مرزوق؛ قال: جاء رجلان إلى إياس بن معاوية يختصمان في قطيفتين، وهو قاضٍ، إحداهما حمراء، والأخرى خضراء؛ فقال أحدهما: دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتي، وجاء هذا، فوضع قطيفته بجنب قطيفتي، ثم دخل فاغتسل فخرج قبلُ، فأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجتُ فاتبعته فزعم أنها قطيفته، فقال: لك بيِّنة؟ فقال: لا. فقال: إئتوني بمشط، فأتى بمشط فسرح رأس هذا، ورأس هذا، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر، وخرج من رأس الآخر صوف أخضر، فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه صوف أحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه صوف أخضر].

(3) القصة في أخبار الأذكياء: 102، أكثر متانة وصياغة، والقاضي أبو خازم تقدَّمت ترجمته.

(4) أثبتناها؛ لأن السياق يتطلبها.

الرَّجل: لا والله الَّذي لا إله إلا هو، فقال له: احلف بهذا اليمين للشيطان، وقد خلُصتَ منه.

225. حيلة لبعض الوكلاء:[1]

حُكِي أنَّ شوَّاكاً كان معه حِمْل شوك، وهو مارٌّ في السُّوق، فعَلِق بإزار امرأة فشقَّه، وكان الإزار مُثمَّناً، فلزمته، وترافعا إلى القاضي، وكان له قرابة وكيل بين يدي القاضي، فقال له: إذا ادَّعتْ عليك تخارس. فلمَّا ادعتْ عليه المرأة، أظهر أنَّه أخرس، فقال له القاضي: هذا أخرس ما يجب عليه الحكم، فقالتْ: وحياة رأسك ما هو أخرس الساعة، والحِمْل معه، كان يقول: الطريق الطريق. فقال القاضي: إن كان ما قلتِ حقاً، فما يجب عليه شيءٌ، لأنَّه قد حذَّر، وإن كان أخرس، فقد سقط عنه الحدُّ، فمضتْ، ولم تحصل منه شيئاً.

226. حيلة القاضي ابن الدَّامَغانيُّ:[2]

كان قد قتل بعضُ أولاد الأكابر والدَه، ولم يكن له وارثٌ غير الصَّبي وأخُ المقتول، فلزم أخو المقتول لولده، وطلب قتله لأجل المال، فأجاز له الشرع قتله، وعُنِي القاضي بالصَّبي، فلم يشتد بأن يُقتل، فصانع لعمه على بعض المال فلم يفعل، فأعطاه حتَّى ثلاثة أرباع المال، فلم يفعل، ولم يرد إلا القتل، فقال: خذه واقتله.

ثُمَّ استدعى القاضي بشخص من أمنائه، وقال له: اذْهب إلى هذا الصَّبي، فإذا أراد عمه قتله، فقل: لم يقتل هذا أباه، وإنَّما أنا قتلته، وكان قد أوصى

---

(1) القصة مع بعض الاختلاف، في: نثر الدّر للآبي: 321/2.

(2) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، والدَّامغانيُّ، لقب يُطلق على مجموعة من القضاة، الجدّ، وابنه والحفيد، ونظن المقصود بالقصة، هو: قاضي القضاة: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الدَّامَغانيُّ الحنفيّ،(398-478)، كان تقياً ورعاً مهيباً، صاحب علم وفضل، وكان من الشهود العدول عند القاضي ابن ماكولا، وتولى منصب القضاء بعده في بغداد سنة 447هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 183/4، وسير أعلام النبلاء: 484/18.

الصَّبي أيضاً أنْ: إذا قال الرَّجل هذا القول، تقول أنتَ في حلٍّ من دم أبي صدقة عن السُّلطان. فلمَّا أتى الشخص إلى عند الصَّبي، وقد كتَّفه عمه ليقتله، قال: ما قتل هذا أباه، أنا قتلته، فلزمه الناس، وخلَّوا الصَّبي، وقالوا له: قم اقتل قاتل أبيك، فقال هو في حلٍّ من دم أبي صدقة عن السُّلطان، وأطلق سبيله، وخلص الصَّبي وأخذ المال، ولم يظفر عمه بشيءٍ غير الخيبة.

الباب التاسع
في حيل الفقهاء

227 . حيلة أبي حنيفة:[1]

يُحْكى عنه أنَّه دخل اللصوص على رجل، فأخذوا ماله وأرادوا قتله، [فحلف][2] لهم بالطلاق ثلاث ثبات أنَّه لا يُعلمُ أحداً بهم. فلمَّا أصبح الرَّجل، رأى اللصوص يبيعون قماشه، ولا يقدر يتكلم لأجل يمينه، [فأتى إلى أبي حنيفة، وقصَّ عليه قصته][3]، فقال له: اجمع جيرانك [البريء والسقيم، وأدخلهم بيتاً، وأوصِ رجلاً يُخرجهم واحداً واحداً][4]، ويقول: هذا لصُّك، الذي هو بريء، قل: لا، والذي هو لِصُّك اسكت، واعلمه قبل ذلك سكوتك عن اللصِّ إقراراً عليه، ففعل الرَّجل ذلك، وخلص ماله، وما حنث في يمينه.

---

(1) صياغة المؤلف للقصة فيها ركاكة واضطراب، والقصة مع بعض الاختلاف في أخبار الأذكياء: 107، وهي فيه أكثر متانة، وأجود صياغة، وأبو حنيفة، هو: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وهو النعمان بن ثابت التيميُّ (80-150هـ) كان عالماً عاملاً، زاهداً، إمام أصحاب الرأي والاجتهاد، وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك، وسمع من جمع من التابعين. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 444/15، ووفيات الأعيان: 405/5.

(2) في أخبار الأذكياء: [فحلَّفوه بالطلاق ثلاثاً ألاَّ يُعلم بهم أحداً].

(3) سقطت من (ب).

(4) في أخبار الأذكياء: [فقال له أبو حنيفة: أحضرني إمام حيِّك والمؤذن والمستورين منهم؛ فأحضره إياهم، فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم. قال: فاجمعوا كلَّ ذي فُجْر عندكم، وكلَّ متهم فادخلوهم في دار أو في مسجد، ثمَّ أخرجوا واحداً واحداً، فقالوا: هذا بلصِّك؟ فإذا كان ليس بلصِّه قال، وإن كان لِصَّهُ فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ما أمرهم أبو حنيفة، فردَّ الله عليه جميع ما سُرق منه].

228. حيلة أخرى له:[1]

شكا رجلٌ ولده، وقال: إنْ زوَّجتُه امرأة طلَّقها، وإن اشتريتُ له جارية اعتقها، قال أبو حنيفة: اشتر جاريةً لنفسك وزوِّجه بها، فإنْ طلَّقها، رجعتْ إليك، وإن أعتقها، لا يَصُح عتقه، ففعل الرَّجل ذلك.

229. حيلة أخرى له:[2]

حكاها أبو حنيفة، قال: احتجتُ إلى ماءٍ وأنا بالبادية، فأتى أعرابيٌّ ومعه قِرْبَة ماء، فأبى أن يبيعها إلاَّ بخمسة دراهم، فدفعتُ إليه خمسة دراهم وقبضتُ القِرْبة، وقلت له: يا أخا العرب ما رأيك في السَّويق؟ قال: رأيٌ حسنٌ، فأعطيته سَويقاً ملتوتاً بزيت، فجعل يأكل حتَّى امتلأ، ثمَّ بعد ساعة عَطش عطشاً شديداً، فطلب شَرْبَة من الماء، فقلتُ بخمسة دراهم، وكان الماء عنا بعيداً، فلمَّا رأى أنَّه يتلف عطشاً ناولني الخمسة دراهم، وأسقيته شَرْبَة من القِرْبة، وبقي الباقي من القِرْبة عليَّ بلا ثمن.

230. حيلة أخرى له:[3]

كان في جوارِ أبي حنيفة فتى يغشى مجلسه، فقال يوماً لأبي حنيفة: إنِّي أريد التزويج إلى فلانة، وقد غلَّى والدها عليَّ في المهر، وقلبي تعلق بابنته، وأخاف الفضيحة، قال أبو حنيفة: فاستخرِ الله، وأعطه ما يطلب. قال: ما معي شيءٌ، قال: أنا أقرضك، فعاود الفتى القوم، [وضمن لهم ماطلبوا][4]، وأخذ من أبي حنيفة وأعطاهم.

---

(1) انفردت (ت) بهذه القصة، وسقطت من (ب)، وهي في أخبار الأذكياء: 107، وفيها زيادات، وقد اختصرها المؤلف.

(2) القصة في أخبار الأذكياء: 109.

(3) صياغة المؤلف للقصة فيها ركاكة واضطراب، والقصة مع بعض الزيادات في أخبار الأذكياء: 110، وهي فيه أكثر متانة، وأجود صياغة.

(4) في ب: [وأرغبهم].

فلمَّا دخل على زوجته، وبقي شهراً، طالبه أبو حنيفة، قال: ما معي شيء، قال أبو حنيفة: قل لبيت حماك إنِّي أريدُ أنْ أمضي إلى خراسان وأريدُ زوجتي، فإذا سألوني بحكم ذلك، أقول: نعم إنَّه يسافر بها حيث شاء.

فذكر لهم ذلك، فأتوا أبا حنيفة وسألوه، قال: نعم. قالوا له: خذ ما وزنته من المهر، قال ما آخذ إلا ضعفيه، قال أبو حنيفة أيما أحبُّ إليك: تأخذ، أو أقول لها: أن تُقرَّ أن عليها ديناً فلا يمكنك السَّفر بها حتَّى توفي الدَّين عنها، قال الفتى: لا والله، إلا آخذ، وأخذ ما أعطاهم، وأوفى لأبي حنيفة دينه.

231. حيلة أخرى له: (1)

حُكي أنَّ رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج إلى قوم، قالوا: حتَّى نسأل عنك أبا حنيفة، فأتاه وأخبره بخبره، وأوصاه أبو حنيفة، وقال له: إذا دخلتَ عليّ فضع يدك على [رأسك](2)، ففعل الرَّجل ذلك، فقال له أبو حنيفة: تبيعني ما تحت يديك بعشرة آلاف درهم، قال: لا والله، فلمَّا سألوا أبا حنيفة، قال: رأيته اليوم ومعه شيء، وهو له وملكه أعطيته فيه عشرة آلاف درهم ما باعني، وهو بعض ما يملكه، فزوَّجوه، وبلغ غرضه.

232. حيلة ابن عون:(٣)

حدثني ابن المثنى أن ابن عون الفقيه كان في جيش، فخرج رجلٌ من المشركين [فارساً شديداً] فتك في المسلمين، فجنحوا عنه، وطلب البِراز(4)، فخرج

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 110 .

(2) في أخبار الأذكياء: [ذَكَرَكَ].

(3) القصة في أخبار الأذكياء: إسنادها إلى أبي بكر القرشي: حدثني ابن المثنى وابن عون، هو الفقيه والمحدث الورع، والإمام الحافظ، أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان المُزني بالولاء،(96-151)، نشأ في البصرة، ورافق الحسن البصري، وابن سيرين وأخذ عن جمع من التابعين.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 365/6، وتقريب التهذيب: 217/1.

(4) أي: المبارزة في المعركة.

إليه ابنُ عون وهو ملثّم، فقتل المشرك، ثم اندس في النّاس، فجهد السُّلطان أن يعرفه فلم يقدر عليه، فنادى مناديه: أَعْزِمُ على من قتل المشرك بالله إلاّ جاءني؛ فجاءه ابنُ عونٍ وقال: ما عليَّ رجلٍ أن قال: أنا قتلته؟! وتركه ومضى.

233. حيلة لأبي يوسف الفقيه:[1]

من نشوار المحاضرة عن علي بن المُحسِّن التَّنُوخي عن أبيه قال: حدَّثني أبي، قال: كان عند الرشيد جاريةٌ وبحضرته [عقدُ حَبّ][2]، ففُقِدَ العقْد، فاتهمها به فأنكرتْ، فحلف بالعتاق والطلاق والحجّ لتصدُقَنَّه، فأقامتْ على الإنكار، وهو مُتَّهِمٌ لها، وخاف أنْ يكون قد حَنث في يمينه؛ واستدعى أبا يوسف الفقيه، وقصَّ عليه القصة. فقال له أبو يوسف: تُخَلِّيني مع الجارية ومعي خادم حتَّى أخرجك من يمينك؛ ففعل ذلك، [فقال لها أبو يوسف: إذا سألك أمير المؤمنين ثلاثاً متوالياً عن العقد فاعترفي في مرة، وانكري في الثانية واعترفي في الثالثة، وانكري][3].

ثُمَّ خرج، وقال: يا أمير المؤمنين سلها فإنَّها تصدُقك، فدخل الرشيد فسألها، فاعترفتْ، ثمَّ سألها فأنكرت، ثُمَّ سألها فاعترفت، ثُمَّ أنكرت. قال: [أيش تقولين؟][4] قالت: هكذا علَّمَني أبو يوسف، فخرج إليه، فقال له: ما هذا يا أبا يوسف، قال: يا أمير المؤمنين قد خرجتَ من يمينك؛ لأنها أخبرتك بالصحيح، ولا يخلو إمَّا أن تكون أخذته، أو ما أخذته، فقد صدقتْ في الوجهين، وخرجتَ أنت من اليمين، ففرح بذلك، وخلع عليه.

---

(1) لم نعثر على هذه القصة في نشوار المحاضرة، ونظن أن المؤلف قد وهم في النقل، وهي في أخبار الأذكياء: 112 نقلها ابن الجوزي عن التنوخي، ولم يذكر مصدره، وأبو يوسف الفقيه، هو: القاضي: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري(113- 182هـ)، أخذ عن أبي حنيفة ولازمه مدّة، وكان فقيهاً حافظاً، سكن بغداد، وولاه الخليفة الهادي القضاء بها، ثم ولي القضاء لهارون الرشيد، وكان أثيراً عنده، وهو أول من دُعِي قاضي القضاة في الإسلام، قاله البغدادي في تاريخه: 359/16، ووفيات الأعيان: 378/6.

(2) في أخبار الأذكياء: [عقد جوهر].

(3) سقطت من (ت).

(4) في أخبار الأذكياء: [أي شيء تقولين؟].

234. حيلة للشافعي:[1]

من كتاب فرج المُهج[2]، سأله رجلٌ، قال: حلفتُ بالطلاق ثلاثاً إن أكلتُ هذه الثمرة، أو رميتُ بها. قال له الشافعي: تأكلُ نِصْفَها وتَرْمي بالباقي، فلا تكون قد أكلتها ولا رميت بها. [ومثل هذه الحيل كثيرة، وأما ذكرها ليستعان بها على أمور كثيرة][3].

235. فمنها: حيلة رجل: قال لامرأته وهي في ماءٍ:[4]

أنت طالق إن أقمت في هذا الماء، أو خرجت منه. الحيلة فيه: يُنظر إنْ كان الماءُ جارياً [ولا نيَّة له][5] لم تُطلَّق، إن خرجتْ إن أقامت، وإن كان راكداً يُخرجها أحدٌ بقوة وهي كارهة.

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 114، والشافعي، هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العبَّاس الشافعي المُطَّلبيّ القرشيّ(150- 204هـ)، يرجع نسبه إلى المطَّلب بن عبد مناف، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، مؤسس علم الأصول، والمفسر والمحدث، تولى القضاء، وقد عرف بالعدل والذكاء، كما كان فصيحاً شاعراً، أثنى عليه العلماء، حتىٌ قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس». انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 392/2، وتاريخ دمشق: 267/51، ووفيات الأعيان: 163/1 .

(2) تقدَّم الحديث عن هذا الكتاب، وهو من الكتب المفقودة، من تصنيف: أبو الطيب محمد بن إسحاق الوشاء.

(3) نظن أن قول المؤلف هنا مقتبس من كلام ابن الجوزي في كتاب الأذكياء، فقد قال بعد أن ساق قصة الشافعي السابقة: [وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيراً، لا يكاد يتَنبه له في الفتوى إلا الفَطِن، فنذكر منه هنا مسائل؛ لأن ذكر مثل هذا يُنَبِّه الفطِن]، ثمَّ أورد مجموعة منها، وقد نقلها المؤلف عنه دون ذكر المصدر، وهذه النوع من القصص تبدو وكأنها من المسائل الافتراضية التصوّرية يصنعها بعض الفقهاء للمدارسة، أو لمحاولة الإجابة على تساؤلات ذهنيّة، كما فعل مثل ذلك بعض النحاة بتقدير قضايا أو أشياء لا وجود لها في الواقع. لقياس النتائج بناء على الفرضية.

(4) القصة في أخبار الأذكياء: 114.

(5) سقطت من (ب)، وروايتها مضطربة.

236. حيلة رجل حلف بالطلاق وزوجته على سلَّم:[1]

إنْ نزلت أو صعدت أو حطَّك أحدٌ، خلاصها أنْ يُنْصب لها سُلَّماً آخر تعبر إليه، وإنْ تشأ تصعد، وإنْ تشأ تنزل.

237. حيلة رجل قال لزوجته وهو يأكل جوزاً: [2]

أنت طالقٌ إنْ لم تُخبريني بعدد ما أكلتُ، فخُلاصها أن تَعُدَّ من واحد إلى عدد يتحقَّقُ أنَّ ما أكله دخل فيه.

238. حيلة رجل قال لزوجته:[3]

أنت طالقٌ إن لم تُصْدُقيني [هل][4] سرقتِ مني شيئاً أم لا؟ خلاصها أنْ تقول: والله سرقتُ، والله ما سرقتُ، فإنَّها تصدق في أحد الوجهين.

239. حيلة رجل رأى مع زوجته قدحاً فيه ماء قال:[5]

اسقينه؛ فامتنعتْ عليه. قال: أنتِ طالقٌ إنْ شربتِ الماء، أو [بددتيه][6]، أو تركتيه في الإناء، ولا يفعل ذلك غيرك، خلاصها أنْ تطرح فيه ثوباً، فيَشْرب الماءَ جميعه، ثم تَبْسطه في الشَّمس فيجف.

240. حيلة: [7] **كان لرجل امرأتان**

إحداهما في الغرفة، والأخرى في الدَّار، فصَعَد إلى نصف الدرج، فقالت

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 115.

(2) القصة في أخبار الأذكياء: 115، وفيه: [رطباً مكان جوزا].

(3) القصة في أخبار الأذكياء: 115.

(4) الصواب استعمال همزة الاستفهام مع أم العاطفة.

(5) القصة في أخبار الأذكياء: 116.

(6) القصة في أخبار الأذكياء: 115، وفيه: [أرقتيه].

(7) القصة في أخبار الأذكياء: 116.

كلٌّ واحدة منهما: إليَّ؛ فَحَلَف بالطلاق: ألاَّ أصعد إليك، ولا أنزل إليك، ولا أقمت مكاني، خلاصها أن تَصْعَد التي في الدار، وتنزل التي في الغرفة، وإن شاء صَعَدَ، وإنْ شاء نزل.

241. حيلة: [1] حلف على زوجته

ألاَّ يُدخل داره بَاريَّة[2]، ولا يُجامعها إلاَّ على بَاريَّة، خلاصها أنْ يأتي إلى داره بقصب، وينسجه بَاريَّة.

242. حيلة للضحاك بن مزاحم: [3]

كان له صديق نصراني يختلف إليه، فقال له يوماً: لم لا تُسْلم؟ قال: إنِّي أُحب الخمر ولا أصبرُ عنها، قال له: أسلم واشربها، فأسلم، فقال له: إن شربت حَدَدْنَاك ثمانين جلدة، وإن ارتدَدْتَ قتلناك. فانثنى عن شرب الخمر.

243. حيلة لابن سيرين[4]

يحكيها عنه الأصمعي في كتاب النوادر: كان إذا تقاضاه أحدٌ بِدَين يقول: أعطيك أحد اليومين إن شاء الله، يعني في الدُّنيا أو في الآخرة.

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 116.

(2) الباريَّة: الحصير المنسوج، من القصب أو غيره.

(3) القصة في أخبار الأذكياء: 143، والضحاك بن مُزاحم، هو: أبو محمد الضحاك بن مُزاحم الهلالي، تابعي ثقة، حدَّث عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، توفي سنة 103هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 599/4، وتهذيب الكمال: 291/13.

(4) القصة في أعلام الموقعين: 9191/3، وابن سيرين، هو: أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري (33- 110هـ)، تابعيٌّ، مولى أنس بن مالك، سمع من أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وكان إمام عصره في الفقه والحديث، واشتهر بتعبير الرؤيا. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 283/3، وسير أعلام النبلاء: 606/4. ومعلوم انَّ الشريعة الإسلامية لاتُبيح الحيلة التي تُحرِّم حلالاً، أو تُحلل حراماً، أو تؤدي إلى أخذ حقوق النَّاس بالكذب والخديعة، وإنَّما هذه القصة التي أوردها المؤلف، تعدُّ من المعاريض القولية التي فيها مندوحة عن الكذب، كما أن المعاريض الفعلية فيها مندوحة =

244. حيلة أسامة وقيل للطبري: [1]

حلف رجلٌ على زوجته بالطلاق بأنَّه يَردُّ عليها مثل قولها، فقالتْ بسرعة: أنتَ طالقٌ ثلاثٌ ثباتاً، فلبث الرَّجل فلم يدر ما يقول، فأتى أبا جعفر الطبري، أو أسامة وأخبره بالقصة. قال له: امضِ إليها، وقل لها: أنتِ طالقٌ ثلاثٌ ثباتاً إنْ طلَّقتُك، فتكون قد خاطبتَها بمثل خطابها، ولا يقع بك الطَّلاق.

245. حيلة لأبي حنيفة: [2]

جاءت إليه امرأة، وقالت: إنَّ زوجي حلف بالطلاق إنْ لم أطبخ له قِدْراً، وأجعل فيها مَكْوَّكاً من الملح[3]، ولا يبين طعم الملح. فقال: خذي قِدْراً، واجعلي فيها مَكْوَّكَ ملح، وأطرحي فيها بيضاً واسلقيه، فإنَّه يُطبخ ولا يبين فيه طعم الملح، ففعلتْ، وأخرجتْ زوجها من يمينه.

= عن المحرمات، والتخلص من المضائق، وللاستزادة، يمكن الرجوع إلى أعلام الموقعين، فقد عقد فصلاً كاملاً عن الحيل، جوازها وحرامها، وأصنافها، وأيضا كتاب: إشكالية الحيل في البحث الفقهي: لعبد الله القرشي.

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، ولا ندري من المقصود بأسامة، وكذلك الطبري.

(2) القصة في نثر الدر للآبي: 325/2.

(3) المَكْوُك، جمع مكاكيك: مكيال سعته صاع ونصف، أو أربع لترات ونصف تقريباً.

الباب العاشر
في حيَل العُبَّاد والمتعبِّدين[1]

246. حيلة صاحب العكازة:

وذلك ممَّا حكاه [ابن المُقـفَّع][2] في تاريخ الأمم، أنَّ داود -عليه السلام-، جعل في بيت المقدس سلسلة من ذهب، وقيل إنَّ سليمان عملها مما يلي المحراب. وكان يأتيها الخصمان، فمن كان على حق نال السِّلْسلة، ومن كان على الباطل قَصُرتْ عليه فلا ينالها، فمكث على ذلك زماناً طويلاً. ثُمَّ إنَّ رجلاً من بني إسرائيل أودع رجلاً [عابداً][3] جوهراً ثميناً، فلمَّا طالبه أنكره، قال صاحب الجوهر: بيننا السِّلسلة، قال المُودَع: إلى غد، ثم عَمد إلى عصًا [فحفرها][4]، وجعل الجوهر فيها، ثُمَّ انطلق معه وهو يتوكأ على العصا كهيئة العُكَّازة، فدنا صاحب الجوهر من السِّلْسلة، وقال: اللّهم إنْ كنتَ تعلم أنِّي [استودعتُ هذا الرَّجل][5] جوهراً فسهِّل [لي][6] تناول السِّلْسلة، ثم مدَّ يده وتناولها، فقال له الزَّاهد: امْسك عُكَّازي حتَّى أدنو من السِّلْسِلَة ليعلم النَّاس براءتي، فتناول [العصا من يده][7]،

---

(1) في (ب) في حيل العُبَّاد والمتزهدين.

(2) سقطت من (ب)، وهذا الكتاب الذي ذكر المؤلف، قد يكون من مؤلفات ابن المقفع المفقودة، والقصة في البداية والنهاية: 12/2، وقال ابن كثير عن هذا الخبر: «ذكره غير واحد من المفسرين، من روايات وهب بن منبه»، وهذه القصة من الإسرائيليات التي يتوقف عندها، لا تُرد ولا تقبل.

(3) في (ب): [وديعة].

(4) في (ب): [فجوَّفها].

(5) في (ب): [استودعته].

(6) سقطت من (ب).

(7) في (ب): [فتناول العُكَّازة ودنا].

ودنا الزّاهدُ من السِّلْسلة، وقال: اللَّهم إنْ كنتَ تعلم أنَّني سَلّمتُ مال هذا إليه فسهِّل لي تناول السِّلْسِلة، ومدَّ يده فتناولها، وأخذ العُكّازة، فَرُفِعتْ.

247. حيلة ذي النون المصري:(1)

قال يوسفُ بنُ الحسين(2): سمعتُ إنَّ ذا النون المِصْري يعرف اسم الله الأعظم، فدخلتُ مِصرَ وخدمتُه سنة، ثُمَّ قلت له: يا شيخ إنِّي خدمتك سنة، وقد وجب حقيّ عليك، وأريدُ أن تُعلِّمني اسمَ الله العظيم. قال: كرامة وعَزازة، ثمَّ تركني أياماً، وأخرج لي طبقاً ومكبَّة(3) مشدوداً في منديل، وقال لي: تعرف فلاناً. قلت: نعم، قال: احمل هذا إليه، فأخذته ومضيت إليه قليلاً، وقلت في نفسي: ذو النون المصري يوجه إلى صديق له هدية ما يريد يكون في الدنيا مثلها، والله لأبصرنّها، ثُمَّ قال: إن حللتُ المنديل، ورفعتُ المكبَّة فطفرتْ من تحت المكبَّة فأرة صغيرة، فأردت صيدها فعجزت عنها، واغتظتُ غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون يسخر بي بعد سنة، وينفذ معي فأرة، فرجعتُ إليه والغيظ في وجهي، فلمَّا رآني مقبلاً نحوه، قال: أيّ مسكين من لا له أمانة على فأرة يؤتمن على اسم الله الأعظم، وتركني ومضى.

248. حيلة لبعض الصُّوفية:(4)

أخبرني من أثق بقوله: أنَّه خرج في طريق الشام مسافراً في جماعة من

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 121، مع بعض الاختلافات، وذو النون المصري، هو: أبو الفيَّاض ثوبان الإخميمي المعروف بذي النون المصري، أحد الزهّاد، وشيخ من شيوخ المتصوفه، كان فصيحاً حكيماً عالماً، أصله من النُّوبه من قرى الصعيد في مصر، يُقال لها إخميم، تُوفي سنة 245هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق: 298/17، وسير أعلام النبلاء532/11 .

(2) هو: أبو يعقوب يوسف بن الحسين بن علي الرازي، أحد شيوخ الصوفية، وتلميذ لذي النون المصري، أخذ عن علماء عصره كأحمد بن حنبل، وكان إماماً عارفاً. تُوفي سنة 304. انظر ترجمته في تاريخ دمشق: 220/74، وسير أعلام النبلاء: 249/14.

(3) أي: وعاء له غطاء.

(4) هذه القصة الثانية التي ينسبها المؤلف إلى شخص سمعها منه، إلا أنَّه لم يصرح باسمه.

الصُّوفية نحواً من ثلاثين رجلاً، وقال: وصَحِبنا في بعض الطريق رجلٌ صُوفي، حسن الهيئة، معه حمارة فَارةٌ يركبها، ومعه بغلان عليهما رحلٌ وقماشٌ ومتاع. فقلنا له: يا هذا نحن ما نفكر في خروج الحراميَّة؛ لأن ما معنا شيءٌ، وأنت ما تخاف على رَحْلكَ ومالكَ؟! قال: الله يحفظ ويستر. وكان إذا كان نزل استدعى أكثرنا فيُطْعِمهم ويَسْقِيهم، وإذا تَعِب أحدٌ نزل وأركبه.

فبينما نحن سائرون، إذ طلعتْ علينا الحراميَّة، فتفرقنا عليهم ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا. فتركنا القتال، ونزل وقدَّم سفرته وجلس يأكل، وأطلقنا الخيل.

فلمَّا رأوا الطعام مالوا إليه، ودعاهم الشيخ، فجلسوا يأكلون، ثُمَّ حلَّ رَحْله فأخرج منها سلال حلوى كثيرة، فتركها بين أيديهم، فلمَّا أكلوا منها وشبعوا ما كان إلاَّ لحظة حتَّى خدرتْ أيديْهُم وأرْجُلهم، وبقوا باهتين، وشخصتْ أعْيُنهم، فبقينا متعجبين. فقال لنا: إنَّ الحلوى مُبَنَّجة، وقد عملتها لمثل هؤلاء في هذا الوقت، وقد تـمَّت الحيلة عليهم، فأخذنا خيلهم وسلاحهم، وركبنا وسرنا آمنين، ولم ندر ما كان منهم.

249. حيلة أخرى [ليهودي]: (1)

كان رجلٌ من اليهود زاهداً، وكان اسمه يونس، وكان يكثر مساءة النصارى ويعاديهم، فلمَّا شاخ، قال: لا ينبغي أنْ أموت وينقطع شرِّي عنهم، فجاء يوماً إلى جماعة من النصارى، وقال: أتعرفونني؟! قالوا: نعم، أنت يونسُ شَرُّ خلق الله في أرضه. فأظهر أنَّ إحدى عينيه قُلِعتْ، فقال لهم: اعلموا أنَّ عيسى المسيح جاءني في المنام ولطم عيني وقلعها، وقال: إلى متى تؤذي أمتي؟ والآن، فقد جئتُ إليكم تائباً مما كان مني، وأدخل في دينكم، وتذلل وبكى وتخضَّع، فصدَّقوه وقبلوه.

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقله عنه المؤلف هذه القصة، ولا شك أنها من الإسرائيليات، وقد ذكر المؤلف حيلة أخرى عن إبليس وكيف أضل النصارى، وهي شبيهة بهذه القصة.

فدخل بعض البِيَع[1] وأقبل على الرُّهبان، وكان يصوم النهار، ويقوم الليل جميعه، وتهجَّد حتَّى افتتن به جميع النصارى. فلمَّا علم أنَّ حُبَّه قد تمكن من قلوبهم، دعا نفراً من علمائهم، وقال: ألم تعلموا أنَّ الجُنْدَ تأتي من عند الملك؟ قالوا: بلى، قال: فإننا نرى الشمس والقمر والنجوم كلُّها تأتي من المشرق، فينبغي أنْ يكون الله هناك. قالوا: كذلك هو، قال: فالأولى أن نستقبل الشَّرق بالصلاة، فحولهم من بيت المقدس إلى المشرق.

ثُمَّ دعا بنفرٍ منهم يوماً آخر، وقال: أليس الله يَخْلق هذه الأشياء كلَّها لمنافع الخلق؟ قالوا: بلى. قال: فما بال البقر أولى بالأكل من لحم الخنزير، [وهو أنفع وأطيب][2] منها ومن غيرها، فأطعمهم لحم الخنزير وأحلَّه لهم. ثُمَّ دعا نفراً منهم، وقال: أليس عيسى أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وخلق من الطِّين طيراً، وهذه شبيهة بأفعال الله، ولا يَقدر عليها [أحدٌ غيره][3]؟! قالوا: بلى، قال: فقد فعل المسيح هذا، فلابد من رُبوبيّته، فاتخذوه إلهاً.

ثُمَّ إنَّه جمعهم يوماً آخر، وقال لهم: إنِّي رأيتُ المسيح في منامي، يقول لي: الآن رضيتُ عنك، ومسح على عيني [فعادتْ][4]، وقد أرسلني إليكم برسالة، وأمَرَني أنْ أُبْلغها إليكم، فاختاروا من علمائكم من يفهمها عنيٍّ، فاختاروا له ثلاثة من علمائهم، فقال: لا يأتي كلّ واحد منكم [إلاَّ على حدته][5]. فجاء أحدهم، فقال له: إنَّ المسيح قال: ما بالكم تُسمُّونني عبداً؟! وقد علمتهم أنِّي أحييتُ [الموتى][6]، وأبرأتُ الأكمه والأبرص، وخلقتُ من الطِّين كهيئة الطير [فطار][7].

(1) مكان للعبادة عند النصارى.

(2) سقطت من (ت).

(3) في (ب): [ولا يقدر عليها أحد إلا الله].

(4) في (ب): [رجعتْ].

(5) في (ب): [إلا وحده].

(6) في (ب): [الميت].

(7) ليست في (ت).

لا. بل أنا الله [هكذا أقول وأنتم][1]، فقبِل ذلك الرَّجل منه، وخرج من عنده. ثم دعا الآخر، وقال له: قال المسيح: قد علمتُم ما فعلتُ من الأفعال الَّتي لا يَقْدر عليها إلا الله، ففعلتها عن أمره وإذنه، [فشاركته وقد أشركني][2] في ربوبيّته، فلذلك قدرتُ على ما قدرت. فقَبِل الرَّجل منه ذلك وخرج. ثُمَّ دعا بالثالث، فقال له: قال لي المسيح: قل لقومي: أنا ابن الله، وقد عرفتم ما فعلتُ من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، فأنا ابنه، وقد تقرأون ذلك في الإنجيل. فقَبِل الرَّجل ذلك منه وخرج. فاجتمع النَّاس إليهم، وسألوهم عن الرِّسَالة، فكلٌّ واحد ذكر ما قاله يونس، فاختلفوا في مقالاتهم، قالوا: نرجع إلى يونس يخبرنا بالصحيح. وأمَّا يونس فإنَّه لَمَّا خرجوا من عنده قتل روحه [فلمَّا دخلوا عليه وجدوه قتيلاً، وإنَّما قتل نفسه][3] لئلا يدخلوا عليه، ويسألوه لِمَ ذكرَ لكلٍّ شخص خلاف الآخر؟ وكان اسم أحدهم نسطور، والآخر يعقوب، والثالث مَلك؛ فلذلك تفرَّقوا ثلاث فرق: يعقوبيَّة ونسطوريَّة وملكيَّة.

250. حيلة الحَلاَّج:[4]

وما كان يْصنع من التمْويهات منقولة من نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي. قال: حدَّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[5]، قال: بلغني أنَّ الحسين بن منصور الحَلاَّج[٦] كان لا يأكل شيئاً شهراً أو نحو ذلك. قال فهالني هذا، وكان

---

(1) في (ب): [هكذا قولوا أنتم].

(2) في (ب): [فشاركته وأنا شريكه].

(3) سقطت من (ب).

(4) القصة في نشوار المحاضرة: 159/1.

(5) أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول التنوخي (297- 377هـ)، ولد ببغداد، وقد تقدمت ترجمته.

(6) هو: أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمي، الملقب بالحلاج، من المتصوفة، كان جده مجوسياً من أهل فارس، وقد نشأ الحلاج في واسط، ثمَّ قدم إلى بغداد، فخالط المتصوفة، وصاحب شيخهم الجُنيد، وافتتن به الناس، وظهر أمره بينهم، ونقلت عنه بعض الأخبار والشعوذات، وأخذوا يطلبون عنده الشفاء، فأمر الخليفة المقتدر، وزيره حامد بن العباس بإحضاره ومناظرته، وجمع له القضاة والأئمة، فأفتى بعضهم بقتله، وقتل وأحرقت جثته سنة 309هـ. انظر أخباره في تاريخ بغداد: 688/8، والفخري: 260.

بين أبي الفرج بن روحان الصوفيِّ مودَّة، كان صالحاً من أصحاب الحديث، ديِّناً، وكان القصريُّ غلام الحَلاَّج، زوج أخته، فسألته عن ذلك.

فقال: أما ما كان الحلاَّج يفعله، فلا أعلم كيف كان يتمُّ له، لكنَّ صهري القصريُّ غلامه، قد أخذ نفسه سنين، [بقلَّة الأكل حتَّى يبقى خمسة عشر يوماً][1] ونحو ذلك، وأكثر من ذلك. وكان يتمُّ له ذلك بحيلة كان يخفيها عليّ، [فلمَّا حُبِس في جُملة الحلاَّجيَّة][2] كشفها لي، وقال: إنَّ الرصد إذا وقع بالإنسان [شديداً][3]، وطال فلم تنكشف معه حيلةٌ، ضَعُفَ عنه الرصد، ثُمَّ لا يزال يَضعُف كلمَّا لم ينكشف [حيلتُهُ]،[4] حتَّى يبطل أصلاً، فيتمكَّن حينئذ من فعل ما يريدُ، وقد رصدني هؤلاء منذ خمسة عشر يوماً، فلما رأوني لم آكل شيئاً بتَّة، وهذا نهاية صبري عن فقد الغذاء، وإن لم آكل [بعده بيوم][5] تَلِفتُ.

فخذ رطلاً من الزبيب [الأحمر][6] الخراسانيّ، ورطلاً من اللوز السمين، [ورطل السُّكر، ورطل حمص مُقلىّ، ورطل كُبُود مقليَّة][7]، ودقَّ الكلَّ، حتَّى يصير مثل الكسّب[8]، [واعمله على هيئة العَذِرة[9]، واجعله في خِرْقة من بيت

---

(1) في (ب): [ثمانية عشر يوما ونحو ذلك]، وهي مخالفة لرواية نشوار المحاضرة، وقد لاحظنا أنّ النقل في (ب) يشوبه الاضطراب، وعدم الضبط.

(2) في (ب): [فلما حُبس مع الحلاَّج]، وهي مخالفة لرواية نشوار المحاضرة، وما أثبتناه من (ت) ونشوار المحاضرة.

(3) من نشوار المحاضرة.

(4) من نشوار المحاضرة.

(5) رواية (ب): [فإن لم آكل شيئاً تلفت]، وفي (ت): [وإن لم آكل معه تلفت]، وما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(6) ليس في نشوار المحاضرة.

(7) ليست في نشوار المحاضرة.

(8) الكسّب: كلمة فارسية معرَّبة، تعني عصارة المواد التي يستخرج منها الدُّهن، انظر: الألفاظ الفارسية المعرَّبة: 135.

(9) هكذا في كلتا النسختين، والعَذِرة: الغائط، وهذه الكلمة ليست في نشوار المحاضرة، ولم يكن المؤلف موفقاً في هذا التشبيه القبيح المنكر.

المُسْـتـراح[1]، فـأدخل أنا أتناول منه كـفـايتــي، فـإن توضـأت شـربتـه بماء التمضمض][2]، فهو يكفيني خمسة عشر يوماً أخرى إلى أن تجيئني ثانياً، على هذا السبيل.

ومتى رصدني هؤلاء في هذه الخمسة عشر يوماً الثانية، ولم يجدوني آكل شيئاً على الحقيقة [خففوا عنيّ][3]، فكنتُ أعمل ذلك كلّ خمسة عشر يوماً مع طول حبسه.

251. ومن طرائف مخاريقه: [4]

ما حدَّث به أبو بكر محمد بن إسحق بن إبراهيم الشاهد الأهوازيّ، قال: أخبرني فلان المنجّم، وأسماه [لي][5] ووصفه بالحذق [والفراسة][6]، [وقد نسيت اسمه][7]، قال: بلغني خبر الحلاَّج، وما كان يفعله من إظهار المخرقاتَ التي يدَّعي أنَّها معجزات، فقلت: أمضي وأنظر من أيِّ جنس هي من المخاريق. فجئته كأنِّي مسترشد من الدِّين، فخاطبني وخاطبته، ثُمَّ قال: تشَهَّ الساعةَ ما شئت، حتَّى أجيئك به. وكنَّا في بعض بُلدان الجَبَل[8] التي لا يكون فيها [سمك ولا شط ولا نهر][9]، فقلت: أريد الساعة سمكاً طرياً في الحياة. قال: أفَعلُ، اجلس

(1) المستراح: الكنيف، أو بيت الخلاء.

(2) ليست في نشوار المحاضرة، ورواية النشوار، هكذا: [وأصلحهما صحيفة رقيقة، فإذا جئتني غداً فاجعلها بين ورقتين من دفتر، وخذ الدفتر في ديك مكشوفاً، مطوياً في كفُك طيّاً مدوّراً من غير انتشار، ليخفى ما فيه، فإذا خلوت بي، ولم تر من يلاحظني، فجعل ذلك تحت ذيلي، وانصرف، فإنني آكله سرّاً، وأشرب الماء إذا تمضْمضْتُ للطهور].

(3) ليست في نشوار المحاضرة.

(4) في تاريخ بغداد: 701/4، و نشوار المحاضرة: 165/1 .

(5) ليست في تاريخ بغداد، ولا نشوار المحاضرة.

(6) في نشوار المحاضرة، وتاريخ بغداد: [الفراهة].

(7) ليست في تاريخ بغداد، ولا نشوار المحاضرة.

(8) بلاد لجبل، أوالجبال: اسم كان يُطلق في العصور الإسلامية على المنطقة الغربية من بلاد فارس على حدود العراق. انظر: معجم البلدان: 103/2.

(9) رواية نشوار المحاضرة: [لا يكون فيها أنهار].

مكانك. فجلستُ، وقام، فقال: أدخلُ البيت، وأدعو الله يبعث لك به، ودخل بيتاً حيالي وغلق بابه، وأبطأ عَنِّي ساعةً، ثُمَّ جاءني وقد خاض وحلاً إلى ركبتيه، ومعه سمكةٌ تضطربُ كبيرةً.

فقلتُ له: ما هذا؟ قال: دعوتُ الله، فأمرني أنْ أقصد البطائح[1] [فأجيئك بهذه][2]، فمضيتُ إلى البطائح وخضتُ الأهوار[3]، [وهذا الطِّين منها، حتَّى أخذتُ هذه [السَّمكة][4]، فعلمتُ أنَّ هذه حيلة، فقلت له: دعني أدخل البيتَ، فإنْ لم تنكشف لي حيلة [فيه][5] آمنت بك. فدخلتُ البيتَ، وأغلقته على نفسي، فلم أجد فيه طريقاً ولا حيلة. فندمت، وقلت: إن أنا وجدتُ فيه حيلة فكشفتها له، لم آمن أن يقتلني في الدار، وإن لم أجد، طالبني [باتِّباعه وبقيتُ متحيراً][6]، وفكْرتُ في البيت، فدققتُ تأزيرة[7] وكان مؤزراً [بالسَّاج]، فإذا بعض التأزير فارغ، [فحرَّكتها فوجدتها قد تسوَّستْ، فقلعتها وخلفها بابٌ صغير يسع رجلاً يدخله مزاحمة، فولجتُ فيه إلى دار كبيرة فيها بستان كبير عظيم، وفيه صنوف الشجر والثمر والريحان، وأشياء ما هو زمانها قد أُحتيل في حفظها، وخزائن فيها أنواع الأطعمة المفروغة بالحوائج الطيبة، وفي وسط البُستان بركة عظيمة، وهي مملوءة سمكاً كباراً وصغاراً، فاصطدتُ واحدةً كبيرةً، وخرجتُ، وقد لُوِّثتْ رِجْلي بالوحْل كما فعل.

وقلت: الآن إنْ خرجتُ ومعي السَّمك قتلني، لكن أحتال عليه في الخروج، وصِحْتُ من داخل البيت: آمنتُ بك وصدَّقت. فقال: ما بالك؟ قلت: ليس

---

(1) البطائح، مفردها: بطيحة، وهي: الأرض الواسعة التي تبطحت فيها السيول والمياه، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: معجم البلدان: 1/ 450 .

(2) ليست في نشوار المحاضرة.

(3) الأهوار، مفردها: هَور، وهو: بحيرة تصب فيها مياه العياض والآجام، فتتسع، ويكثر ماؤها .انظر: معجم البلدان: 420/5 .

(4) ليست في تاريخ بغداد ولا النشوار..

(5) من نشوار المحاضرة.

(6) رواية نشوار المحاضرة: [بتصديقه، فكيف أعمل؟].

(7) تأزيرة ما يكون أسفل الحائط، كالدعائم لتقويته، فيكون له كالإزار.

هاهنا حيلة، وليس إلا التصديق بك، قال اخرج. فخرجتُ، وقد تَمَوَّه عليه قولي، وخرجتُ جاداً عادياً طالباً الباب الآخر، وخرجتُ أعدو والسَّمكة بيدي إلى أنْ وصلتُ في وسط السَّوق. فعلم أنَّني قد ظهرتُ على أمره وحيلته، فتبعني، فضربتُ بالسَّمكة وجهه، وقلتُ: اتبعتني حتَّى مضيتُ البطائح، فجئتُ تلك بهذه السَّمكة، قال: فاشتغل بوجهه وحمش السمكة، وتطرحتُ نفسي مستلقياً لما لحقني من الفزع والجزع.

فوصل إليّ وصالحني، وقال: قم إلى البيت. قلت: لا والله، لا دخلته أبداً. فقال لي في أذني، والله لئن قلت لأحد لأقتُلنَّك على فراشك، وإنْ سمعتُ بهذه الحكاية من أحد قتلتكَ، ولو كنت في تخوم الأرض، فما دام خبرها مستوراً، فأنت آمن على نفسك، امض الآن حيث شئتَ، وتركني ودخل إلى داره، فعلمتُ أنَّه يقدر على ذلك، فما بحتُ حتَّى صُلب][1].

252. ومن حيله أيضاً: [2]

قال القاضي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة: أخبرني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي[3]، قال حدَّثني غير واحد. قال: كان الحسين بن منصور الحلاَّج قد أنفذ أحدَ أصحابهِ [الَّذي يكشفهم على أسراره إلى بعض البلاد][4]، ووافقه على حيلة يعملها.

فخرج الرَّجل، وأقام عندهم سنين، فظهر منه النسك والعبادة، وقراءة القرآن والصوم والصلاة، فغلب على أهل البلد، حتَّى إذا علم أنَّه قد تمكَّن معهم، أظهر

(1) سقط من (ت) من قوله: [وخضتُ الأهوار، إلى قوله: فما بحتُ حتى صُلب]لم يتلزم المؤلف بصياغة نشوار المحاضرة للقصة، بل سردها بأسلوبه، فغيَّر في كثير من مقاطعها، واختصر بعض تفاصيلها،

(2) سقطت هذه الحيلة من (ت)، وإسنادها في تاريخ بغداد: 700/4، و في نشوار المحاضرة: 76/6، هكذا: [أنبأنا علي بن أبي عليّ المعدَّل، عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال: ..]، وقد تصرَّف المؤلف فيَ بعض عبارات القصة، وزاد في بعضها.

(3) تقدَّمت ترجمته.

(4) في تاريخ بغداد، ونشوار المحاضرة: [إلى بلد من بلدان الجبل].

أنّه قد عَمِي، [وعاد إلى مَسْجده][1]، وتعامى على كلِّ أحد، ثم أظهر أنّه قد زَمِن[2]، فكان يحبو، ويُحمل إلى المَسْجد، حتَّى مضى على ذلكَ سنة، وتقرَّر في نفوس النَّاس حاله.

ثمَّ قال لهم بعد ذلك: رأيتُ رسول الله ﷺ في النوم، وهو يقول لي: إنَّه يطرق هذه البلاد عبدٌ صفته ونعته، ووصف لهم صفة الحَلاَّج، وهو رجلٌ صالح مُجاب الدَّعوة، تكون عافيتك على يديه، وبدعائه تبرأ مما أنتَ فيه، ويعود عليك نَظرك، فاطلبوا إليّ كلَّ من يجتاز من الفقراء والصوفية، فلعل الله- عزّ وجلّ- أن يُفرِّج عنِّي كما وعدني سيدي رسول الله ﷺ، فتعلَّقت الهمم بورودِ العبد الصالح، وطلبته القلوب، ومضى الأجل الذي كان بينهم، فقَدِم الحَلاَّج البلد، وقد لبس الصُّوف الرِّقاقَ، وتفرَّد في الجامع بالدُّعاء والصَّلاة، وذكروه للأعمى، [فقال: احملوني إليه، فلمَّا حصل عنه، وعَلِم أنَّه الحلاَّج، قال له: يا عبد الله، إنِّي رأيتُ في المنام،كيت وكيت، فتدعو الله لي. فقال: ومن أنا؟ وما محلي؟ فما زال به، حتَّى دعا له، ثمَّ مسح يده عليه، فقام المتزامن صحيحاً مُبصراً. فانقلب البلد، وكثر النَّاس على الحلاَّج، فتركهم، وخرج من البلد، وأقام المتعامي المتزامن فيه شهوراً، ثمَّ قال لهم: إنَّ من حق نعمة الله عندي، وردَّه جوارحي عليَّ، أن أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا، وأن يكون مقامي في الثغر[3]، وقد عملتُ على الخروج إلى طرسوس[4]، من كانت له حاجة تحمَّلتها، وإلاَّ فأنا أستودعكم الله.

قال: فأخرج هذا ألف درهم، وقال: أُغزُ بها عنيّ، وأعطاه هذا مائة دينار، وقال: أخرج بها غُزاة من هناك، وأعطاه هذا مالاً، وهذا مالاً، حتَّى اجتمع ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاَّج، فقاسمه عليها][5].

---

(1) في تاريخ بغداد، نشوار المحاضرة: [فكان يُقاد إلى مسجده].

(2) أي: أصبح هرماً كبير السنّ، ومرّ عليه زمن طويل.

(3) الثغر: هو الموطن، أو البلد على الحدود في مواجهة العدو.

(4) طرسوس من الثغور الشامية، بين أنطاكية وحلب، وبها قبر الخليفة العباسي المأمون، كان غازياً هناك، فأدركته المنيّة، انظر: معجم البلدان: 28/4.

(5) سقط كل هذا النصّ من الحيلة في كلتا النسختين، وأتممناها من نشوار المحاضرة، وتاريخ بغداد.

253. ومن حيله:[1]

[أنَّه يضع الجَدي في التنور ولا يموت][2]، فتدور التنور يمنة ويسرة، فإذا أوقد التنور جذب ذلك الطبق عند تغطيته التنور، ويدلي الجدي فيه، وله طبق آخر معمول حشيش مزورع يدخل تحت التنور. وقال: أخبرني آخر: له جديان أحدهما يشبه الآخر، ويحمل إليه سرًّا، فيحمل الواحد فيذبح الواحد ويفعل به ما رأيت ويترك الآخر، فإذا دلي المذبوح في التنور نجا ذلك المسجور، وترك موضع ذلك الآخر الذي عليه العلف النابت، ويرد الجدي عليه ويبدأ الرعي، قال: فذهبت دهشتي، وزال عني ما كانت أجده من أمر الحلاج.

254. ومن حيله[3]:

أنَّه كان يَغرف من [النهران][4] والسَّواقي ماءً جُلاَّباً[5] حلواً، وفيه رائحة الماورد الخالص والكافور، وذلك أنَّه كان يأخذ إبريقاً[6] جديداً أو شَرْبَة، ويأخذ السُّكَّر الطَبَرْزي[7] الفائق فيَحلُّه بالماورد، ويعقده جَلاَّباً قويًّا ثخيناً. ويأخذ الكُوز[8] الجديد والفُخَّار الذي يُريدُ ويَصُبُّه فيه، ويُلْبسه به من باطن فيَشْربه الكوز، ويصير في باطنه كالبِطَانة ويتركه معه، فإذا طُلب منه غرف به، ووقف ساعة حتَّى يَنْحلَّ من ذلك الجَلاَّب في الماء، ويسقيه لمن يُريدُ، فيَظنُّه غير الجاهل قد صار جَلاَّباً، فيُوهم على من يُريد.

---

(1) سقطت هذه الحيلة من (ت).

(2) سقط هذ النص من (ب)، وما أثبتناه يتطلبه السياق.

(3) سقطت هذه الحيلة من (ت).

(4) المقصود: جمع نهر، ويبدو أنَّه جمع عاميٌّ، فجمع نهر: أنهار، وأَنْهُر.

(5) هو: ماء الورد.

(6) الإبريق، جمع أباريق، فارسي معرَّب، وهو: إناء من خزف، أو معدن له عروة وفم.

(7) لفظة فارسية معرَّبة، وقد يقال له: طَبَرْزد: نوع من السُّكر الصلب الأبيض، والكلمة، أصلها: تبرز ذاي، وتبر، الفأس، وكأنه نُحت بالفأس، مختار الصحاح، مادة: طبر.

(8) الكوز، جمع كيزان، فارسي معرَّب، وهو إناء من فخَّار يشبه الكوب إلا أنه له عروة.

255. ومن حيله:[1]

أنَّه كان له بيت يُسمى بيت العظمة بالبصرة، وكان إذا دخله وجلس فيه يُسَمِي ويُعظِّم حتىً يمتلي به البيت. والحيلة في ذلك أنَّه قد كان بنى بيتاً، وعمل باباً له جهتان، يدخل منها الرِّيح، ويتلبّس في [أسراب][2] إلى تحت السرير، والسرير مشبك، فيخرج الرِّيح ويدخل في ثيابه فينفخها، وعليه قميص كبير عظيم إبْرِيْسَمْ حرير، وكلمَّا دخل فيه الهواء كبر يسيراً يسيراً حتَّى يملأ البيت، فيقال يعظم من بيت العظمة، وأوهم على من يريد بما يختار ويريد.

256. ومن حيله[3]:

أنَّه كان يدّعي أنَّه يقدر أن يُطلع شمساً من بعض نواحي السَّماء غير المشرق، وقد كان بعض المحاكين أظهر بنواحي خراسان كهيئة الشمس تطلع من المغرب في بعض ليالي السنة، وهذا من عمل أصحاب المُخرِّقة[4]. ووجه الحيلة فيه، أنَّه كان له شخص من بعض ثقاته أنْ يعمد إلى طشت[5] كبير وإلى جامين[6] كبيرين واسعين مُدوَّرين من الزجاج الصافي الفرعوني، ثُمَّ يأخذ شمعة كبيرة، ويمضي إلى الموضع الذي ذكره، فيجعل الطشت محاذياً لوجه القوم، وفي وجه أحد الجامين ملتزماً محكماً، ويجعل الجامَ الآخر على قدر شبر من الأول، ويشعل الشمعة بين الجامين [حتىً][7] تبين حمرة الطشت بياناً شديداً، كأنَّه الشمس الواضحة. فإذا رآه الناس من بعيد لا يشكون أنَّها شمس طالعة، فإذا تحقق ذلك ساعة، سلَّه قليلاً قليلاً، حتَّى يُغيبه، ويُوهم بما يريد على من يريد.

---

(1) سقطت هذه الحيلة من (ت).

(2) أي: مسلكاً خفياً، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف، الآية: 61: [فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً].

(3) سقطت هذه الحيلة من (ت).

(4) المُخرِّق: من يكثر اختلاق الكذب.

(5) وقد يُقال: طست، وهو فارسي معرُب، أنية من النحاس، له عدّة استعمالات، لغسل اليدين والثياب.

(6) الجام، جمع أجوام: إناءٌ من فضة.

(7) أثبتناها؛ لأنَّ السياق يتطلبها.

257 . ومن حيله :

أنّه كان يَطول حتّى يُشرف على دور جيرانه وعلى سطوحاتهم، وربما كلم أصحابه من [الجو][1] . ووجه الحيلة في هذا، أنّه يعمد إلى خشبتين طوال، ولهما أقدام كأقدام الإنسان، وعمل لهما مثل القبقابين من رؤوسها، ويشُدّها على ساقيه، وتكون أقدامه على النعلين اللّذين يشبهان القباقب، ويشُدّها بنوارات قويّة، ويُفصِّلُ ثياباً طوالاً فيلبسها عليها، فمن رآه لا يَشُك أنّه قد طال ذلك المقدار، وهو أوّل من أخرجها، وتسمّى القامات عند المخيلين[2]، وربما ألبسهما خُفي أديم[3]، فإذا رآه شخصٌ في تلك الحالة، ورآه في [صورةالإنسان المعتدلة][4]، ظنَّ أنَّ ذلك الطول مُعجزة له، [فيموّه عليه بكلِّ ما يُريده من الأمور][5] .

258 . ومن حيله :

أنّه كان يتّخذُ [زر بطانة][6] طويلة، ويعمل في رأسها قصبة مُعْوَّجة مقدار ذراعين كهيئة القصبة التي تكون في المساجد [لطفي] القنايل والسرج. ويتخذها مَخْلعة مثل قصبة صيّاد العصافير، وكان يحملها معه تحت ثيابه، فإذا صار إلى بعض بيوت أصحابه، أوصل تلك القصبة حتّى تصير بعلو بيته أو داره، [ويتكلم في أسفلها][7] فيصعد الكلام، وينزل إلى الدار، فيتخيل السّامع أنَّ الكلام من السّماء قد نزل عليه. ثُمَّ يعطيه العلائم والإشارات، فيَسْتملك بهذا قلوب

(1) في (ب): [الخوخ]، والخوخة، فتحة صغيرة في الجدار لتجلب الضوء.

(2) كلمة كانت تُطلق على بعض المهرجين الذين يقومون ببعض العروض التي تشبه السيرك، أو التمثيل في الطرقات، أو ما عُرف بعد ذلك بخيال الظّل.

(3) الأديم: الجلد.

(4) في (ب): [صورة إنسان].

(5) في (ب): [فيموه على من يريد بكل ما يريد من الأمور].

(6) كلمة عاميّة، تُطلق على قصبة، أو قناة مجوّفة، تقذف سهاماً أو حجارة صغيرة عن طريق النفخ فيها، وفصيحها: سبطانة . انظر: التكملة فيما يلحن فيه العامة، للجواليقي: 871 .

(7) في (ت): [ويتكلم في أسفل القصبة].

الرعاع والعوام. وله حيل كثيرة يطول شرحها، ونحن قد ذكرنا بعضها[1].

259. حيلة عمر من أهل الأنبار: [2]

منقولة من نشوار المحاضرة: قال القاضي التنوخي: أخبرني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[3]، قال: قدم علينا بالأنبار من أهلّ القصر[4] رجلٌ يقال له عمر، يعظ العامَّة، [ويُري نُسْكاً[5]، ويقول: من أطاع الله، أطاعه كلُّ شيء، وأنَّه يَغمسُ يدَه في الزيت المغلي الشديد الحرارة ولا يَضرُّه، فافتتن به أهل البلد، واجتمعوا إلى الجامع، ليشاهدوا ذلك، وسألوني الحضور، فحَضَرْتُ، وإخوتي، وسلطان البلد، [وقد عمل ديكدان[6] في صحن الجامع على دكّة، ووضع فوقه طنجيراً[7]][8]، والرَّجل قائمٌ يُصلّي. فلمَّا جئنا طلبوا زيتاً، فأنفذتُ غلامي، [فجاء بخماسية[9] ملأ بالزَّيت][10]، فصببناه]، [وأوقد عليها وقوداً شديداً فلمَّا

---

(1) من المعلوم أنَّ المؤرخين وأهل التصوف قد اختلفوا في أمر الحلاَّج، فأصبحت أخباره متعارضة، يناقض بعضها بعضاً، وأخذ كلُّ فريق يحشد الأخبار، ويصنع القصص التي تؤيد رأيه فيه، حتَّى أخذت سيرته أبعاداً أسطورية، ونُسبت إليه بعض الخرافات والتهويمات، وما أورده المؤلف من قصص وحكايات لا يقبلها العقل، للدليل على امتزاج الخرافة بالحقيقة في سيرته.

(2) القصة في نشوار المحاضرة: 126/2.

(3) تقدَّمت ترجمته.

(4) المقصود: قصر ابن هبيرة الذي بناه بالقرب من جسر سورا في العراق. انظر معجم البلدان: 123/1.

(5) سقطت من (ب)، وما أثبتناه من (ت)، وهو موافق لما في نشوار المحاضرة، والمعنى يُظهر التزهد في هيئته.

(4) الديكدان، كلمة فارسية، مركَّبة من مقطعين: دِيك، وتعني القدر أو الطنجير، ودان الطرف للمكان أو الشيء، وهي: آلة يوضع عليها القدر. انظر: ما كتبه أحمد تيمور في مجلة مجمع اللغة العربية: الجزء 5، المجلد 138/3.

(5) وعاء للطبخ، وتنطق في وقتنا الحاضر في بلاد الشام: الطنجرة.

(6) تقدَّمت هذه العبارة في (ب) على العبارة التي قبلها، وما أثبتناه من (ت)، وهو موافق لما في نشوار المحاضرة.

(7) الخماسية: إناء سعته خمسة أرطال.

(10) في (ب): [فأتى بظرف مملوءاً زيتاً، فصبوه في الطنجير...]، وما أثبتناه رواية (ت)، وهي موافقة لما في نشوار المحاضرة..

غلى الزيت وتشقق][1]، أقبل على أخي، وقال: يا أبا أحمد، الله لا يكون ما أحضرته غير الزَّيت، [فقلت: ما هو إلا الزَّيت، فانكشف لي أنَّها حيلة][2].

فنزع الرَّجل ثيابه، وعمد إلى بقيَّة [كانت في الخماسيَّة من الزَّيت][3] [لم تُغْلَ][4]، مقدار نصف رطل، فصبَّها في الطنجير، ودعا شارباً[5] فغسل يده غسلاً شديداً، وذراعيه، وصدره، ثم أخذ كفّاً من الماء البارد، فرشَّه على الزَّيت فزاد نشيشه[6].

ثُمَّ صعدَ على الدَّكة، وفي يده صنجاتٌ من حديد، فرمى بها في الطنجير، ثُمَّ أدخل يده بسُرعة شديدة، وصاح بأعلى صوته: لا إله إلا الله، وغَرَفَ بكفِّه الصَّنْجات[7]، فأخرجها من الطنجير، ورمى بها [بحدَّة][8]، وهو يصيح: يا الله، يا الله، بأعلى صوته. ثُمَّ تقدم إلى الزَّيت، فاغترف بكفِّه منه، وغسل به صدره، وذراعيه، وهو يصيح صيحات شديدة، ويوهم من حضر أنَّ صياحه دعاء، ثُمَّ نزل، فأقبل على العامة، وقال: أنا آتيكم بعد أيَّام بسباع الأجمة[9]، أقودها بآذانها، فحملناه معنا إلى منزلنا، وتغسل بماء حار، وتدلَّك، وبخَّرناه وأقام عندنا يومه. فسألناه عن سبب ذلك، فقال: من أطاع الله، أطاعه كلُّ شيء، فاستكنَّا عنه.

---

(1) سقطت من (ت)، وما أثبتناه من (ب)، ورواية نشوار المحاضرة: [وأُوقد عليها وقود جيّد شديد، فلما أغلى الزيت ونشَّ...]

(2) رواية نشوار المحاضرة: [فأهلك. فحين قال هذا، انكشف لي أنَّها حيلة، فقلت: فما هو إلا الزيت...].

(3) في (ب): [كانت تختلف في الظرف من الزَّيت...]، وما أثبتناه من (ت) وهو موافق لما في نشوار المحاضرة.

(4) من نشوار المحاضرة.

(5) المقصود: الساقي، والخادم.

(6) نشَّ الزَّيت نشّاً ونشيشاً، سُمع له صوتٌ، وتشقق، وانكماش.

(7) الصَّنَجات، والصَّنْجات، مغرفة يوزن بها، وقد تُطلق على كفَّة الميزان.

(8) سقطت من (ب)، وما أثبتناه من (ت)، ونشوار المحاضرة.

(9) الأجمة، جمع: أجمات، وآجام، وأجم: تطلع على الشجرة الكثيفة الملتفة، والصحراء كثيفة الشجرة، وأجمة الأسد: عرينه في الأدغال.

فلمَّا كان بعد أيَّام، جاءنا جماعة من أهل الأنبار، وقالوا: نحن نغلي الزَّيت، ونعمل كما عمل، ونغلي القار، ونأخذه من القدر بأيدينا حاراً. فجمعناهم بحضرته، فعملوا ذلك بين يديه، فأبْلَس[1]، وقال: هذا إنَّما لحقتكم بركتي. وهرب من البلد، ولم نعرف له خبراً. وقال المخبر بهذه الحكاية: سألنا الذين عملوا ذلك عن سببه، فقالوا: جسرنا

لنفسنا وتصبَّرنا فصبرنا على ذلك، كما يصبر الواحد منا على الماء الحار الذي لا يصبر عليه غيره.

260. حيلة عُكَّاشة:[2]

وذلك أنَّ النبي ﷺ لمَّا رقي منبره قبل وفاته، ونادى معاشر المسلمين: «من كان له عند نبيه مظلمة فلينهض، فإنَّ قصاص الدنيا أهون من قصاص الآخرة. فنهض إليه عُكَّاش، وقال: أنا يا رسول الله، ضربتني بالسَّوط، فما أعلم قصداً أم سهواً، فناوله النبي ﷺ السَّوط، وقال اقتص من نبيك. قال: يا رسول الله إنني كنت عرياناً، فكشف النبي عن بطنه، فلمَّا رآها عُكَّاشة رمى السَّوط من يده، والتصق ببطن رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله سمعتكَ تقول: مَنْ مس

---

(1) أبلس: يئس وتحيرَّ وسكت لانقطاع حُجَّته، ومنه قوله الله تعالى: «يوم تَقُوم السَّاعة يُبلِسُ المُجْرِمون».

(2) هذه القصة واهية مكذوبة، والحديث موضوع، وقد أخرجها الطبراني في المعجم الكبير: 3/ 53، حديث: (2676)، وأبو نعيم الأصبهاني في حيلة الأولياء: 73/4، وابن الجوزي في الموضوعات: 296/1، وقال عنه: «هذا حديث موضوع محال، كافأ الله من وضعه، وقبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة، والمتهم به عبد المنعم ابن إدريس. قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب، وقال يحيى: كذاب خبيث، وقال ابن المديني وأبو داود: ليس بثقة، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به، وقال الدارقطني: هو وأبوه متروكان»، وعلة هذه القصة، في سلسلة الحديث عبد المنعم بن إدريس، يروي عن أبيه عن وهب بن منبه، وقد عدَّ رجال الحديث عبد المنعم بن إدريس من المتروكين الوضَّاعين، وقال ابن حجر في لسان الميزان: «مات إدريس وعبد المنعم رضيع، ولم يسمع من أبيه، وقال: أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب بن منبه»، ونقل الألباني في السلسلة الصحيحة: 808/6/ حديث (2835)، قصة شبيهة بها، وإسنادها حسن، لكنها تروى عن سواد بن عمرو بن غَزيَّة، وليس عن عكاشة.

جسده جسدي أمِنَ من النّار، فأحببتُ أنْ يلمسَ جسدي جسدك، وعملت هذه الحيلة عليك. فقال النبي ﷺ: من أراد أنْ ينظر إلى رفيقي في الجنة، فلينظر إلى عُكّاشة، فنهض رجلٌ آخر، فقال: يا رسول الله وأنا، قال سبقك بها عُكّاشة[1].

261. حيلة عابد من عُبّاد المجوس:

يقال إنّها بها يزيد المجوسي، زعم علماء المجوس أنّه تَغلّل أياماً، وكان قد جعل له في النّاووس[2] سرداباً يفضي إلى داره، ثم إنّه بعد ما تَغلّل أياماً، أظهر أنّه قد مات، فُحمل إلى النّاووس، ثُمَّ جاءهم، وقال: إنني قد نُشرتْ، وبُعثت إليكم نبياً، فآمن به جماعة، وصار له أصحاب.

262. حيلة الوزير انعكست عليه:[3]

حدثنا أبو طالب عبيدالله بن أحمد بن يعقوب الأنباري، قال: رأيت في كتاب لبعض أصحابنا عن أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد قال: قال عيسى بن عفان: حدثنا أبي قال: أخبرنا حماد بن مسلمة عن حميد بن بكير، أنَّ ملكاً من ملوك فارس كان يدخل إليه في كلِّ يوم رجلٌ من رعيته، فيقف بين يديه ويقول له: أيها الملك، المُحْسنُ مُجازاً بإحسانه، والمُسيءُ يكفيكه مساوئه، فكان ذلك من قوله، فأعجب الملك به، فقرّبه وأدناه، وكان من عادة

---

(1) خلط المؤلف بين هذه القصة الواهية الكذوبة، وبين حديث آخر ورد في حق عُكّاشة بن مِحْصَن بن حرثان، الذي كان من سادات الصحابة وفضلائهم، ومن الذين شاركوا في جميع المعارك، وقُتل في حروب الردّة، انظر ترجمته في أسد الغابة: 861، وسير أعلام النبلاء: 307/1، وهو المذكور في الحديث المشهور الذي دعا له النبي ﷺ بأنّه مع السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، والحديث متفق عليه في صحيح البخاري.

(2) الناووس، جمعها: نَوَاويس، تطلق على التابوت الخشبي الذي يضع فيه النصارى جثّة الميت، وقد تُطلق أيضاً على المقبرة.

(3) سقطت هذه القصة من (ت)، ثم بدأ بعدها الجزء الثاني من الكتاب، وتفردت (ب) بذكر هذه القصة، وبها خُتم الجزء الأول.

الملوك أنْ يكون لها عدة وزراء، فحسده بعضهم على قربه من الملك وموضعه، فقال[1] له يوماً، وقد خرج من حضرة الملك: أُحب أن تصير إليَّ في هذه العشيَّة وتتعشى عندي، فقال له: نعم، وأوصى الوزير طابخه أنْ يُكثر من طعامه الذي يُقدم إليه الثوم، ففعل، وحضر الرَّجل وتعشى عنده وانصرف.

فلمَّا كان من الغدّ بكَّرَ الوزير إلى الملك، فقال له: أيُّها الملك إنَّ هذا الرَّجل الَّذي يحضر في كلِّ يوم، ويقف ذلك الموقف، ويتكلم بما يتكلم به، ليَـزْعُم أنَّ الملك أبخر[2].

فقال له الملك: وما علامة ذلك؟ قال: أن تدعوه، فتُسرُّ إليه سرّاً، فيغطي أنفه منك، فقال: إنَّ من ذلك علامة، فلمَّا دخل الرَّجل ووقف موقفه، قال أيُّها الملك، إنَّ المُحْسن ليجازى بإحسانه، والمُسيءُ تكفيه مساوئه. فقال الملك: تقدم إليّ، فتقدم. فقال: ادْنُ منِّي، فإنِّي أريد أنْ أُسَارُك بسرٍّ. فتقدم فوضع يده على فيه وأنفه، لئلا يَشمُّ الملكُ رائحة الثوم الَّذي أكله عند الوزير.

فلمَّا نظر الملك إليه، وقد وضع يده على أنفه، قال له: قد أمرتُ لك بجائزة سَنِيَّة[3]، فسِرْ فيها إلى صاحب الشرطة ليدفعُها إليك، ثُمَّ دعا بالداوة، وكتب له صاحب الشرطة: إذا أتاك صاحب هذه الرُّقعة، فاقبض عليه واذبحه، واسلخ جلده، واحشيه تبناً، واصلبه على باب المدينة، وختم الرُّقعة، ودفعها إلى الرَّجل، فأخذها ومضى.

فلقيه الوزير، فقال له: يا فلان ما معك؟ فقال: جائزة وصلني بها الملك، فقال له: صلني بها، فقال: قد فعلتُ، واستحى منه، فدفعها إليه، فأخذها الوزير، وأتى بها إلى صاحب الشرطة، فأوْصَلها إليه، ففضها وقرأها، ثُمَّ قال: يا فلان تدري ما جئتني به؟ قال: نعم جائزة الملك. قال: إنَّ فيها كذا وكذا، فأُسْقط في يده، وقال: دعني فقط غلط بي، فقال صاحب الشرطة: إنَّ الملوك لا تراجع، فجهد أنْ يتخلص فلم يقدر.

---

(1) أي: قال له الوزير.

(2) البخر: رائحة الفم الكريهة.

(3) أي: جائزة رفيعة المقام، غالية الثمن.

فـأُمِر به، فأُخِذ وأُضْجع وذُبح، وسلخ جلده، وحشي تبناً، وصلب على باب المدينة، فلمَّا كـان من الغدِّ بكَّر الناس على الملك، كـمـا كانوا يُبَكِّرون، وحضـر معـهم الرَّجل، فـدخل ووقف موقـفه، فلمَّا نظر إليـه الملك، قـال له: مـا فـعلتَ بالجائزة التي أمرتُ لكَ بها أمس؟! قـال: أيُّهـا الملك إنَّ فلاناً وزيرك، سـألني أنْ أصله بها فـفعلتُ. فقال له الملك: تقدم إليّ، فتـقدم إليـه ودنا منه، وقد ذهبتْ رائحـة الـثوم، فلم يَسْـدُد أنفـه، فـقـال له الملك: لِمَ سَـدَدْتَ أنفك بالأمس، ولم تَسْدُده اليـوم؟ فـقال إنَّ وزيرك فـلان أطعـمني البـارحـة الماضيـة ثومـاً كـثـيـراً في طعامه، وإنِّي ظننتُ الملك أنْ يَشمَّهُ، فسَدَدْتُ فمي وأنفي، فلمَّا كان اليوم ذهبتْ الرائحـة، فلم أَسْـدُده. فـقـال لـه الملك: لعـمـري إنَّ المُحْسن ليجـازي بإحسـانه، والمُسيء يكفيكه إساءته.

ثُمَّ رفع الملك مرتبته، وأحسن إليه، وقال له: الزم كلَّ يوم موقفك، ودم على ما أنت عليه، قال الله تعالى: ﴿لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾.

والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله.

تم الجزء الأول من رقائق الحلل في دقائق الحيل، ويتلوه الجزء الثاني الباب الحادي عشر في حِيل القوادُ والأمراء والولاة وأصحاب الشرطة، والحمد لله رب العالمين، وفرغ من نسخه يوم الثلاثاء المبارك، في شهر ربيع الأول، من شهور سنة إحدى وستين وألف من الهجرة، وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الجزء الثاني

من كتاب رقائق الحُلل في دقائق الحِيل
ما عُني بجمعة وترتيبه

علي بن يونس بن عليّ بن سالم السَّعْديّ
المتوفى سنة 680 تقريباً

المعروف والده بالصَّدر المجدد القُرشيّ السَعديّ
تغمدهما الله تعالى برحمته بجاه سيِّدنا مُحمَّد وعترته
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين
آمين
تم
الجزء الثاني

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

قال الفقير إلى رحمة ربه القدير، على بن يونس بن علي بن سلم، المعروف والده بالصدر المجدد القُرشيّ، تغمدهما الله برحمته، وأسكنهما الله برحمته جنّته، بمحمد وعترته.

الحمد لله المُوجد من العدم، فالق الحبِّ، وبارئ النَّسَم، المتكفل بأرزاق الأمم، مُميت الأحياء، ومُحيي الرِّمم، سبحانه من مَلِك مفضال كبير متعال، لا تشتبه عليه لغات المتكلمين، ولا يُبرمه إلحاحُ السائلين، الّذي قال، وهو أصدق القائلين: ﴿وإنَّ عَلَيْكُم لحَافظِين، كِرَاماً كَاتبين، يَعْلمُونَ ما تفْعَلون﴾[1]، حمداً لا يفنيه عدد، ولا لمنتهاه أمد، وصلّ اللهم على سيِّدنا محمد النبي المُكرم، المبعوث إلى كافة العرب والعجم، الّذي شرُف به البَشر، الشفيعُ المُشفَّع في المَحشر، ما بلغ آلٌ وهَّل هلالٌ، ونبتَ شيحٌ،و هبَّت ريحٌ، وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرِّجس، وطهرَّهم تطهيرا.

وبعد إنجازي الجزء الأول من كتابي هذا الموسوم: «برقائق الحُلل في دقائق الحِيَل» ألزمتُ نفسي بجمع الجزء الثاني، ولم يكن لي همة إلا النظر في التواريخ والمجاميع، والأخبار والحكايات التي تقدم ذكرها في الجزء الأول، حتّى جمعتُ هذا الجزء بعد اختلاج[2] كثير، وتهذيب تعب، إذ كان ممن يسعد بحضوره المولى الأمير الكبير، الزاهد العابد الورع الدِّيِّن، السَّعيد العالم العادل: سعد الدِّين سُنبل بن عبد الله الملكي البدري.

---

(1) سورة: الانفطار، آية: 10 .

(2) أي: بعد اضطراب وعناء.

عَـقُم النِّســاءُ فلم يَلِدْنَ شـبـيـهَـه

إنَّ النـســـــاءَ بمثـلـه عُــــقْـمُ[1]

ركن الإسلام، قيِّم الدولة، عماد الأمَّة، كهف الرعيَّة، صاحب العقل الرزين، والحلم الرصين، والجدِّ الباتر، والوجر الزاهر، والمنصب الفاخر، والأدب الظاهر.

حليمٌ مع التَّـقوى شُـجـاعٌ مع الردى

ندٌ حيث لا يَنْدى السَّحابُ سكوبُ

شـديدُ مناط القلب في المَوْقف الَّذي

لـقلُوبِ العَـــالَمينَ وجـــــيبُ

فـتى هو مِنْ غَـيْـرِ التَّـخلُّق مـاجـدٌ

ومِنْ غَـيْـرَ تأديبِ الرِّجـال أديبُ[2]

صـاحب الأخـلاق الطاهرة، والعطايا البـاهرة، والسجـايا الزكيَّـة، والشيم المرضيَّة، والهمم العليَّة، والذمم الوفيَّة، والآثار المحمودة، والأفعال المشكورة.

الأرض مـــشـــرقـــة مِنْ نور غُـــرَّته

ومن عطاياه يَجــري الماءُ في العُــودِ

---

(1) البيت من مقطوعة لأبي دَهبل، وهب بن زمعة الجُمَحيّ، شاعر أموي، أحد شعراء قريش، وأحد الشعراء العشاق، وفي ديوانه أنَّها في مدح رسول الله ﷺ، وهذا بعيد في رأينا. ديوان أبي دهبل الجمعي: 66، وفي الأغاني أنَّها في مدح عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يُقال له ابن الأزرق، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير، الأغاني: 87/8، وبقية الأبيات:

متهللٌ بنعمْ بــــلا متباعـدٌ   سِيَّان منه الوفــر والعُــدمُ

نزْرُ الكلام من الحيـاء تخـاله   ضَمِنا وليس بجسمه سُقـمُ

(2) الأبيات من مقطوعة مدح فيها الحسين بن مطير الأسدي الخليفة المهدي، وهو شاعر محسنٌ، بديع القول، أدرك الدولتين الأموية والعبَّاسيَّة، ومطلع القصيدة:

إليكَ أميرَ المؤمنين تعسَّفتْ   بنا البيدُ هوجاءُ النَّجاءِ خَبُوبُ

وأثبت أبو الأصفهاني في الأغاني: 18/17 البيت الثالث، ونقله عنه جامع الديوان: حسين عطوان: 141، وتمثل بهذه الأبيات الخليفة المأمون يصف عبد الله بن طاهر، وقد ذكرها ابن طيفور في تاريخ بغداد: 200، غير منسوبة.

لـم يبقَ جـودٌ ولا مـجـدٌ ولا كــرمٌ
إلا وســابق فـيــه كلٌ مــولود[1]

والفـضل الشـائع، والذكـر الذائع والطل السـائع، والمن السـامع، والجمع بين الذكر الجميل، والأجر الجزيل، والتوفيق لأحرار الدوح، انتهاز الفرص العالية، والاجتـهـاد في تجديد رونق الإسـلام، وإحياء سنة الأحكام، والرأفـة بالعلمـاء، والميل إلى الفضلاء، والحنو على الفقراء، والرفق بالضعفاء.

مـعْطَاؤُهَا مطْعَـامُـهَـا مطْعَـانُهَـا
مـقْـدَامُـهَـا صَـوَّامُـهَـا قَـوَّامُـهَـا
بِصَــلاَحِـهِ صَلُحَتْ لَنَا الدُّنْيَـا وَفِي
أَيامِــه ابتَــسـمَتْ لَنا أيامُــهــا
مــلأَتْ مَطالِعَــهَـا أشـعَّـةُ عـدلِه
فَـانْجَـابَ عَنْهَـا ظُلْمُـهَـا وَظَلاَمُـهَـا[2]

اليـوسفيُّ العـدل[3]، الإسـماعيليُّ الصِّدق[4]، الشيـعيُّ الرِّفق[5]، الداؤديُّ

---

(1) البيت الأول للحسين بن مطير، من مقطوعة يمدح بها الخليفة المهدي، وهو في الديوان: 155، وفي خزانة الأدب: 475/5 هكذا:

حُسْنِ وَجْهِكَ تُضْحِي الأَرْضُ مُشْرِقَةً   وَمِنْ بَنَانِكَ يَجْرِي المَاءُ فِي العُوْدِ

وقد أجرى عليهما المؤلف بعض التغيير، ويبدو أنَّه صنع البيت الثاني، ليتناسب مع الأول.

(2) الأبيات من قصيدة طويلة لأبي الفتح محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي، (519-583 هـ)، يمدح بها الخليفة العباسي أبا محمد الحسن المستضيء بأمر الله، والقصيدة في الديوان بتحقيق: مرجليوث: 407، ومطلعها: زفراتُ وجدٍ ما يبُوحُ ضِرامها ومدامعٌ متناصرٌ تسجامها

(3) نسبة إلى النبي يوسف -عليه السلام-.

(4) نسبة إلى عقيدة الإسماعيلية في المذهب الشيعي، وهي نسبة عامة، من الصعب الحكم عليها، فتظل رأياً خاصاً بالمؤلف.

(5) نسبة إلى المذهب الشيعيّ، وهي نسبة عامة من الصعب الحكم عليها، فتظل رأياً خاصاً بالمؤلف.

الفصل[1]، المَسيحيُّ الزهد[2]، الطائيُّ الجود[3]، الأحنفيُّ الحلم[4]، القيسيُّ الرأي[5]، الإياسيُّ الذكاء[6]، السحبانيُّ البيان[7]، الحميديُّ الفصاحة[8]، المحمَّديُّ الرحمة والرأفة[9].

لو لم يكنْ مالكاً للزما
نِ لم يكُ مقصدَ أهلِ الزمانِ
أغرُّ الجبين طويلَ اليمينِ
بعيدَ القرينِ مُشيدَ المباني
يلوذُ بهِ خائفُ النائباتِ
فيصبحُ من جورِها في أمانِ[10]

ملَّكه الله نواحيَ، وأمَّنه طوارق الغير، وحرس صفاء نعمته من الكدر، ونصره على كل عدو يَرْصُده، وكفاه من يبغي عليه ويحسُده، وقرن عزمه بالصواب في كلِّ ما يصبه، وبلَّغه في الدارين ما يرضيه بمحمَّد النبي الأميّ.

إنَّ للنَّاس رُتْبَةً في المعالي
وقفُوا دونها وأنتَ تزيدُ

(1) نسبة إلى النبي داؤد -عليه السلام- في فصله بين الخصمين.

(2) نسبة إلى دين المسيح -عليه السلام-، ولا ندري ما المقصود بالزهد؟ قد تكون الرهبانيَّة التي ابتدعوها، وما رعوها حق رعايتها.

(3) نسبة إلى حاتم الطائي.

(4) نسبة إلى الأحنف بن قيس سيِّد قبيلة تميم، المشهور بالحلم.

(5) نسبة إلى قيس بن زهير العبسي، المشهور بسداد الرأي.

(6) نسبة إلى القاضي إياس بن معاوية المزني.

(7) نسبة إلي سحبان وائل المشهور بالخطابة.

(8) لعل نسبة إلى عبد الحميد الكاتب.

(9) نسبة إلى النبي محمد ﷺ.

(10) الأبيات من مقطوعة لأبي علي الكاتب، الحسن بن عليِّ بن المبارك المعروف بابن أبي قيراط، يمدح بها الوزير أبا المظفر بن هبيرة، مطلعها:

يداكَ من الجود مخلوقتانِ وعزمكَ والمجدُ طرفا رهانِ

والأبيات في الوافي بالوفيات: 17/4.

قـــد تَـنـاهـيْـتَ فـي المكَـارمِ والجُـــود

ونـلـتَ المُـنـى فـَــــأيـنَ تُـريـدُ؟

العُلى والنُّهى وفـــخـــر الحـــادي

لك يا ســـيِّـــد الأنام عـــبـــيـــدُ

فـــابقَ في نعـــمـــة وأمـــر ونهى

مـــا بدا للصـــبـــاح ليل عـــمـــودُ[1]

(1) البيتان الأوّلان نسبهما صاحب الدر الفريد وبيت القصيد: 260/8، إلى تميم بن مَعد المُعزّ الفاطمي (ت: 374هـ)، وهما أيضاً في بهجة المجالس وأنس المُجالس للقرطبي، دون عزو: 503/1، وقال عنه ابن خلكان: كان شاعراً فاضلاً ماهراً، ولم يلِ الحكم في الدولة الفاطمية، وله أشعار جيدة، انظر: وفيات الأعيان: 301/1، والحلة السّيراء: 291/1، أما البيتان الأخران، فظن أنهما من صنع المؤلف، ويظهر فيهما التكسير، وهي عادة له في تركب الأبيات، ودمجها مع أشعار غيره.

الباب الحادي عشر
في حيَل القوّاد والولاة، والأمراء وأصحاب الشُرَط

263. حيلة قصير بن سعد[1]:

ذكر عامر الشّعبي[2] في كتابه: تاريخ ملوك العرب والعجم، أنّه لّما قتلتْ الزّبّاءُ[3] جذيمة بن الأبرش[4]، وكان معه قصيرٌ، وكان عَمْرو بن عَديٍّ بن أخت

(1) هو: خادم لجذيمة، يقال له: قصيرٌ بن سعد، ثم أصبح وزيرا له، وكان ذكياً صاحب رأي، وقد نصح جذيمة بعدم الذهاب إلى الزّباء، لكنه لم يأخذ بمشورته، فكان مصيره القتل.

(2) ولا يُعرف أنه صنف كتاباً، وما ذكره المؤلف قد يكون من جمع تلاميذه، ومروياته. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 143/14، وفيات الأعيان: 15/3، التاريخ الكبير للبخاري: 450/6. والقصة مشهور في معظم كتب التاريخ والأمثال، عند الطبري: 613/1، وفي الكامل: 266/1، وتجارب الأم: 91/1، ومجمع الأمثال: 413/1، وفي لطف التدبير: 192، وكذلك في أخبار الأذكياء: 222، فقد سردها بسندها كاملة، وهي فيه أجود صياغة، وأمتن تركيباً مما قدّمه المؤلف.

(3) هي: الزّبّاء: نائلة بنت عمرو بن الظرب بن أذنية العمليقي، آل إليها حكم الحيرة، بعد أن قتل جذيمة الأبرش أباها في إحدى المعارك، وكان جنودها بقايا العماليق، وقد امتد ملكها من الفرات إلى تدمُر، وكانت على جانب كبير من الدهاء، فصممت على الأخذ بثأر أبيها، واستطاعت أن تدبر لجذيمة مكيدة، فقتلته.

(4) هو: جذيمة الأبرش بن مالك بن فَهم، أول من استجمع العرب بأرض العراق، كان صاحب رأي وقوة ونكاية، وقد لُقب بالأبرش لبرص كان به، اجتمعت له الجيوش العظيمة، وقد غزا قبيلتي طَسْما وجَديساً في منازلهم في اليمامة، وقوي ملكه، فكانت تفد عليه الوفود، وتجبى إليه الأموال.

جذيمة[1] يركب كلَّ يوم يأتي إلى طريق الحيرة، يسأل عن حاله، فبينما هو ذات يوم، إذ نظر إلى فارس قد أقبل، فما دنا عرف الفرس، فقال: ما وراءك ياقصير؟

قال: قُتل خالك، فالطلب ثأرك من الزَبَّاء، قال عمرو: كيف لي بها وهي أمنع من عُقاب الجوِّ؟ فأُرسلتْ مثلاً، فلمَّا عَلِم قصيرٌ أنَّ عَمْراً لا يقدر عليها، قال له: اقطع أنفي وأذني[2]، واضربني بالسَّوط حتىً يؤثر في جسدي، وأنا آخذ بثأرك، ففعل عمرو به ما أراد، وركب قصيرٌ، وسار نحو الحيرة، فأتى [هند بنت الرَّيان]،[3] وهي الزَبَّاء، واستأذن عليها، فأذنتْ له فدخل عليها، فوجدته مجدوعاً أكلماً، فقالت: ما بك؟ قال: أيتُّها الملكة عمرو بن عديّ اتهمني بقتل خاله، وتجنى عليّ الذنوب وأراد قتلي، فخرجتُ هارباً إليك، وقد أتيتك لأخدمك، وآمن على نفسي القتل، وتجدي عندي كفاية في كل ما ترضيه. قالت: أقم عندي لك ما تُحب، ثُمَّ ولته على داخلها وخارجها، فرأت منه الشهامة فيما تسنده إليه من أمور، وأقام عندها حولا، ثُمَّ قال: أيتها الملكة إنَّ لي بالعراق مالاً مدفوناً، أفتأذنين لي بالخروج؟ فأذنت له، ودفعت له مالا، وأمرته أن يشتري لها ما يصلح لمثلها من الثياب والجواهر.

فانطلق حتىً أتى عَمْراً، فأخذ منه ضعفي مالها، واشترى لها جميع ما ذكرته وعاد إليها، فظَّنتْ أن ذلك بما لها فردته ثانية وثالثة، وهو يأخذ من عمرو

---

(1) هو: عمرو بن عديّ بن نصر اللَّخمي، أول ملك من ملوك الحيرة، انتقل إليه الملك بعد مقتل خاله جذيمة الأبرش، وكان والده عديُّ بن نصر بن ربيعه غلاماً جميلاً عند جذيمة، فعشقته رقاشُ أخت جذيمة، وقد زوجها إياه في سكره، وبعد صحوه ندم ندماً شديدا، فلمَّا عرف عديُّ الخبر هرب ولحق بقبيلة إياد حتى مات، ثم إن جذيمة أعجب بعمرو وترعرع في كنفه، وخلطه بولده، وقيل إن الجنَّ اختطفت عَمْراً زمناً، ثم عاد، وهو أول من ألبس الطَّوق من العرب، وهو الذي يضرب به المثل: «كبر عمرو عن الطَّوْق».

(2) هذه القصة تساق غالباً لتفسير ما جاء فيها من أمثال ارتبطت بأسماء هؤلاء الأشخاص، ويُقال في المثل: «لأمر ما جَدع قصيرٌ أنفه».

(3) لم نجد في المصادر التي ذكرت القصة من ذكر هذا الاسم للزبَّاء، وقد ذكر ابن الكلبي أنَّ اسمها: فارعة، وفي الكامل: 266/1، وتجارب الأمم: 91/1، أنَّ اسمها: نائلة بنت عمرو ان الظرب بن حسَّان بن أذنية، وهو من العماليق.

مالا ويشتري لها به، ووقع قصير بقلبها موقعاً عظيماً، ثم بعثتْ به في الرابعة بمال عظيم، وأمرته أن يشتري لها أثاثاً ومتاعاً كثيرا، فانطلق إلى عمرو، وقال له: قد أصبتَ حاجتكَ، فأريد أن تخرج معي في ألف فارس في جوف الجواليق[1] والتوابيت، فانتخب عمرو ألف رجل من أصحابه، وأنفذ بهم مع قصير في الجواليق والصناديق مع كلِّ رجلٍ سيفٌ مسلولٌ.

وكان عمرو يسير بهم ليلاً، ويكمن نهاراً، حتَّى شارفوا مدينتها، فتقدم قصيرٌ القوم، وأقبل حتَّى دخل عليها، وقال: أيتُّها الملكة، اصعدي إلى أعلى القصر لتنظري إلى ما جئتُكِ به، فصعدتْ إلى أعلى القصر، ونظر إلى الجِمال وثقلها، وأنشدتْ:

ما للجِمَال مَشْيُها وئيدا؟
أَجَنْدلاً يَحْملنْ أم حَديدا؟
أم صَرَفاناً بارداً شَديداً؟
أم الرِّجال جُثَّماً قُعُوداً[2]

ثُمَّ أمرتْ بالجِمال، فدخلتْ إلى قصرها، وكان مساء، فلمَّا جنَّ الليل فتحوا الجواليق والصناديق، وطلعوا فقتلوا جميع من كان في قصرها، وكان لها سربٌ[3] قد أعدته لهذا الأمر، يخرج بها إلى مدينة أخرى، وكان قصيرٌ قد عرف ذلك

(1) الجواليق: وعاءٌ من صوف أو جلد أو غيره، وهو عند العامة يُقال له: شُوال.

(2) رواية الأبيات فيها اختلاف بين المصادر، فالبيت الثاني في كتاب الأذكياء هكذا:

أم صرفانا تارزاً شديداً   أم الرِّجال في المُسُوح سُودا

والتارز: المتيبس من النبات تأكل الإبل فتَيْبس أذنابها، وشطره الأول موافق لرواية مجمع الأمثال، ورواية الكامل موافقة لرواية المؤلف، وفي مجمع الأمثال أنَّ الّذي قال: الشطر الثاني من البيت الثاني هو قصير، وقد قالها في نفسه، وعلّق محقق الكامل بقوله: «وليس هذا بقطعي، فربما استشعرت الغدر، فقالت هذه الأبيات، وذكرها الحديد في البيت الأول يؤكد ذلك، والعرب معروفة بالفراسة والقصص المروية عنهم في هذا الباب كثيرة. فإن قيل: فما بالها، وقد شعرت بالخطر تركتهم يدخلون المدينة؟ قلتُ: ربما لم يرقَ هذا الشكُّ عندها إلى حدِّ العمل به، ولعلهم وجدوا ذلك منها، فعجلوا بدخول المدينة قبل أن تمنعهم».

(3) أي: النَّفق.

فسبقها إليه، فلمَّا طلبتْه رأت عَمراً وبيده سيفٌ مسلولٌ، قالت: «بيدي ولا بيدي عمرو»، فأُرسلتْ مثلاً، ومصَّتْ خاتمها[1]، فماتتْ من وقتها، وملك عمرو وأصحابه المدينة.

264. حيلة أبي مسلم الخرساني:[2]

وذلك أنَّ أبا مسلم لمَّا دخل مرو، وتصالح هو وابن الكرماني[3] بعد هزيمة نصر بن سيَّار[4] وهربه إلى [إيران شهر][5] وموته بها، بقي كلُّ واحدٍ منهما يُدَبِّر الحيلة في قتل صاحبه، فركبا يوماً وابن الكرماني في أصحابه، وأبو مسلم وحده ليس معه أحدٌ غير صاحب له، فلمَّا خرجا من سَرْخَس[6]، أمر أبو مسلم غير أصحابه أن يقفوا بباب الدَّرْوازق[7]، ومضى معه، حتَّى خرجوا إلى نهر بلخ[8]، فوقف ابن الكرماني من قومه وفرسانه اثنان وعشرون رجلا، وليس مع أبي مسلم غير صاحبه، فنظر أبو مسلم إلى وجوه القوم، فرأى فيها الغدر، فالتفتَ إلى صاحبه، وقال: بكم اشتريتَ فرسُكَ هذا؟ قال: بتسعمائة درهم، فقال: هل

---

(1) رواية كتاب الأذكياء: التقمت خاتما في يدها تحت فصِّه سمٌّ، فأدركها عمروٌ وقصيرٌ فضرباها بالسَّيف حتى هلكت، وهذه الرواية قريبة من رواية الكامل وتجارب الأمم.

(2) تقدَّمت ترجمته، ولم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، وبعض أحداثها منتشر في كتب التاريخ، ولكن هذا الحبكة القصصية قد تكون من اختراع القصاص.

(3) هو: علي بن جديع بن شبيب الكرماني، قتله أبو مسلم الخرساني هو وأخاه عثمان، سنة 130هـ، وكان نصر بن سيَّار قد قتل والدهما جديع الكرماني وصلبه.

(4) نصر بن سيَّار بن رافع الليثي، آخر ولاة الأمويين في خراسان، تُوفي سنة 131هـ.

(5) إيران شهر: اسم يُطلق على بلاد العراق وفارس وخراسان، والفرس تقول: إيران اسم أرفخشد بن سام بن نوح، وشهر بلغتهم يعني: البلد، فهو اسم مركَّب معناه بلاد أرفخشد. انظر معجم البلدان: 289/1.

(6) مدينة قديمة في نواحي خراسان بين نيسابور ومرو. انظر: معجم البلدان: 208/3.

(7) كلمة فارسيَّة معرَّبة، أصلها دَرْوازه، أي باب المدينة، وهي قريبة من مرو، انظر معجم البلدان: 452/2 .

(8) بلخ كانت من أهم مدن خراسان، كثيرة المحاصيل، وكانت قديماً تُسمى الإسكندرية، بينها وبين تِرْمذ مسافة قريبة، وتِرْمذ هي التي يُنسب إليها الإمام الترمذي، ونهر جيحون، يُقال له نهر بلخ. انظر: معجم البلدان: 479/1.

أسابقكَ عليه، فإنْ سبقتك أخذته، وإنْ سبقتني أخذتَ فرسي، فثنى رجله، ونزل عن جواده، وقاده، وقال: هو لكَ جُعلني الله فداك. فقال أبو مسلم: ليس هذا شيء، أنا أريد السِّباق، قلتُ: نعم، فركب صاحبه، وهو يعجب من مزاحه واللعب معه،، فقال أبو مسلم: ارفع بنا بسم الله، وركض وركضتُ في جنبه، وتركنا ابن الكرماني واقفا في أصحابه ينتظرعَوْدنا إليه، ولم نزل نركض حتَّى وصلنا عسكر أبي مسلم، فلمَّا صرنا في وسطه قال: احبس، فحبستُ، وقلتُ له ما سبب هذا يا مولاي؟ قال: تصفحت وجوه القوم فرأيت الغدر لائحاً فيها، وليس معي أحدٌ غيرك، فأردتُ الخروج من بينهم، فجعلتُ السِّباق سبباً، فالحمد لله الذّي نجانا منهم.

265. حيلة مالك[1] على عبد الله بن معاويةَ: [2]

وذلك انَّهما لَّما دخلا في طلب البيعة لآل رسول الله ﷺ مع أبي مسلم الخُراساني، وكان عبد الله أكثر رجالاً، وأقوى بأساً، وكان مالك يدبر الحيلة على عبد الله، ويتعمَّده بالسَّلام صباحاً مساءً، ويُطمعه بالخروج إليه، فشكر عبد الله ذلك، وسكن إليه، ثُمَّ إنَّ مالك أرسل إلى عبد الله إنَّ الحُرْمة تتأكد بالممالحة، وسأله أن يتغدى عنه يتحرم كلُّ واحد بصاحبه، ويكون قد أكرمه بذلك وعرف قدره، وكان مالكاً قد وصَّى أصحابه بأن إذا حضر عبدالله وأكل الطعام، أَجْري

---

(1) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، ومالك، هو: أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي، كان والياً على نواحي هراة، من طرف أبي مسلم الخُراساني، وقد قدم عليه عبد الله بن معاوية؛ لأنه ظنهم يدعون إلى الرضا من آل محمد ﷺ، ولكنهم استرابوا من اسم معاوية في نسبه، فقُبض عليه بأمر من أبي مسلم الخراساني، وقتل، سنة 129هـ. انظر: الكامل: 38/5، وتجارب الأمم: 517/2.

(2) رواية (ب): [حيلة مالك على عبد الله بن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان]، وهو وهم من المؤلف، إنما المقصود: عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بي أبي طالب، وقد خرج على الأمويين في الكوفة، ثم لَّما انهزم، خرج إلى فارس، واستولى على بعض مدنها، إلى أن وصل خراسان.

حديث السيوف، فإنَّه يزعم أن ما في الأرض أعرف منه بها، فإذا أريته سيفي، فسُلُّوا كلكلم سُيوفكم، وقفوا انتظروا أمري.

فركِب عبد الله في نفر من أصحابه وخواصه إلى دار مالك، فلمَّا جلسا بعد الغداء، ذكر مالك السيوف القلعية[1]، فقال عبد الله بن معاوية: أنا أعرف النَّاس بها، فقال له مالك: ألا تنظر فداك أبي سيفي هذا، هل هو منها أم لا؟ ثُمَّ انتضاه[2] إياه، فهزَّه عبد الله، وجعل يتأمله ويُقلِّبه، وقال: جيِّد هو، وليس بقلعي، ولكنَّه جيِّد، فانتضى أبو شيبان سيفه[3]، فقال: سيفي هذا جُعلتُ فداك، هل هو منها؟ فهزه ونظر إليه، وانتضى موسى بن حسَّان سيفه[4]، وانتضى آخرٌ، وآخر، وسلُّوا كلهم سُيوفهم، فلم يشعر عبد الله إلا والدار كلها سُيوف مسلولة، فعلم أُنه ممكورٌ به، فاستسلم، فوثبوا عليه وعلى أخويه يزيد والحسن، وكتَّفوهما، وكتَّفوا جماعته كلَّهم، ثُمَّ كتب إلى أبي مسلم يُخبره بخبره، وغدره مرَّة بعد أخرى، ودخوله هراة وما صنع بها، وكيف احتال عليه[5].

266. حيلة أبي جهل بن هشام:[6]

احتالَ على أخيه ابن أمه حتَّى قتله، وذلك أنَّ [عيَّاش][7] بن أبي

---

(1) نسبة إلى اليمنية القلعية، قلعة باليمن بوادي ظهرية الذي يكثر فيه معدن الحديد، ويقع شمال غرب صنعاء.

(2) انتضى السَّيفَ: أخرجه من غِمده.

(3) هو: شيبان بن الحلِس بن عبد العزيز الخارجي.

(4) لم نجد ذكراً لهذا الاسم في كتب التاريخ، ونظنه محارب بن موسى مولى بني يشكر، فقد بايع النَّاس عبد الله بن معاوية، وناصروه، ثم حدث خلاف بينهما، وتنافرا وتحاربا.

(5) بعض أحداث القصة ذكرتها كتب التاريخ، إلا هذا الحبك القصصي، قد يكون من صنع الإخباريين.

(6) القصة في سيرة ابن هشام: 114/2، والطبقات الكبرى: 251/3، وهي في قصة هجرة عمر بن الخطاب ﷺ، وبين المصادر اختلافات يسيرة، إلا أن كتب الإخباريين والقصاص، أضافت إليها بعض الأحداث، كما يفعل المؤلف في كثير من القصص التي أوردها، وفي هذه القصة نجده يضيف من عنده بعض العبارات، والحبك القصصي، وأحيانا بأسلوب ركيك.

(7) في (ت): عباس، والصواب ما أثبتناه.

ربيعة[1] هاجر به عمر بن الخطاب مترافقين حتَّى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث، وهما إخوة [عيَّاش][2] لأمه حتَّى نزلا [بعيَّاش][3] بن أبي ربيعة، فقالا له: ألست تزعم أنَّ من دين محمَّد ﷺ صلة الأرحام، وبرَّ الوالدين، قال: بلى، فقالا: نحن أخواك وقد جئناك من عند والدتك، وقد [أقسمتْ] ألا تأكل ولا تشرب، ولا تأوي بيتاً [حتَّى] تراك، وهي محبة لك أكثر منَّا، [فادخل] معنا إليها حتَّى ترضى والدتك عنك، ففي رضاها عندك رضا ربك، ورضا محمَّد ﷺ، وكان النَّبيّ ﷺ يومئذ بمكة لم يخرج منها، فاستشار عمر، فقال له: هما يخدعانك [ويمكران][4] بك، ومعي مالي، ولك الله على إن أقمتَ معي ولم ترجع عن هجرتك أن أقسم مالي بينك وبيني نصفين، فمازالا [يفتنانه][5] حتَّى أطاعهما، وعصى عمر، فقال له عمر: إذا ما عصيتني [فخذ ناقتي هذه، فليس في الدنيا مثلها، ولا بعير يلحقها، فإنَّ هما أرادا بك أمراً ترتاب منه فارجع][6].

فمضى معهما، حتَّى انتهوا إلى البيداء، فقال أبو جهل [لعيَّاش][7] إنَّ ناقتي قد كلَّتْ، فاحملني معك، قال: نعم. قال: فانزل حتَّى توطئ لي ولك، فلمَّا صار على الأرض، قبضا عليه، وأوثقاه [كتافاً][8]، [ثُمَّ جلداه حتَّى كاد أن

---

(1) هو: الصحابي الجليل: عيَّاش بن أبي ربيعة، واسم ربيعة: عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو أخ لأبي جهل لأمه، وابن عمه، أسلم قديماً، قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية. انظر: نسب قريش: 317، أسد الغابة: 976، والاستيعاب: 1231/3 .

(2) في (ت): عباس، والصواب ما أثبتناه.

(3) في (ت): بعباس، والصواب ما أثبتناه.

(4) في الأصل: [يمكرا].

(5) في الأصل: [يفتنونه].

(6) في سيرة ابن هشام: [فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها].

(7) في (ت): لعباس، والصواب ما أثبتناه.

(8) عند ابن هشام: [فأوثقاه وأخذاه].

يموت][1]، ثُمَّ حملاه إلى أمه، فقالت: [والله][2] لا تزال في عذاب، أو ترجع عن دين محمَّد، قال: لا أفعل ذلك أبداً، [فما زالوا يُعذِّبونه حتَّى مات، وهو على دين الإسلام رحمة الله عليه][3].

267. حيلة نُعَيْم بن مسعود : [4]

ذكرها الثعلبي في تفسير سورة الأحزاب، أنَّ نُعيماً أتى إلى النبي ﷺ، وكان من أشراف قومه، وقال: يارسول الله إنِّي قد أسلمتُ، وأنَّ قومي لم يعلموا

---

(1) هذه من المثيرات القصصية التي يضيفها المؤلف، أو المصدر الذي نقل عنه.

(2) هذا الحلف لم يرد في المصادر التاريخية التي ذكرت القصة، ومن البدهي ألا يصدر من مشرك بالله بالله بهذه الصيغة.

(3) هذه النهاية التي ذكرها المؤلف لحياة عيَّاش بن أبي ربيعة، تخالف الواقع، وتخالف جميع المصادر التاريخية، فقد حبس مدةً في مكة، ثمَّ استنقذه الوليد بن الوليد بن المغيرة، ومعه هشام بن العاص، استجابة لدعوة من الرسول ﷺ، حين قال« من لي بعيَّاش، وهشام بن العاص؟»، انظر: سيرة ابن هشام: 116/2، وقد امتدت حياته حتى خلافة عمر بن الخطاب، وشارك في كثير من المعارك الإسلامية، واختلف في مكان موته فقيل: باليرموك، وقيل بمكة، انظر: الاستيعاب: 1231/3، وأسد الغابة: 976، والطبقات الكبرى: 251/3،

(4) القصة في الكشف والبيان: 17/8، ولطف التدبير: 80، 11، وفي سيرة ابن هشام: 229/2، والقصة لم تثبت بحديث صحيح، إلا أنها منتشرة في كتب السيرة النبوية، رواها ابن اسحاق بلا سند، ونقلها عنه ابن هشام: 229/2، وقال الحافظ بن حجر في (افتح الباري): 12 /260: «قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها: أن نعيمًا كان رجلًا نمومًا، وأن النبي ﷺ قال له: إن اليهود بعثت إليَّ إن كان يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رهنًا ندفعهم إليك فتقتلهم فعلنا. فرجع نعيم مسرعًا إلى قومه، فأخبرهم، فقالوا: والله ما كذب محمَّد عليهم، وإنهم لأهل غدر، وكذلك قال لقريش، فكان ذلك سبب خذلانهم ورحيلهم»، وهذا يؤكد بأن تفريق الأحزاب بالتخذيل بينهم، وهو من تدبير الرسول ﷺ، بعد تدبير الله- سبحانه وتعالى-، وأن نُعيماً ما هو إلا ناقل خبر، ونُعيم بن مسعود، هو: نُعيمَ بن مسعود بن عامر الأشجعيٌّ، كان من دهاة العرب، هاجر إلى الرسول ﷺ يوم الخندق، توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى: 59/2، والاستيعاب: 1508/3.

بإسلامي فمرني بما شئتَ، فقال له النبي ﷺ إنما أنت رجل واحد [فخذِّل عنَّا][1] إنْ استطعتَ، فإنَّ الحرب خدعة.

[وولاه النبي ﷺ على الحرس][2]، فخرج نعيم حتَّى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهليَّة، [وكانوا في جملة الأحزاب التي تجمَّعتْ على النبي ﷺ][3]، فقال لهم: يابني قريظة، قد عرفتم ودِّي إيَّاكم، وخاصَّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقتَ، لستَ عندنا بمتَّهم، فقال لهم: إنَّ قريشاً وعطفان كهيئتكم البلد بلدكم، وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على التحويل من إلى غيره، وإنَّ قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم [بعيدة][4] إن رأوا نُهْزة أو [فرصة][5] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلُّوا بينكم وبين الرَّجل، والرَّجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم [قاتلكم][6]، فلا تقاتلوا [اليوم][7] حتَّى تأخذوا رهناً من أشرافهم [يكون][8] بأيديكم ثقة لكم على أنْ يقاتلوا معكم محمَّداً [تنجزوا منه][9]، قالوا: لقد أشرتَ برأي ونُصح، ثمَّ خرج من [بينهم][10] حتَّى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يامعشر قريش قد عرفتم ودِّي لكم وفراقي محمَّداً، وقد بلغني أمر رأيت أنَّ حقّاً عليَّ أن أبلغكم إياه نصحاً لكم فاكتموه عليَّ، قالوا: نفعل.

قال: تعلمون أنَّ معشر اليهود قد [ندموا] على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمَّد ﷺ، وقد أرسلوا إليه، أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يُرْضيكَ عنَّا أنْ

---

(1) في (ت): [فخداعنا ما استطعت]، وما أثبتناه من الكشف والبيان.

(2) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

(3) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

(4) في الكشف والبيان: [بغيره]، وما أثبتناه من الكشف والبيان.

(5) في الكشف والبيان: [غنيمة]، وما أثبتناه من الكشف والبيان.

(6) زيادة من المؤلف، ليست من الكشف والبيان.

(7) في الكشف والبيان: [القوم].

(8) في الكشف والبيان: [يكونون].

(9) في الكشف والبيان: [تناجزوه].

(10) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فتضرب رقابهم، ثُمَّ نكون معك على من بقي منهم؟

فأرسل إليهم أنْ نَعَم، فإنْ بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم واحداً، ثُمَّ خرج [من بينهم][1] حتَّى أتى غطفان، فقال: [يامعشر غطفان][2] أنتم أصلي وعشيرتي، وأحبُّ النّاس إليَّ ولا أراكم تتّهموني، قالوا: صدقتَ، فقال: فاكتموا عليَّ، قالوا: نفعل، ثُمَّ قال لهم مثلما قال لقريش، وحذَّرهم ما أحذَّرهم، فلمَّا كانت ليلة السبت [في شوَّال سنة خمس، وكان مما صنع الله برسوله][3]، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنَّا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخفُّ والحافر، فاغدوا للقتال حتَّى نناجز محمَّداً، ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم: إن اليوم السبت، وهو يوم لا يُعمل فيه شيء، وكان بعضنا قد أحدث فيه [أمراً][4] فأصابه ما لم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتَّى تعطونا رهناً من [أشراف][5] رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتَّى نناجز محمَّداً، فإنَّا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتدَّ عليكم القتال، [تسيرون][6] إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة [لنا به][7].

فلمَّا رجعتْ إليهم الرُّسل بالذي قالتْ بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: [لتعلمنَّ والله، إنَّ الذي حدَّثكم به نعيم صحيحٌ][8]، فأرسلوا إلى بني قريظة، إنَّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا.

---

(1) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

(2) سقطت من (ت)، وهي في الكشف والبيان.

(3) سقطت من (ت)، وهي في الكشف والبيان.

(4) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

(5) زيادة من المؤلف، ليست في الكشف والبيان.

(6) في الأصل: [تسيروا].

(7) في الكشف والبيان: [لنا بذلك من محمَّد].

(8) في الكشف والبيان: [تعلمون والله أنَّ الذي حدَّثكم نعيم بن مسعود لحقٌ].

قالت بنو قريظة حين انتهتْ الرُّسل إليهم: إنَّ الذي ذكر لكم نعيم لحقٌ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوًا بينكم وبين الرَّجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريظة وغطفان: إنَّا والله لانقاتل معكم حتَّى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، [فوقع الخلاف بينهم](1)، وخذل الله الكلَّ، وبعث عليهم الرِّيح في ليال شاتئة شديدة البرد، وعاد بأسهم عليهم، وتفرقوا خائبين.

268. حيلة عبد الله بن عامر الأزدي(2):

حتَّى نجا من سَيْل العَرم: وذلك لما كفر أهل سبأ بما أنعم الله- عزَّ وجلَّ- عليهم، أرسل عليهم سَيْل العَرم، فلمَّا أراد الله- عزَّ وجلَّ- هلاكهم، سلَّط على الرَّدْم الذي بنوه على عَيْن شربهم جُرَذاً له مخاليب من حديد، فأوَّل من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزديُّ، فأخبر أولاده وزوجته بذلك، وقال لهم: هل ترون ما أرى؟، قالوا: نعم. فأخذ سِنَّورا(3) فجاء بها الجرذ، فلمَّا رأته السِنَّور هربتْ منه، فقال عبد الله: احتالوا لأنفسكم، قالوا: يا أباه! كيف نحتال؟ قال: إنِّي محتالٌ لكم بحيلة.

ثُمَّ دعا بأصغَر بنيه، وقال له: إذا جلستَ في المجلس- وكان سيِّد قومه، وهو المتولي عليهم-(4) وحضر الناس، [فإذا اجتمعوا، أمرتُك بأمر فلتغْفَلْ عنه، فإذا شتمتُك، فاشتمني وانتهرني، وأنتم لا تَحْردوا(5) عليه](6)، فإذا رأى الجلساء أنَّكم لا تَحْردون عليه، لم يَجْسُرْ أحدٌ منهم أن يَحْرد عليه، فأحلفُ أنا يميناً

---

(1) زيادة من المؤلف ليست في الكشف والبيان.

(2) القصة في أخبار الأذكياء: 46، ولا شك أنَّها من الأساطير التي روتها كُتب القصاص والإخباريين.

(2) السِنَّور، جمع سنانير من فصيلة القطط، وفي أخبار الأذكياء: [فأتى بهرَّة].

(3) صياغة المؤلف مربكة، فسيِّد قومه هو الأب عبد الله بن عامر.

(4) الفعل: حَرَد، وحَرِد، من باب ضرب، وطرب، بفتح الراء وكسرها، بمعنى غضب واغتاظ، وفي أخبار الأذكياء يرد الفعل: أغار يُغير وتغيروا وتصريفاته بدل حَرَد. انظر لسان العرب: مادة (حرد).

(5) هذا النص كان مضطرباً، فاستعنا بما في أخبار الأذكياء لتنسيقه.

لاكفارة لها، أن لا أُقيم بين أظْهُر قوم يشتمني ابني الصَّغير بينهم، فلم يَحْرد أحدٌ منهم عليه. قالوا: نفعل ذلك. فلمَّا جلس مجلسه، واجتمع النَّاس على عادتهم، أمر ابنه الأصغر بأمر فلها عنه، ثُمَّ أمره عنه، فشتمه أبوه فردَّ عليه شتمه وانتهره، فعجبوا الجماعة من أمره، فنكَّسوا رؤوسهم، وظنوا أنَّ أولاده يحردون عليه، فلمَّا لم يَحْرد أحدٌ منهم، قام الشَّيخ فحلف أنْ يتحول عنهم ويستبدل داراً غيرهم، وأقسم لا يُقيمُ بين أظْهُر قوم لم يَحْردوا على ولده، فقام القومُ معتذرين إليه، وقالوا: ما كنَّا نظن أنَّ ولدك لا يَحْردون على أخيهم، فذلك الَّذي مَنَعنا عن الحَرَد عليه، فقال: قد سبق منِّي ما سمعتموه، وليس لي غير التحويل؛ فعرض ضياعه للبيع،وكان النَّاس يتنافسون فيها، وأخذ جميع ماله، وباع دوره وعقاره، ورحل عن القوم، ولم يلبث إلا قليلاً حتَّى جاءهم السَّيل فأهلكهم جميعاً ونخيلهم ومواشيهم وإبلهم، وأغرق جميع بلادهم، ونجا ابن عامر وأهله.

269. حيلة عمرو بن العاص: (1)

لمَّا فتح قَيْسارِيَّة حتَّى نزل على غَزَّة، فبعث إليها صاحبها أن ابعث إليَّ رجلاً من أصحابك حتَّى أكلِّمْهُ، ففكرَّ عمرو، وقال: مالها أحدٌ غيري، فخرج حتَّى دخل على العِلْج وكلَّمه، فسمع كلاماً لم يسمع مثله، فقال له العِلْجُ: أخبرني في أصحابكَ أحدٌ مثلك؟ فقال: لا تسأل، فمن هَواني عليهم بعثوني إليكَ، وعَرَّضُوني لما عَرَّضُوني، ولا يدرون ما يُصنع بي؟ فأمر له بجائزة، وكُسْوة؛ وبعث إلى البوَّاب: إذا أمرَّ بكُ فاضرب عُنقَهُ، وخذ ما معه، فمرَّ برَجُلٍ من النَّصارى من غسَّان، فعرفه، فقال: يا عمرو، وقد أحسنتَ الدُّخول، فأحْسِن الخروج. فَرَجع عمرو، فقال له المَلك: ماوراءك؟ قال: نظرتُ فيما وصلني من المَلِك، فلم أجدْ ذلك يَسَع بني عَمِّي، فأردتُ أن آتيكَ بعشرةٍ منهم تعطيهم هذه

---

(1) القصة في لطف التدبير: 208، وأخبار الأذكياء: 62، وفتح قَيْسارية اختلف فيه المؤرخون، بين عمرو بن العاص ومعاوية ابن أبي سفيان، على أنَّ الثابت أن عمرو بن العاص قد حاصرها، وفي الطبري: 604/3، والمنتظم: 192/4، أنَّ هذه القصة التي ذكرها المؤلف حدثتْ لعمرو بن العاص في فتح أجنادين.

العطيَّة، فيكون معروفُكَ عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد. قال: صدقتَ، عَجِّلْ، وأنفذ إلى البوَّاب لا يعترضه، فخرج عمرو وهو يَتَلَّفتُ، حتَّى إذا أَمِنَ، قال: لا عدتُ لمثلها أبداً[1].

270. حيلة أخرى لعمرو بن العاص:[2]

ذكرها ابن الجوزي في المنتظم، أن عمرو بن العاص، لَمّا رأى [أمر][3] العراق اشتد، وخاف الهلاك [على معاوية][4]، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا تفرُّقاً. قال: نعم، قال: نرفع المصاحف على الرِّماح، نقول: ما فيها بيننا وبينكم، فإن أبى بَعْضُهم، قَبِلَ بَعضٌ، ويقع بينهم الخِلاف والفتن، فإن قالوا: نقبل، رفعنا القتال إلى أجل.

فرفعوا المصاحف فوق الرِّماح، وقالوا: هذا كتاب الله- عزَّ وجلَّ- بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهلها؟ من لثغور العراق بعد أهلها؟ فلمَّا رأى النَّاس المصاحف، قال قوم: نجيبُ إليها، وقال آخرون: لا نجيبُ، ووقع الخُلْفُ بينهم، وثارت الفتن، وكفى معاوية شرهم، وكان ما أراد معاوية وعمرو، وهي أول حيلة عُملت في الإسلام[5].

---

(1) في أخبار الأذكياء، ولطف التدبير للقصة بعض التتمة، هكذا: [فلمَّا صالحه عمروٌ، دخل عليه الغِلْجُ، فقال له: ى أنتَ هو؟ قال: على ما كان من غَدْرِكَ].

(2) القصة في المنتظم: 120/5، وفي تاريخ الطبري: 48/4.

(3) في (ت): [أهل]، والصواب ما أثبتناه من المنتظم.

(4) زيادة من المؤلف ليس في المنتظم.

(5) قول المؤلف: إنها أول حيلة عُملت في الإسلام،حكم لا يمكن التسليم به، ومن المعلوم أنَّ ما وقع بين الصُّحابة رضوان الله عليهم، خاصَّة ما يطلق عليه قضية التحكيم، قد أفاضت فيه كتب التاريخ والسير، وما ذكره المؤلف له تفصيل طويل في المنتظم، وعند الطبري، ومن أفضل ما يمكن الرُّجوع إليه في مثل هذا الخلاف كتاب: العواصم من القواصم، للإمام أبي بكر بن العربي المكي.

271. حيلة [شِحْنَة]: [1]

نزل شِحْنَة بعض القرى، فاحتاج إلى مسح رأسه، فجاء وحده إلى المُزَيِّن، وقال: أنا حَاجِبُ الأمير الذي نزل بكم، فامْسَح رأسي، [فإن كنتَ صانعاً جيدا حتَّى تمسح رأس الأمير][2]، فمَسَح رأسه، فإنَّما أراد بهذا الفعل حتَّى لا يهابه المُزَيِّنُ، فيَجْرحه، ولا يَحْلقه جيداً.

272. بقايا حيل عمرو بن العاص: [3]

فمن ذلك أنَّ عمرو بن العاص لقي علياً ليالي الشورى، وما كان من حديث المِسْوَر[4] لَمَّا قُتل عُمرُ بن الخَطَّاب، حين طُعن، قيل له: لتستخلف، فأبى

---

(1) القصة في أخبار الأذكياء: 87، غير منسوبة إلى أحد، ونظن أن كلمة [شِحنَة] التي ذكرها المؤلف تشير إلى منصب وليس إلى اسم شخص، وهو أحد المناصب الأمنية التي استعملها السلاجقة لضمان إحكام سيطرتهم على زمام الأمور في المدن السلجوقية المختلفة، ومنها بغداد، من خلال إيجاد شخص ذي طبيعة عسكرية يقيم في بغداد، أو إحدى المدن الأخرى الخاضعة لحكمهم، بناء على قرار السلطان السلجوقي، وتكون مهمته حفظ الأمن، ومراقبة الخارجين عن نظام الدولة، وكان لشِحنة بغداد خصوصاً مهمة مراقبة الخليفة العباسي، لضمان عدم خروجه، أو استقلاله عن سلطة السلاجقة، فالشِحْنة،هو المسؤول، وقد يكون أميراً. انظر: رسائل أمين الدَّولة ابن الموصلايا، بتحقيق عصام عقله: 106.

(2) عبارة المؤلف هنا مضطربة، وفي أخبار الأذكياء: [فإن كنت حاذقاً جاءَ الأميرُ فمسَح شعره].

(3) رواية المؤلف للقصة فيها اضطراب كبير، وسنحاول تنسيقها من المصادر التي ذكرت القصة، وتُسمى هذه القصة: قصة البيعة، أو قصة الشورى، وقد حدثت حين طُعن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وهي في صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة، الحديث رقم 3700، ص: 910، وقال محب الدين بن الخطيب محقق كتاب: العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي عن رواية البخاري للقصة: «وهذا الحديث من أصح ما ثبت في هذا الموضوع وأجوده»، والنفر الستة الذين أشار بهم عُمر بن الخطَّاب، هم من العشرة المبشرين بالجنة: عثمان بن عفان، عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العوَّا، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وذكرها أيضاً الطبري: 227/4، والكامل: 459/2.

(4) المقصود: المِسْوَر بن مَخرمة بن نوفل الزُّهريّ، فقد اجتمعوا في بيته بزعامة عبد الرحمن بن عوف، وقد حضروا جميعاً، إلا طلحة بن عبيد الله فقد كان في سفر.

أن يُسمِّي أحداً بعينه، وقال عليكم بهولاء الرَّهط الذي تُوُفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم: عليٌّ، وعثمان، [وعبد الرحمن][1] وسعد [خالا][2] رسول الله ﷺ والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ [وابن عمته][3] وطلحة الخير[4]، فليختاروا منهم رجلاً، فإنْ اجتمع الخمسة ورضوا واحداً، [وأبى السادس اختياره][5]، فاشدخوا رأسه بالسَّيف[6]، وإنْ اتفق أربعة ورضوا واحداً منهم، [وأبى اثنان، فاضرب رأسيهما بالسيف][7] [فإن رضي][18] [ثلاثة واحداً منهم][9] فحكِّموا[عبد الله بن عمر][10]، فبأي الفريقين حَكَم، فيختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكمه، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف، واقتلوا الباقين إن رَغِبُوا عمَّا اجتمع عليه النَّاس.

فخرجوا من عنده، فقال [لعليِّ بن أبي طالب قومٌ كانوا معه من قريش][11]:

---

(1) رواية: (ت): [عبد الله]، وهو وهم من المؤلف، وقد ذكر عمر بن الخطاب في هذه القصة، عبد الله بن عمر، وجعله يكون معهم فقط للمشاورة، وليس له من أمر الخلافة شيء.

(2) هذا الوصف ليس على الحقيقة؛ ذلك لأن سعد بن ابي وقاص كان من أبناء عمومة أم الرسول ﷺ، لذا كان يقوله له الرسول: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»، فجد الرسول ﷺ لأمه هو: وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ووالد سعد بن أبي وقاص، هو: مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فالرسول ﷺ لم يكن له خال على الحقيقة سوى واحد، اسمه: عبد يغوث بن وهب، أما خالتاه فهما: فاتخة بنت عمرو الزهريَّة، والفريعة بنت وهب الزهريّة.

(3) في (ت) عمَّه، والصواب ما أثبتناه من الطبري، والكامل.

(4) المقصود: طلحة بن عبيد الله، ورواية الطبري وابن الأثير: طلحة الخير بن عبيد الله.

(5) رواية (ت): [وأبى واحد]، وما أثبتناه من الطبري، وهو أنسب للسياق.

(6) في الطبري، وابن كثير، وليست في البخاري، وقد توجه عمر بن الخطاب بهذا الحديث إلى المقداد بن الأسود، الذي وكلَّه بجمع النفر الستة الذين أشار بهم.

(7) سقطت من (ت) وما أثبتناه من الطبري وابن كثير، وليست في البخاري.

(8) سقطت من (ت) وما أثبتناه من الطبري وابن كثير.

(9) سقطت من (ب) وما أثبتناه من الطبري وابن كثير.

(10) في (ت): [عبد الله بن أبي بكر]، وهو وهم من المؤلف، والصواب ما أثبتناه من الطبري، وابن كثير، وتصحيح البخاري.

(11) الرواية عند الطبري وابن كثير فيها بعض اختلاف: [فقال عليٌّ لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمَّروا أبدًا. وتلقاه عمه العباس، فقال: عدلتْ عنا. فقال: وما عِلمُكَ؟].

ما ترى فيما قاله؟ قال: عدل عنا. قالوا: فما علمُكَ؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن صِهْر؛ لا يختلفان، فيوليها عبد الرحمن عثمان، أو عثمان لعبد الرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، [بله إنّي لا أرجو إلاَّ أحدهما][1].

فقال العباس: يا عليّ، لم أرفعكَ في شيء، إلا رجعتَ إليّ مستأخراً لما أكره، وأشرتُ عليك عند وفاة النبي ﷺ أن تسأله فيمن الأمر، فأبيتَ، وأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجلَ الأمر فأبيتَ، ثُمَّ أشرتُ عليك حين سمَّاك عمر في الشورى ألا تدخل معهم فأبيتَ، احفظ عني واحدة: كُلمَّا عَرَضَ القوم عليك فقل: لا، إلا أنْ يولوك، واحذر هولاء الرَّهط؛ فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر، حتَّى يقوم به غيرنا، وأيم الله، لا يناله إلا بشرٌ لا ينفع معه خير، وكان [عبد الرحمن قد خلع نفسه الخلافة، ورضوا أن يكون هو الذي يختار للمسلمين][2].

فلمَّا كان اليوم الرابع، صعد عبد الرحمن المنبر، وجلس موضع رسول الله ﷺ، ثُمَّ قال: أيُّها النَّاس إنِّي قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد الرَّجلين: إمّا عليّ وإمّا عثمان، [وكان عمرو بن العاص قد لقي عليّاً -عليه السلام- في ليالي الشورى][3]، وقال له: إنيّ أحبك، وأريد أن أنصحك إنَّ عبد الرحمن رجلٌ [مجتهد][4]، ومتى أعطيته العزيمة كان أزهدَ له فيك، [فلا يظهر لك الرَّغبة، ولا تبذل له من نفسك إلا الجهد والطاقة، ولا تضمن كُلمَّا

---

(1) انفرد الطبري بهذه الرواية.

(2) في (ت): [وكان عبد الله قد خلع...]، وهذا وهم من المؤلف، إنما الذي أخرج نفسه من هذا الأمر هو عبد الرحمن بن عوف، ونظن أن هذا القول شرح من المؤلف، فهو لم يرد في المصادر التي ذكرت القصة.

(3) انفرد الطبري بهذه الرواية.

(4) سقطت من (ت)، وما أثبتناه من الطبري.

سألك ورام إلى التواضع][1]، ثُمَّ أتى، فقال له: إنَّ عبد الرحمن ليس والله يبايعك إلاَّ بالعزيمة، فاقبَل [بعطفك، وأعطه ما سألك][2].

فلمَّا صعد عبد الرَّحمن المنبر، قال: قم يا عليّ، فوقف تحت المنبر، وأخذ عبد الرَّحمن بكفه، وقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله- عزَّ وجلَّ-، وسُنَّة نبيه ﷺ، وفِعْل أبي بكر وعمر؟ قال: اللَّهم لا، ولكن جَهدي وطاقتي، فأرسل يده، ثُمَّ نادى يا عثمان، فقام وأخذ بيده - وهو في موقف على الَّذي هو فيه [قائماً][3] -، فقال له: ما قال لعليّ، قال: اللَّهم نعم، فرفع رأسه سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثُمَّ قال: اللَّهم اسمع واشهد [ثلاثاً][4] أنِّي قد خلعتُ ما في رقبتي في رقبة عثمان، فازدحم النَّاس يبايعونه، فأراد عليّ أن يتلكأ، فقال عبد الرَّحمن: ﴿فمَن نَكث، فإنَّمَا يَنْكثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[5]، فخرج عليّ وهو يقول: خدعة[6].

---

(1) لم يرد ذكر لهذا القول في المصادر التي اعتمدنا عليها، وانفرد الطبري بروايته، هكذا: [إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وإنه متى أعطيته؛ ولكن الجهد والطاقة؛ فإنه أرغب له فيك].

(2) ليست في الطبري.

(3) ليست في الطبري.

(4) ليست في الطبري.

(5) سورة الفتح، آية: 10

(6) نقل الطبري تعليل عبد العزيز بن عمر، وهو أحد الرواة الذين نقل عنهم، قوله: «إنما قال عليّ: خدعة بعد لقاء عمرو بن العاص به»؛ فهو هنا يصف خدعة عمرو بن العاص، وقد أوردت كتب التاريخ، والسير، قصة الشورى بروايات مختلفة، وتزيّدوا فيها، ولم يُمحِّصوا الأصيل فيها من الدخيل، واخترع فيها أهل الأهواء ما يخالف الوقائع، وصوَّروها بغير صورتها، وقُدمت هذه الخلافات بين الصحابة- رضوان الله عليهم- بوصفهم أناس لا يترفعون عن خسائس الدنيا، وأن رفقتهم للرسول ﷺ، لم تؤثر فيهم، فُشوهت سيرتهم، بينما هم في الحقيقة أسمى أخلاقاً، وأصدق إخلاصاً لله، خرجوا من تربية النبي ﷺ، وهم على عظم منزلتهم، تتفاوت أقدارهم، وتتباين في أنواع الفضائل، وليسوا معصومين من الأخطاء، ولهم بعض الهفوات، ولكن لا يجب أن تصبح هذه الهفوات باباً للإساءة إلى من غلب عليهم الحق والخير، ولا سيما أولئك المبشرين بالجنة. وقد حرر هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة: 168/3-234، بكلام لا مزيد عليه، وقد أبان ماكان عليه بنو هاشم وبنو أمية من الاتفاق والمحبة والتعاون.روأوردت كتبأو

273. حيلة أخرى لعمرو بن العاص:(1)

من كتاب الحيل للمدائني، قال: لقي عَمرو بن العاص عُمَر بن الخطَّاب، فقال: يا أمير المؤمنين، لو تزوَّجتَ ابنة أبي بكر، فوصلته في ولده، كما خلفته في أمره، قال: قد أردت ذلك، وذكرته لعائشة، ثُمَّ لا أدري كيف يكون؟ قال: فهل لك أن أقوم لك به، قال: افعل، فأتى عائشة، فقال لها: يا أم المؤمنين، لو زوجت عمر بن الخطاب، فجَمَعتِ بين المَوَدة والصِّهر، قالت: قد ذكر ذلك، ولكنِّي ذكرتُ أن عمرَ لاحظ للنساء منه، ورثيتُ لها، حتَّى من شدة خلقه، وما أدري كيف أحتال لرده؟ فقال لها: هل لك أن أحتال لذلك؟ فقالت: وددتُ، وأنَّه راضٍ. فأتى عمر، وقال: بالرفاء والبنين يا أمير المؤمنين، قد أجابك القوم، وقد فكَّرتُ في شيء، فهل لك تناظرني فيه، قال: هاته، قال: قد علمتَ أنه ما أصابه رجل إلى قوم إلا خشُن ما بينهم، وأنا أخشى أن يحشُن ما بينك وبين آل أبي بكر، قال عمرٌ: وأنا أكره ذلك، فكيف بعائشة وقد أجريتُ ذكر ذلك؟ قال أنا أكفيكه، فأتاها عمرو، [وأذكرها](2)، فكفوا.

274. حيلة أخرى له:(3)

قال مرَّ عمرو بن العاص بشاب من قريش وهو منكس الرأس، فقال له: يا ابن أخي مالك؟ قال: خطبت إلى أمير المؤمنين ابنته، فخطب إليه رجلٌ من بني

---

(1) هذه القصة ذكرها الطبري باختلاف يسير: 199/4، وأوردها ابن عبد البر في الاستيعاب: 1807/4، وهي قصة ضعيفة السند ولا تثبت، وإنما الثابت أن عمر بن الخطاب قد تزوج أم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب من فاطمة بنت الرسول ﷺ، وولدت له زيد بن عمر بن الخطاب، انظر البداية والنهاية: 248/8، والإصابة: 465/8 .

(2) هكذا في الأصل.

(3) لم نعثر على المصدر الذي نقل عنه المؤلف هذه القصة، ودهاء عمرو بن العاص، كذكاء القاضي إياس، وكحلم الأحنف بن قيس، صفات تحولت مع الزمن إلى أمثولة، تروى عنها الحكايات والأخبار، بعضها قد يكون صحيحاً، وبعضها من اختراع القصاص، ولكن الثابت أنَّ أصهار عثمان بن عفان ﷺ، ليس منهم يحيى بن الحكم، وإنما إحدى بنات عثمان، وهي عائشة، قد تزوجها الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. انظر: المُحَبَّر لابن حبيب البغدادي: 54 .

سعيد بن العاص، وقد اجتمع أن يزوجها منه، ويتركني، قال: أفتُحبُّ أن احتال لك، قال كيف بذلك، فرجع حتَّى دخل على عثمان، فقال له: كيف تركت النَّاس؟ قال: فرقتين، فرقة تقول: إلى ابن العاص أشرف، وفرقة تقول: إلى العاص أشرف، قلتُ: يستبين لكم القضاء، وهو من زوَّج أمير المؤمنين ابنته إليه، فأرسل عثمان إلى يحيى بن الحكم يُزوِّجه.

275. حيلة أخرى له: (1)

علـــى أبـــي موسى الأشعري. أنَّه لـما حَكَّم علـيٌّ ومعاوية الـحكمين،

---

(1) هذه القصة يُطلق عليها: قصة التحكيم، تروي ما حدث بين عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، فوكَّل عليّ أبا موسى الأشعري، ووكَّل معاوية عمرو بن العاص، وقد رواها أبو مخنف لوط بن يحيى، ونقلها عنه معظم المؤرخين، والإخباريين الذين لا حظ لهم من العلم، فزادوا فيها، وتصرفوا في وقائعها، حتَّى شاعت بين النَّاس أكاذيبهم، وسند هذه القصة في غاية الضعف، وقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال: 419/3 في أبي مخنف: «أخباري تالف، لا يُوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن معين: «ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء» وننقل في هذا السياق تعليقا نفيساً من موقع الإسلام: سؤال وجواب، بعد أن تثبتنا من المصادر، والصحيح في هذه القصة: أن الحكمين تراضيا على أن يعهدا بأمر الخلافة إلى الموجودين من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، فيجعلون على الناس من يرونه أهلا للخلافة، حسما للخلاف، وحقنا للدماء. قال القاضي أبو بكر بن العربي- رحمه الله - تحكم الناس في التحكيم، فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة - دون الديانة - رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين. والذي يصح من ذلك: ما روى الأئمة كخليفة بن خياط والدارقطني: أنه لما خرج الطائفة العراقية مائة ألف، والشامية في سبعين أو تسعين ألفا، ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم - وهو الثلاثاء- على الماء، فغلب أهل العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح. وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل، حتَّى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص. وكان أبو موسى رجلًا تقيًا فقيهًا عالمًا، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله، ضعيف الرأي، مخدوعًا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب، حتى ضربت الأمثال بدهائه، تأكيدًا لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضًا، وصنفوا فيه حكايات، وقالوا: إنهما لما اجتمع «بأذرح من دومة الجندل»، وتفاوضا، اتفقا على =

وهما عمرو ابــن العاص، وأبــو موسى الأشعــري، اتفقــا علــى أن يحضـرا

= أن يخلعا الرجلين، فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول. فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت عليًا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا من عنقي - أو من عاتقي - وأخرجه من عنقه، فوضعه في الأرض. وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت، فأثبت معاوية في الأمر، كما أثبت سيفي هذا في عاتقي. وتقلده. فأنكر أبو موسى. فقال عمرو: كذلك اتفقنا. وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف. قال القاضي أبو بكر: هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط. وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع». ثمَّ ذكر ما رواه الدارقطني - كما في «العواصم من القواصم» (ص: 178)- وابن عساكر في «تاريخه»: (175/46) من طريق عبد الله - ويقال عبيد الله - بن مضارب عن حضين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية جاء -أي حضين بن المنذر- فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية، فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن هذا -أي عن عمرو- كذا وكذا، فاذهب، فانظر ما هذا الذي بلغني عنه .فأتيته، فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة». ورواته ثقات، خلا ابن مضارب، قال الذهبي في «الميزان»: (2/ 506) عداده في صغار التابعين، لا يعرف «وذكره ابن حبان في الثقات. ولعل هذا أمثل ما روي في الباب.ثم قال ابن العربي -رحمه الله-: فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه. فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين. وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول ﷺ، فقد هلك مَن كان أصحاب النبي ﷺ خصمه، ودعوا ما مضى فقد قضى الله ما قضى. وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم، اعتقادًا وعملاً، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعينكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملًا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا».من» العواصم من القواصم»: (172- 180) وقال الشيخ محب الدين الخطيب- رحمه الله- في تعليقه على «العواصم من القواصم»: (174) من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه، وشابته شوائب المغالطة، يوهم غير الحقيقة، فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه. ومن ذلك حادثة التحكيم، وقول المغالطين: إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على خلع الرجلين، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية. وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين: أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه. بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة، من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم. واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية، لأنه لم يكن خليفة، ولم =

بأذْرُح[1]، ويحضر وجوه أصحاب عليّ، ووجوه أصحاب معاوية، ويحضر عليّ ومعاوية في أربع مائة، وكانت مدّة الأجل ثمانية أشهر، فلمّا انقضت المدّة اجتمع الحكمان، ووافا معاوية في المدّة المذكورة، وتخلّف عليٌّ، لم يحضر، فالتفت عمرو بن العاص إلى أبي موسى الأشعري، وقال له: إن رأيت أول ما تقضي به على أن تقضي لأهل الوفاء بوفائه، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وماذاك؟، قال عمرو: ألستَ تعلم أنَّ معاوية وفى وقدُم للوعد؟ قال: نعم، قال: فاكتبها، فكتبها أبو موسى، ثُمَّ التفت إليه، وقال: ألستَ جئتَ أنتَ على أن تُسمِّي رجلاً أمر هذه الأمة، فسمِّ لي، فإني أقدر على أن أبايعك منك على أن تبايعني، قال: أبو موسى: أُسمِّي عبد الله بن عمر، وكان عبد الله بن عمر فيمن اعتزله، فأنا أسمِّي لك معاوية بن أبي سفيان، ثُمَّ قال له عمرو: يا أبا موسى ألستَ تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً، قال: اشهد، قال: ألستَ تعلم أن معاوية ولي أمر عثمان، قال: بلى، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿من قُتِلَ مَظلُوماً

= يقاتل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم، تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة. أما التصرف العملي في إدارة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين، فبقي كما كان: علي متصرف في البلاد التي تحت حكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه. فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة. وكان يكون محلا للمكر أو الغفلة، لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرنًا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين. فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه، لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى. ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبي موسى، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه. فليفهمها كل من شاء كما يشاء. أما هي، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هي».

(1) أذرح: موضع في دومة الجَنْدل.

فَقدْ جَعَلنَا لِوَلِيِّه سُلْطَاناً﴾[1]، فما يَمْنعُك ومعاوية وليّ دم عثمان، وهو من عرفتَ بيته في قريش، والحسن السِّياسة، الصحيح التدبير، أخو أم حبيبة أم المؤمنين، وهو أحد الصحابة، وكاتب الوحي؟ فقال أبو موسى: أما ما ذكرتَ من شرفه وبيته، فإن هذا الأمر ليس بالشرف تولاه أهله، ولو كان الشرف لكان لآل أبْرَهة الصبّاح[2]، وإنّما هو لأهل الدّين والفضل، قال: فاخلع صاحبك حتّى أخلع صاحبي، ثُمَّ اتفقا واجتمعا على ذلك، وخرجا إلى النّاس، وقالوا: قد اتفقنا، قال: أبو موسى لعمرو تقدَّم اخلع صاحبك بحضرة النّاس، فقال: عمرو سبحان الله تعالى أتقدّمُ عليك، وأنت في موضعك وبيتك وفضلك، فتقدّم أنت، فقدّمه، فقال: أبو موسى: أيُّها النَّاس قد اجتهدنا رأينا، ولم يكن للإسلام خير، ولم نرَ أصلح للأمة من خلع هذين الرَّجلين، وقد[3].

(1) سورة الإسراء، آية: 33.

(2) هو: أبرهة بن الصبّاح بن لهيعة بن شيبة الحمد، يعود نسبه إلى حمير بن سبأ، كان من أحلم ملوك اليمن، صاحب كرم فياض، وأحسن ولد معْد رأياً، ولما يزل الملك في حمير تتوارثه حتى جاء الإسلام، لذا ضُرب به المثل، بأن شرفه ونسبه لم ينفعه لما جاء الإسلام. انظر: أنساب الصحاري، للعوتبي الصحاري: 94.

(3) إلى هنا انتهت مخطوط (ت).

الباب الرابع عشر[1]
في حيل التجار والسوقه

276. حيلة أعرابي:[2]

قدم لباب المأمون، وطلب الدّخول عليه، فمنعه الخدم، فقال: إنَّ للملك عندي نصيحة، فأدخل على المأمون، فقال له: ما نصيحتك؟ قال: يا أمير المؤمنين رأيتُ البارحة رؤيا، وأحببتُ أن تعبرها لي، فتبسم المأمون، وقال: ما الرؤيا؟ فأنشأ:

إنّي رأيتُك في المنامي تحْـملني
يا ابن الإمـام على الجـواد السـابق
وكسـوتني حللاً طرائف زانهـا
وشيُ الصّنيع من الطِراز الفـائق
وأمـرت لي بخـريطة مملوءة
ذهبـاً وأخـرى من لجُين رائق
ومنحـتني بخـريدة رومـيَّـة
كـحلاء تولع بالغـلامِ العـاتق

فقال له المأمون: لا ترجع تُبصر مثل هذا المنام، فربما لم يقع لك من يُفسِّره.

(1) هذا الباب هو ما جمعناه من نسخة ألمانيا، بعد أن استبعدنا ما تكرر من الحِيل في الأبواب السابقة.
(2) القصة في المنتظم: 10 /57، وفيها بعض الزيادات، و رواية الأبيات فيها بعض الاختلاف، وقد كان المأمون يعطي الأعرابي بعد كلّ بيت ما طلب.

277. حيلة موسى الزكوريّ الشاعر:(1)

وذاك أنّه كان [بجبل اللُّكّام](2)، وهو جبل أنطاكية، رجلٌ متعبد، يقال له: أبو عبد الله المزابليّ، فيأخذ ما يجده عليها من القمامة، فيغسله ويقتات به، ولا يعرف له قوتاً غير ذلك، وأنّه توغّل في جبل اللُّكام، فصار يأكل من الثمار المباحات فيه، وكان صالحاً مجتهداً، إلا أنّه كان حشوياً(3)، غير وافر العقل، وكانت له [سوق عظيمةٌ في العامّة] بأنطاكية(4).

وكان بها موسى الزكوريّ، صاحب [المجون والسفه](5) في شعره والحماقات، وكان له جار يغشى [المزابليّ]. فجرى بينه وبين موسى شرٌّ، فشكاه إلى المزابليّ [فلعنه المزابليّ في دعائه](6)، وكان النّاس يقصدونه في كل جمعة غدوة، فيتكلّم عليهم ويدعو.

فلمّا سمعوا لعنه للزكوريّ جاء النّاس إلى داره أرسالاً لقتله، فهرب، ونُهبتْ داره، [وطلبته] العامّة، فاستتر. فلمّا طال استتاره، قال: إنّي سأحتال على المزابليّ بحيلة أتخلص منه بها، [فاستعدوني](7) وأعينوني، فقيل له(8): ماتريد؟

قال: أريد [ثوباً جديداً مقصوراً، وشيئاً من مسك وندٍّ، ومجمرة، وناراً، وغلماً يؤنسوني في الليل](9). فأعطوه كلَّ ما طلب(10)، فلمّا نصف الليل، خرج

(1) القصة في نشوار المحاضرة: 349/2، ونقلها عنه ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين: 144.

(2) في: (م): [جبل اللكان]، والصواب ما أثبتناه من معجم البلدان: 22/5، وهي سلسلة جبال تمتد من لبنان حتى تشرف على إنطاكية، ويروى بتشديد الكاف وتخفيفها، وهو في شعر المتنبي مخففاً.

(3) الحشو من النّاس: الذي لا يُعتمد عليه.

(4) بمعنى: له شهر واسعة بين عامة النّاس.

(5) في: (م) [الحزن والصفير]، و الصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(6) في: (م) [في دعاية]، والصواب ما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(7) ليست في نشوار المحاضرة.

(8) في نشوار المحاضرة: [فقلت: ما تريد؟] ؛ فالقاضي التنوخي يروي القصة عن أبيه، فهو من استشاره موسى الزكوريّ.

(9) في نشوار المحاضرة: [ثوباً جديداً، وشيئاً من الندّ والمسك، ومجمرة، وناراً، وغلماً يؤنسوني في الطريق إلى الجبل].

(10) في نشوار المحاضرة: [قال أبي: فأعطيته ذلك كلّه].

والغلمان معه إلى الجبل، ورقى حتَّى صار فوق المكان [الذي يأويه المزابليّ][1]، فبخّر بالعود والندّ، ونوافح المِسك، فدخلت الرائحة إلى الكهف، وصات بصوت عظيم: يا أبا عبد الله المزابليّ، فلمَّا سمع المزابليّ الصوت، وشمَّ الرائحة أنكرهما، وقال: مالك، عافاك الله، ومن أنت؟

فقال له ابن الزكوريّ: أنا الرُّوح الأمين، جبريل، رسول ربِّ العالمين، أرسلني إليك. فلم يشكّ المزابليّ في صدق [القول][2]، وأقبل على البكاء والدُّعاء والتضرع، وقال له: ومن أنا يا جبريل حتَّى يرسلك إليّ ربُّ العالمين [جلَّ جلاله][3]؟

فقال: الرحمن يقرؤك السَّلام، ويقول: لك الزكوريّ غداً رفيقك في الجنَّة [في عليين][4]، فصُعِق المزابليّ، وسمع صوت الثياب [وقعقعتها][5]، ورأى بياضها، [ولمعاتها][6]، فغُشِيَ عليه، وتركه موسى وانصرف.

فلمَّا كان يوم الجمعة، أقبل المزابليّ نحو النَّاس برسالة ربِّ العالمين مع جبريل، وقال: تمسَّحوا ابن الزكوريّ، واسألوه أن يجعلني في حلٍّ، واطلبوه لي، فأقبلت العامَّة أرسالاً إلى داره يطلبونه، ويتمسَّحون به، ويستحلون منه للمزابليّ، [قال: ما أجعله في حلٍّ حتَّى أخذ عوض ما ذهب مني، ونُهِب من بيتي، فحصَّلوا له مائتي دينار، فأخذها وجعله في حلٍّ من لعنه][7].

---

(1) في نشوار المحاضرة: [حتٰ صار فوق الكهف الذي يأوي إليه المزابليّ].

(2) سقطت من (م)، وما أثبتناه من نشوار المحاضرة.

(3) زيادة من المؤلف، ليست في نشوار المحاضرة.

(4) زيادة من المؤلف، ليست في نشوار المحاضرة.

(5) زيادة من المؤلف، ليست في نشوار المحاضرة.

(6) زيادة من المؤلف، ليست في نشوار المحاضرة

(7) زيادة من المؤلف، أو من المصدر الذي نقل عنه، ورواية نشوار المحاضرة، كذا: [فظهر، وأمن على نفسه].

278. حيلة الدارميّ:[1]

يُحكى أنَّ تاجراً أتى إلى المدينة، ومعه خُمرٌ ملوَّنة، فباع كلَّ الألوان إلا اللون الأسود، فلم يقبلها أحدٌ، فشكا ذلك إلى الدارميِّ، وكان الدارميُّ قد تاب وتنسَّك قبل ذلك، وترك الشّعر والغناء، ولزم المسجد، فقال له: ما تجعل لي إنْ احتلتُ لك حيلة بجميع الخُمر؟ قال: حكمك، فعمد الدارميّ إلى ثيابه فألقاها، ولَبِسَ لِبْسَ الشّعر، وعمل هذه الأبيات:

قُلْ للمليحةِ في الخِمَار الأسودِ
مـاذا صَنَعْتِ بعابدٍ مُتزهِّدِ
قد شَمَّرَ للصلاةِ ثيابَه
حتّى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ
رُدِّي عليه صيامَه وصلاتَه
لا تفتنيه بحقِّ آل محمدِ[2]
وإذا دنتْ عيني لتَنْظُرَ نظرةً
قال الجمالُ لها اقعدي وتشهدي

قال: فشاع ذلك في المدينة، وقيل رجع الدارميّ، وتعشَّق صاحبة الخِمَار الأسود، فلم يبق في المدينة طريفة، إلا اشترتْ خماراً أسودَ، وباع التّاجر جميع

---

(1) القصة في الأغاني: 34/4، مع ذكر البيتين الأولين، ولم يُذكر في هذا الموضع من الأغاني اسم الدارميّ كاملاً، وإنّما قال صاحب الأغاني: إنَّ الدارمي من ولد سُويد بن زيد الذي كان جدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة، فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف، وكان من الظرفاء، في زمن عمر بن عبد العزيز، وله أشعار ونوادر، وقد أشتهر بهذه الأبيات في» ذات الخمار الأسود»، ثم ذكر صاحب الأغاني في موقع آخر من الكتاب: 120/20، مسكين الدرامي، وقدّم له ترجمته طويلة، وجملة من الأخبار والأشعار، فهو: ربيعة بن عامر بن أُنيف، بن دارم من قبيلة تميم، ومسكين لقبه، وهذا الأخير له ترجمه في الشعر والشعراء: 365، وكذلك في معجم الأدباء: 1299/3، دون ذكر لهذه الأبيات أو القصة، وفي ديوانه الذي جمعه: عبد الله الجبوري، وخليل إبراهيم، أوردا البيتين الأولين: 30، وقد تُوفي مسكين الدرامي سنة 89هـ. ولا ندري، هل هما شخصية واحدة أم شخصيتان؟!

(2) وفي رواية: [بحقِّ دين محمدٍ].

ما معه بأوفى ثمن، وودَّ لو كانتْ الكلُّ سودَ، وكان إخوان الدارميِّ من النسَّاك، يلقونه، فيقولون مالك رجعتَ؟ فيقول: لتعلمُن نبأه بعد حين، فلمَّا باع التَّاجر خُمُره، ولم يبق معه منها شيء، رجع الدارميِّ إلى نُسكه وعبادته.

279. حيلة الغاضري:[1]

وذلك أنَّه أفلس يوماً، فدخل على الحسن بن علي- عليهما السَّلام-، فقال له: يابن رسول الله، إنِّي عصيتُ رسول الله ﷺ، فقال له الحسن: بئس ما صنعت، كيف عصيانك؟ قال: لأنَّ رسول الله ﷺ [قال: لا يُفلح قومٌ ملكتْ عليهم امرأة، وقد ملكتْ علي امرأتي، وأمرتني أن أشتري عبداً، فاشتريته، فأبق مني. قال عليه السَّلام: اختر أحد ثلاثة: إن شئت فثمن العبد. فقال: هاهنا، ولا تتجاوز، قد اخترت. فأعطاه ذلك][2].

280. حيلة عاصم بن أثيلة:

قال الواقدي[3]، انتجع بنو شيبان، وكادتْ أن تقع الحرب بينهم، فرجع بنو شيبان إلى بلادهم، فأضلَّ رجلٌ من بني شيبان يقال له حنين بعيراً له، فرجع يطلبه، فقتله عاصم بن أثيلة، وكان عاصم بن أثيلة بالبحرين، فطلبه أخو حنين حتَّى أدركه بالبحرين، فرأه عاصمٌ فعرفه، وهو لم يعرفه لعاصم، فقال عاصمٌ لرجل من بني مالك، يقال له عاصم، ليسمع أخو حنين: مرحباً بك يا عاصم، وناوله زِقاً فيه لبن، فقال أخو حنين: قاتلُ أخي، فقتله، ونجا عاصم سالماً.

---

(1) القصة في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 4/ 21.

(2) هذا الجزء من القصة سقط من: (م)، وأكملناها من: مناقب آل أبي طالب: 21/4.

(3) الواقدي، هو: أبو عبد الله محمد بن عمر الأسلمي بالولاء، الإخباري، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم على رغم من ضعفه المتفق عليه عند أهل الحديث، سمع من بعض صغار التابعين، يقول عنه الذهبي: خلط الغث بالسمين، والخرز بالدُّر الثمين انظر: سير أعلام النبلاء: 9 /455، وشذرات الذهب: 18/2، وقد تقدَّمت ترجمته.

281. حيلة سوقي:[1]

قدَّم رجلٌ رجلاً إلى القاضي، وادعى عليه بألف درهم، فقال: صدق يا مولاي، ولكنّ ينظرني أياماً قليلة، فلي تجارة واصلة، فإنْ وصلتْ، وإلا بعتُ شيئاً من ملكي وأرضيته. فقال خصمه: يامولانا القاضي ذا[2]، أو يفسخ مجلسنا، والله العظيم ما يقدر على حبَّة الفرد[3]، لا تجارة ولا عقار ولا مُلك غير هذه الثياب التي عليه، وهي عليه بالدِّين أيضاً، فقال خصمه: اشهد عليه أيُّها القاضي إنَّه قد أقرَّ بتفليسي، فقال القاضي: صدقتَ، وخلَّى سبيله فمضى.

282. حيلة بدوي: [4]

ضاع منه جملٌ، فحلف إن وجده باعه ولو بدرهم، فوجده فلم يطب قلبه ببيعه، فعلَّق في عنقه سنَّور[5]، وقال: الجمل بدرهم، والسنَّور بمائة، فرأه بعض العرب، ما أرخصه من جمل لولا هذه [الخبيثة المعلقة في عنقه][6].

283. حيلة قصَّاب: [7]

جاءت عجوز إلي قصَّاب بالمدينة ومعها درهمان، فقالت: [أعطيني][8] بهذه لحماً طيباً حتَّى إذا أكلته دعوتُ لك بالبركة، وقلي اسمك، فقال لها: اسمي مَنْ

(1) في أخبار الأذكياء: 200، قصة شبيهة بهذه القصة، وهي في أخبار الأذكياء أجود صياغة، وكذلك في نثر الدر: 2/303.

(2) أي: يُسلِّم ما عليه الآن.

(3) الحبَّة جزء لا قيمة له من الدرهم.

(4) القصة في محاضرات الأدباء 1/ 551 .

(5) السنَّور، جمع سنانير: حيوان من فصيلة اللواحم، منه الوحشي، ومنه الأليف، وهو يشبه القط، أو هو إياه.

(6) في محاضرات الأدباء: لولا قلادته.

(7) القصة في محاضرات الأدباء: 1/ 554 .

(8) سقطت من (م)، وما أثبتناه من محاضرة الأدباء.

يَمُـدُّ، وأعطاها من [أخـشن](1) لحم عنده، فلمَّـا طبـختـه العـجـوز لم ينضج، [فجعلتْ تأكله وتمدّ فلا ينفصل](2)، فكلمَّا مدَّته، قالتْ: لعن الله من يَمُدُّ، وهي تلعن نفسها.

284. حيلة خيَّاط:

يُحكى أنَّ بعض الملوك أهديه له ثوبٌ لم يُعـمـل قطُّ مـثله، كلّه نسج بالذَّهب، واتفق أنَّه كان ليلة العيد، فاستدعى خياطاً كان له، وقال له: أريدُ أنْ تخيطه لي هذه الليلة؛ حتَّى أركب به غداً في الموكب، فأخذه الخيَّاط، وجلس في حجرة وحده، وغلَّق عليه الباب، وأعطوه عنده شمعة، فلمَّا وقت السَّحَر، فرغ منه، وأراد أن [يُدبِّر زِيْقه](3) فمنْ سَهَره نعستْ عينه، فشطف الشَّمعة على الثوب، فأحرقتْ فيه [ثلاثة](4) مواضع، وانتبه الخيَّاط في إثر ذلك، فرى الجُبَّة تشتعل، فأطفأها بالعجلة، وقد بقيتْ [تشوي الجُبَّه](5)، فأفكر في نفسه ساعة، وعلم أنَّ الملك يهلكه، فأخذ الجُبَّة وأحرقها جميعها إلى أن صارت رماداً، وأخذ الذَّهب جميعه، وعمله في كتلة شمع من الشَّمعة، وخبأه معه ونام إلى الصُّبح، فأتوه الخَدَم يطلبون الجُبَّة ليلبسها المَلك، قال: والله الساعة جاء خادمٌ فأخذها، قالوا: أي شيء اسمه؟ قال: والله ما أدري، ساعة فرغتُ منه جاء إليّ وأخذها، فأعلموا المَلكَ، وقال: اسألوا الخَدم، فقالوا: جميع الخَدم ما لنا بهم علم، ولم يقعوا لها على خبر، وأصبح المَلِكُ، فلبسَ غيرها وركب، ومضى الخيَّاط إلى بيته، وتمت الحيلة.

---

(1) في محاضرات الأدباء: [أخبث اللحم].

(2) في محاضرات الأدباء: [فعلت العجوز عند الأكل تمدّ اللحم فلا تقدر على أكله].

(3) الزِّيق، جمع أزياق، وزيق القميص أو الثوب ما يُحيط بالعنق، يُخاط لتقويته.

(4) في الأصل: [ثلاث].

(5) غير واضحة في الأصل، هكذا: [شوي حبه]، فاجتهدنا فيما أثبتناه.

285. حيلة تاجر:

يَحْكي الهيثم بن عدي[1]، قال: سمعتُ الأشرس بن عبد الله[2] يُحدِّث عمارة بن الحسن، قال: دفع يوسف بن عمر[3] إلى رَجُلٍ من النخاسين من بني أسد ألف دينار، وقال له: انحدر إلى البصرة، واشتري لي بها عشر وصائف، قال: حدَّثني الرَّجل الأسدي، قال: طلبتـهنَّ بالبصرة حتَّى وجَدتهنَّ، فلمَّا أردتُ الانصراف نظرتُ إلى إحداهن وإذا بها شَامَة سودا مثل الجوزة، فأردتُ ردَّها فلم أقدر على ذلك، فقدَّمتُ بهن، وأدخلتـهنَّ الحَمَّام، وهيأتهنَّ، وقلتُ لصاحبة الشَّامة: إذا قدَّمتُ إليه جاريه، فتقدَّمِي، وإذا زجرتك فارجعي، وافعلي ذلك مراراً، ثُمَّ دخلتُ على يوسف، قال: ما صنعتَ؟ قلتُ خيراً، قد جئتُك بحاجتك على ما تريد، قال: أدخلهنَّ، فقلتُ لجارية: تقدَّمِي، فتقدَّمتْ صاحبة الشامة، فقلتُ لها: ورائي، فرجعتْ، ثُمَّ تكرر ذلك، فقال: الأمير دعها فإنَّ الوجيه يتقدم، فقال: ففخُرتْ بحَبَّة خالها في قلب يوسف، وحظيتْ عنده.

---

(1) نظنه: يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق وخراسان في زمن هشام بن عبد الملك، كان شهماً سائساً جواداً، قتله يزيد ابن خالد القسري سنة 127هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: 443/5 .

(2) نظنه: أشرس بن عبد الله الأسلمي.

(3) تقدمت ترجمة الهيثم بن عدي.

الفهارس

1- فهرس الأعلام
2- فهرس الأماكن والبلدان
3- فهرس المصادر والمراجع
4- فهرس المحتويات

1- فهرس الأعلام

(آ - أ)

(ب - ث)

(ج)

(ح - خ)

(د - ذ)

(ر - ز)

(س – ش)

(ف - ق)

(م)

(ن، هـ)

(و - ي)

2- فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب - ت)

(ج - خ)

(ذ - ر)

(س- ط)

(ع – ق)

(ك – م)

(ن - ي)

3- فهرس المصادر والمراجع

- أحاديث القصاص، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت، ط3، 1408هـ.
- أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، منشوارت دار الجمل، ألمانيا، ط1، 2016.
- أخبار الأذكياء، لجمال الدين بن الجوزي، بعناية: بسّام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1324هـ.
- أخبار الحمقى والمغفلين، لأبي الفرج بن الجوزي، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين القفطي، بعناية: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.
- أخبار القضاة، للقاضي وكيع محمد بن خلف، مراجعة: سعيد الفحام، عالم الكتب، بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الجزري المعروف بابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط4، 1408هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- إعتاب الكُتّاب، لابن الأبار القضاعي، تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1380هـ.
- اعتلال القلوب، لابي بكر الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط2، 1420هـ.
- أعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، لشمس الدين بابن قيمّ الجوزيّة، راجعه: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،ط1، 1968.
- الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، لأبي محمد الهمداني، تحقيق:

محمد الأكوع، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 1425هـ.
- الألفاظ الفارسية المعرَّبة، أدي شير، دار العرب، القاهرة، ط2، 1987 .
- أمالي الصدوق، لابن بابويه القميّ، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1430هـ.
- الأنساب، لأبي سعد السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن اليماني، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1962 .
- بهجة المجالس وأُنس المُجالس، لأبي عمر يوسف القرطبي، تحقيق: محمد الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981 .
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1975 .
- الأنساب، لأبي المنذر الصحاري العوتبي، تحقيق: محمد إحساس النص، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1427هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، عناية: لجنة من العلماء، لمحمد المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1403هـ.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1431هـ.
- البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1410هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1383هـ.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: يحيى الهنيدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدنية المنورة، ط1، 1426هـ.
- اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاج، تحقيق: عبد الحسين

المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ.
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1975 .
- التاج في أخلاق الملوك، المنسوب لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: أحمد زكي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1332هـ.
- تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1387هـ.
- التاريخ الصغير، لإسماعيل البخاري، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ.
- التاريخ الكبير، لإسماعيل البخاري، تحقيق: هاشم الندوي، وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- تاريخ بخارى، لأبي بكر النرشخي، تحقيق: أمين عبد المجيد، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1993 .
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- تاريخ بيهق، لظهير الدين البيهقي، الشهير بابن فندمه، دار اقرأ، دمشق، ط1، 1425هـ.
- تاريخ خليفة ابن خياط، لخليفة العصفري، تحقيق: أكرم العمري، دار القلم، بيروت، ط2، 1397هـ.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1415هـ.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي محمد مسكويه، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- تحذير الداعية من القصص الواهية، على بن إبراهيم حشيش، دار الفاروق، مصر، ط1، 1430هـ،

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، لهلال الصابئ، تحقيق: مخائيل عوّاد، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1367هـ.
- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1374هـ.
- التذكرة الحمدونيّة، لمحمد ابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996 .
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، المحقق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض ط2، 1420هـ.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1421هـ.
- التكملة فيما يلحن فيه العامة، لأبي منصور الجواليقي، تحقيق: عبد الحفيظ قرني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ.
- تلبيس إبليس، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1421هـ.
- تهذيب الأحكام، لأبي جعفر الطوسي، تحقيق: على الغفّاري، مكتبة الصدوق، إيران، ط1، 1417هـ.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1414هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المُزّي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1403هـ.
- التيجان في ملوك حمير، برواية وهب بن منب، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط1، 1979.
- ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1426هـ.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1،1422هـ.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لمحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ.
- جدة في شذرات الغزاوي، عدنان اليافعي، دار سيبويه، مكة المكرمة ط1، 1434هـ.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله الحميدي، تحقيق: بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1325هـ.
- جمهرة رسائل العرب، أحمد صفوت زكي، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2019.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لبدر الدين الإربلي، تحقيق: إميل يعقوب، دار النفائس، الأردن، ط2، 2007.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، لمحي الدين بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط2، 1413هـ.
- الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزيديّة، لحميد المحلي، تحقيق: المرتضى المحطوري، مطبوعات مكتبة مركز بدر، صنعاء، ط1، 1423هـ.
- الحكايات الشعبية، شوقي عبد الحكيم، دار مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2017.
- الحلة السِّراء في أشعار الأمراء، لابن الأبَّار القضاعي، تحقيق: حسَين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985 .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1416هـ.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1950 .
- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1409هـ.

- خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التّبابعة، نشوان الحميري، تحقيق: علي المؤيد وآخرون، دار العودة، بيروت، ط2، 1978 .
- دائرة المعارف الإسلامية، راجعها: محمد مهدي علام، دار الفكر، بيروت1933 .
- دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية)، محمد مفيد آل ياسين، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010: 41 .
- الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2015 .
- الدر الثمين في أسماء المصنفين، علي بن أنجب المعروف بابن السّاعي، تحقيق: أحمد شوقي بنبين، ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1430هـ.
- ديوان ابن سنان الخفاجي، نحقيق: عبد الرزاق حسين، الكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1988 .
- ديوان أبي الفتح البستيّ، تحقيق: شاكر الفحام، مجمع اللغة العربية، بدمشق، ط1، 1983 .
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ تحقيق: بهجت الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2010 .
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، 1963 .
- ديوان الشريف الرضي، شرح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ.
- ديوان سبط بن التعاويذي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1988 .
- رجال النجاشي، لأبي العباس أحمد النجاشي، تحقيق: موسى الزنجانيّ، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط6، 1418هـ.
- رجوع الشيخ إلى صباه في القوة والباه، أحمد بن سليمان، الشهير بابن كمال باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1309هـ.
- رسائل أمين الدّولة ابن الموصلايا، لأبي علي الكاتب الشهير بابن الموصلايا،

تحقيق: عصام عقلة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات،ط1، 1424هـ.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا الخوانساري، تحقيق: أسد الله اسماعيليان، طهران 1390هـ.
- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، لمحمد الجزري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ.
- سفينة البّحار ومدينة الحكم والآثار، لعباس القميّ، تحقيق: علي أكبر إلهي، إيران، 1426هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1415هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ناصر الدين الألباني، مكتب المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ.
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1409هـ.
- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410هـ.
- الشاهنامة، نظمها بالفارسية: أبو القاسم الفردوسي، ترجمها نثراً إلى العربية: الفتح البنداري، تحقيق: عبد الوهاب عزام، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1350هـ.
- شرح ديوان المتنبي، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: ياسين الأيوبي، وقصيّ الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1419هـ.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: مفيد قميحه، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1405هـ.
- الشمائل المحمدية، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط3، 1403هـ.

- الشمسية في القواعد المنطقية، لنجم الدين القزويني، تحقيق: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998 .
- صحيح مسلم، لمسلم النيسابوري، تحقيق: رائد بن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1436هـ.
- صحيفة الأبرار، ميرزا محمد تقي، تحقيق: مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، دار الأعلم للمطبوعات، بيروت، ط1، 1424هـ.
- الصلة، لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1410هـ.
- صيد الخاطر، لأبي فرج ابن الجوزي، تحقيق: حسن سويدان، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ.
- طبقات أعلام الشيعة، آغا برزك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1430هـ.
- طبقات الشعراء، لعبد الله ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976 .
- الطبقات الكبرى، لابن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421هـ.
- طبقات المدلسين، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عاصم، القريوتي، دار المنار، الأردن، ط1، 1403هـ.
- طبقات المفسرين، لشمس الدين الداوودي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1403هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1392هـ.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، لرضي الدين الحسن الصغاني، تحقيق: مخمد آل سين، دار الرشيد بغداد،1981 .
- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.

- العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبة السُّنة، القاهرة، ط1، 1405هـ.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1343هـ.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، تحقيق: عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1996 .
- عيون التواريخ، لابن شاكر الكتبي، تحقيق: عاطف حاطوم، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1996 .
- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين الجزري، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ.
- غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، لأبي منصور الثعالبي، مكتبة الأسدي، إيران ط1، 1963 .
- غُرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، لأبي إسحاق برهان الدين بن محمد المعروف بالوطواط، عناية، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية، ط1، 1379هـ.
- الفتح القُسِّي في الفتح القُدسي، لعماد الدين الأصفهاني، دار المنار، ط1، 2004.
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم، بيروت، ط1، 1418هـ.
- الفرج بعد الشدّة، للمحسن التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1398هـ.
- الفرق بين الفِرق، لعبد القاهر الإسفرائيني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، تحقيق: ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط6، 1965 .
- الفكاهة والمزاح، للزبير بن بكّار، عناية: حسين الهاشميّ، ط1، 1439هـ.
- الفهرست، لمحمد بن إسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد، طهران، 1971 .
- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، 1951 .
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات اللكنوي الهندي، تحقيق: محمد النعساني، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1323هـ.
- قصص الأنبياء، إسماعيل ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1408هـ.
- الكافي، لمحمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران، ط5، 1363هـ.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2012.
- كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 1429هـ.
- كتاب الزهد والرقائق، لعبد الله بن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1، 1415هـ.
- كتاب الزهد، لأحمد بن حنبل، تحقيق: محمد جلال شرف، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1981 .
- كتاب الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: قيس العطار، مركز إحياء التراث، العراق، ط1، 1434هـ.
- كتاب المحبَّر، لابن حبيب البغدادي، إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت، ط1، 2009.
- كتاب الوزراء والكُتّاب، لأبي عبد الله الجهشياري، تحقيق: مصطفى السّقا وزملاؤه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1357هـ.

- كتاب الولاة والقضاة، لأبي عمر الكندي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1381هـ
-الكشف والبيان، لأبي اسحاق الثعلبي، تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، بعناية: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ.
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة،دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423هـ.
- لطف التدبير، للخطيب الإسكافي، تحقيق: أحمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1979.
- مجاز القرآن، لأبي عبيد معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1978.
- مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط1، 1416هـ.
- المحاسن والمساوئ، لأبراهيم البيقهي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 2009.
- محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء، الراغب الأصبهاني، بعناية: إبراهيم زيدان مكتبة الهلال، 1902.
- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، جمال الدين ابن المبرد المقدسي، تحقيق: عبد العزيز الفريح، الجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة، ط1، 1420هـ.

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، لأبي الحسن علي القفطي، تحقيق: حسن معمري، جامعة باريس، ط1، 1390هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لأبي محمد اليافعي، عناية: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي، لمحققين مختلفين، الرسالة العلمية، دمشق، ط1، 1434هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن الهروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ.
- مروج الذهب ومادن الجوهر، لأبي الحسن المسعودي، عناية: كمان حسن مرعي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1425هـ.
- المستجاد من فعلات الأجواد، للمحسن التنوخي، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.
- مستدرك رجال علم الحديث، للنمازي الشاهرودي، تحقيق: محمد رضا الحسيني، دار شفق، إيران، ط1، 1412هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1422هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي) للحسين البغوي، تحقيق: محمد النمر وزملاؤه، دار طيبة، الرياض، ط1، 1409هـ.
- معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: محمد الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، تحقيق/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993 .
- معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، لزامباور، عناية: زكي محمد حسن وآخرون، دار الرائد، بيروت، ط1 1400هـ.

- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط1، 1404هـ.
- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله للمرزباني، تحقيق: فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط1، 1425هـ.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1404هـ.
- معجم المطبوعات، إلياس سركيس، مكتبة آية الله مرعشي، إيران، ط1، 1410هـ.
- معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1417هـ.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1414هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بمصر، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ط1، 1989.
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرُّواة، لأبي القاسم الموسوي الخوئي، عناية: عبد الصاحب الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي، النجف، ط1، 1980 .
- مفاتيح العلوم، لمحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1409هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيارة، أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.
- المفصَّل في صنعة الإعراب، لجار الله الزمخشري، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993 .
- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، 1960 .
- مقدمة ابن خلدون، عناية: حُجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988 .
- مناقب آل أبي طالب، لأبي جعفر بن شهر أشوب، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1412هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط2، 1415هـ.

- منتهى المقال في أحوال الرّجال، لأبي علي الحائري، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراثق، إيران، ط1، 1416هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأبي العباس بن تيميَة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ.
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لحسن بن بشر الآمدي، عناية: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ.
- الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1431هـ.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط1، 1999.
- الموضوعات، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط1، 1486هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1382هـ.
- نثر الدّر، لأبي سعد منصور الآبي، تحقيق: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1997.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة، القاهرة، ط1، 1383هـ.
- نزهة الألبا في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للمحسن التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.

- نهج البلاغة، (الشريف الرضي، أو المرتضى)، تحقيق: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، ط5، 1412هـ.
- نوادر الخلفاء، المشهور: (بإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس)، لدياب الإتليدي، تحقيق: محمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ.
- نور القبس المختصر من المقتبس، (في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء)، لأبي عبيد الله المرزباني، تحقيق: رودلف زلهايم، دار النشر فرانتس، المانيا، 1384هـ.
- النور الهادي إلى أصحاب الإمام الهادي، لعبد المحسن الشّبستري، المكتبة التاريخية المختصة، إيران، ط1، 1421هـ.
- الهفوات النادرة، لأبي الحسن الصابي، تحقيق: صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1967.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، لمحققين مختلفين، دار فرانز، ألمانيا، 1381هـ.
- وسائل الشيعة، للحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ط2، 1414هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1،1972 .

المجلات والمواقع الإلكترونية:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 3، الجزء الخامس، 1923.
- مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، العدد: 192، رابط المجلة في الإنترنت:

http://habous.gov.ma/daouat-alhaq/itemlist/category/165-192-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF

فهرس المحتويات

رقائق الحُلل في دقائق الحِيَل

لعلي بن يونس السَّعديّ

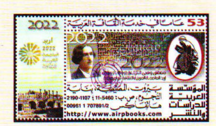
تحقيق: حمد البليهد

اعلم أيّها السيد السعيد أنَّ الحِيلة لما كانتْ ثمرة العقل، ومستخرجة بقوانينه، وطُرُقُه في استخراج عويص العلوم، ومحاسن الفنون المختلفة الأصُول والمنافع، وجب أن تكون للإنسان خاصة دون غيره من الحيوان.

فإن قال قائل: إنّا نرى كثيراً من الحيوان يعمل من الحيل ما يفتح له منها فوائد جمّة مثل الحيَّات، فإنها تخرج في الربيع من أجحرها، وقد غشى على بصرها، فتأتي الرازيانج فتمرغ وجهها عليه فتنفتح أعينها.

وكالدب، فإنّه في الربيع أيضاً يأتي إلى أجحرة النمل، فيلقطها ثم يشرب عليها من الماء، فيقذف كل ما معه من الأخلاط، كما يشرب الإنسان الشَّرْبَة، ومثل الطير الذي يأخذ في منقاره ماءً ويَزْرقه في دبره، فينطلق إذا أصاب تُخمة. وكالخفاش الذي يرى بأفراخه يرقاناً أصفر، فيمضي فيأتي بحشيشة، وقيل بحجر فيطرحه في عشه فيزول عنهم مرضهم. وكالكلب إذا برد في الشتاء، فإنه يعدو أشواطاً كثيرة فيدفأ. وكالكركي إذا خاف على نفسه من النوم يقف على فرد رِجْلٍ خوفاً لا ينام. وكالعنكبوت فإنه يأتي إلى زوايا البيت، فينسج بها شبكةً فتأتي الذبابة فتسقط عليها، فتعلق فيأخذها فيأكلها. ومثل هذا كثير.

قلنا: فهذه ليست معدودة في الحيل لغزارة عقلها. وإنما ذلك إلهام من الله تعالى لصلاح أحوالها ولطف من الله بها. وإذا كانت الحِيلة طريقاً أو آلة استعملها العقل، فبغير شك أنه ينبغي للعاقل أن يعرف طرق الحيل، وكيف يستعملها، ويعلم من أين دَخلتْ عليه حيلةٌ من الحِيل، وكيف الخروج.




9 786144 863527